المحجة البيضاء

في تهذيب الإحياء

تأليف

المحقق العظيم والمحدث الكبير الحكيم المتألّه

محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني

المتوفى ١٠٩١ هـ

قدس سره

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

المحجة البيضاء
في تهذيب الأحياء

تأليف

المحقق العظيم والمحدث الكبير الحكيم المتأله محمد بن المرتضى المدعو

بالمولى محسن الكاشاني ره

المتوفى ١٠٩١ هـ

صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري

الجزء الثاني

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص ب : ٧١٢٠

﴿ الباب الرابع ﴾

(في الامامة والقدوة)

أقول : قد ذكر أبوحامد في هذا الباب وظائف كلّ من الإمام والمأموم زيادة على المنفرد على طريقته ، ونحن نذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول وبالله التوفيق :

من وظائف الإمام أن يكون مؤمناً ـ أي اثني عشرياً ـ ، عدلاً ـ أي موثوقاً بدينه وأمانته ـ كما ورد في الأخبار ورخّص في الاكتفاء بكونه غير معلوم الفسق ففي الفقيه قال الصادق عليه السلام : « ثلاثة لا يصلّى خلفهم : المجهول ، والغالي وإن كان يقول بقولك ، والمجاهر بالفسق وإن كان مقتصداً »(١) فإنّ المراد بالمجهول المجهول المذهب والاعتقاد دون العدالة لأنّه جعله قسيم المجاهر بالفسق ، وكذا المراد بالمقتصد المقتصد في الاعتقاد أي لا يكون غالياً ولا مفرّطاً كما هو ظاهر .

وفي التهذيب عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إذا كان الرّجل لا تعرفه يؤمّ الناس ويقرأ القرآن فلا تقرأ خلفه واعتدّ بصلاته »(٢).

وفي الفقيه قال عليّ بن محمّد ، ومحمّد بن عليّ عليهما السلام : « من قال بالجسم فلا تعطوه شيئاً من الزكاة ولا تصلّوا خلفه »(٣).

وكتب أبو عبدالله البرقيّ إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام : يجوز جعلت فداك الصلاة خلف من وقف على أبيك وجدّك عليهما السلام ؟ فأجاب لا تصلّ وراءه(٤).

وسأل عمر بن يزيد أباعبدالله عليه السلام عن إمام لا بأس به في جميع اُموره ، عارف غير أنّه

---

(١) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢١ .

(٢) المصدر ج ١ ص٣٣١ ، وذلك لان الاصل في المسلمين العدالة .

(٣) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢٤ .

(٤) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢٥ .

يُسمع أبويه الكلام الغليظ الّذي يغيظهما أقرء خلفه ؟ قال : «لاتقرأ خلفه مالم يكن عاقّاً قاطعاً [١]» .

وروى محمّد بن عليّ الحلبيّ عنه عليه السلام أنّه قال : « لاتصلّ خلف من يشهد عليك بالكفر، ولا خلف منْ شهدت عليه بالكفر [٢]» .

و روى سعد بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن الرضا عليه السلام أنّه قال : « سألته عن الرّجل يقارف الذّنب نصلّي خلفه أم لا ؟ قال : لا [٣] » .

ومنها أن يكون طاهر المولد أي لايعلم كونه ولدزناً و أن يكون ذكراً سالماً من الجذام والبرص والحدّ الشرعي و الأعرابيّة واللّحن والقعود وإن كان لعذر إلّا أن يؤمّ لمثله في الجميع ، ولم يجوّز السيّد المرتضى إمامة الأنثى مطلقاً وجوّزها الآخرون لمثلها ، ويكره إمامة المسافر للحاضر وبالعكس ، و المقيّد للمطلقين ، وصاحب الفالج للأصحّاء ، والمتيمّم للمتوضّين ، والأعمى للبصراء في الصحراء إلّا أن يوجّه إلى القبلة ، و العبد إلّا لأهله .

ومنها أن لا يتقدّم للإمامة على قوم يكرهونه ، فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين ، فإن كان الأقلّون هم أهل الخير والدّين فالنظر إليهم أولى .

و في الحديث « ثلاثة لايجاوز صلاتهم رؤوسهم : العبد الآبق ، وامرأة زوجها ساخط عليها ، وإمام قوم وهم له كارهون » [٤] .

وينبغي أن يقدّموا صاحب المسجد الراتب فيه وساكن المنزل ، ثمّ الأعلم بالسنّة والأفقه في الدّين ، ثمّ الأقرء للقرآن ، ثمّ الأقدم هجرة ، ثمّ الأكبر سنّاً .

و في بعض الأخبار تقديم الثلاثة الأخيرة مع ترتيبها المذكور على الأعلم [٥] لكن ما ذكرناه هو الأصحّ .

(١) الى (٣) المصدر ص ١٠٤ رقم ٢٦ الى ٢٨ .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٧١ ونحوه الشيخ فى الامالى ص١٢١ والترمذى ج ٢ ص ١٥٤ .

(٥) راجع الكافى ج٣ ص٣٧٦ والفقيه ص١٠٣ رقم ١١ . والتهذيب ج١ ص١٢٢ .

و في الفقيه « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إمام القوم وافدهم ، فقدّموا أفضلكم[1] ».

و قال صلى الله عليه وآله : « إن سرّكم أن تزكو صلاتكم فقدّموا خياركم[2] » .

وقال أبوذرّ ـ رضي الله عنه ـ : إنّ إمامك شفيعك إلى الله تعالى فلا تجعل شفيعك سفيهاً ولا فاسقا[3] » .

و كما ينهى عن تقدّمه مع كراهتهم فينهى عنه إن كان وراءه من هو أفقه منه وأقرء.

ففي الفقيه « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صلّى بقوم وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم إلى سفال إلى يوم القيامة[4] ».

نعم إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدّم ، فإن لم يكن شيء من ذلك فليتقدّم مهما قدّم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ، ولا ينبغي عند ذلك المدافعة إلّا لمن لم يتعوّد ذلك فإنّه ربما يشتغل قلبه ويتشوّش عليه الإخلاص في الصلاة حياءً من المقتدين لاسيّما في جهره بالقراءة .

و إذا خيّر بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة لأنّها أفضل ، ولايكره الجمع بينهما عندنا لوقوعه عن النبيّ صلى الله عليه وآله كما رواه أصحابنا و أنّه صلى الله عليه وآله ربما كان يؤذّن ويقيم غيره و ربما كان بالعكس .

ولاخطر في الإمامة كمازعمه أبوحامد لأنّ الإمام لايضمن عندنا سوى القراءة كما رواه في الفقيه عن الصادق عليه السلام[5] فعليه يحمل قول النبيّ صلى الله عليه وآله : « الإمام ضامن و المؤذّن مؤتمن »[6] أوعلى أنّه يضمن مايتركه المأموم سهواً من الأذكار غير تكبيرة الافتتاح كمارواه فيه[7] عن عمّار الساباطي «أنّه سأل أباعبدالله عليه السلام عن رجل سهى خلف إمام بعد ما افتتح الصلاة فلم يقل شيئاً ولم يكبّر ولم يسبّح و لم يتشهّد و لم يسلّم ؟ فقال : قدجازت صلاته و ليس عليه شيء إذا سهى خلف الإمام ولاسجدتا السهو لأنّ الإمام

(١) و(٢) و(٣) الفقيه ص ١٠٣ رقم١٢و١٤و١٥ .

(٤) الفقيه ص ١٠٣ رقم ١٣ . وفي التهذيب ج ١ ص ١٣٠ مثله .

(٥) المصدر ص ١٠٣ رقم ١٦ .

(٦) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٨١ . وأبوداود ج ١ ص ١٢٣ .

(٧) أي في الفقيه ص ١١٠ تحت رقم ١٩٩ .

ضامن لصلاة من صلّى خلفه ».

وروى محمّد بن سهل عن الرّضا عليه السلام أنّه قال: « الإمام يحمل أوهام من خلفه إلّا تكبيرة الافتتاح (١)».

قال الصدوق: « والّذي رواه أبوبصيرعن الصادق عليه السلام حين قال له: أيضمن الإمام الصلاة؟ فقال: لا، ليس بضامن» ليس بخلاف خبر عمّار وخبر الرضا عليه السلام لأنّ الإمام ضامن لصلاة من صلّى خلفه متى سهى عن شيء منها غير تكبيرة الافتتاح وليس بضامن لما يتركه المأموم متعمّداً.

قال: ووجه آخر وهو أنّه ليس على الإمام ضمان لإتمام الصلاة بالقوم لأنّه ربما حدث به حدث قبل أن يتمّها أويذكر أنّه على غير طهر.

وتصديق ذلك ما رواه جميل بن درّاج عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال: « سألته عن رجل صلّى بقوم ركعتين ثمّ أخبرهم أنّه ليس على وضوء؟ قال: يتمّ القوم صلاتهم فإنّه ليس على الإمام ضمان » (٢).

قال أبوحامد: « قال بعض السلف: ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء، ولابعد العلماء أفضل من أئمّة المصلّين لأنّ هؤلاء قاموا بين الله وبين خلقه هذا بالنبوّة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدّين وهو الصلاة ».

ومنها أن يؤمّ مخلصاً لوجه الله ومؤدّياً أمانة الله تعالى في طهارته و جميع شروط صلاته. ـ قاله أبوحامد ـ.

قال: « فأمّا الإخلاص فبأن لايأخذ عليها أجراً فقد أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله عثمان ابن أبي العاص الثقفيّ فقال: « واتّخذ موذّناً لا يأخذ على الأذان أجراً (٣) » والأذان طريق إلى الصلاة والإمامة عين الصلاة فهي أولى بأن لايؤخذ عليها أجرٌ فإن أخذ رزقاً من المسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو من آحاد النّاس فلايحكم بتحريمه ولكنّه مكروه والكراهية في الفرائض أشدّ منها في النوافل، و تكون اُجرة له

(١) الفقيه ص ١١٠ تحت رقم ١٢٠.
(٢) راجع الفقيه ص ١١٠ رقم ١٢٢.
(٣) أخرجه أبوداود ج ١ ص ١٢٦. والنسائي ج٢ ص ٢٣.

على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة.

و أمّا الأمانة فهي الطهارة باطناً عن الفسوق و الكبائر والإصرار على الصغائر فالمرشّح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك جهده فإنّه كالوفد والشفيع للقوم، فينبغي أن يكون خير القوم.

و كذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث فإنّه لايطّلع عليه سواه، فإن تذكّر في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريحٌ فلاينبغي أن يستحي بل ليأخذ بيد من يقرب منه و ليستخلفه.

ومنها أن يؤخّر المؤذّن الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر «ليتمهّل المؤذّن بين الأذان و الإقامة بقدرما يفرغ الآكل من طعامه و المعتصر من اعتصاره»[1] وذلك لأنّه نهي عن مدافعة الأخبثين[2] وأُمر بتقديم العشاء على العشاء[3] طلباً لفراغ القلب ـ كذا قال أبوحامد ـ.

قال: «ولا ينبغي أن يؤخّر الصلاة لانتظار كثرة الجمع، بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أوّل الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة، وقد قيل: كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس».

ومنها أن لايتنفّل حال الإقامة ويقوم للصلاة عند قول المؤذّن: «قدقامت الصلاة» ولا يتكلّم بعده، قال الصادق عليه السلام: «إذا قال المؤذّن: «قدقامت الصلاة» ينبغي لمن في المسجد أن يقوموا على أرجلهم ويقدّموا بعضهم»[4].

و في الصحيح عنه عليه السلام قال: «إذا قال المؤذّن: «قدقامت الصلاة» فقد حرم الكلام على أهل المسجد إلّا أن يكونوا قداجتمعوا من شتّى وليس لهم إمام، فلابأس أن يقول بعضهم لبعض: تقدّم يافلان»[5].

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص٢٠٤.
(٢) راجع التهذيب ج١ ص ٢٩٩.
(٣) راجع سنن ابن ماجه تحت رقم ٩٣٣، و مسند أحمد ج٢ ص ٢٠.
(٤) رواه الشيخ ـ رحمه الله ـ في التهذيب ج١ ص ١٢٦ على مارقم ولايخفى ما فى رقومه من السهو والخلط والاشتباه وص ٢٥٧ حسبما رقمناه صحيحاً.
(٥) رواه الشيخ فى التهذيب ج ١ ص ١٤٩.

ومنها أن لايقف المأموم قدّام الإمام بل يتأخّر عنه ، أمّا التساوي في الموقف فجوّزه الأكثرون ومنعه آخرون وهوأحوط إلّا إذا كانااثنين فيقف المأموم عن يمين الإمام بلاخلاف ، و ينبغي للمرأة الواحدة مع التأخّرالوقوف إلى جهة يمين الإمام ، والصبيّ يتقدّمها وإن كان عبداً ، ولوكان الإمام امرأة وقلنا بجواز ذلك وقفت النساء إلى جانبيها وكذا العاري المصلّي بالعراة غيرأنّه يبرز بركبتيه .

و يكره الوقوف في الصف وحده ففي الحديث « لاتكوننّ في العشكل »(١) فإن تعذّر الدّخول في الصف لضيق ونحوه جرّ إلى نفسه غيره فإن تعذّرقام بحذاء الإمام .

ومنها أن يكون في الصفّ الأوّل أهل الفضل أي المزيّة الكاملة من علم أو عمل أو عقل ، و في الثاني من دونهم ، وهكذا قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : «ليلينّي أولو الأحلام ، ثمّ الّذين يلونهم »(٢) ثمّ الصبيان ، ثمّ النساء .

وقال الباقر عليه السلام : « ليكن الّذين يلون الإمام أولي الأحلام منكم والنهى ، فإن نسي الإمام أوتعايا قوّموه »(٣).

وقال الكاظم عليه السلام : « الصلاة في الصفّ الأوّل كالجهاد في سبيل الله »(٤) .

وروى في الكافي « أنّ فضل ميامن الصفوف على مياسرها كفضل الجماعة على صلاة الفرد »(٥) .

ومنها أن لايكبّر الإمام حتّى يسوّي الصفوف فيلتفت يميناً و شمالاً فإن رأى خللاً أمر بالتسوية ، قيل : كانوايتحاذون في المناكب ويتضامّون في الكعاب ، ورأى النبيّ

---

(١) فى التهذيب ج١ص ٣٣٣حسبما رقمناه باسناده عن ابى عبدالله عن اميرالمؤمنين عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله قال : «لاتكونن فى العشكل ، قلت : وماالعشكل ؟ قال : أن تصلى خلف الصفوف وحدك فان لم يمكن الدخول فى الصف قام حذاء الامام أجزأه فان هو عاند الصف فسدت عليه صلاته ».

(٢) أخرجه النسائى فى سننه ج ٢ ص٩٠، وأبوداودأيضاً فى المجلدالاول ص١٥٦ من السنن .

(٣) الكافى ج ٣ ص ٣٧٢ ، والتهذيب ج ١ ص ٣٢٩ .

(٤) الفقيه ص ١٠٥ تحت رقم ٥٢ .

(٥) المصدر ج ٣ ص ٣٧٣ . رقم ٨ .

صلى الله عليه وآله رجلاً بادياً صدره من الصف فقال: عبادالله لتسوّنّ صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم»[(١)].

و في الفقيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أقيموا صفوفكم فإنّي أراكم من خلفي كما أراكم من قدّامي و من بين يديّ، ولا تخالفوا فيخالف الله بين قلوبكم[(٢)]».

وفي التهذيب عنه صلى الله عليه وآله «سوّوا بين صفوفكم و حاذوا بين مناكبكم، لا يستحوذ عليكم الشيطان»[(٣)]، وفي حديث آخر «أنّ تسوية الصفوف من تمام الصلاة»[(٤)].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله «مامن خطوة أحبّ إلى الله من خطوة تمشيها تصل بها صفّاً»[(٥)].

وفي الفقيه روى الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا أرى بالصفوف بين الأساطين بأساً؛ وقال: أتمّوا صفوفكم إذا رأيتم خللاً ولا يضرّك أن تتأخّر وراءك إذا وجدت ضيقاً في الصفّ الأوّل إلى الصفّ الّذي خلفك وتمشي منحرفاً[(٦)]».

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «ينبغي الصفوف أن تكون تامّة، متواصلة بعضها إلى بعض، ولا يكون بين الصفّين ما لا يتخطّى يكون قدر ذلك مسقط جسد إنسان إذا سجد»[(٧)].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إن صلّى قوم وبينهم وبين الإمام ما لا يتخطّى فليس ذلك الإمام لهم بإمام، وأيّ صفّ كان أهله يصلّون بصلاة إمام وبينهم وبين الصفّ الّذي يتقدّمهم ما لا يتخطّى فليس تلك لهم بصلاة، وإن كان ستر أو جدار فليس تلك لهم بصلاة إلّا من كان بحيال الباب، قال: وقال: هذه المقاصير[(٧)] إنّما أحدثها الجبّارون وليس لمن صلّى خلفها مقتدياً بصلاة من فيها صلاة، قال: وقال: أيّما امرأة صلّت خلف إمام و بينها وبينه ما لا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج٢ ص٣١، والنسائي في السنن ج٢ ص٨٩، وأبوداود في السنن ج ١ ص١٥٣.

(٢) المصدر ص ١٠٥ تحت رقم ٥٢.

(٣) المصدر ص ٣٣٣ حسبما رقمناه و٢٠١ حسبما رقم.

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٩٣، ومسلم في الصحيح ج ٢ ص ٣٠.

(٥) رواه الصدوق ـ رحمه الله في الخصال ج ١ ص ٢٦ باب الاثنين.

(٦) و(٧) المصدر ص ١٠٥ تحت رقم ٥٣، و ص ١٠٦ تحت رقم ٥٤.

(٧) جمع مقصورة وهي محراب كان حولها بناء يحجب الامام عن المأمومين.

يتخطّى فليس لهاتلك بصلاة ، قال : قلت : فإن جاء إنسان يريد أن يصلّي كيف يصنع وهي إلى جانب الرّجل ؟ قال : يدخل بينها وبين الرجل وتنحدر هي شيئاً [١] » .

ومنها أن ينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينوصحّت صلاة القوم إذا نووا الاقتداء و نالوا فضل القدوة ، و يجب عليهم نيّة الإيتمام و تعيين الإمام و متابعته في الأفعال إذاكان مرضيّاً بمعنى عدم تقدّمهم عليه بل إمّا يتأخّرون عنه أويقارنونه و في الحديث النبويّ « إنّما جعل الأمام إماماً ليؤتمّ به ، فإذا ركع فاركعوا و إذا سجد فاسجدوا » [٢] .

وقال الصدوق ـ رحمه الله ـ : إنّ من المأمومين من لاصلاة له وهوالّذي يسبق الإمام في ركوعه وسجوده و رفعه ، ومنهم من له صلاة واحدة وهوالمقارن له في ذلك ، ومنهم من له أربع وعشرون ركعة وهو الّذي يتّبع الإمام في كلّ شيء ، فيركع بعده و يسجد بعده ويرفع منهما بعده [٣] .

قال أبوحامد : « لاينبغي أن يساوق الإمام في الركوع والسجود بل يتأخّر فلايهوي للسجود إلّا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وآله و لايهوي للركوع حتّى يستوي الإمام راكعاً ، وقد قيل : إنّ الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الّذين يكبّرون و يركعون بعد ركوع الإمام ، وطائفة بصلاة واحدة وهم الّذين يساوقونه ، و طائفة بلاصلاة و هم الّذين يسبقون الإمام .

وقد اختلف في أنّ الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال فضل جماعتهم وإدراكهم لتلك الرّكعة ؟ ولعلّ الأولى أنّ ذلك مع الإخلاص لابأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقّهم مرعيّ في ترك التطويل عليهم » .

اقول : وقد سأل جابر الجعفي أبا جعفر الباقر عليه السلام عن هذه المسألة فقال : « ما

(١) الفقيه ص ١٠٦ تحت رقم ٥٥ .

(٢) أخرجه البغوى بنحوأبسط فى المصابيح ج ١ ص ٧٧ . وابن ماجه فى السنن . تحت رقم ١٢٣٨ .

(٣) راجع المجلد الثامن عشر من البحار ص ٦٢٧ .

أعجب ماتسأل عنه يا جابر انتظرمثلي ركوعك فإن انقطعوا وإلّا فارفع رأسك »[١] .

ولو رفع المأموم رأسه عن الركوع أوالسجود أو أهوى إليهما قبل الإمام أعاد مطلقاً وقيل : بل إنّما يعيد مع النسيان دون العمد لإبطال تعمّد الزيادة في الرّكن وأكثرالروايات المعتبرة مع الأوّل و إنكان الثاني أشهر ويجوزأن يكون تعمّد الزيادة مغتفراً ههنا .

وهل يجب متابعة الإمام فيالأقوال أميستحبّ ؟ أكثرأصحابنا علىالثاني والمتابعة أحوط .

ومنها أن يسرّ الإمام بالتكبيرات الستّ الافتتاحيّة و يجهر بتكبيرة الإحرام ويُسمع من خلفه جميع الأذكار لاسيّما التشهّد ولايسمعه من خلفه شيئاً ولا يقرء المأموم خلف الإمامالمرضيّ بل ينصت في الجهريّة ويسبّح فيالإخفاتيّة ، ففيالصحيح عنالباقر عليه السلام قال : « كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول : من قرأخلف إمام يأتمّ به بعث على غير الفطرة »[٢] .

وفي معناه أخباراُخرعن أهل البيت عليهم السلام ، نعم إذاكانت الصلاة جهريّة ولايسمع شيئاً حتّى الهمهمة فيستحبّ القراءة حينئذ كما ورد في الروايات المعتبرة[٣] وفي بعضها لابأس إنصمت وإن قرأ و كذا إذا كان مسبوقاً وكانت الرّكعة من الأولين وللإمام من الأخيرتين فيقرء حينئذ أيضاً كما فيبعض الرّوايات المعتبرة ، وقيل : ترك القراءة في غير الصورتين المذكورتين مستحبّ وليس بواجب ، وقيل : يختصّ بالجهريّة ، وقيل فيه أقوال اُخرمنتشرة والأصحّ ما قلناه لأنّ قراءة الإمام بدلٌ عن قراءة المأموم ؛ و في الصّحيح ، عن بكربن محمّد الأزدي عن الصادق عليه السلام قال : «إنّي أكره للمرء أن يصلّي خلف الإمام صلاة لايجهرفيها بالقراءة فيقوم كأنّه حمار ، قال : قلت : جعلت فداك فيصنع ماذا ؟ قال :

---

(١) التهذيب ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٧٨ . والتهذيب ج ١ ص ٣٣٠ .

(٣) راجع الكافي ج ٣ص ٣٧٧ رقم٢ و٣ ، وعلل الشرايع ص ١١٦، و التهذيب ج ١ ص ٢٥٤، والاستبصار ج ١ ص٤٢٧ .

يسبّح[١]».

أمّا الإمام الغير المرضيّ فلايسقط القراءة خلفه بل يجب الإيتان به ولو بمثل حديث النفس والإقتصار على الحمد كما يستفاد من الروايات المعتبرة [٢].

وفي الصحيح «قلت : من لا أقتدي به في الصلاة ؟ قال : افرغ قبل أن يفرغ فإنّك في حصار فإن فرغ قبلك فاقطع القراءة و اركع معه [٣].

و يستحبّ أن يقول المأموم عند فراغ الإمام من الفاتحة : الحمد لله ربّ العالمين ، و كذا عند قوله : « سمع الله لمن حمده » و لا يأتي هو بالسمعلة .

و يكره أن يخصّ الإمام نفسه بالدعاء دون المأمومين فإنّه خيانة .

ومنها أن يصلّي الإمام صلاة أضعف من خلفه ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : «آخر ما فارقت عليه حبيب قلبي أن قال : يا عليّ إذا صلّيت فصلّ صلاة أضعف من خلفك ولاتتّخذنّ مؤذّناً يأخذ على أذانه أجراً [٤]» .

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام « قال صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله : الظهر والعصر فخفّف الصلاة في الركعتين فلمّا انصرف قال له الناس : يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء ؟ قال : وماذلك ؟ قالوا : خفّفت في الركعتين الأخيرتين ، فقال لهم : أماسمعتم صراخ الصبيّ»[٥] .

و في حديث سماعة من كان يقوي على أن يطوّل الرّكوع و السجود فليطوّل ما استطاع - إلى أن قال - : فأمّا الإمام فإنّه إذا قام بالناس فلا ينبغي أن يطوّل بهم فإنّ في الناس الضعيف و من له الحاجة ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا صلّى بالناس خفّف بهم[٦] » .

---

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٣١ ، قرب الاسناد ص ١٨. والفقيه ص ١٠٧ .
(٢) راجع الكافى ج٣ ص٣٧٣، والاستبصار ج ١ص ٤٢٩ والتهذيب ج١ ص٢٥٥.
(٣) التهذيب ج ١ ص ٣٣١ .
(٤) الفقيه ص ٧٦تحت رقم ٧، والتهذيب ج ١ ص ٢١٧ .
(٥) التهذيب ج ١ ص ٣٣١ ، ورواه الصدوق فى علل الشرايع ص ١٢٢ بنحو أوجز نقله ابن فهد فى عدة الداعى كما فى مستدرك الوسائل ج ١ص ٤٩٧
(٦) التهذيب ج ١ ص ١٥٥ .

قال أبوحامد : التخفيف أولى سيّما إذا كثر الجمع : قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا صلّى أحدكم بالنّاس فليخفّف فإنّ فيهم الضعيف والكبير و ذا الحاجة وإذا صلّى لنفسه فليطوّل ما شاء»[1].

و قد كان معاذ بن جبل يصلّي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجلٌ من الصلاة و أتمّ لنفسه ، فقالوا : نافق الرجل ، فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزجر معاذاً و قال : أفتّانٌ أنت ؟ أقرء سورة « سبّح » و « السماء و الطارق » و « الشمس وضحاها »[2].

أقول : هذا الخبر رواه الصدوق في الفقيه بأدنى تفاوت [3].

قال في الذكرى : ولو علم من المأمومين حبّ الاستطالة استحبّ له التطويل و في بعض الأخبار دلالة عليه ولكن ينبغي أن يقيّد بما إذا كان علمه حاضراً بهم .

ومنها أن لا يقوم الإمام من مصلّاه إلى أن يتمّ المسبوقون صلاتهم كما ورد في الروايات المعتبرة وأن يستنيب إذا فرغ قبلهم أو عرض له حاجة و يدرك المأموم الركعة و الفضيلة بإدراك الركوع و يجعله أوّل صلاته فيتمّ ما بقي عليه و إن لحق في سجدتي الأخيرة نال الفضل ، و يستأنف صلاته وإن كان في‌التشهّد الأخير يتبعه ناوياً و يقوم من غير تجديد نيّة و كلّما يتشهّدالإمام ، وليس له محلّ تشهّد تجافي ولم يتمكّن من‌القعود و يتّبع الإمام في‌التشهّد فإنّما التشهّد بركة ، فإذا كان له محلّ التشهّد دون الإمام فليلبث قليلاً إذا قام الإمام بقدر ما يتشهّد ثمّ يلحق الإمام . ـ كذا عن الصادق عليه السلام في الصحيح ـ [4].

فهذه جمل آداب القدوة و الإمامة .

---

(۱) أخرجه النسائى ج ۲ ص ۹٤ ، و أحمد فى المسند ج ۲ ص ۲۷۱ ، و مسلم ج ۲ ص ٤۳ .

(۲) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ۹۸٦ ، ورواه غيره .

(۳) المصدرس ۱۰٦ تحت رقم٦٦ .

(٤) الكافى ج ۳ ص۳۸۱ ، والتهذيب ج ۱ص ۲٥۹ .

﴿ الباب الخامس ﴾

في فضل الجمعة و شروطها و آدابها وسننها

(فضيلة الجمعة)

اعلم أنّ يوم الجمعة يوم عظيم ، عظّم الله به الإسلام وخصّص به المسلمين ، وقال : « إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع [1] » حرّم الاشتغال بأمور الدنيا و بكلّ صارف عن السعي إلى الجمعة .

و قال صلى الله عليه وآله : « إنّ الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا [2] » .

و قال صلى الله عليه وآله : « من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر طبع الله على قلبه [3] » .

و في لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام و راء ظهره [4] » .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في التهذيب بإسناده الصحيح عن أبي بصير ؛ و محمّد بن مسلم عن مولينا الباقر عليه السلام قال : « من ترك الجمعة ثلاث جمع متوالية طبع الله على قلبه [5] » .

و عن النبيّ صلى الله عليه وآله : « من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه [6] » .

و في رواية « من ترك ثلاث جمع متعمّداً من غير علّة ختم الله على قلبه بخاتم النفاق [7] » .

---

(١) الجمعة : ٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى حديث طويل تحت رقم ١٠٨١، ورواه الطبراني فى الاوسط كما فى مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧٠ .

(٣) و(٤) رواه أبويعلى بسند صحيح كما فى مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٩٣ .

(٥) المصدر ج ١ ص ٣٢١، ورواه البرقى فى المحاسن ص ٨٥ .

(٦) أخرجه النسائى ج ٣ ص ٨٨، وابن ماجه بلفظ آخر تحت رقم ١١٢٥. وأبوداود بلفظه ج ١ ص ٢٤٢ .

(٧) نقله الشهيد فى رسالة الجمعة : كما فى الوسائل أبواب صلاة الجمعة رقم ٢٦.

و في رواية « لينتهينّ أقوامٌ عن وَدْعهم الجمعات أو ليختمنّ الله على قلوبهم ثمّ ليكوننّ من الغافلين (١) ».

و عنه صلى الله عليه وآله في خطبة طويلة حثّ فيها على صلاة الجمعة « إنّ الله فرض عليكم الجمعة فمن تركها في حياتي أو بعد موتي و له إمامٌ عادلٌ استخفافاً بها أو جحوداً لها فلا جمع الله شمله و لا بارك له في أمره ألاولا صلاة له ، ألا ولا زكاة له ، ألاولاحجّ له ، ألا و لا صوم له ، ألا ولا برّ له حتّى يتوب (٢) » :

قال أبو حامد : « و اختلف رجل إلى ابن عبّاس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة و لا جماعة ؟ فقال : في النار ، فلم يزل يتردّد إليه شهراً يسأله عن ذلك و هو يقول : في النار » .

و في الخبر « أنّ أهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له وأخّره لهذه الأمّة وجعله عيداً لهم فهم أوّل الناس به سبقاً وأهل الكتابين لهم تبع (٣) » .

و قال صلى الله عليه وآله : « إنّ الجحيم تسعّر في كلّ يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلّوا في هذه الساعة إلّا يوم الجمعة فإنّه صلاة كلّها وإنّ جهنّم لا تسعّر فيه (٤)» .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الفقيه « عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن الشمس كيف تركد كلّ يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركودٌ ؟ قال : لأنّ الله عزّوجلّ جعل يوم الجمعة أضيق الأيّام ، فقيل له : ولم جعله أضيق الأيّام ؟ قال : لأنّه لايعذّب المشركين في ذلك اليوم لحرمته عنده »(٥) .

---

(١) أخرجه النسائي ج ٣ ص ٨٨ .
(٢) أخرجه ابن ماجه كما في الدرالمنثورج ٦ ص ٢١٨ .
(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٠٨٣ بلفظ آخر وهكذا رواه البزاز بسند صحيح كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٦٥ .
(٤) أخرجه أبو داود بنحو أوجز ـ ج ١ ص ٢٤٩ من السنن ، ورواه القاضي نعمان في دعائم الاسلام كما في المستدرك ج١ ص ٤١٨ .
(٥) المصدر ص ٦٠ رقم ٢ باب ركود الشمس .

وفي عدّة الداعي « عن النبيّ ﷺ يوم الجمعة سيّد الأيّام وأعظمها عندالله ، و أعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى ، فيه خمس خلال : خلق الله فيه آدم وأهبط فيه آدم إلى الأرض ، و فيه توفّى الله آدم ، و فيه ساعة لا يسأل الله عزّ و جلّ فيها أحدٌ شيئاً إلّا أعطاه ما لم يسأل حراماً ، و ما من ملك مقرّب و لا سماء و لا أرض ولا رياح و لا جبال و لا شجر إلّا و هو يشفق من يوم الجمعة أن تقوم القيامة فيه (١) » .

و في الفقيه روى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : « إنّ الله تبارك و تعالى لينادي كلّ ليلة جمعة من فوق عرشه من أوّل اللّيل إلى آخره ألا عبدٌ مؤمنٌ يدعوني لآخرته و دنياه قبل طلوع الفجر فاُجيبه ؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ يتوب إليّ من ذنوبه قبل طلوع الفجر فأتوب عليه ؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ قد قتّرت عليه رزقه يسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيده و أوسّع عليه ؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ سقيم يسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فاُعافيه ؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ محبوس مغموم يسألني أن اُطلقه من حبسه فاخلي سربه ، ألا عبد مؤمن مظلوم يسألني أن آخذ له بظلامته قبل طلوع الفجر فأنتصر له و آخذ له بظلامته ؟ قال : فما يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر (٢) » .

و روى عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ - رضي الله عنه - ، عن إبراهيم بن أبي محمود قال : « قلت للرضا عليه السلام : يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الّذي يرويه الناس عن رسول الله ﷺ أنّه قال : إنّ الله تبارك و تعالى ينزل في كلّ ليلة جمعة إلى سماء الدنيا ؟ فقال عليه السلام : لعن الله المحرّفين الكلم عن مواضعه ، والله ما قال رسول الله ﷺ ذلك إنّما قال : إنّ الله تبارك و تعالى ينزّل ملكاً إلى السماء الدنيا كلّ ليلة في الثلث الأخير و ليلة الجمعة في أوّل اللّيل فيأمره فينادي هل من سائل فاُعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، يا طالب الخير أقبل ، و يا طالب الشرّ أقصر ، فلا يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السماء ، حدّثني بذلك أبي عن جدّي عن آبائه عن رسول الله ﷺ (٣) » .

---

(١) المصدر ص٢٨، وأخرج نحوه ابن ماجه تحت رقم١٠٨٤ وأبوداود ج١ص ٢٤٠.
(٢) و(٣) المصدر ص ١١٣ و ١١٤ تحت رقم ٢٤ و٢٥.

و روي أنّه ما طلعت الشمس في يوم أفضل من يوم الجمعة ، وكان اليوم الّذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام بغدير خمّ يوم الجمعة ، وقيام القائم عليه السلام في يوم الجمعة ، و تقوم القيامة في يوم الجمعة ، يجمع الله فيه الأوّلين و الآخرين ، قال الله عزّ وجلّ : « ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود [1] » .

و روى محمّد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول يعقوب لبنيه : « سوف أستغفر لكم ربّي » قال : أخّرها إلى السحر ليلة الجمعة [2] » .

و روى أبو بصير عن أحدهما عليهما السلام قال : « إنّ العبد المؤمن ليسأل الله جلّ جلاله الحاجة فيؤخّر الله عزّ و جلّ قضاء حاجته الّتي سأل إلى يوم الجمعة ليخصّه بفضل يوم الجمعة [3] » .

و روى داود بن سرحان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ و جلّ : « و شاهد و مشهود » قال : الشاهد يوم الجمعة »[4] .

و روى المعلّى بن خنيس عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال : « من وافق منكم يوم الجمعة فلا يشتغلنّ بشيء غير العبادة فإنّ فيها يغفر للعباد وتنزل عليهم الرحمة [5] » .

وروى الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : « ليلة الجمعة ليلة غرّاء ويومها يوم أزهر ، ومن مات ليلة الجمعة كتب له براءة من ضغطة القبر ، و من مات يوم الجمعة كتب له براءة من النار [6] » .

وروى هشام بن الحكم ، عن أبي عبدالله عليه السلام « في الرّجل يريد أن يعمل شيئاً من الخير مثل الصدقة والصوم ونحو هذا قال : يستحبّ أن يكون ذلك يوم الجمعة فإنّ العمل يوم الجمعة يضاعف » [7] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أطرفوا أهليكم كلّ يوم جمعة بشيء من الفاكهة واللّحم حتّى يفرحوا بالجمعة » إلى هنا من الفقيه [8] .

وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أتى الجمعة إيماناً واحتساباً استأنف العمل [9] » .

(١) و (٢) الفقيه ص ١١٣ رقم ٢٦ و ٢٧ .
(٣) الى (٨) الفقيه ص ١١٣ وص ١١٤ رقم ٢٨ الى ٣٣ .
(٩) المصدر ص ١١٤ رقم ٤٧ .

وفي الخبر المشهور « الجمعة حجّ المساكين » (١) .

(بيان شروط الجمعة)

أقول : إنّما تجب الجمعة على كلّ مكلّف ذكر حرّ ، حاضر ، سالم من العمى والمرض والتمريض المنحصر فيه والهم ، و كلّ ما يؤدّي مع التكليف بها إلى الحرج بشرط وجود إمام يكون على شرائط القدوة و قد مرّ ذكرها ، و وجود أربعة نفر ذكور غيره من المسلمين المكلّفين الأحرار الحاضرين غير بعيدين جميعاً بفرسخين ، و تجزىء حينئذ عن فرض الظهر بشروط ثلاثة هي شروط صحّتها : الخطبتان ، والجماعة ، وعدم جمعة اُخرى بينهما أقلّ من فرسخ ، فإن اتّفقتا معاً بطلتا وإلّا فالمتأخرة خاصّة ، ولا يجزىء الظهر عنها إلّا إذا كانوا أقلّ من سبعة أو يكون هناك تقيّة أو أثارة فتنة .

و أكثر هذه الشروط مجمعٌ عليه بين أصحابنا ، منصوص به في الصحاح المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام و إنّما الخلاف في موضعين : أحدهما انحصار الشروط فيما ذكر فقد قيل باشتراط حضور إمام الأصل عليه السلام أو نائبه المأذون من قبله عليه السلام بالإذن الخاصّ أيضاً و إلّا لم تشرع . والثاني عدم إجزاء الظهر عنها فقد قيل بإجزائه عنها في زمن غيبة الإمام عليه السلام مطلقاً و إنّ وجوبها حينئذ تخييريّ و إن كانت الجمعة أفضل ، ومن الأصحاب من زعم اشتراط النائب العام ، وهو الفقيه الجامع لشرائط الفتوى في أصل الوجوب في الغيبة .

و الكلّ ضعيف مقدوحٌ لا دليل عليه من كتاب و لا سنّة ولا إجماع معتبر كما بيّناه في كتابنا المسمّى بمعتصم الشيعة في أحكام الشريعة .

و روى المحمّدون الثلاثة (٢) في الصحيح عن زرارة ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام

---

(١) أخرجه ابن الزنجي في ترغيبه والقضاعي عن ابن عباس ، ورواه ابن عساكر عن ابن عباس هكذا « الجمعة حج الفقراء » . كما في الجامع الصغير باب الجيم .

(٢) يعني بهم مؤلفي كتب الاربعة : محمد بن يعقوب الكليني ، ومحمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، ومحمد بن الحسن الطوسي ـ رحمهم الله تعالى ـ راجع الكافي ج ٣ ص ٤١٩ ، والفقيه ص ١١١ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٥١ .

قال : « فرض الله على الناس من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة منها صلاة واحدة فرضها الله في جماعة و هي الجمعة و وضعها عن تسعة ، عن الصغير و الكبير و المجنون و المسافر والعبد و المرأة و المريض و الأعمى ومن كان على رأس فرسخين » .

و في الصحيح عنه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قلت له : على من تجب الجمعة ؟ قال : تجب على سبعة نفر من المسلمين ، ولاجمعة لأقلّ من خمسة من المسلمين أحدهم الإمام فإذا اجتمع سبعة و لم يخافوا أمّهم بعضهم وخطبهم »[(١)] .

و في الموثّق عن الفضل بن عبدالملك ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « سمعته يقول : إذا كان قوم في قرية صلّوا الجمعة أربع ركعات فإن كان لهم من يخطب لهم جمّعوا إذا كانوا خمسة نفر، وإنّما جعلت ركعتين لمكان الخطبتين »[(٢)].

و الأخبار في هذه المعاني كثيرة ، و الّذين وضع الله عنهم الجمعة متى حضروها لزمهم الدخول فيها سوى غير المكلّف والمرأة ، ويحتسبون من العدد سوى المسافر والعبد لأنّ الساقط عنهم إنّما هو السعي و لذا من كان على رأس فرسخين يجب عليه مع الحضور قطعاً ، و يستفاد من بعض الأخبار إجزاء الجمعة عن المرأة أيضاً .

و يجب تقديم الخطبتين على الصلاة و الطهارة فيهما و القيام إلّا مع العجز واشتمال كلّ منهما على حمد الله و الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله و الوعظ و قراءة سورة في الأولى و الدعاء في الثانية .

و قيل باستحباب القراءة و الدعاء ، و يستحبّ قراءة آية في الثانية أيضاً و الأولى أن يعمل بالمأثور وفي وجوب عربيّتهما و رفع الصوت بهما بحيث يسمع العدد ، و الفصل بينهما بجلسة خفيفة ، والإصغاء لهما وترك الكلام في أثنائهما أو استحباب ذلك كلّه خلاف أمّا استقبال الناس ، والسلام عليهم أوّل ما يصعد وردّهم له ، والجلوس حتّى يفرغ المؤذّنون والتعمّم شاتياً و قائظاً ، والتردّي ببرد يمنيّة ، والاعتماد على سيف أوقوس أو عنزة[(٣)]،

(١) الفقيه ص ١١١ تحت رقم ٢ .
(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٢١ . والاستبصار ج ١ ص ٤٢٠ .
(٣) العنزة ـ بالمهملة ـ مثل نصف الرمح أو أكبر و فيها سنان .

و بلاغة الخطيب، و اتّصافه بما يأمر به، وانزجاره عمّا ينهى عنه فكلّها مستحبّة.

قال أبوحامد: «ولا يستعمل غريب اللّغة و لايمطّط[1] ولايتغنّى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة، و لا يسلّم من دخل و الخطيب يخطب فإن سلّم لم يستحقّ جواباً و الإشارة بالجواب حسن، ولايسمّت العاطس أيضاً[2]».

☼(بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة)☼

و هي عشر جمل: الاُولى أن يستعدّ لها يوم الخميس عزماً عليها و استقبالاً لفضلها فيشتغل بالدعاء و الاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنّها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة، قال بعض السلف: إنّ لله فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلّا من سأله عشيّة الخميس و يوم الجمعة، و يغسل في هذا اليوم ثيابه و يبيضها و يعدّ الطيب إن لم يكن عنده، ويفرغ قلبه من الأشغال الّتي يمنعه من البكور إلى الجمعة و يجامع أهله في هذه اللّيلة أو في يوم الجمعة، فقد استحبّ ذلك قومٌ وحملوا عليه قوله صلى الله عليه وآله: «رحم الله من بكّر وابتكر وغسّل و اغتسل[3]» ـ و هو حمل الأهل على الغسل ـ، و قيل: معناه غسل ثيابه، فروي بالتخفيف و اغتسل لجسده و بهذا يتمّ أدب الاستقبال، و يخرج عن زمرة الغافلين الّذين إذا أصبحوا قالوا: ما هذا اليوم؟.

قال بعض السلف: أوفى الناس نصيباً من الجمعة من انتظرها وراعاها من الأمس، وأخسّهم نصيباً من أصبح فيقول: أيش هذا اليوم؟ وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لأجلها.

أقول: و في الفقيه «كان موسى بن جعفر عليهما السلام يتهيّأ يوم الخميس للجمعة[4]».
و فيه قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يشرب أحدكم الدواء يوم الخميس، فقيل:

---

(١) تمطط في الكلام مده ولون فيه.

(٢) تسميت العاطس و تشميته. الدعاء له.

(٣) راجع سنن النسائي ج ٣ ص ٩٥ و٩٧، وابن ماجه تحت رقم ١٠٨٧. روياه بلفظ آخر، وفي مجمع الزوائد عن الطبراني أيضاً.

(٤) المصدر ص ١١٢ تحت رقم ١٢.

يا أمير المؤمنين و لم ؟ قال : لئلّا يضعف عن إتيان الجمعة »[١].

الثانية إذا أصبح ابتدء بالغسل بعد طلوع الفجر و إن كان لا يبكّر فأقربه إلى الرواح أحبّ ليكون أقرب عهداً بالنظافة.

فالغسل مستحبّ استحباباً مؤكّداً و ذهب بعض العلماء إلى وجوبه.

أقول : و كذا الخلاف فيه بين علمائنا ـ رحمهم الله ـ والأكثر على استحبابه ، و في الصحيح عن عليّ بن يقطين عن الرضا عليه السلام « قال : سألته عن الغسل في الجمعة و الأضحى و الفطر ، قال : سنّة و ليس بفريضة[٢] ».

و في الصحيح ، عن عبد الله بن المغيرة عن الرضا عليه السلام « قال : سألته عن الغسل يوم الجمعة ، فقال : واجب على كلّ ذكر وأنثى عبد أو حرّ[٣] » وحمل على تأكّد الاستحباب.

وقال الصدوق ـ رحمه الله ـ في الفقيه : وغسل يوم الجمعة واجب على الرجال والنساء في السفر و الحضر إلّا أنّه رخّص للنساء في السفر لقلّة الماء ، و من كان في سفر و وجد الماء في يوم الخميس و خشي أن لا يجده يوم الجمعة فلا بأس بأن يغتسل الخميس للجمعة فإن وجد الماء يوم الجمعة اغتسل و إن لم يجد أجزأه.

فقد روى الحسن بن موسى بن جعفر عن اُمّه و اُمّ أحمد بن موسى قالتا كنّا مع أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام في البادية و نحن نريد بغداد فقال لنا يوم الخميس : اغتسلا اليوم لغد ـ يوم الجمعة ـ فإنّ الماء غداً بها قليل ، قالتا : فاغتسلنا يوم الخميس للجمعة.

وغسل يوم الجمعة سنّة واجبة ويجوز من وقت طلوع الفجر يوم الجمعة إلى قرب الزوال وأفضل ذلك ماقرب من الزّوال ، ومن نسي الغسل أوفاته لعلّة فليغتسل بعد العصر أو يوم السبت ، ويجزىء الغسل للجمعة كما يكون للزّواج والوضوء فيه قبل الغسل[٤] » ، انتهى كلام الصدوق ـ رحمه الله ـ.

وقد بيّنّا فيما سبق أنّ الحقّ أنّ الوضوء يسقط مع الغسل مطلقاً ، أيّ غسل كان

---

(١) الفقيه ص ١١٤ تحت رقم ٤٨.
(٢) رواه الشيخ في التهذيب ج ١ ص ٣١.
(٣) الكافي ج ٣ ص٤١ تحت رقم١، والتهذيب ج ١ ص ٣١.
(٤) المصدر ص ٢٥ تحت رقم ٦و٧.

كما ذهب إليه السيد المرتضى ـ رحمه الله ـ و إن كان المشهور بين أصحابنا عدم سقوطه إلّا في غسل الجنابة وأمّا قوله : و يجزىء الغسل للجمعة كما يكون للزواج فمعناه أنّه يجزىء لهما غسل واحد وهذا حقّ فإنّ الصحيح أنّ الأغسال يتداخل بعضها في بعض إذا اجتمعت أسبابها كالوضوء ، يدلّ على ذلك الرّوايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام .

قال ـ رحمه الله ـ [1] و يقول المغتسل للجمعة : « اللّهمّ طهّرني وطهّر قلبي وأنق غسلي و أجر على لساني مدحتك » .

وقال الصادق عليه السلام : « من اغتسل للجمعة فقال : « أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده و رسوله ، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، واجعلني من التوّابين ، واجعلني من المتطهّرين » كان طهراً من الجمعة إلى الجمعة » .

وقال الصادق عليه السلام : « غسل يوم الجمعة طهورٌ و كفّارةٌ لما بينهما من الذنوب من الجمعة إلى الجمعة » .

وقال الصادق عليه السلام في علّة غسل يوم الجمعة : « إنّ الأنصار كانت تعمل في نواضحها و أموالها فإذا كان يوم الجمعة حضروا المسجد فتأذّى الناس بأرواح آباطهم و أجسادهم فأمرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بالغسل فجرت بذلك السنّة » .

وروي « أنّ الله تبارك وتعالى أتمّ صلاة الفريضة بصلاة النافلة ، وأتمّ صيام الفريضة بصيام النافلة ، وأتمّ الوضوء بغسل يوم الجمعة » [2] .

أقول : و في رواية أُخرى «ما كان في ذلك من سهو أو تقصير أو نسيان » [3] و عن الأصبغ بن نباتة أنّه قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد أن يوبّخ الرجل يقول له : والله لأنت أعجز من تارك الغسل يوم الجمعة فإنّه لايزال في طهر إلى يوم الجمعة الأُخرى [4]» .

الثالثة الزينة وهي مستحبّة في هذا اليوم وهي في ثلاثة : الكسوة ، و النظافة ،

---

(١) يعنى الصدوق ـ رحمه الله ـ فى الفقيه ص ٢٥ .

(٢) الاحاديث كلها فى الفقيه ص ٢٥ رقم ٨و٩و١٠و١١ .

(٣) و(٤) الكافى ج ٣ ص ٤٢ تحت رقم ٤ و٥ .

وتطيّب الرائحة .

أمّا النظافة فبالسواك ، وحلق الشعر ، وقلم الظفر ، وقصّ الشارب ، وسائر ماسبق في كتاب الطهارة ، فإن كان قد دخل الحمّام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود وليتطيّب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب به الروايح الكريهة و يوصل به الرّوح و الراحة إلى مشام الحاضرين في جواره ، وأحبّ طيب الرّجال ماظهرريحه و خفي لونه و طيب النساء ما ظهرلونه و خفي ريحه . أقول : روى هذا في الكافي عن الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله (١) .

و فيه عنه عليه السلام « قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : الطيب في الشارب من أخلاق النبيّين و كرامة للكاتبين » (٢) .

و فيه و في التهذيب عن مولينا الصادق عليه السلام أنّه قال : « ليتزيّن أحدكم يوم الجمعة يغتسل ، و يتطيّب ، و يسرّح لحيته ، و يلبس أنظف ثيابه ، و ليتهيّأ للجمعة و ليكن عليه في ذلك اليوم السكينة والوقار و ليحسن عبادة ربّه وليفعل الخير ما استطاع فإنّ الله يطلع على الأرض ليضاعف الحسنات (٣) » .

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام « قلّموا أظفاركم يوم الثلثاء ، واستحمّوا يوم الأربعاء وأصيبوا من الحجامة حاجتكم يوم الخميس ، و تطيّبوا بأطيب طيبكم يوم الجمعة »(٤).

و فيه عن الرّضا عليه السلام « ينبغي للرّجل أن لايدع أن يمسّ شيئاً من الطيب في كلّ يوم فإن لم يقدر فيوم و يوم لا، فإن لم يقدر ففي كلّ جمعة لايدع ذلك ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم الجمعة ولم يصب طيباً دعا بثوب مصبوغ بزعفران فرشّ عليه الماء ثمّ مسحه بيده ثمّ مسح به وجهه (٥) » . و في الكافي ما يقرب من صدر هذا الحديث بإسناد صحيح .

(١) المصدرج ٦ ص ٥١٢ رقم ١٧ .
(٢) المصدرج ٦ ص ٥١٠ رقم ٥ ، و راجع ج ٣ ص ٤١٧ منه .
(٣) الكافي ج ٣ ص ٤١٧ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٤٨ .
(٤) المصدر ص ٣١ تحت رقم ١٢٧ .
(٥) المصدر ص ١١٤ تحت رقم ٤٢ . وفي الكافي ج ٦ ص ٥١٠ تحت رقم ٤ .

وفيه عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليتطيّب أحدكم يوم الجمعة ولو من قارورة امرأته[١]».

وفيه عنه عليه السلام «حقّ على كلّ مسلم في كلّ جمعة أخذ شاربه وأظفاره ومسّ شيء من الطيب»[٢].

وقد ورد في الحثّ على الطيب أحاديث متكثّرة تتضمّن أنّه من أخلاق المرسلين، وأنّه يقوّي القلب، ويزيد في الرّزق، ويحفظ العقل، وأنّ صلاة متطيّب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب، وأنّ الملائكة تستنشق ريح الطيب من المؤمن، وأنّ ما أنفق في الطيب ليس بسرف، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينفق في الطيب أكثر ما ينفق في الطّعام[٣].

قال أبو حامد: «و أمّا الكسوة فأحبّها البيض من الثياب إذ أحبّ الثياب إلى الله تعالى البيض، و لا يلبس ما فيه شهرة، و لبس السواد ليس من السنّة و لا فيه فضل، بل كره جماعة النظر إليه لأنّه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، و العمامة مستحبّة في هذا اليوم ففي الخبر «أنّ الله و ملائكته يصلّون على أصحاب العمائم يوم الجمعة[٤]»

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي[٥] «عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألبسوا البياض فإنّه أطيب وأطهر، و كفّنوا فيه موتاكم».

و عنه عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: البسوا ثياب القطن، فإنّها لباس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو لباسنا»[٦]. وعنه عليه السلام: «إنّ الله يبغض شهرة اللّباس[٧]».

وعن الحسين صلوات الله عليه «من لبس ثوباً يشهره كساه الله يوم القيامة ثوباً من النّار»[٨].

(١) و(٢) الكافي ج ٦ ص ٥١١ تحت رقم ١٣ و ١٠.
(٣) راجع الكافي ج ٦ ص ٥١٢ تحت رقم ١ الى ١٨.
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير كما في الجامع الصغير باب الالف.
(٥) المصدر ج ٦ ص ٤٤٥ تحت رقم ١ و ٢.
(٦) الكافي ج ٦ ص ٤٤٦ تحت رقم ٤.
(٧) المصدر ج ٦ ص ٤٤٤ رقم ١ و الشهرة: ظهور الشيء في شنعة حتى يشهره الناس.
(٨) المصدر ج ٦ ص ٤٤٥ تحت رقم ٤.

وفيه وفي الفقيه « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكره السواد إلّا في ثلاث : الخفّ والعمامة والكساء » (١) .

وفي الفقيه « يستحبُّ أن يعتمّ الرجل يوم الجمعة وأن يلبس أحسن ثيابه وأنظفها ويتطيّب ويدّهن بأطيب دهنه » (٢) .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام « انّ الثوب النّقي يكبت العدوّ (٣) » و قيل : إنّه يذهب بالهمّ .

الرابعة البكور إلى الجامع و يدخل وقته بطلوع الفجر وفضله عظيم ، وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناوياً للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله إيّاه إلى الجمعة والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه .

وقد قال صلى الله عليه وآله : « من راح إلى الجمعة في الساعة الأُولى فكأنّما قرّب بدنة ، و من راح في الساعة الثانية فكأنّما قرّب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنّما قرّب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنّما أهدى دجاجة ، و من راح في الساعة الخامسة فكأنّما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر (٤) » فمن جاء بعد ذلك فإنّما جاء لحقّ الصلاة ليس له من الفضل شيء والساعة الأُولى إلى طلوع الشمس ، والثانية إلى ارتفاعها ، و الثالثة إلى انبساطها حتّى ترمض الأقدام ، و الرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال .

وقال صلى الله عليه وآله : « ثلاث لو يعلم الناس مافيهنّ لركضوا الإبل في طلبهنّ : الأذان والصف الأول ، والغدوّ إلى الجمعة » (٥) .

وفي الخبر « إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٤٩ ، والفقيه ص ٦٨ تحت رقم ١٨ .

(٢) المصدر ص ١١٤ تحت رقم ٤٤ .

(٣) المصدر ج ٦ ص ٤٤١ تحت رقم ١ .

(٤) أخرجه النسائي في السنن ج٣ ص ٩٩ وفيه «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة الخ» وهكذا رواه مسلم ج ٣ ص ٤ .

(٥) أخرجه ابن النجار عن ابي هريرة بلفظ آخر كما في الجامع الصغير باب الثاء .

من فضّة وأقلام من ذهب يكتبون الأوّل فالأوّل على مراتبهم »[١].

أقول : روي هذا في الكافي والفقيه[٢] بالإسناد الصحيح عن مولينا الباقر عليه السلام قال : « إنّ الملائكة المقرّبين يهبطون في كلّ جمعة معهم قراطيس الفضّة وأقلام الذّهب فيجلسون على أبواب المسجد على كراسيّ من نور فيكتبون من حضر الجمعة الأوّل والثاني والثالث حتّى يخرج الإمام فإذا خرج الإمام طووا صحفهم » .

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « فضّل الله الجمعة على غيرها من الأيّام ، وإنّ الجنان لتزخرف وتزيّن يوم الجمعة ، وإنّكم تتسابقون إلى الجنّة على قدر سبقكم إلى الجمعة ، وإنّ أبواب السماء لتفتح لصعود أعمال العباد »[٣].

قال أبوحامد : « وكان يرى في القرن الأوّل سحراً وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها إلى الجامع كأيّام العيد حتّى اندرس ذلك فقيل : أوّل بدعة اُحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع ، وكيف لا يستحي المؤمنون من اليهود والنصارى وهم يبكّرون إلى البيع والكنايس يوم السبت والأحد و طلّاب الدّنيا كيف يبكّرون إلى رحاب الجامع للبيع والربح فلم لايسابقهم طالب الآخرة ، و دخل ابن مسعود الجامع بكرة فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتمّ لذلك وجعل يقول لنفسه معاتباً إيّاها : رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد .

الخامسة في هيئة الدّخول فينبغي أنّ لايتخطّى رقاب الناس ولايمرّ بين أيديهم والبكور يسهّل عليه ذلك فقد ورد وعيدٌ شديدٌ في تخطّي الرقاب وهو أنّه يجعل جسراً يوم القيامة يتخطّاه الناس ، وفي المرور بين يدي المصلّي قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لأن يقف أربعين سنة خيرٌ له من أن يمرّ بين يدي المصلّي[٤] » ومهما كان الصف الأوّل متروكاً خالياً فله أن يتخطّى رقاب الناس لأنّهم تركوا حقّهم وتركوا موضع الفضيلة وإذا لم يكن في المسجد

(١) رواه النسائى فى السنن ج ٣ ص ٩٨ بلفظ آخر .

(٢) الكافى ج ٣ ص ٤١٣ تحت رقم ٢ ، والفقيه ص ١١٤ تحت رقم ٤٦ .

(٣) رواه الكلينى فى الكافى ج ٣ ص ٤١٥ تحت رقم ٩ .

(٤) أخرجه أبوداود فى السنن ج ١ ص ١٦١ ، والنسائى ج ٢ ص ٦٦ .

إلّا من يصلّي فينبغي أن لا يسلّم فإنّه تكليف جواب في غير محلّه .

السادسة أن يجلس قريباً من اسطوانة أو حائط حتّى لا يمرّوا بين يديه إذ سوّى صلى الله عليه وآله في حديث آخر بين المارّ و المصلّي حيث صلّى على الطريق أو قصّر في الدفع فقال : « لو يعلم المارّ بين يدي المصلّي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيرٌ له من أن يمرّ بين يديه »[1] .

والاُسطوانة والحائط والمصلّى المفروش حدّ المصلّي ، فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه .

قال صلى الله عليه وآله : « ليدفعه فإن أبى فليدفعه ، فإن أبى فليقاتله فإنّه شيطان[2] » فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئاً طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحدّه .

أقول : وقد أشرنا إلى ذلك من طريق الخاصّة فيما سبق .

وفي الكافي والتهذيب بإسناد حسن عن الحلبيّ عن الصادق عليه السلام قال : « سألته عن الرّجل أيقطع صلاته شيء ممّا يمرّ بين يديه ؟ فقال : لا يقطع صلاة المسلم شيء و لكن ادرء ما استطعت »[3] .

و فيهما بإسناد صحيح عن الصادق عليه السلام : « قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجعل العنزة بين يديه إذا صلّى »[4] .

وعن الرّضا عليه السلام « في الرّجل يصلّي ، قال : يكون بين يديه كومة من تراب أو يخطّ بين يديه بخطّ »[5] .

السابعة أن يطلب الصفّ الأوّل فإنّ فضله كثير كما رويناه في الخبر « من غسّل واغتسل و بكّر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان له ذلك كفّارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيّام » . وفي لفظ آخر « غفر الله له إلى الجمعة الاُخرى » و قد اشترط في بعضها « و لم

---

(١) أخرج نحوه أبوداود في السنن ج ١ص ١٦٠ والنسائي ج ٢ ص ٦٦.

(٢) أخرجه أبو داود ج ١ ص ١٦٠ .

(٣) الكافي ج٣ ص ٢٩٧ ، والتهذيب ج١ص٢٢٨ . يعني ادفعوا آفة المار بالاستتار.

(٤) الكافي ج ٣ ص ٢٩٦ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٢٧ .

(٥) التهذيب ج ١ ص٢٤٤، والاستبصار ج ١ ص ٤٠٧ .

يتخطّ رقاب الناس »(١) .

أقول : وفي لفظ آخر هكذا « من غسّل واغتسل ، فبكّر وابتكر، و دنا وأنصت ، ولم يلغ كان له بكلّ خطوة كأجر عبادة سنة صيامها وقيامها » (٢) .

وقد مضى أنّ معنى غسّل ـ بالتشديد ـ حمل الأهل على الغسل و بالتخفيف غسل الثياب . وقيل : غسل مواضع الوضوء وهو إنّما يصحّ عند من أوجب الوضوء مع الغسل ولو فسّر بغسل اليدين من الدّنس والتفث لكان له وجهاً ، و «بكّر» أي في الاغتسال و «ابتكر» أي إلى المسجد و «دنا» أي من المنبر ، و «أنصت» أي إلى الخطبة .

قيل : في بعض الأخبار « انّ الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر لمن و راءه » .

قال أبوحامد : « فمن تأخّر على هذه النيّة إيثاراً وإظهاراً لحسن الخُلق فلابأس وعند هذا يقال : الأعمال بالنيات » .

أقول : وكذا إذا نوى إيثار فضيلة الصف الأوّل للأفضل .

الثامنة أن يقطع الصلاة عند خروج الإمام ويقطع الكلام أيضاً بل يشتغل بجواب المؤذّن ثمّ باستماع الخطبة ، قال عليّ عليه السلام « يكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب » ، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : « من قال لصاحبه والإمام يخطب : أنصت أوصه فقد لغا (٣) ، ومن لغا والإمام يخطب فلاجمعة له(٤)» وهذا يدلّ على أنّ الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أورمي حصاة لابالنطق ، و من عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت لأنّ ذلك يتسلسل ويفضي إلى هينمة(٥) ينتهي إلى المستمعين وإذا كان يكره الصلاة في وقت الخطبة فالكلام أولى .

أقول و في الفقيه قال أميرالمؤمنين عليه السلام : « لا كلام و الإمام يخطب ولا التفات إلّا كما يحلّ في الصلاة ، وإنّما جعلت الجمعة ركعتين من أجل الخطبتين وجعلتا مكان

(١) أخرجهما الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢٨٢ و٢٨٣ .
(٢) أخرجه النسائي في السنن ج ٣ ص ٩٥، وابن ماجه تحت رقم ١٠٨٧ .
(٣) أخرجه الترمذي في السنن ج ٢ ص ٣٠٠ .
(٤) رواه جعفر بن أحمد القمي في كتاب العروس كما في مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤٠٩ . ومثله في الفقيه ص ٤٦٧ في حديث المناهي .
(٥) أي الصوت الخفي .

الركعتين الأخيرتين فهي صلاة حتّى ينزل الإمام »(١) .

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام « لابأس أن يتكلّم الرجل إذا فرغ الإمام من الخطبة يوم الجمعة ما بينه وبين أن تقام الصلاة(٢) » .

التاسعة أن يراعي في قدوة الجمعة مايراعي في غيرها ـ كذا قال أبوحامد : ـ ثمّ أورد ذكراً للفراغ منها .

أقول : ولمّا لم تكن هذه المراعاة ممّا يختصّ بالجمعة و ما عطفه عليه من الذكر الخاصّ بعد الفراغ لم يرد من طريق الخاصّة فنحن نذكر بدله ما قاله بعض علمائنا ـ رحمهم الله ـ (٣) في هذا المقام .

قال : ويختص الجمعة باستحضار أنّ يومها يومٌ عظيم وعيدٌ شريف ، خصّ الله به هذه الأمّة ، وجعله وقتاً شريفاً لعباده ليقربّهم فيه من جواره و يبعدهم من طرده و ناره ، وحثّهم فيه على الإقبال بصالح الأعمال ، و تلافي ما فرّط منهم في بقيّة الأسبوع من الإهمال ، وجعل أهمّ مايقع فيه من طاعته و مايوجب الزلفى والقرب إلى شريف حضرته صلاة الجمعة وعبّر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله الجسيم وخصّها من بين سائر الصلوات الّتي هي أفضل القربات بالذكر الخاصّ فقال سبحانه وتعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »(٤).

وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ماينبّه له من له حظٌّ من المعاني ومن أهمّ رمزها ههنا التعبير عن الصلاة بذكر الله ، ونبّه بهذا على أنّ الغرض الأقصى من الصلاة ليس هو مجرّد الحركات والسكنات والرّكوع و السجود بل ذكر الله بالقلب وإحضار عظمته بالبال فإنّ هذا وأشباهه هو السرّ في كون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر في قوله تعالى : « إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر » إذ كان سببهما

(١) و(٢) الفقيه ص ١١٢ تحت رقم ١٤و١٥ .

(٣) يعنى به الشهيد فى اسرار الصلاة ص ٢٢١ من طبعه الملحق بكشف الفوائد .

(٤) الجمعة :٨ .

القوّة النزوعيّة إذا خرجت عن حكم العقل، وهذا كلّه إنّما يتمّ مع التوجّه التامّ إلى الله تعالى وملاحظة جلاله الّذي هو الذكر الأكبر والكثير[1] على ماورد في بعض تفسيراته فضلاً عن أن يكون ذكراً مطلقاً وإذا كان الاستعداد بهذه المثابة لاجرم وجب الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات والتهيىء والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه في الوقت الشريف والنوع الشريف من العبادة، وأحضر ببالك أن لو أمرك ملك عظيم من ملوك الدُّنيا بالمثول في حضرته و الفوز بمخاطبته في وقت معيّن أما كنت تتأهّب له بتمام الاستعداد و التهيئة والسكينة والوقار والتنظيف والتطيّب وغير ذلك ممّا يليق بحال الملك، ومن هنا جاء استحباب الغسل يوم الجمعة والتنظيف والتطيّب و التعمّم و حلق الرأس وقصّ الشارب والأظفار وغير ذلك من السنن، فبادر عند دخول الجمعة إلى ذلك بقلب مقبل صاف، وعمل مخلص، وقصد متقرّب ونيّة خالصة كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدُّنيا إن لم تعظم همّتك عن ذلك ولاتقصد بهذه الوظائف حظّك من الرفاهية ومطلب نفسك من الطيب والزينة فتخسر صفقتك وتظهر بعد ذلك حسرتك، و كلّما أمكنك تكثير المطالب الّتي يترتّب عليها الثواب بعملك فاقصدها يضاعف ثواب عملك بسبب قصدها، فانو بالغسل يوم الجمعة سنّة الجمعة والتوبة ودخول المسجد، وبالثياب الحسنة و الطيب سنّة رسول الله ﷺ وتعظيم المسجد واحترام بيت الله تعالى، فلايحبّ أن تدخله زائراً له إلّا طيّب الرائحة و أن يقصد به أيضاً ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته، ويقصد به دفع الرّوايح الكريهة عن نفسه حسماً لباب الغيبة عن المغتابين إذ اغتابوه بالرّوائح الكريهة فيعصون الله بسببه، فقد قيل: إنّ من تعرّض للغيبة وهو قادرٌ على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما أشار إليه تعالى بقوله: «ولاتسبّوا الّذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم[2]»، وإذا حضرت للصلاة فأحضر قلبك فهم مواقع الموعظة واستعدّ لتلقّي الأوامر والنواهي على وجهها، فإنّ ذلك هو الغرض الأقصى من الخطبة والخطيب والمنبر واستماع الناس وتحريم الكلام خلالها ووجوب الإصغاء إليها فاعط كلّ ذي حقّ من ذلك حقّه عسى أن تكون من المكتوبين في ديوان الملائكة المقرّبين الّذين

(١) في آيتين من الكتاب العزيز. (٢) الانعام: ١٠٨.

يكتبون المصلّين في ذلك اليوم الشريف ويعرضونهم على الحضرة الالهيّة ويخلعون عليهم خلع الأنوار القدسيّة فقد روي أنّ الملائكة المقرّبين تقف على أبواب المساجد ـ الحديث ـ فإذا أحضرت هذا ببالك و أنّ الملائكة يستمعون و هم حولك و الله سبحانه ناظر إليك لزمك ارتداء الهيبة و ادّراع السكينة وتجلبب الخشية ، وعند ذلك تستحقّ أن تفاض عليك الرّحمة ، وتحفّك البركة ، وتصير صلاتك مقبولة و دعوتك مسموعة ، وأكثر في ذلك اليوم من الذكر والاستغفار والدّعاء و تلاوة القرآن و الصلاة على النبيّ و آله صلّى الله عليهم والصدقة فإنّ اليوم شريف ، و الفضل فائض ، والجود تامّ ، و الرّحمة واسعة ، فإذا كان المحلّ قابلاً تمّت السعادة وحصلت الإرادة ، وتذكّر أنّ في يوم الجمعة ساعة لا يردّ الله فيها دعوة مؤمن ، فاجتهد أن تصادفها داعياً أو مستغفراً أو ذاكراً فإنّ الله يعطي الذاكر فوق مايعطي السائل و إن أمكنك الإقامة في المسجد بمجموع ذلك اليوم فافعل فإن لم يمكن فإلى العصر ، وكن حسن المراقبة ، مجتمع الهمّة عسى أن تظفر بتلك الساعة ، فقد قيل : إنّها مبهمة في جميع اليوم نظراً من الله تعالى لخلقه ليحافظوا عليها كما أخفى ليلة القدر في جميع السنة ليحافظوا عليها .

و روي أنّها ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تستوي الصفوف بالناس و ساعة أُخرى من آخر النهار إلى غروب الشمس ، واجعل هذا اليوم خاصّة من الاُسبوع لآخرتك فعساه أن يكون كفّارة و استدراكاً لبقية الاُسبوع ، و يكفيك في الاهتمام بالجمعة و وظائفها أنّ الله سبحانه جعلها أفضل أعمال بني آدم بعد الإيمان على ما نطقت به الأخبار و صرّح به العلماء الأخيار حيث دلّا على أنّ الواجب أفضل من الندب و أنّ الصلاة أفضل من غيرها من الواجبات ، وأنّ اليوميّة أفضل من غيرها من الصلوات ، و أنّ الصلاة الوسطى من بينها أفضل الخمس ، والمختار أنّها الظهر و الجمعة أولى من الظهر فتكون أفضل منها لو أمكن تصوّر فضل لها ، و حينئذ فتكون أفضل الأعمال و هذا بيان واضح يوجب تمام الاهتمام بشأنها و أبلغ الخطر في التهاون بها لمن تدبّر وقد نبّه على جميع ذلك قوله تعالى بعد الأمر بها « ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون » و قد ورد الأمر بقراءة سورتها و سورة المنافقين فيها ليتكرّر سماع الحثّ عليها فيها و قد قال في

سورة المنافقين بعد أن سمّاها في سورتها ذكراً « يا أيّها الّذين آمنوا لا تلهكم أموالكم و لا أولادكم عن ذكرالله و من يفعل ذلك فاُولئك هم الخاسرون [(١)]» فكرّر هذه الدقائق على فكرك عسى أن تكون من المفلحين .

قال أبو حامد :

العاشرة أن يلازم المسجد حتّى يصلّي العصر فإن وقف إلى المغرب فهو الأفضل فإن لم يأمن التصنّع و دخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه ، أو خاف الخوض فيما لايعني فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكراً لله تعالى ، متفكّراً في آلائه ، شاكراً على توفيقه ، خائفاً من تقصيره ، مراقباً لقلبه و لسانه إلى غروب الشمس حتّى لا يفوته السّاعة الشريفة .

ففي الخبر المشهور «انّ في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئًا إلّا أعطاه»[(٢)] و في خبر آخر « لايصادفها عبدٌ يصلّي» و اختلف فيها فقيل : إنّها عند طلوع الشمس ، و قيل : عندالزوال ، و قيل : مع الأذان ، وقيل : إذا صعدالخطيب المنبر و أخذ في الخطبة ، و قيل : إذا قام الناس إلى الصلاة ، و قيل : آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار ، وقيل : قبيل غروب الشمس ، و كانت فاطمة عليها السلام تراعي ذلك الوقت و تأمر خادمتها أن تنظر الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء و الاستغفار إلى أن تغرب و تخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة و تأثر عن أبيها صلّى الله عليه وآله [(٣)] .

و قال بعض العلماء : هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليله القدر حتّى يتوفّر الدواعي على مراقبتها ، و قد قيل : إنّها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر ، و هذا هو الأشبه و له سرّ لا يليق بعلم المعاملة ذكره ، ولكن ينبغي أن يصدّق بما قال صلّى الله عليه وآله : « إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها[(٤)]» ، و يوم الجمعة من

(١) المنافقون : ٩ .

(٢) رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ فى معانى الاخبار ص ٣٩٩ وفيه «لايراقبها رجل» وأخرجه النسائى فى السنن ج ٣ ص ١١٥ كما فى المتن .

(٣) راجع معانى الاخبار ص ٤٠٠ رقم ٥٩ .

(٤) أخرجه الطبرانى عن محمد بن مسلمة بسند ضعيف كما فى الجامع الصغير باب الالف.

تلك الأيّام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرّضاً لها بإحضار القلب و ملازمة الذكر و النزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات » .

أقول : و يستحبّ أن يدعو قبيل غروب الشمس بدعاء السمات المنقول عن أهل البيت عليهم السلام وهو مشهور (١) .

و قد ذكر أبو حامد من الآداب و السنن الخارجة عن الترتيب السابق الّذي يعمّ جميع النهار أشياء اُخر ولمّا كان ما ذكرناه في الجملة التاسعة قد تضمّن خلاصة ذلك و المعتبر منه عندنا طوينا ذكرها .

﴿الباب السادس﴾

« في مسائل متفرّقة يعمّ البلوى بها ويحتاج المريد إلى معرفتها فأمّا المسائل الّتي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه» .

أقول : ما ذكره أبو حامد في هذا الباب من المسائل بعضه قد مضى ذكره في كلامنا على طريقة أهل البيت عليهم السلام و بعضه قليل الجدوى عندنا فأنا أذكر بدل ذلك مسائل اُخرى مهمّة مع قليل ممّا ذكره ممّا سوى القسمين ، و أذكر ما يتعلّق بالقبلة والتقصير و الصلاة على الراحلة و ماشياً و في السفينة في كتاب آداب السفر من ربع العادات كما فعله هو إن شاء الله .

مسألة لكلّ من الصلوات الخمس وقتان أوّلهما للفضيلة والآخر للإجزاء على المشهور ، و قيل : بل الأوّل للمختار والآخر للمضطرّ ، فالأوّل للظهر والزوال إلى أن يصير الفيىء مثل الشاخص و الثاني إلى أن يبقى للغروب مقدار أداء العصر ؛ و الأوّل للعصر الفراغ من الظهر و لو تقديراً إلى أن يصير الفيىء مثلي الشاخص ، و الثاني إلى الغروب ؛ و الأوّل للمغرب الغروب إلى ذهاب الشفق الغربيّ وربما قيل بانحصار وقته في ذلك و إنّ له وقتاً واحداً ، والثاني إلى أن يبقى لانتصاف اللّيل مقدار أداء العشاء ؛ والأوّل

(١) راجع مصباح الكفعمي ص ٤٢٣ .

للعشاء الفراغ من المغرب ولو تقديراً إلى ثلث اللّيل ، والثاني إلى نصفه ؛ والأوّل للصبح طلوع الفجر الثاني المتسيطر في الاُفق إلى اسفرار الصبح و الثاني إلى طلوع الشمس .

وظاهر عبارة الصدوق اشتراك تمام الوقت في كلّ من الظهرين والعشائين بين الصلاتين من غير اختصاص ولا يخلو من قوّة ، وقيل : أوّل أوّل العشاء ذهاب الشفق الغربيّ وآخر آخرها ثلث اللّيل ، و قيل : آخر آخر المغرب ذهاب الشفق ، و قيل : ربع اللّيل ، وقيل : يمتدّ وقت العشائين إلى طلوع الفجر و حمل على المضطرّ .

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام « أوّل الوقت رضوان الله و آخره عفو الله »[1] .

و في الكافي بإسناده الصحيح عن بكر بن محمّد الأزدي عن الصادق عليه السلام قال : « لفضل الوقت الأوّل على الأخير خيرٌ للرّجل من ولده وماله »[2] .

و في التهذيب بإسناده الصحيح عن سعد بن أبي خلف عن الكاظم عليه السلام قال : « الصلوات المفروضات في أوّل وقتها إذا اُقيم حدودها أطيب ريحاً من قضيب الآس حين يؤخذ من شجرة في طيبه و ريحه و طراوته ، فعليكم بالوقت الأوّل »[3] .

و في الصحيح عن زرارة و الفضيل عن الباقر عليه السلام : قال : « إنّ لكلّ صلاة وقتين غير المغرب فإنّ وقتها وجوبها ووقت فوتها غيبوبة الشفق »[4] و حمل على تأكّد استحباب المبادرة بها جمعاً بين الأخبار ، والضمير في وجوبها راجع إلى الشمس والوجوب : السقوط قال الله تعالى : « فإذا وجبت جنوبها »[5] والمراد به ههنا الغروب ، و يستحبّ التفريق بين كلّ من الظهرين و العشائين ، و ادّعى الشهيد معلوميّته من مذهب الإماميّة كمعلوميّة جواز الجمع ، و استثنى المفيد ظهري الجمعة وحدّ بأن يؤتى بالثانية من انقضاء فضيلة الاُولى ؛ و قيل بأن يؤتى بها بعد نافلتها وهو أظهر كما يستفاد من بعض الروايات

(١) المصدر ص ٥٨ تحت رقم ٥ وزاد فيه « والعفو لا يكون الا من ذنب » .

(٢) المصدر ج ٣ ص ٢٧٤ تحت رقم ٧ ومثله في الفقيه ص ٥٨ .

(٣) المصدر ج١ ص ٢٤٥ . ومثله في ثواب الاعمال للصدوق ٣٥ .

(٤) الكافي ج ٣ ص ٢٨٠ تحت رقم ٩ وفيه « سقوط الشفق » . و المراد بفوتها فوت فضيلتها .

(٥) الحج : ٣٦ . أي سقطت جنوبها الى الارض .

مضافاً إلى إطلاق ما دلّ على فضيلة أوّل الوقت فالأوّل ، نعم إن فرغ من نافلة المغرب ولمّا يذهب الشفق انتظر ذهابه للعشاء ، لكن لا يؤخّر العشاء إن أدرك الذهاب و لمّا يتنفل ، و الخبر المشعر بفضيلة تأخيرها عنه ضعيف .

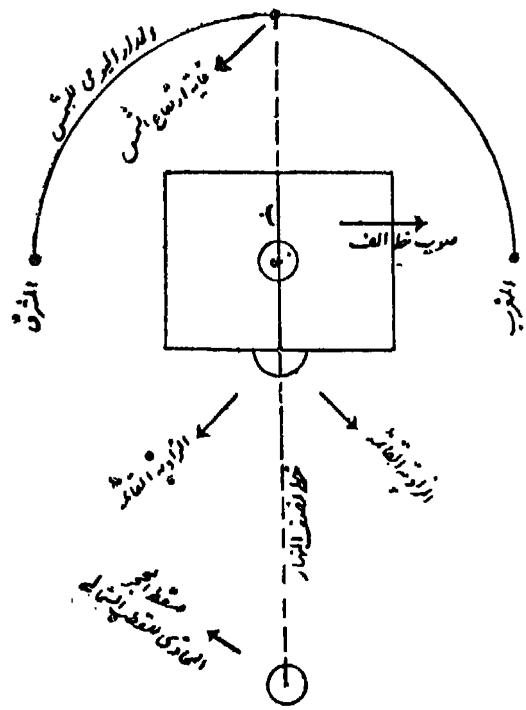
و وقت صلاة الجمعة الزّوال إلى أن يمضي مقدار الأذان والخطبة وركعتي الفرض و ما يلزم ذلك من صعود المنبر و نزوله و الدّعاء أمام الصلاة فإذا مضى ذلك فقد فاتت ولزم أداؤها أربعاً بلاخطبة و هو ظاهر عبارة أبي الصلاح و الجعفي ، ويدلّ عليه ما رواه في التهذيب بإسناده الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : « إنّ من الأُمور أُموراً مضيّقة وأُموراً موسّعة وإنّ الوقت وقتان والصلاة ممّا فيه السعة فربما عجّل رسول الله صلى الله عليه وآله و ربما أخّر إلّا صلاة الجمعة فإنّ صلاة الجمعة من الأمر المضيّق ، إنّما لها وقت واحد حين تزول الشمس»[1] ، و الأكثر على امتداد وقته إلى أن يصير ظلّ كلّ شيء مثله ولا حجّة لهم يعتدّ بها و قيل : يمتدّ بامتداد الظهر التفاتاً إلى مقتضى البدليّة وأصالة البقاء فيحمل الرّواية على الأفضليّة ولايخلو من قوّة و إن كان الأوّل أقوى لاستغنائه عن التأويل .

مسألة : يُعرف الزّوال بزيادة الظلّ بعدنقصه أوحدوثه بعد عدمه وبميل الشمس إلى الحاجب الأيمن لمن استقبل نقطة الجنوب و بميل الظلّ عن خطّ نصف النّهار إلى جهة المشرق ، و يُعرف الغروب باستتار القرص وغيبته عن النظر مع انتفاء الحائل كما يستفاد من صحاح الأخبار ، و قيل : بل بذهاب الحمرة المشرقيّة ، و إليه ذهب الأكثر و هو أحوط لصلاة المغرب و الإفطار . ويعرف انتصاف اللّيل بانحدار النجوم الطالعة عند الغروب عن سمت الرأس و بمنازل القمر و قاعدة غروبه و طلوعه ، و يعرف الفجر الأوّل بالضوء المستدق المستطيل الّذي يتوسّط بينه و بين الأفق ظلمة و الفجر الثاني بازدياد ذلك الضوء بحيث يأخذ طولاً وعرضاً و ينبسط في عرض الأفق ويتّصل به .

قال أبوحامد : « و إدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوّله إلّا أن يتعلّم منازل القمر إذ يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدلّ بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإنّ القمر يطلع مع الفجر ليلة ستّ و عشرين و يطلع الصبح مع

(١) المصدر ج ١ ص ٢٤٩ ومثله فى الكافى ج ٣ ص ٢٧٤ تحت رقم ٢ .

غروب القمر ليلة اثنى عشر من الشهر ، هذا هو الغالب و يتطرّق إليه تفاوت في بعض البروج و شرح ذلك يطول ، و تعلّم منازل القمرمن المهمّات للمريد حتّى يطّلع به على مقادير الأوقات باللّيل وعلى الصبح » قال : « والزوال يعرف بزيادة ظلّ الأشخاص المنتصبة مائلة إلى جهة المشرق إذيقع للشخص ظلّ عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا يزال الشمس ترتفع و الظلّ ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن يبلغ الشمس منتهى ارتفاعها و هو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظلّ فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظلّ في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة محسوسة مدركة بالحسّ دخل وقت الظهر ويعلم قطعاً أنّ الزوال في علم الله وقع قبله و لكن التكاليف لاترتبط إلّا بمايدخل تحت الحسّ ، و القدر الباقي من الظلّ الّذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء و يقصر في الصيف ، و منتهى طوله بلوغ الشمس أوّل الجدي و منتهى قصره بلوغها أوّل السرطان ويعرف ذلك بالأقدام و الموازين و من الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي باللّيل و يضع على الأرض لوحاً مربّعاً وضعاً مستوياً بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهّمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثمّ توهّمت خطّاً من مسقط الحجر إلى الضلع الّذي يليه من اللّوح لقام الخطّ على الضلع على زاويتين قائمتين ، أي لايكون الخطّ مائلاً إلى أحدالضلعين



ثمّ تنصب عموداً على اللّوح نصباً مستوياً في موضع علامة (ه) و هو بإزاء القطب فيقع

ظلّه في أوّل النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب خطّ (الف) ثمّ لايزال يميل إلى أن ينطبق على خطّ (ب) بحيث لومدّ رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر و يكون موازياً للضلع الشرقي و الغربي ، غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع ، فإذا انحرف الظلّ عن الخطّ الّذي على اللّوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس ، وهذا يدرك بالحسّ تحقيقاً في وقت هوقريب من أوّل الزوال في علم الله» .

أقول : و لتعرّف ذلك طرق اُخرى بعضها أوضح و أسهل ممّا ذكره و قد أوردنا طرفاً منها في كتابنا المعتصم .

مسألة : لايجوز التعويل على الظنّ في دخول الوقت مع التمكّن من العلم ، و يجوز مع عدمه التعويل على الأمارات ولوانكشف فساد ظنّه أعاد على الأصح ، وقيل : إن دخل الوقت و هو متلبّس بها ولو قبل التسليم لم يُعد و عليه الأكثر ، و من أدرك ركعة من آخر الوقت فقد أدرك الصلاة تامّة ، فلو أدرك قبل الغروب أو الانتصاف مقدار خمس لزمته الفريضتان و كذا لو أدرك قبل الانتصاف مقدار أربع على مذهب الصدوق ، ولو اشتغل بالعصر أو العشاء أوّلاً فإن ذكروهو في صلاته عدل بنيّته و إن فرغ أجزأته إن لم تقع في الوقت المختصّ بالاُولى و على قول الصدوق أجزأته مطلقاً .

مسألة : يكره التنفّل بعد دخول وقت الفريضة ، سوى الرواتب في أوقاتها المخصوصة كما يأتي و الأكثر على تحريمه ، و كذا القول في التنفّل لمن عليه فريضة ويكره ابتداء النافلة بعد صلاتي الصبح والعصر حتّى تطلع الشمس و تغرب و عند قيامها في غير يوم الجمعة أمّا ماله سبب كالطواف و الزيارة و تحيّة المسجد والاستسقاء فلابأس كذا في المشهور و ليس في الروايات قيد الابتداء ولا التنفّل بل مطلق الصلاة ، نعم في الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : « أربع صلوات يصلّيهنّ الرّجل في كلّ ساعة صلاة فاتتك فمتى ذكرتها أدّيتها ، وصلاة ركعتي طواف الفريضة ، وصلاة الكسوف ، و الصلاة على الميّت ، هذه يصلّيهنّ الرجل في الساعات كلّها »(١) .

---

(١) الكافي ج ٣ ص٢٨٨، والخصال ج ١ ص ١١٨ ، والفقيه ص ١١٦ .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام[1] «خمس صلوات لايترك على كلّ حال: إذا طفت بالبيت، و إذا أردت أن تحرم، و صلاة الكسوف، و إذا نسيت فصلّ إذا ذكرت، و الجنازة[1]».

قال أبوحامد: «في النهي عن أوقات الكراهية مهمّات ثلاثة: أحدها التوقّي عن مضاهاة عبدة الشمس، والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وآله: «إنّ الشمس تطلع و معها قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها، فإذا ارتفعت فارقها، فإذا استوت قارنها، فإذا زالت فارقها، فإذا تضيّفت للغروب قارنها، فإذا غربت فارقها[2]» ونهى عن الصلاة في هذه الأوقات و نبّه على العلّة، و الثالث أنّ سالكي طريق الآخرة لايزالون يواظبون على الصلاة في جميع الأوقات، والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملال، ومهما منع منها ساعة زاد النشاط و انبعثت الدواعي، و الإنسان حريص على مامنع منه، ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريص وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصّصت هذه الأوقات بالتسبيح و الاستغفار حذراً من الملال بالمداومة وتفرّجاً بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر، ففي الاستطراف و الاستحداد لذّة و نشاط و في الاستمرار على شيء واحد استثقال و ملال ولذلك لم تكن الصلاة سجوداً مجرّداً ولا ركوعاً مجرّداً ولاقياماً مجرّداً بل رتّبت العبادات من أعمال مختلفة و أذكار متباينة، فإنّ القلب يدرك من كلّ عمل منها لذّة جديدة عند الانتقال إليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع إليه الملال، فإذا كانت هذه أموراً مهمّة في النهي عن أوقات الكراهية إلى غير ذلك من أسرار اُخر، ليس في قوّة البشر الاطّلاع عليها والله و رسوله أعلم بها فهذه المهمّات لاتترك إلّا بأسباب مهمّة في الشرع مثل قضاء الصلوات، و صلاة الاستسقاء و الخسوف و تحيّة المسجد فأمّا ماضعف منها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود النهي».

أقول: ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي[3] في الصحيح عن الباقر عليه السلام قال: «تصلّى على الجنازة في كلّ ساعة إنّها ليست بصلاة ركوع و سجود إنّما تكره الصلاة عند

(١) التهذيب ج١ ص ١٨٤، والكافي ج٣ ص ٢٨٧ تحت رقم ٢.

(٢) أخرجه النسائي ج ١ ص ٢٧٥. (٣) المجلد الثالث ص ١٨٠.

طلوع الشمس و عند غروبها الّتي فيها الخشوع و الرّكوع و السجود لأنّها تطلع بين قرني شيطان و تغرب بين قرني شيطان [١] و في رواية اُخرى عن الصادق عليه السلام « أنّ رجلاً قال له : إنّ الشمس تطلع بين قرني شيطان ؟ قال : نعم إنّ ابليس اتّخذ عريشاً بين السماء و الأرض فإذا طلعت الشمس و سجد في ذلك الوقت الناس قال إبليس لشياطينه : إنّ بني آدم يصلّون لي » رواه في الكافي [٢] .

و في الفقيه [٣] « روى لي جماعة من مشائخنا عن أبي الحسين محمّد بن جعفر الأسدي

---

(١) ذكر فيه وجوه أحدها أن الشيطان ينصب قائماً في وجه الشمس عند طلوعها لكون طلوعها بين قرنيه فيكون مستقبلا لمن يسجد للشمس فيصير عبادتهم له فنهوا عن الصلاة فى ذلك الوقت مخالفة لعبدة الشمس . وثانيها أن يراد بقرنيها حزباه اللذان يبعثهما لاغواء الناس ، يقال : هؤلاء قرناى أى امتى ومتبعى . وثالثها أنه من باب التمثيل شبه الشيطان فيما تسول لعبدة الشمس و يدعوهم الى معاندة الحق بذوات القرون التى يعالج الاشياء ويدافعها بقرونها . و رابعها يراد بالقرن القوة من قولهم أنا مقرن له أى مطيق والمختار هوالوجه الاول لمعاضدة الروايات . أقول : هذا البيان كان فى هامش نسخة الكافى الطبع الحجرى و نسبه الى المجلسى ـ رحمه الله ـ و لكن ليس فى مرآة العقول ولعله فى البحار أوكان للمجلسى الاول . وفى المرآة قوله عليه السلام : « بين قرنى الشيطان » قال فى النهاية : فيه أن الشمس تطلع بين قرنى الشيطان أى ناحيتى رأسه وجانبيه . و قيل : القرن : القوة أى حين تطلع يتحرك الشيطان ويتسلط فيكون كالمعين لها . وقيل : بين قرنيه اى امتيه الاولين والاخرين وكل هذا تمثيل لمن يسجد للشمس عند طلوعها فكان الشيطان سول له ذلك فاذاسجدلها كان كأن الشيطان مقترن بها . انتهى . و قال النووى فى شرح المسلم : أى حزبيه اللذين يبعثهما للاغواء . وقيل : جانبى رأسه فانه يدنى رأسه الى الشمس فى هذين الوقتين ليكون الساجدون لها كالساجدين له و يخيل لنفسه ولاعوانه أنهم يسجدون له وحينئذ يكون له ولشيعته تسلط فى تلبيس المصلين انتهى . هذا اخرمافى المرآة ولشارح الخصال بالفارسية بيان لهذا الحديث طبع فى آخر مجلده الثالث فمن أراد الاطلاع فليراجع هناك .

(٢) المجلد الثالث ص ٢٨٩ تحت رقم ٨ .

(٣) ص ١٣٢ تحت رقم ٥ .

ـ رضي الله عنه ـ أنّه ورد عليه فيما ورد من جواب مسائله من محمّد بن عثمان العمري قدس سرّه و أمّا ماسألت من الصلاة عند طلوع الشمس و غروبها فلئن كان كما يقوله الناس إنّ الشمس تطلع بين قرني شيطان و تغرب بين قرني شيطان فما أرغم أنف الشيطان بشيء أفضل من الصلاة فصلّها وأرغم الشيطان » .

مسألة إذا صلّى مع النجاسة جاهلاً ولم يعلمَ بها حتّى خرج الوقت صحّت بلاخلاف بين أصحابنا و إن علم بها في الأثناء فإن أمكنه نزعه مع الستر أو تبديله أو تطهيره استمرّ و إلّا استأنف إلّا إذا استيقن سبقها على الصلاة فيستأنف مطلقاً ، وقيل بالتفصيل و إن استيقن السبق ، و قيل يستأنف مطلقاً مع سعة الوقت وإن علم بها بعد الفراغ فإن كان عالماً بها قبلها و لكنّه نسي فيجب عليه الإعادة مع بقاء الوقت دون خروجه ، و قيل : يعيد مطلقاً و عليه الأكثر ، و قيل : لايعيد مطلقاً و إن لم يكن علمها فلا يعيد مطلقاً و قيل : يعيد مع بقاء الوقت و ما اخترناه هو الّذي يقتضيه الجمع بين الأخبار الصحيحة ، و ما قالوه يقتضيه خصوص بعضها ، و إن لم يمكنه التطهير صلّى فيه كما في الأخبار الصحيحة و يجوز نزعه و الصلاة عرياناً قاعداً مومياً للخبرين المنجبر ضعفهما بالشهرة ولتعارض الستر والقيام واستيفاء الأفعال مع المانع لكنّ الأولى الأوّل وفاقاً لابن الجنيد ، وقيل : بل يجب النزع حتماً ولبس بشيء .

مسألة من أحدث في الصلاة حدثاً بطلت صلاته و كذلك لو تكلّم ، أو تقهقه ، أو التفت فاحشاً ، أوفعل فعلاً كثيراً خارجاً عنها مع تعمّد الجميع والفعل القليل غيرمبطل و إن كره ، وكذا الكثير مع السهو إذا لم تنمح معه صورة الصلاة فتبطل ، و المرجع في القلّة و الكثرة إلى العرف لعدم التحديد في الشرع ، نعم كلّ ما ورد في الأخبار المعتبرة جواز فعله فهو في حيّز القليل كقتل البرغوث و الحيّة و العقرب و البقّة و النملة و الذباب ، و حمل الصبي الصغير و إرضاعه ، و الإشارة باليد و الإيماء بالرأس و رفع القلنسوة من الأرض و وضعها على الرأس ، و رمي الغير بالحصى طلباً لإقباله و التصفيق لذلك إلى غير ذلك .

و في الصحاح المستفيضة (١) : لوأنّ رجلاً رعف في صلاته و كان عنده ماء أو من يشير إليه بماء فيناوله فمال برأسه فغسله فليبن على صلاته ولا يقطعها و في بعضها ينفتل و يغسل أنفه و يعود في صلاته و إن تكلّم فليعد صلاته و حمل على ما إذا لم يكثر فمحى صورة الصلاة جمعاً بينها و بين الصحيح الآخر بحمله على الماحي .

مسألة من ترك ركناً من أركان الصلاة الخمسة عمداً أو سهواً بطلت صلاته إلّا أن يتداركه قبل الدخول في الآخر و كذا إن زاده على المشهور و لو شكّ فيه فإن كان محلّه باقياً أتى به و إلّا فقد مضت صلاته و من سها عن غير الركن تداركه قبل الدخول في الركن و يمضي بعده و يقضيه إن كان سجوداً أو تشهّداً أو قنوتاً و إلّا فلا ، و إن شكّ فيه أتى به إن كان في محلّه و مضى إن دخل في فعل آخر و من زاد ركعة فما زاد بطلت صلاته و إن كان سهواً وفيه قول آخر .

و إن نقص أتمّ و لو بعد الفراغ و فعل المنافي عند الصدوق للصحاح المستفيضة و الأكثرعلى وجوب الإعادة إن كان المنافي ممّا يبطل الصلاة عمداً وسهواً كالحدث والفعل الكثير الماحي للصورة للأخبار المعتبرة ويمكن حملها على الإستحباب ، وربما يخصّ بغير الرباعيّات .

مسألة من نسي سجدة واحدة أوالتشهّد الأوّل إلى أن يركع أو تكلّم في الصلاة ناسياً أو سلّم في غير موضعه أو شكّ بين الأربع و الزيادة أولم يدر زاد في صلاته أم نقص ، أو لم يدر زاد ركوعاً أم نقصه ، أو زاد سجدة أم نقصها و كان قد تجاوز محلّها ، أو قام أو قعد في غير محلّهما سجد سجدتي السهوالمسمّيتين بالمرغمتين لإرغامهما الشيطان ، و قيل : و في كلّ زيادة و نقصان ، و محلّهما بعد التسليم كما في الصحاح المستفيضة (٢) وقيل : قبله للخبر و قيل : إن كان للنقصان فقبل و إن كان للزيادة فبعد للآخر و حملا على التقيّة و صورتهما في المشهورأن ينوي ثمّ يكبر ثمّ يسجد ثمّ يرفع رأسه ثمّ يسجد ثانية ، ثمّ يرفع رأسه و يتشهّد تشهّداً خفيفاً ثمّ يسلّم ويقول فيهما : «بسم‌الله و بالله اللّهمّ صلّ على

---

(١) راجع وسائل الشيعة أبواب قواطع الصلاة الباب الثاني .

(٢) راجع الوسائل أبواب الخلل الواقع في الصلاة الباب الثاني والثلاثون .

محمد و آل محمد» أو « بسم الله و بالله السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله و بركاته » والظاهر من الأخبار عدم وجوب ما عدا السجدتين .

مسألة من شكّ في عدد الثنائيّة أو الثلاثيّة أوالأولبين من الرباعيّة ، أولم يدر كم صلّى مطلقاً بطلت صلاته على المشهور وجوّز الصدوق البناء على الأقلّ أيضاً ولا يخلو من قوّة و لو ظنّ أحد الطرفين بني عليه ، وكذا في كلّ فعل ولو شكّ فيما زاد على الاثنتين من الرباعيّة بنى على الأكثر و أتمّ ثمّ احتاط بما شكّ فيه على المشهور ، و للصدوق قول آخر ، و المحتاط بها إن كانت واحدة تخيّر بين ركعتين من جلوس أو واحدة من قيام و إن كانت مردّدة بين الركعة والركعتين صلّى اثنتين من قيام و أخريين من جلوس ، و لابدّ في صلاة الاحتياط من نيّة و إحرام و تشهّد و تسليم لأنّها منفردة .

مسألة لاشكّ للمأمومين مع حفظ الإمام ولا له مع حفظهم و يجوز رجوع الظانّ منهما إلى المتيقّن ، و الشاكّ إلى الظانّ ، ولا حكم للشكّ مع كثرته فلايلتفت مطلقاً ، بل يبني على وقوع المشكوك فيه و إن كان في محلّه ، و يستحبّ لكثير السهو أن يطعن فخذه اليسرى بإصبعه اليمنى المسبّحة ثمّ يقول : « بسم‌الله و بالله و توكّلت على الله أعوذ بالله السميع العليم من‌الشيطان الرجيم» فإنّه يزجره ويطرده كذا عن النبيّ صلّى الله عليه وآله[1].

مسألة قال أبو حامد : « الوسوسة في نيّة الصلاة سببها خبل[2] في العقل‌أوجهل بالشرع لأنّ امتثال أمر الله مثل امتثال أمر غيره و تعظيمه كتعظيم غيره في حقّ القصد و من دخل عليه عالم فقام له فلو قال : نويت أن أنتصب قائماً تعظيماً لدخول زيدالفاضل لأجل فضيلته متصلاً بدخوله مقبلاً عليه بوجهي سفّه في عقله بل كما يراه و يعلم فضله ينبعث داعية التعظيم فيقيمه و يكون معظّماً إلّا إذا قام لشغل آخر أوفي غفلة ، و اشتراط كون الصلاة ظهراً أداء فرضاً في كونه امتثالاً كالاشتراط كون القيام مقروناً بالدخول‌مع الإقبال بالوجه على الداخل و انتفاء باعث آخرسواه و قصد التعظيم به ليكون تعظيماً ، فإنّه لو قام مدبراً عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدّة لم يكن معظّماً ، ثمّ هذه الصفات

---

(١) رواه الكليني ـ رحمه‌الله ـ في المجلد الثالث من الكافي ص ٣٥٨ تحت‌رقم٤.
(٢) الخبل ـ بالتحريك ـ نقصان في العقل وفساد فيه .

لابدّ و أن تكون معلومة و أن تكون مقصودة ، ثمّ لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة و إنّما يطول نظم الألفاظ الدالّة عليها إمّا تلفّظاً باللّسان و إمّا تفكّراً بالقلب فمن لم يفهم نيّة الصلاة على هذا الوجه فكأنّه لم يفهم النيّة فليس فيه إلّا أنّك دعيت إلى أن تصلّي في وقت فأجبت و قمت فالوسوسة محض الجهل فإنّ هذه القصود و هذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة و لا تكون مفصّلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس و تتأمّلها و فرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضادٌّ للعزوب و للغفلة و إن لم يكن مفصّلاً فإنّ من علم الحادث مثلاً فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة و هذا العلم يتضمّن علوماً هي حاضرة و إن لم تكن مفصّلة ، و إنّ من علم الحادث فقد علم الموجود و المعدوم ، والتقدّم و التأخّر و الزمان ، و أنّ التقدّم للعدم و أنّ التأخّر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أنّ العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له : هل علمت التقدّم قطّ أو التأخّر أوالعدم أو تقدّم العدم أو تأخّر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدّم و المتأخّر ؟ فقال : ما عرفته قطّ كان كاذباً و كان قوله مناقضاً لقوله : إنّي أعلم الحادث و من الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس ، فإنّ الموسوس يكلّف نفسه أن يحضر في قلبه الظهريّة والأدائيّة و الفرضيّة في حالة واحدة فيفصّلها بألفاظها و هو يطالعها و ذلك محالٌ و لو كلّف نفسه ذلك في القيام لأجل العالم لتعذّر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس ، و هو أن يعلم أنّ امتثال أمر الله في النيّة كامتثال أمر غيره ثمّ أزيد عليه على سبيل التسهيل و الرُّخصة ، وأقول : لو لم يفهم الموسوس النيّة إلّا بإحضار هذه الأُمور مفصّلة و لم يتمثّل في نفسه الامتثال دفعة واحدة فأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوّله إلى آخره بحيث لم يفرغ من التكبير إلّا و قد حصلت النيّة كفاه ذلك و لا يكلّفه أن يقرن الجميع بأوّل التكبير أو آخره فإنّ ذلك تكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للأوّلين سؤال عنه و لوسوس واحد من الصحابة في النيّة فعدم وقوع ذلك دليل على أنّ الأمر على التساهل فكيف ما تيسّرت النيّة للموسوس ينبغي أن يقنع به حتّى يتعوّد ذلك و يفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإنّ التحقيق يزيد فيه .

و قد ذكرنا في الفتاوي وجوهاً من التحقيق في تفصيل العلوم و القصود المتعلّقة بالنيّة يفتقر العلماء إلى معرفتها فأمّا العامل فربما يضرّه سماعها ويهيّج عليه الوسواس فلذلك تركنا ذكرها ».

﴿ الباب السابع ﴾

(في سائر الصلوات)

أقول : و هي عندنا قسمان فرائض و نوافل :

القسم الاول الفرائض و هي خمس الأولى صلاة العيدين قال الصادق عليه السلام في صحيح جميل بن درّاج : « صلاة العيدين فريضة »(١) .

و يشترط فيهما مايشترط في الجمعة سوى الخطبتين فإنّ الأصحّ عدم اشتراطهما فيها لاستحبابهما و عدم وجوب استماعهما و هما بعد الصلاة هنا و تقديمهما بدعة .

و كيفيّتهما مثل كيفيّة خطبتي الجمعة غير أنّ الإمام يذكر في خطبة الفطر ما يتعلّق بالفطرة من الشرائط والقدر والوقت وفي الأضحى مايتعلّق بالأضحيّة ، ومع اختلال الشرائط يستحبّ الإتيان بها فرادى و في جواز الجماعة فيها حينئذ نظر والأحوط المنع .

و يستحبّ الإصحار(٢) بها في غير مكّة و مباشرة الأرض و السجود عليها و أن يطعم قبل خروجه في الفطر وبعد عوده في الأضحى ممّا يضحّي به ، و أن يخرج بعد الغسل متطيّباً غير العجائز فإنّهنّ يخرجن تفلات(٣) ، لابساً أحسن ثيابه ، ماشياً حافياً على سكينة ووقار ، ذاكراً لله تعالى ، داعياً بالمأثور ، متعمّماً متردّياً وهماهنا آكد ، ذاهباً من طريق ، عائداً بآخر ، و أن يقول المؤذّن بأرفع صوته عند القيام إليها : الصلاة ثلاثاً .

ثمّ يصلّي الإمام بالناس ركعتين يقرأ في الأولى الشمس وفي الثانية الغاشية ، وفي رواية في الأولى الأعلى وفي الثانية الشمس ، فإذا فرغ من القراءة في الأولى كبّر ثمّ رفع

(١) الفقيه ص ١٣٣ تحت رقم ١ .

(٢) الاصحار : الاجهار و كونها في الصحراء .

(٣) أي غير متطيبات .

يديه و يقول : « اللّهمّ أهل الكبرياء و العظمة ، وأهل الجود و الجبروت ، و أهل العفو والرّحمة ، و أهل التقوى و المغفرة ، أسألك بحقّ هذا اليوم الّذي جعلته للمسلمين عيداً و لمحمّد صلى الله عليه وآله ذخراً و كرامة ومزيداً أن تصلّي على محمّد و آل محمّد ، وأن تدخلني في كلّ خير أدخلت فيه محمّداً وآل محمّد ، و أن تخرجني من كلّ سوء أخرجت منه محمّداً و آل محمّد صلواتك عليه وعليهم ، اللّهمّ إنّي أسألك خيرما سألك عبادك الصالحون وأعوذ بك ممّا استعاذ منه عبادك الصالحون » .

و إن أضاف إليه ما أورده في الفقيه [1] من الزوائد فهو أفضل ، ثمّ يكبّر ثانية وثالثة ورابعة و خامسة ، و يأتي بعد كلّ منها بالدّعاء المذكور رافعاً يديه ، ثمّ يكبّر للرّكوع فيركع ويسجد سجدتين ، ثمّ يقوم إلى الثانية ويصنع كما صنع في الاولى إلّا أنّه يكبّر أربعاً عقيبها أربع قنوتات .

و في بعض الرّوايات [2] أنّ التكبيرات والقنوتات قبل القراءة و إليه ذهب جماعة و حمله آخرون على التقيّة لموافقته لمذهب العامّة .

فإذا فرغ من الصلاة أتى بدعاء زين العابدين عليه السلام المذكور في الصحيفة الكاملة [3].

و ينبغي أن يكبّر في الفطر عقيب أربع صلوات أوّلها المغرب وآخرها صلاة العيد يقول : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلّا الله والله أكبر ، و لله الحمد ، الله أكبر على ما هدانا » و في الأضحى عقيب خمس عشرة أوّلها الظهر يوم النحر لمن كان بمنى و عقيب عشرة لغيره ويزيد على المذكور « الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام ، و الحمد لله على ما أولانا » .

و يكره الخروج بالسلاح والتنفّل في ذلك اليوم إلى الزّوال إلّا ركعتين في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة والسفر بعد طلوع الفجر ، أمّا بعد طلوع الشمس فحرام لاستلزامه

(١) ص ١٣٥ تحت رقم ٣٠و٣٧ .

(٢) راجع وسائل الشيعة باب كيفية صلاة العيدين .

(٣) الدعاء الثامن والاربعون .

الإخلال بالواجب.

و إذا اجتمع عيد وجمعة تخيّر من صلّى العيد في حضور الجمعة وعدمه، كما ورد في الصحيح عن الصادق عليه السلام، و رواه العامّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله[١]، و قيل: بل يجب الحضور، و قيل: يختصّ التخيير بمن كان منزله بعيداً، والأوّل أصحّ.

ويستحبّ إحياء ليلتي العيدين بالصلاة والدعاء والذكر.

فعن النبيّ صلى الله عليه وآله «من أحيى ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم يموت القلوب»[٢].

وعن عليّ عليه السلام «أنّه كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليال من السنة وهي أوّل ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة النحر»[٣].

قال الشهيد ـ رحمه الله ـ: تحصل فضيلة الإحياء بمعظم اللّيل تنزيلاً لأكثر الشيء منزلته.

و عن ابن عبّاس: الإحياء أن تصلّي العشاء في الجماعة.

و يستحبّ الغسل ليلة الفطر والأضحيّة يوم الأضحى أو بعده إلى يومين و قيل: بوجوبها و في الصحيح الأضحيّة واجبة على من وجد من صغير أو كبير وهي سنّة[٤] و في رواية «سئل فما ترى في العيال؟ قال: إن شئت فعلت وإن شئت لم تفعل فأمّا أنت فلا تدعه»[٥].

و من لم يجد ينبغي أن يتصدّق بثمنها و يقول عند الذبح: «وجّهت وجهي للّذي فطر السماوات ـ إلى قوله ـ: و أنا من المسلمين، اللّهمّ منك و لك بسم الله والله أكبر، اللّهمّ تقبّل منّي» و إن أشرك فيها أحداً يقول: اللّهمّ هذا عنّي وعن فلان، روي «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ضحّى بكبش و ذبح بيده و قال: بسم الله و الله أكبر هذا منّي و من لم يضحّ من أُمّتي»[٦].

(١) راجع الفقيه ص ١٣٥ تحت رقم ٢٠ وسنن ابن ماجه تحت رقم ١٣١٠ وبعده.
(٢) ثواب الاعمال ص ٧٤.
(٣) قرب الاسناد ص ٢٦ ومصباح المتهجد ص ٤٥٠.
(٤) و (٥) الفقيه ص ٢٧٣ تحت رقم ١ و٢.
(٦) في الفقيه «ضحى رسول الله صلى الله عليه و آله بكبشين ذبح واحداً بيده فقال: اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من أهل بيتي وذبح الاخر فقال: اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من امتى».

و يأكل منها و يطعم إخوانه والفقراء ولابأس بادّخارلحمها ولو بعد ثلاثة أيّام و تحريمه منسوخ .

قال بعض علمائنا : (١) و أمّا العيد فأحضرفي قلبك أنّها في يوم قسمة الجوائز وتفرقة الرحمة و إفاضة المواهب على من قبل صومه وقام بوظائفه ، فأكثر من الخشوع في صلاتك و الابتهال إلى الله تعالى فيها وقبلها وبعد ها في قبول أعمالك ، و العفوعن تقصيرك و استشعرالحياء والخجلة من حيرة الردّ وخذلان الطرد ، فليس ذلك اليوم بعيد من لبس الجديد و إنّما هو عيد من أمن من الوعيد وسلم من النقاش و التهديد و استحقّ بصالح أعماله المزيد فاستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف والتنظيف والتطييب وغيره من أسباب التهيّؤ للإقبال بالقلب على ربّك والوقوف بين يديه عسى أن تصلح للمناجاة و الخضوع لديه ، فإنّه مع ذلك يوم شريفٌ ، و زمانٌ منيف ، يقبل فيه خير الأعمال ، و تستجاب فيه الدعوات ، فلا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لأجله ، و لم يجعل عيداً بسببه من المأكل والمشرب و اللّباس و غير ذلك من متاع الدنيا ، و إنّما هو عيد لكثرة عوائد الله تعالى فيه على من عامله بمتاجر الآخرة .

☼(الثانية)☼

﴿ صلاة الايات ﴾

قال الصادق عليه السلام في صحيح جميل : « وصلاة الخسوف فريضة » (٢) وتجب بكسوف أحد النيّرين والزلزلة والأصحّ وجوبها للرياح المظلمة و غيرها من أخاويف السماء المخوّفة لعامّة الناس كما يستفاد من الصحاح ، و قيل : بل يستحبّ لذلك ، وقيل : يجب للريح المخوّفة والظلمة الشديدة خاصّة ، و يشترط فيها زيادة على شرائط الصلوات العلم بالآية لاستحالة تكليف الغافل ، نعم يجب القضاء في الكسوفين مع الاستيعاب إذا لم يعلم وهو فرض مستأنف وهي عشر ركعات وأربع سجدات يكبّر ويقرأ الحمد وسورة ثمّ يركع ثمّ يرفع رأسه ويقرأ الحمد وسورة وهكذا إلى خمس مرّات ، ثمّ يسجد سجدتين ، ثمّ

(١) اسرار الصلاة ص ٢٢٣ .

(٢) الفقيه ص ١٣٣ تحت رقم ١ .

يقوم ويفعل مثل ذلك ، وإن شاء أن يفرّق سورة واحدة على كلّ من الخمس جاز ، ولا يقرأ الحمد حينئذ إلّا في الاولى و السادسة .

و يستحبّ الغسل لها مع استيعاب القرص ، أداء كانت أو قضاء ، و أن يصلّي تحت السماء جماعة و أن يطيلها بقدر الآية و أن يكون سجوده بقدر ركوعه و قراءته و أن يعيدها إن فرغ قبل الانجلاء أو يدعو حتّى ينجلي ، و أن يقول عند الزلزلة : « إنّ الله يمسك السماوات و الأرض أن تزولا و لئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً » و يدعو و يكبّر عند الرياح رافعاً بهما صوته .

قال بعض علمائنا [1]: و أمّا الآيات فاستحضر عندها أهوال الآخرة و زلازلها و تكوير الشمس والقمر و ظلمة القيامة ، و وجل الخلائق والتجاءهم و اجتماعهم في تلك العرصة و خوفهم من الأخذ و النكال و العقوبة و الاستيصال ، فأكثر من الدعاء والابتهال بمزيد الخشوع والخضوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدائد وردّ النور بعد الظلمة ، و المسامحة على الهفوة والزلّة ، وتب إلى الله من جميع ذنوبك و أحسن التوبة عسى أن ينظر إليك وأنت منكسر النفس ، مطرق الرأس ، مستحيي من التقصير ، فيقبل توبتك و يسامح هفوتك ، فإنّه يقبل القلوب المنكسرة ، و يحبّ النفوس الخاشعة و الأعناق الخاضعة و التململ من ثقل الأوزار و الحذر من منقلب الاصرار .

أقول : روي في الفقيه [2] عن سيّد العابدين عليه السلام أنّه قال في حديث له : « أما إنّه لا يفزع للآيتين ولا يرهب إلّا من كان من شيعتنا فإذا كان ذلك منهما فافزعوا إلى الله تعالى و راجعوه » .

قال : وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله تبارك و تعالى ، تجريان بتقديره ، و تنتهيان إلى أمره ، لا تنكسفان لموت أحد و لا لحياة أحد فإذا انكسف أحدهما فبادروا إلى مساجدكم » [3] .

و انكسفت الشمس على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فصلّي بهم حتّى كان الرجل ينظر

(١) اسرار الصلاة ص٢٢٣ .
(٢) الفقيه ص ١٤١ تحت رقم ١ .
(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٦٣ .

إلى الرجل قد ابتلّت قدمه من عرقه[١]».

وسأل عبد الرحمن بن أبي عبدالله عن الريح و الظلمة تكون في السماء والكسوف، فقال الصادق عليه السلام: «صلاتهما سواء[٢]» وفي العلل الّتي ذكرها الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام قال: «إنّما جعلت للكسوف صلاة لأنّه من آيات الله تعالى لا يدرى الرحمة ظهرت أم العذاب، فأحبّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أن يفزع اُمّته إلى خالقها و راحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرّها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس حين تضرّعوا إلى الله عزّ وجلّ»[٣].

(الثالثة)

صلاة الطواف

و هي ركعتان بعده، واجبتان مع وجوبه مستحبّتان مع استحبابه، و القول باستحبابهما مطلقاً شاذّ، قال الله تعالى: «واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى»[٤] ويستحبّ أن يقرأ فيهما بالتوحيد و الجحد كما ورد في الأخبار[٥].

قال بعض علمائنا: [٦] و أمّا صلاة الطواف فاستحضر عندها جلالة البيت بجلالة ربّ البيت، و اعلم أنّك بمنزلة الواقف في حضرة الملك المطلق و الحاكم المحقّق فإنّه و إن كان في جميع أحوالك مطّلع على سريرتك محيط بباطنك وظاهرك، لكن الحال في ذلك الموطن أقوى و المراقبة فيه أتمّ و أولى، والغفلة ثمّة أصعب و أدهى، و أين المقصّر في تعظيم الملك بين يديه ولدى كرسيّه و بين النائي عنه و البعيد منه، و إن كان علمه شاملاً للجميع و محيطاً بالكلّ فليزد ذلك في خشوعك و إقبالك، و ليحذر بسبب ذلك من إعراضك و إهمالك، و من ثمّة كان الذنب في تلك البقاع الشريفة مضاعفاً والحسنة أيضاً فيها مضاعفة، و تفكّر فيمن سبق من الأنبياء المقرّبين و الأولياء الصالحين فترى آثارهم و قربهم و ما أورثهم عملهم و حبّهم من السعادة المخلّدة و النعمة المؤبّدة المجدّدة

(١) الى(٣) الفقيه ص ١٤٢ تحت رقم ٣ و٤ و٥ .
(٤) البقرة: ١٢٥ .
(٥) الكافي ج ٤ ص ٤٢٣ .
(٦) يعني الشهيد في اسرار الصلاة ص ٢٢٤ .

على مرّ الدّهور، المطّردة على كرّ العصور وتأسّ بهم في الأعمال و كمال الإقبال وليكن ذلك و نظائره مقدّمة على الصلاة لا مقارنة، فإنّ وظيفة الصلاة هي الإقبال بها خاصّة، و ترقّ من هذه المدارج إلى غيرها من شريف المعارج.

✿(الرابعة)✿

﴿ صلاة الجنازة ﴾

و فرضها كفائيٌ يسقط عن جميع المطّلعين بفعل بعضهم وهي خمس تكبيرات بينهنّ أربع دعوات بعد النيّة و الاستقبال، و جعل رأس الجنازة إلى يمين المصلّي في غير المأموم، و وضع الميّت مستلقياً بحيث لو اضطجع على يمينه كان بإزاء القبلة، بعد التغسيل و التكفين.

و يستحبّ فيها الطهارة، و رفع اليدين في كلّ تكبيرة سيّما الاُولى، و وقوف الإمام عند وسط الرجل و صدر المرأة، و يتقدّم الرجل هنا و لو كان المأموم واحداً، و أن يؤمّ أولى الناس به أو يأمر من يحبّ إلّا أن يوصي الميّت ذلك لغيره، و أن يخلع نعليه ويقف بعد الفراغ حتّى ترفع الجنازة وأن يصلّي في المواضع المعتادة ليكثر المصلّون، ففي الصحيح عن الصادق عليه السلام «إذا مات الميّت فحضر جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين فقالوا: «اللّهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً و أنت أعلم به منّا» قال الله تبارك و تعالى قد أجزت شهادتكم و غفرت له ما أعلم ممّا لا تعلمون»[١].

و من أدرك الإمام في الأثناء تابعه و أتمّ التكبيرات بعد فراغه متتابعاً كما ورد في الأخبار الصحيحة [٢].

و الأصحّ عدم تعيين لفظ في الدعاء لاختلاف الأخبار فيه و لما ورد بإسناد حسن عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «ليس فيها دعاء موقّت تدعو بما بدا لك»[٣] خلافاً لجمع من المتأخّرين حيث أوجبوا الشهادتين عقيب الاُولى، والصلاة على النبيّ وآله عقيب الثانية،

---

(١) الكافي ج٣ ص ٢٥٤ تحت رقم ١٤.
(٢) راجع الفقيه ص ٤٢ تحت رقم ٢٦.
(٣) الكافي ج ٣ ص ١٨٥ تحت رقم ١.

و الدعاء للمؤمنين عقيب الثالثة ، و للميّت عقيب الرابعة و بعض قدمائنا جعل الأفضل جمع الأذكار الأربعة عقيب كلّ تكبيرة و هو أقرب إلى الاحتياط و الأخبار المعتبرة ، و الأولى أن يعمل بصحيح أبي ولّاد عن الصادق عليه السلام[1] و هو «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد ، اللّهمّ إنّ هذا المسجّى قدّامنا عبدك ابن عبدك و قد قبضت روحه إليك و قد احتاج إلى رحمتك و أنت غنيّ عن عذابه ، اللّهمّ ولا نعلم من ظاهره إلّا خيراً و أنت أعلم بسريرته ، اللّهمّ إن كان محسناً فضاعف في إحسانه و إن كان مسيئاً فتجاوز عن إساءته » يكرّره بين كلّ تكبيرتين .

و إن كان مستضعفاً يقول بعد الصلاة على النبيّ وآله و الدعاء للمؤمنين : « اللّهمّ اغفر للّذين تابوا و اتّبعوا سبيلك و قهم عذاب الجحيم » .

وإن كان مجهولاً يقول : «اللّهمّ هذه النفوس أنت أحييتها وأنت أمتّها اللّهمّ ولّها ما تولّت و احشرها مع من أحبّت » .

و للطفل يقول : « اللّهمّ اجعله لأبويه و لنا سلفاً و فرطاً وأجراً » .

و إن كان جاحداً للحقّ يقول : « اللّهمّ املأ جوفه ناراً و قبره ناراً و سلّط عليه الحيّات و العقارب » .

و عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « مات رجل من المنافقين فخرج الحسين بن عليّ عليهما السلام يمشي فلقى مولى له فقال له : إلى أين تذهب ؟ فقال : أفرّ من جنازة هذا المنافق أن اُصلّي عليه ، فقال له الحسين عليه السلام : قم إلى جنبي فما سمعتني أقول فقل مثله قال : فرفع يديه فقال : « اللّهمّ اخز عبدك في عبادك وبلادك ، اللّهمّ أصله أشدّ نارك ، اللّهمّ أذقه حرّ عذابك ، فإنّه كان يوالي أعداءك و يعادي أولياءك ويبغض أهل بيت نبيّك»[2] .

أقول : ويقتصر حينئذ على أربع تكبيرات ، هكذا جرت السنّة .

وتجوز الصلاة الواحدة على الجنائز المتعددة بلا خلاف و في العكس أقوال .

والأخبار في فضل الصلاة على الجنازة و تشييعها و تربيعها كثيرة و سنذكر بعضها

---

(١) الكافي ج ٣ ص ١٨٤ تحت رقم ٣ .

(٢) الفقيه ص ٤٣ تحت رقم ٤٦ ، والكافي ج ٣ ص ١٨٨ تحت رقم ٢ .

في كتاب آداب الصحبة والمعاشرة من ربع العادات .

قال بعض علمائنا [(١)]: وأمّا الجنازة فأحضر عند مشاهدتها و وضعها بين يديك ما قد خلّفته من الأهل و الأولاد و تركته من الأموال وقدمت على الله صفر اليد ، لم يصحبها إلّا الأعمال الصالحة و ما تاجرته من أعمال الآخرة الرابحة وتأمّل بهجته كيف ذهبت و جلدته كيف تحوّلت ، و عن قريب يمحو التراب صورته ، و تزيل الأرض بهجته ، و ما قد حصل له من يتم أولاده و ترمّل نسائه و تضيّع أمواله ، و خلوّ مسجده و مجلسه و انقطاع آثاره ، بعد طول أمله و كثرة حيله و انخداعه بمؤاتاة الأسباب ، و غفلته عن الدخول في هذا التراب ، و القدوم على ما سطر عليه في الكتاب ، و ركونه إلى القوّة و الشباب ، و اشتغاله عمّا بين يديه من الموت الذريع و الهلاك السريع ، و كيف كان يتردّد و يشيّع غيره من الأموات ، و الآن قد تهدّمت رجلاه و مفاصله و كيف كان ينطق و قد فسد لسانه ، و كيف كان يضحك و قد تغيّرت أسنانه ، و كيف كان يدبّر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلّا شهراً و أقلّ ، و هو غافلٌ عمّا يراد به حتّى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فقرع سمعه نداء الجبّار إمّا بالجنّة أو النار ، و لينظر في نفسه أنّه الآن مثله في غفلته و سيكون عاقبته كعاقبته فلينهض حينئذ إلى الاستعداد و ليشتغل باكثار الزاد ، فإنّ المسافة بعيدة ، و العقبة كؤودٌ ، و الخطر شديدٌ ، و الندامة بعد الموت غير نافعة فهذا الفكر وأمثاله يحصّل قصر الأمل و الاستعداد بصالح العمل ، و محلّه خارج الصلاة كما مرّ .

✡(الخامسة)✡

الصلاة الّتي أوجبها المكلّف على نفسه بنذر أو يمين أو عهد فإنّه يجب عليه الإيفاء بها حسبما شرطه كمّاً و كيفاً ومكاناً و زماناً ما لم يكن الشرط منافياً لحقيقة الصلاة و لو لم يكن له مزيّة ففي انعقاده قولان أصحّهما ذلك و في الإجزاء بالإتيان بها بدونه وجهان قال الله تعالى : «أوفوا بالعقود[(٢)]» وقال : « يوفون بالنذر[(٣)]» و قال : «ولاتنقضوا

(١) يعني الشهيد في اسرار الصلاة ص٢٢٥ .

(٢) المائدة : ٢ .

(٣) الدهر : ٦ .

الأيمان بعد توكيدها »[1] إلى غير ذلك .

قال بعض علمائنا : و أمّا صلاة النذر و العهد و نحوهما فليستشعر قبولها و الرغبة في القيام بها و الاهتمام بشأنها وفاء لعهد الله و امتثالاً لأمره و لا يرم بها توهّما أنّها ليست واجبة بالأصالة فقد لحقت بمثلها في العظمة و الجلالة و ليمثّل في نفسه أنّه لو عاهد ملكاً من ملوك الدنيا على عمل من الأعمال بحيث يكون فعله بمرأى منه و مسمع كيف يكون إقباله على عمله و اجتهاده في إصلاحه و إتقانه ، و امتلاء قلبه منه ومراقبته لنظر الملك بمجرّد الوعد فضلاً عن توكيده بالعهد فلا يجعل نظر الله سبحانه دون نظر عبيده فإنّ ذلك عنوان النفاق و انموذج الشرك .

قال : و هكذا يلاحظ وظيفة كلّ صلاة بحسبها و يقوم بمرتبتها وأدبها و لا يقتصر على ما بيّناه من الوظائف بل يترقّى بنظره إلى ما يفتح الله عليه من المعارف فإنّ أبواب الفيض مفتوحة ، و أنوار الجود هابطة مبذولة ، واصلة إلى النفوس الإنسانيّة على قدر استعدادها .

﴿ القسم الثاني ﴾

(النوافل وهي يومية وغير يومية)

أمّا اليوميّة فهي أربع و ثلاثون ركعة في كلّ يوم و ليلة ضعف الفرائض يكون معها إحدى و خمسين ركعة ، و قد ورد في الحديث عن أهل البيت عليهم السلام « أنّ علامات المؤمن خمس : صلاة الإحدى والخمسين و زيارة الأربعين وتعفير الجبين و التختّم باليمين و الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم »[2].

يصلّي ثمان إذا زالت ، وثمان بعد الظهر ، و أربع بعد المغرب ، وركعتان بعد العشاء تعدّان بواحدة ، و ثلاث عشرة ركعة بعد انتصاف اللّيل إلى الفجر الثاني ، منها ركعتان نافلة الفجر و في بعض الصحاح أقلّ من ذلك بإسقاط أربع بعد الظهر و ركعتين بعد

(١) النحل : ٩١ .

(٢) التهذيب ج ٢ ص١٧ .

وفي الفقيه[١] « قال أبي - رضي الله عنه - في رسالته إليّ : اعلم يا بنيّ إنّ أفضل النوافل ركعتا الفجر و بعدهما ركعة الوتر و بعدها ركعتا الزوال و بعدهما نوافل المغرب و بعدها تمام صلاة اللّيل و بعدها تمام النوافل النهار ».

و فيه « قال الصادق عليه السلام : كلّما فاتك باللّيل فاقضه بالنهار ، قال الله تبارك وتعالى : « و هو الّذي جعل اللّيل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً »[٢] يعني أن يقضي الرجل ما فاته باللّيل بالنهار و ما فاته بالنهار باللّيل ، « واقض ما فاتك من صلاة اللّيل أيّ وقت شئت من ليل أو نهار ما لم يكن وقت فريضة »[٣] .

و قال الصادق عليه السلام : « قضاء صلاة اللّيل بعد الغداة وبعد العصر من سرّ آل محمّد المخزون »[٤] .

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّ الله تبارك و تعالى يباهي ملائكته بالعبد يقضي صلاة اللّيل بالنهار فيقول : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي يقضي ما لم أفترضه عليه أشهدكم أنّي قد غفرت له »[٥] .

و روى بريد بن معاوية العجليّ ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : « أفضل قضاء صلاة اللّيل في الساعة الّتي فاتتك آخر اللّيل ، و ليس بأسٌ أن تقضيها بالنهار و قبل أن يزول الشمس » انتهى كلام الفقيه[٦] .

و يجوز تقديم صلاة اللّيل أوّل اللّيل في السفر وعند الضرورة إلّا أنّ القضاء أفضل منه عند أهل البيت عليهم السلام و سيأتي بيان كيفيّة صلاة النوافل و آدابها في كتاب ترتيب الأوراد من هذا الربع إن شاء الله .

و يزيد في رواتب يوم الجمعة أربع ركعات لأنّه نقص من فريضة ركعتين فيصلّي فيه عشرين ركعة ، و الأخبار في توزيعها مختلفة ففي بعضها ستّ ركعات ارتفاع النهار ، و ستّ ركعات قبل نصف النهار ، ور كعتين إذا زالت الشمس قبل الجمعة ، وستّ ركعات

(١) ص ١٣ باب أفضل النوافل .

(٢) الفرقان : ٦٢.

(٣) الى (٦) الفقيه ص١٣٢ رقم١و٦و ٧ .

وفي الفقيه[١] « قال أبي - رضي الله عنه - في رسالته إليّ : اعلم يا بنيّ إنّ أفضل النوافل ركعتا الفجر و بعدهما ركعة الوتر و بعدها ركعتا الزوال و بعدهما نوافل المغرب و بعدها تمام صلاة اللّيل و بعدها تمام النوافل النهار ».

و فيه « قال الصادق عليه السلام : كلّما فاتك باللّيل فاقضه بالنهار ، قال الله تبارك وتعالى : « و هو الّذي جعل اللّيل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً »[٢] يعني أن يقضي الرجل ما فاته باللّيل بالنهار و ما فاته بالنهار باللّيل ، « واقض ما فاتك من صلاة اللّيل أيّ وقت شئت من ليل أو نهار ما لم يكن وقت فريضة »[٣] .

و قال الصادق عليه السلام : « قضاء صلاة اللّيل بعد الغداة وبعد العصر من سرّ آل محمّد المخزون »[٤] .

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّ الله تبارك و تعالى يباهي ملائكته بالعبد يقضي صلاة اللّيل بالنهار فيقول : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي يقضي ما لم أفترضه عليه أشهدكم أنّي قد غفرت له » [٥] .

و روى بريد بن معاوية العجليّ ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : « أفضل قضاء صلاة اللّيل في الساعة الّتي فاتتك آخر اللّيل ، و ليس بأس أن تقضيها بالنهار و قبل أن يزول الشمس » انتهى كلام الفقيه [٦] .

و يجوز تقديم صلاة اللّيل أوّل اللّيل في السفر وعند الضرورة إلّا أنّ القضاء أفضل منه عند أهل البيت عليهم السلام و سيأتي بيان كيفيّة صلاة النوافل و آدابها في كتاب ترتيب الأوراد من هذا الربع إن شاء الله .

و يزيد في رواتب يوم الجمعة أربع ركعات لأنّه نقص من فريضة ركعتين فيصلّي فيه عشرين ركعة ، و الأخبار في توزيعها مختلفة ففي بعضها ستّ ركعات ارتفاع النهار ، و ستّ ركعات قبل نصف النهار ، و ركعتين إذا زالت الشمس قبل الجمعة ، وستّ ركعات

(١) ص ١٣ باب أفضل النوافل .
(٢) الفرقان : ٦٢.
(٣) الى (٦) الفقيه ص١٣٢ رقم١و٦و ٧ .

بعد الجمعة . و في بعضها غير ذلك ، و منها ما يدلّ على أزيد من ذلك ، و منها ما يدلّ على أقلّ ، و منها ما يدلّ على أنّه قبل الفريضة أفضل . و في خبر أنّها بعدها أفضل و هو محمول على ما إذا لم يصلّها حتّى دخل وقت الفريضة و العمل بمضمون الكلّ حسن .

و يزيد في شهر رمضان على هذه الرواتب ألف ركعة على المشهور بين أصحابنا لأخبار مستفيضة بذلك و هي مختلفة في توظيفها و توزيعها على اللّيالي و أنكره الصدوق رحمه الله و له أخبار صحيحة[١] .

و لكلّ ليلة من ليالي هذا الشهر المبارك و أخويه رجب و شعبان صلاة خاصّة زيادة على الرواتب و الألف مذكورة في مظانّها .

✡(و أما غير اليومية)✡

فمنهاصلاة تحيّة المسجد عند دخوله إذا لم يكن وقت صلاة فإن اشتغل بفرض أو قضاء أو راتبة تأدّى به التحيّة و حصل الفضل ، إذ المقصود أن لايخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصّة بالمسجد قياماً لحقّه ، و لهذا يكره دخوله على غير وضوء .

و منها صلاة الاستسقاء ، و هي مستحبّة عند غور الأنهار ، و فتور الأمطار استحباباً مؤكّداً ، و هي ركعتان و خطبتان بعدهما على هيئة العيدين بعينها إلّا أنّه يذكر في قنوتاته و خطبته ما يناسب نزول المطر و أفضله المأثور عن أهل البيت عليهم السلام .

و في الفقيه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا استسقى قال : «اللّهمّ اسق عبادك وبهائمك ، و انشر رحمتك ، واحي بلادك الميتة »[٢] يردّدها [ثلاث] مرّات .

ويستحبّ فيه الغسل وصيام الناس ثلاثة أيّام ، و خروجهم يوم الثالث ، و كونه الاثنين و إلى الصحراء حفاة على سكينة و وقار بين أيديهم المؤذّنون وإخراجهم الشيوخ و الأطفال و العجائز و البهائم معهم ، و تفريقهم بين الأطفال و اُمّهاتهم ليكثر البكاء والعجيج ولمشاركتهم في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لولاصبيان رضّع ومشايخ ركّع وبهائم

(١) راجع الفقيه ص ١٨٦ باب الصلاة في شهر رمضان .
(٢) المصدر ص ١٣٩ رقم ١٥ .

رتّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً »[١] .

قيل : ولو خرج أهل الذمّة متميّزين لم يمنعوا وإذا فرغ الإمام من الخطبتين أو كان في أثناء الثانية يقلّب رداءه فيجعل الّذي على يمينه على يساره وبالعكس تفألاً بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ثمّ يستقبل القبلة فيكبّر الله مائة تكبيرة ثمّ يلتفت إلى الناس عن يمينه فيسبّح الله مائة تسبيحة ، ثمّ يلتفت إليهم عن يساره فيهلّل الله مائة تهليلة ، ثمّ يستقبل الناس فيحمد الله مائة تحميدة ، في كلّ ذلك يرفع صوته ، ثمّ يرفع يديه فيدعو ، ثمّ يدعون ، ويكرّر الخروج لو تأخّرت الإجابة .

قال أبو حامد : « ولا بأس بالدّعاء إدبار الصلوات في الأيّام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدّعاء آداب وشروط باطنة من التوبة وردّ المظالم وغيرهما وسيأتي ذلك في كتاب الدّعوات » .

ومنها صلاة جعفر بن أبي طالب ويسمّى بصلاة التسبيح ، وصلاة الحبوة وهي من وكيد النوافل وشهيرها بين العامّة والخاصّة .

روى في التهذيب[٢] بإسناده الصحيح «عن بسطام عن الصادق عليه السلام أنّه قال له رجل : جعلت فداك أيلتزم الرّجل أخاه ؟ فقال : نعم إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم فتح خيبر أتاه الخبر أنّ جعفراً قد قدم فقال : والله ماأدري بأيّهما أنا أشدّ سروراً بقدوم جعفر أو فتح خيبر ، قال : فلم يلبث أن جاء جعفر قال : فوثب رسول الله صلّى الله عليه وآله فالتزمه و قبّل ما بين عينيه قال : فقال له الرّجل : الأربع ركعات الّتي بلغني أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أمر جعفراً أن يصلّيها ؟ فقال : لمّا قدم عليه قال له : ياجعفر ألا اُعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ؟ قال : فتشرّف الناس و رأوا أنّه يعطيه ذهباً أو فضّة ، قال : بلى يا رسول الله ، قال : صلّ أربع ركعات متى ماصلّيتهنّ غفر الله لك ما بينهنّ ، إن استطعت كلّ يوم وإلّا فكلّ يومين أو كلّ جمعة أو كلّ شهر أو كلّ سنة فإنّه يغفر لك مابينهما ، قال : كيف اُصلّيها ؟ قال : تفتتح الصلاة ثمّ تقرأ ثمّ يقول : خمس عشرة مرّة و أنت قائم : « سبحان الله و الحمد لله

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الايمان والطبرانى عن مسافع الديلمى كما فى الجامع الصغير باب اللام .

(٢) المجلد اول ص ٣٠٧ حسبمارقمناه .

ولا إله إلّا الله والله أكبر» فإذا ركعت قلت ذلك عشراً، و إذا رفعت رأسك فعشراً، وإذا سجدت فعشراً، وإذا رفعت رأسك فعشراً، وإذا سجدت الثانية فعشراً، وإذا رفعت رأسك فعشراً، فذلك خمس وسبعون تكون ثلاث مائة في أربع ركعات فهي ألف و مائتان».

و في الصحيح «عن إبراهيم بن أبي البلاد عن الكاظم عليه السلام قال: قلت له: أيّ شيء لمن صلّى صلاة جعفر؟ قال: لوكان عليه مثل رمل عالج و زبد البحر ذنوباً لغفرها الله له، قال: قلت: هذه لنا؟ قال: فلمن هي؟ إلّا لكم خاصّة [1]».

و في صحيح أبي حمزة الثمالي المرويّ في الفقيه[2] «أنّ التسبيح قبل القراءة وأنّ صورته الله أكبر و سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله، والأوّل أشهر وعليه الأكثر.

و في الرّواية الأولى أنّه يقرأ فيها بالتوحيد والجحد وفي الثانية أنّه يقرأ بالزلزلة والنصر و القدر و التوحيد و في ثالثة الزّلزلة و العاديات و النصر و التوحيد و الكلّ حسن، وينبغي أن يقول في آخر سجدة منها: «يا من لبس العزّ والوقار[3]، يا من تعطّف بالمجد وتكرّم به، يا من لاينبغي التسبيح إلّا له، يا من أحصى كلّ شيء علمه، ياذا النعمة والطول، ياذا المنّ والفضل، ياذا القدرة والكرم أسألك بمعاقد العزّ من عرشك وبمنتهى الرّحمة من كتابك و باسمك الأعظم الأعلى و كلماتك التامّات أن تصلّي على محمّد وآل محمّد و أن تفعل بي كذا و كذا».

و يجوز أن يجعل هذه الصلاة من النوافل اليوميّة و قضائها لصحيحة ذريح عن الصادق عليه السلام[4] «قال: إن شئت صلّ صلاة التسبيح بالليل وإن شئت بالنهار و إن شئت في السفر وإن شئت جعلتها من نوافلك و إن شئت من قضاء صلاة» و أفضل أوقاتها يوم الجمعة صدر النهار كما ورد عن صاحب الأمر عليه السلام، و يجوز تجريدها من التسبيح ثمّ قضاؤه بعدها و هو ذاهب في حوائجه لمن كان مستعجلاً كما ورد في رواية أبان، عن

(١) الفقيه ص ١٤٥ رقم ٤ والتهذيب ج ١ ص ٣٠٨.
(٢) المصدر ص١٤٤ رقم ١.
(٣) هكذا في الفقيه وفي الكافي ج ٣ ص ٤٦٧ «سبحان من لبس العز والوقار، سبحان من تعطف وهكذا الى آخره بلفظ «سبحان».
(٤) في الكافي ج٣ ص ٤٦٦، والفقيه ص١٤٥ تحت رقم ٧.

الصادق عليه السلام (١).

ومنها صلاة الاستخارة روى في الكافي (٢) بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : « صلّ ركعتين واستخر الله ، فو الله ما استخار الله مسلم إلّا خار له البتّة ».

و بإسناده عن الباقر عليه السلام « قال : كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا همّ بأمر حجّ أو عمرة أو بيع أو شراء أو عتق تطهّر ، ثمّ صلّى ركعتي الاستخارة فقرأ فيهما بسورة الحشر و بسورة الرّحمن ، ثمّ يقرأ المعوذتين و قل هو الله أحد إذا فرغ و هو جالس ثمّ يقول : «اللّهمّ إن كان كذا و كذا خيراً لي في ديني و دنياي وعاجل أمري وآجله فصلّ على محمّد وآل محمّد و يسّره لي على أحسن الوجوه و أجملها ، اللّهمّ إن كان كذا و كذا شرّاً لي في ديني و دنياي و عاجل أمري وآجله فصلّ على محمّد وآله واصرفه عنّي ، ربّ صلّ على محمّد وآله و أعزم لي على رشدي وإن كرهت ذلك أوأبته نفسي (٣) ».

و بإسناده ، عن مرازم قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : « إذا أراد أحدكم شيئاً فليصلّ ركعتين ثمّ ليحمدالله فليثن عليه وليصلّ على محمّد وأهل بيته ويقول : اللّهمّ إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ودنياي فيسّره لي و أقدره و إن كان غير ذلك فاصرفه عنّي فسألته أيّ شيء أقرأ فيهما ؟ فقال : اقرأفيهما ماشئت وإن شئت قرأت فيهما قل هوالله أحد وقل يا أيّها الكافرون (٤) ».

و بإسناده عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : ربما أردت الأمر يفرق منّي فريقان أحدهما يأمرني والآخر ينهاني ، قال : فقال : إذا كنت كذلك فصلّ ركعتين و استخر الله مائة مرّة ومرّة ثمّ انظر أجزم الأمرين لك فافعله فإنّ الخيرة فيه إن شاء الله و لتكن استخارتك في عافية فإنّه ربما خير للرجل في قطع يده وموت ولده وذهاب ماله » (٥) .

و بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : « إذا أردت أمراً فخذ ستّ رقاع فاكتب في

(١) الكافي ج ٣ ص٤٦٦ تحت رقم٣.
(٢) المجلد الثالث ص ٤٧٠ رقم ١ .
(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٧٠ تحت رقم ٢ .
(٤) و (٥) الكافي ج ٣ ص ٤٧٢ تحت رقم ٦ و٧ .

ثلاث منها بسم الله الرّحمن الرّحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة افعل . وفي ثلاث منها بسم الله الرّحمن الرّحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة لاتفعل . ثمّ ضعها تحت مصلاّك ثمّ صلّ ركعتين فإذا فرغت فاسجد سجدة و قل فيها مائة مرّة أستخير الله برحمته خيرة في عافية ، ثمّ استوجالساً و قل : اللّهمّ خرلي و اخترلي في جميع أموري في يسرمنك وعافية ثمّ اضرب بيدك إلى الرقاع فشوّشها و أخرج واحدة واحدة فإن خرج ثلاث متواليات افعل فافعل الأمر الّذي تريده و إن خرج ثلاث متواليات لاتفعل فلاتفعله و إن خرجت واحدة افعل والأخرى لاتفعل فأخرج من الرقاع إلى خمس فانظر أكثرها فاعمل به ودع السادسة لاتحتاج إليها » (١).

ومنها الصلاة في طلب الرزق روى في الكافي بإسناده ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله إنّي ذوعيال وعليّ دين وقد اشتدّت حالي فعلّمني دعاء إذا دعوت الله به رزقني الله ما أقضي به ديني وأستعين به على عيالي فقال : يا عبدالله توضّأ وأسبغ وضوءك ثمّ صلّ ركعتين تتمّ الرّكوع و السجود فيهما ، ثمّ قل : « يا ماجد يا واحد يا كريم أتوجّه إليك بمحمّد نبيّك نبيّ الرّحمة يا محمّد يا رسول الله إنّي أتوجّه بك إلى الله ربّك وربّ كلّ شيء أن تصلّي على محمّد وعلى أهل بيته وأسألك نفحة من نفحاتك و فتحاً يسيراً ورزقاً واسعاً ألمّ به شعثي و أقضي به ديني و أستعين به على عيالي (٢)» .

و عن الصادق عليه السلام من جاع فليتوضّأ وليصلّ ركعتين ، ثمّ يقول : «يا ربّ إنّي جائع فأطعمني» فإنّه يطعم من ساعته (٣) .

ومنها صلاة الحوائج روى في الكافي عن عبدالرحيم القصير قال : « دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت : جعلت فداك إنّي اخترعت دعاءً قال : دعني من اختراعك إذا نزل

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٧٠ رقم ٣ .

(٢) المصدر ج ٣ ص ٤٧٣ رقم ٢ و قوله : « نفحة من نفحاتك » النفحة : فوح الطيب و اللم : الجمع . و الشعث ـ محركة ـ : انتشار الامر والم الله شعثه قارب بين شتيت أموره .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٧٥ تحت رقم ٦ .

بك أمر فافزع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلّ ركعتين تهديهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قلت: كيف أصنع؟ قال: تغتسل وتصلّي ركعتين تستفتح بهما افتتاح الفريضة، وتشهّد تشهّد الفريضة، فإذا فرغت من التشهّد وسلّمت قلت: «اللّهمّ أنت السلام ومنك السلام وإليك السلام اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد وبلّغ روح محمّد منّي السلام وأرواح الأئمّة الصادقين سلامي، واردد عليّ منهم السلام والسلام عليهم و رحمة الله و بركاته، اللّهمّ إنّ هاتين الركعتين هديّة منّي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأثبني عليهما ما أمّلت و رجوت فيك و في رسولك يا وليّ المؤمنين» ثمّ تخرّ ساجداً و تقول: «يا حيّ يا قيوّم، يا حيّ لايموت، يا حيّ لا إله إلّا أنت يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الرّاحمين» أربعين مرّة، ثمّ ضع خدّك الأيمن فتقولها أربعين مرّة ثمّ ضع خدّك الأيسر فتقولها أربعين مرّة، ثمّ ترفع رأسك وتمدّ يدك فتقول أربعين مرّة، ثمّ تردّ يدك إلى رقبتك وتلوذ بسبّابتك و تقول ذلك أربعين مرّة، ثمّ خذ لحيتك بيدك اليسرى وابك أو تباك وقل: «يا محمّد يا رسول الله أشكو إلى الله وإليك حاجتي وأشكو إلى أهل بيتك الراشدين حاجتي وبكم أتوجّه إلى الله في حاجتي» ثمّ تسجد و تقول: «يا الله يا الله ـ حتّى ينقطع نفسك ـ صلّ على محمّد وآل محمّد وافعل بي كذا و كذا» قال أبوعبدالله عليه السلام: فأنا الضامن على الله تعالى أن لايبرح حتّى يقضي حاجته[1]».

و فيه[2] عن مقاتل بن مقاتل «قال: قلت للرضا عليه السلام: جعلت فداك علّمني دعاء لقضاء الحوائج، فقال: إذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى مهمّة فاغتسل و ألبس أنظف ثيابك وشمّ شيئاً من الطيب، ثمّ ابرز تحت السماء فصلّ ركعتين تفتح الصلاة فتقرأ فاتحة الكتاب و قل هو الله أحد خمس عشرة مرّة، ثمّ تركع فتقرأ خمس عشرة مرّة، ثمّ تتمّها على مثال صلاة التسبيح غير أنّ القراءة خمس عشرة مرّة فإذا سلّمت فاقرأها خمس عشرة مرّة، ثمّ تسجد فتقول في سجودك: «اللّهمّ إنّ كلّ معبود من لدن عرشك إلى قرار أرضك فهو باطل سواك فإنّك أنت الله الحقّ المبين اقض لي حاجة ـ كذا و كذا ـ

---

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٧٦ رقم ١.

(٢) المصدر ج ٣ ص ٤٧٧ تحت رقم ٣.

الساعة الساعة و تلح فيما أردت » .

و فيه [1] عن الصادق عليه السلام قال : « من توضأ فأحسن الوضوء و صلّي ركعتين فأتمّ ركوعهما و سجودهما ثمّ جلس فأثنى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ سأل حاجته فقد طلب الخير في مظانّه و من طلب الخير في مظانّه لم يخب » .

و فيه في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « إذا أردت حاجة فصلّ ركعتين وصلّ على محمّد و آل محمّد وسل تعطه [2] » .

ومنها صلاة من خاف مكروهاً في الكافي [3] عن الصادق عليه السلام قال : « كان عليّ عليه السلام إذا هاله شيء فزع إلى الصلاة ، ثمّ تلا هذه الآية « و استعينوا بالصبر والصلاة [4] » .

و فيه [5] عن حريز عنه عليه السلام قال : « اتّخذ مسجداً في بيتك فإذا خفت شيئاً فالبس ثوبين غليظين من أغلظ ثيابك وصلّ فيهما ، ثمّ اجث على ركبتيك فاصرخ إلى الله و سله الجنّة و تعوّذ بالله من شرّ الّذي تخافه وإيّاك أن يسمع الله منك كلمة بغي وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك » .

ومنها صلاة الشكر في الكافي [6] عن الصادق عليه السلام قال في صلاة الشكر : « إذا أنعم الله عليك بنعمة فصلّ ركعتين تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب و قل هو الله أحد ، و تقرأ في الثانية بفاتحة الكتاب و قل يا أيّها الكافرون ، و تقول في الركعة الأولى في ركوعك و سجودك : « الحمد لله شكراً شكراً و حمداً » ، و تقول في الركعة الثانية في ركوعك و سجودك : « الحمد لله الّذي استجاب دعائي وأعطاني مسألتي » .

ومنها صلاة من أراد سفراً في الكافي [7] عن الصادق عليه السلام قال : « قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : ما استخلف عبدٌ على أهله بخلافة أفضل من ركعتين يركعهما إذا أراد سفراً

(١) و (٢) الكافي ج٣ ص ٤٧٨ تحت رقم ٥ ، وص ٤٧٩ تحت رقم ١٠ .
(٣) المجلد الثالث ص ٤٨٠ تحت رقم ١ .
(٤) البقرة : ٤٥ .
(٥) المصدر ج ٣ ص ٤٨٠ تحت رقم ٢ .
(٦) المجلد الثالث ص ٤٨١ تحت رقم ١ .
(٧) المجلد الثالث ص ٤٨٠ .

يقول : « اللّهمّ إنّي أستودعك نفسي وأهلي و مالي و ديني و دنياي وآخرتي و أمانتي و خواتيم عملي إلّا أعطاه الله ما سأل » .

ومنها صلاة من أراد أن يتزوّج أو يدخل بأهله في الكافي (١) عن أبي بصيرقال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « إذا تزوّج أحدكم كيف يصنع ؟ قلت لا أدري ، قال : إذا همّ بذلك فليصلّ ركعتين و يحمد الله ثمّ يقول : « اللّهمّ إنّي اُريد أن أتزوّج فقدّرلي من النساء أعفّهنّ فرجاً ، وأحفظهنّ لي في نفسها و في مالي ، و أوسعهنّ رزقاً ، وأعظمهنّ بركة ، و قدّر لي ولداً طيّباً تجعله خلفاً صالحاً في حياتي وبعد مماتي » .

و في رواية أنّه يصلّي ركعتين عند دخوله عليها و يأمرها بذلك ، ثمّ يمجّد الله و يصلّي على محمّد وآل محمّد ، ثمّ يدعو الله ويأمر من معها أن يؤمّنوا على دعائه و يقول : « اللّهمّ ارزقني إلفها وودّها و رضاها و أرضني بها ثمّ اجمع بيننا بأحسن اجتماع و أسرّ ايتلاف ، فإنّك تحبّ الحلال و تكره الحرام (٢) » .

ومنها غير ذلك من الصلوات و هي كثيرة مذكورة في الكتب المصنّفة لذلك مع كيفيّاتها و آدابها وفيما ذكرناه كفاية هنا إن شاء الله و في الخبر « الصلاة خير موضوع فمن شاء استكثر و من شاء استقلّ »(٣) .

هذا آخر الكلام في كتاب أسرار الصلاة و مهمّاتها من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء و يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة و مهمّاتها و الحمد لله أوّلاً وآخراً .

---

(١) و (٢) المجلد الثالث ص ٤٨١ تحت رقم ٢ و ١ .

(٣) رواه جعفر بن أحمد القمي في كتاب الغايات عن الصادق عليه السلام كما في المستدرك ج ١ ص ١٧٧ ، ورواه علي بن بابويه في كتاب الامامة والتبصرة كمافي البحار .

﴿كتاب أسرار الزكاة ومهماتها﴾

و هو الكتاب الخامس من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الّذي أفقر و أغنى ، و أمات و أحيى ، و أضحك و أبكى ، و أوجد و أفنى ، الّذي خلق الإنسان من نطفة تمنى ، ثمّ تفرّد عن الخلق بوصف الغنى ، ثمّ خصّص بعض عباده بالحسنى ، فأفاض عليه من نعمه ما أيسر به و استغنى ، و أحوج إليه من أخفق في رزقه و أكدى ، إظهاراً للامتحان و الابتلاء ، ثمّ جعل الزكاة للدين أساساً و مبنى ، و بيّن أنّ بفضله تزكّى من عباده من تزكّى ، ومن غناه زكّى ماله من زكّى ، و الصلاة على محمّد المصطفى سيد الورى و شمس الهدى و على آله المعصومين و أصحابه المخصوصين بالعلم و التقى ، وسلّم كثيراً .

أمّا بعد فإنّ الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام و أردفها بذكر الصلاة الّتي هي أعلى الأعلام فقال : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة [1]» .

و قال صلّى الله عليه وآله : « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلّا الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة » [2] و شدّد الوعيد على المقصّرين فيها ، فقال تعالى : «و الّذين يكنزون الذهب والفضّة ولاينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم [3]» ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج حقّ الزكاة .

(١) البقرة : ١١٠ .

(٢) راجع الكافي ج ٢ ص ١٨ باب دعائم الاسلام .

(٣) التوبة : ٣٤ .

و عن أبي ذرّ - رضي‌الله عنه - قال : «بشّر الكانزين بكّي في ظهورهم يخرج من جنوبهم و بكّي من قبل أقفائهم يخرج من جباههم » و في رواية «أنّه يوضع على حلمة ثدي أحدهم فيخرج من نغض كتفه [١]، ويوضع على نغض كتفه حتّى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل » و قال أبوذرّ : « انتهيت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله و هو جالس في ظلّ الكعبة فلمّا رآني قال : هم الأخسرون وربّ الكعبة ، فقلت : من هم ؟ قال : الأكثرون أموالاً إلّا من قال هكذا و هكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه و شماله و قليلٌ ما هم ، ما من صاحب إبل و لا بقر ولا غنم لا يودّي زكاتها إلّا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت و أسمنه ، تنطحه بقرونها و تطؤه بأظلافها ، كلّما نفدت اُخراها عادت عليه اُولاها حتّى يقضى بين الناس [٢]» .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الفقيه [٣] بإسناده الصحيح عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : «ما من ذي مال ذهب أو فضّة يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر ، و سلّط عليه شجاعاً أقرع ، يريده و هو يحيد عنه ، فإذا رأى أنّه لا يتخلّص منه أمكنه من يده فقضمها كما يقضم الفحل ، ثمّ يصير طوقاً في عنقه وذلك قول الله عزّ وجلّ : « سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة [٤] » و ما من ذي مال إبل أو بقر أو غنم يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه كلّ ذات ظلف بظلفها ، و تنهشه كلّ ذي ناب بنابها ، و ما من ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاته إلّا طوّقه الله عزّ و جلّ ريعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة»[٥].

(١) النغض - بفتح النون و ضمها - اعلى الكتف وقيل هو العظم الرقيق وفي النهاية في حديث أبي ذر « بشر الكنازين » . والخبر في صحيح البخاري ج ٢ ص ١٢٧ بادنى اختلاف في اللفظ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٣ ص ٧٤ ، ونحوه النسائي في السنن ج ٥ ص ١٠ ، وأيضاً البخاري ج ٢ ص ١٤١ و ١٢٦ عن أبي هريرة .

(٣) ص ١٥١ تحت رقم ١ .

(٤) آل عمران : ١٨٠ .

(٥) الريعة : واحدة الريع - بالكسر - : المرتفع من الارض والجمع الريعان . -

و بإسناده الصحيح عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن يمنع درهماً من حقّ إلّا أنفق اثنين في غير حقّه، و ما من رجل يمنع حقّاً من ماله إلّا طوّقه الله عزّ و جلّ حيّة من نار يوم القيامة»(١).

و بإسناده الصحيح عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك و تعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال: «أقيموا الصلاة و آتوا الزكوة» فمن أقام الصلاة و لم يؤت الزكاة فكأنّه لم يقم الصلاة (٢)».

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ و جلّ فرض للفقراء من أموال الأغنياء ما يكتفون به، و لو علم أنّ الّذي فرض لهم لا يكفيهم لزادهم، و إنّما يؤتى الفقراء فيما أُوتوا من منع من منعهم حقوقهم لا من الفريضة (٣)».

و في الصحيح عنه عليه السلام قال: «إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها (٤)».

← والمراد ههنا أصل أرضه التى فيها الكرم والنخل والزراعة الواجبة فيها الزكاة أى يصير الارض طوقاً فى عنقه الى يوم يحشر. و قد يقرأ فى بعض النسخ [الربعة] بالباء الموحدة. وفى معانى الاخبار ص ٣٣٥ «ربقة أرضه» بالراء الموحدة والقاف. و قوله: «يحيد» من حاد يحيد حيداً وحيداناً عن الطريق مال و عدل. و قوله: «فقضمها» قضم الشى: كسره باطراف أسنانه وأكله. والظلف من البقرة و نحوها بمنزلة الحافر من الفرس والقدم من الانسان. والكرم ـ بفتح الكاف وسكون الراء ـ : العنب. وفى معانى الاخبار «قال الاصمعى: القاع: المكان المستوى ليس فيه ارتفاع ولا انخفاض، و قال أبو عبيد: و هو القيعة أيضاً، قال الله تعالى: «كسراب بقيعة» و جمع قيعة قاع، قال الله تعالى: «فيذرها قاعاً صفصفا». والقرقر: المستوى أيضاً، ويروى «بقاع قفر» ويروى «بقاع قرق» وهو مثل القرقر فى المعنى قال الشاعر:

كان أيديهن بالقاع القرق ☆ أيدى عذارى يتعاطين الورق. اه

والشجاع ضرب من الحيات، والاقرع ما سقط شعر رأسه منها الكثرة سمه.

(١) الفقيه ص ١٥٢ تحت رقم ٦.

(٢) الفقيه ص ١٥١ تحت رقم ٢.

(٣) المصدر ص ١٥٠ الحديث الاول، وفى الكافى ج ٣ ص ٤٩٦ مثله.

(٤) الكافى ج ٣ ص ٥٠٥ تحت رقم ١٧.

قال أبو حامد : «و إذا كان هذه التشديدات مخرجة في الصحيحين فصار من مهمّات الدين الكشف عن أسرار الزكاة و شروطها الجليّة و الخفيّة و معانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغني من معرفتها مؤدّي الزكاة و قابضها ، و ينكشف ذلك في أربعة فصول :

الأوّل في أنواع الزكوات وأسباب وجوبها . الثاني في آدابها و شروطها الظاهرة و الباطنة . الثالث في القابض و شروط استحقاقه وآداب قبضه . الرابع في صدقة التطوّع و فضلها » .

أقول : و أزيد خامساً في زكاة الجسد و أجعلها أبواباً لتقبل التفصيل بالفصول و لتوافق سائر الكتب .

﴿الباب الاول﴾

(في أنواع الزكوات وأسباب وجوبها)

أقول : و لنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول و بالله التوفيق : الزكاة قسمان زكاة مال ، و زكاة فطر ، و لمّا حرّم الله الزكاة على بني هاشم لأنّها من أوساخ أيدي الناس فرض لهم الخمس في الغنائم الّتي لم يفرض فيها الزكاة إكراماً لهم وتعظيماً فههنا ثلاثة مطالب :

المطلب الاول زكاة المال و إنّما تجب على مالكه البالغ العاقل الحرّ المتمكّن من التصرّف في الذهب والفضّة المسكوكين ، والإبل والبقر و الغنم السائمة الغير العاملة والحنطة والشعير والتمر والزبيب المملوكة بالزراعة أو المنتقلة إليه قبل انعقاد الحبّ و بدء الصّلاح بشرط بلوغ كلّ من التسعة النصاب المعتبر فيه ، و حؤول الحول على النصاب في الخمسة الأوّل كلّ ذلك بإجماعنا والنصوص المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام ، و القول باشتراط الأنوثة في الأنعام شاذّ ، و اشتراط وضع المؤن كلّها في الغلاّت كما هو المشهور لا دليل عليه يعتدّ به بل يدفعه ظاهر الأخبار حيث استثنى

فيها حصّة مقاسمة السلطان خاصّة .

و نقل في الخلاف على خلافه الإجماع إلّا من عطاء ، و يشهد له أيضاً وجوب العشر فيما المؤونة فيه أقلّ و نصفه فيما هي فيه أكثر ، ولاتجب الزكاة في غير ما ذكر ولابدون القيود والشروط المذكورة على الأصحّ المشهور بين أصحابنا لحصر الوجوب في الأجناس التسعة في الصحاح المستفيضة و لنفيه صريحاً فيما ظنّ فيه ممّا سوى ذلك في الأخبار المعتبرة .

و قيل بوجوبها في غلّات الصبيّ و المجنون و مواشيهما لظاهر بعض الأخبار(١) و هو مأوّل ، و أوجب في الخلاف ما يخرج يوم الحصاد والجداد من الضغث بعد الضّغث و الحفنة بعد الحفنة لقوله تعالى : « وآتوا حقّه يوم حصاده »(٢) و حمل على الاستحباب لما ورد عن أبي جعفر عليه السلام « أنّ هذا من الصدقة »(٣).

وفي رواية « ليس ذلك الزكاة ألا ترى أنّه تعالى قال : « ولا تسرفوا إنّه لا يحبّ المسرفين » قال السيّد المرتضى ـ رحمه الله ـ : وهذه نكتة منه عليه السلام مليحة لأنّ النهي عن السرف لا يكون إلّا فيما ليس بمقدّر والزكاة مقدّر(٤).

وفي رواية أخرى « في الزرع حقّان حقّ تؤخذ به وحقّ تعطيه ، أمّا الّذي تؤخذ به فالعشر و نصف العشر ، وأمّا الّذي تعطيه فقول الله عزّ وجلّ : « وآتوا حقّه يوم حصاده » يعني مَن حضرك الشيء بعد الشيء ولاأعلمه إلّا قال : الضغث ثمّ الضغث حتّى تفرغ »(٥).

وفي الفقيه قال الصّادق عليه السلام : « لا تحصد باللّيل ، و لا تصرم باللّيل ، و لا تجدّ باللّيل ، ولا تضحّ باللّيل ، ولا تبذر باللّيل لأنّك تعطي في البذر كما تعطي في الحصاد ، و متى فعلت ذلك باللّيل لم يحضرك المساكين والسؤّال ولاالقانع ولاالمعتر »(٦).

(١) كما في الكافي ج ٣ ص ٥٤٢ .
(٢) الانعام : ١٤١ .
(٣) راجع الكافي ج ٣ ص ٥٦٥ باب الحصاد والجداد والجداد : صرام النخل اي قطع ثمرتها .
(٤) الانتصار ص٤٣ .
(٥) الكافي ج ٣ ص ٥٦٤ .
(٦) المصدر ص ١٥٩ تحت رقم ٣ ، والكافي ج ٣ ص ٥٦٥ تحت رقم ٣ .

و يستحبّ الزكاة على المشهور في العلس والسلت و في كلّ ما أنبت الأرض ممّا يكال أو يوزن عدا الخضر من بقل و قثّاء و بطّيخ ونحوها بشرط بلوغه النصاب وفي مال التجارة بشرط قيام رأس المال طول الحول و بلوغ قيمته نصاب أحد النقدين و إن كان للصبيّ أوالمجنون إذا اتّجر لهما الولي وفيما فرّ به من الزكاة و ما شكّ في بلوغه النصاب و ما غاب سنتين فصاعداً بحيث لا يتمكّن من التصرّف فيه فيزكّى لسنة ، وفي اُناث الخيل السائمة بشرط الحول و في مال التجارة إذا كان على النقيصة أحوال فيزكّي لسنة وفي نماء العقار المتّخذ له كالخان والحمام و شبههما وفي الحليّ المحرّم كالخلخال للرّجال والمنطقة للمرأة وكالأواني المتّخذة من الذّهب والفضّة ، كلّ ذلك منصوص عن أهل البيت عليهم السلام سوى الأخيرين فلم أجد فيهما نصّاً وفيماسوى الأربعة الأجناس من الحبوب قول بالوجوب شاذّ ، و كذا في مال التجارة ، والمستفاد من بعض الأخبار أنّهم عليهم السلام إنّما أفتوا فيهما بالزكاة تقيّة و على هذا فالاستحباب أيضاً غير ثابت ، وزكاة القرض على المقترض إلّا إذا أدّاه المقرض ، والدّين لايمنع الزكاة سواءكان له وفاء من غيره أولا ، استوعبه النصاب أولا ، ولا يضمّ مال غيره إلى ماله وإن اختلطا جدّاً ولايفرّق بين ماليه وإن تباعدا جدّاً أو أدرك بعض الغلّات قبل بعض ولا بين جنس واحد وإن اختلفت أفراده في النفاسة والرّداءة جدّاً أو في الصنف كالمعز والضأن والبقر والجاموس والعرابيّ والبخاتي ولا يجبر قصور جنس بآخر وإن اشتركا في كونهما ثمناً أوقوتاً أونحوذلك كلّ ذلك لا جماعنا وصحاحنا المستفيضة والخبر المخالف للأخير شاذّ ، والمرجع في السوم والعامليّة إلى العرف ، وقيل بل يعتبر في السوم الأغلبيّة ، وقيل الاستمرار طول الحول فلوعلفها ولو يوماً استأنف الحول .

و حدّ الحول دخول الشهر الثاني عشر بالنصّ والإجماع .

﴿فصل﴾

و أمّا النصاب والقدر فلا شيء فيما دون عشرين ديناراً و فيه نصف دينار ، ثمّ في كلّ أربعة عشر دينار ، ولا فيمادون مائتي درهم وفيه خمسة ، ثمّ في كلّ أربعين درهم ، والضابط فيهما ربع العشر وفي الذّهب قول بالأربعين والدّينار أوّلاً شاذّ ، والدّينار مثقال

وهو قدر درهم وثلاثة أسباع درهم والدّرهم ستّة دوانيق والدانق قدر سبع حبّات من أوسط الشعير ولا شيء في المغشوشة ما لم يعلم أنّ الصافي منها نصاب والأحوط استعلامه بالسبك أو نحوه ، وفي حكم النقدين مال التجارة قدراً و نصاباً و كذا نماء العقار ، ولا شيء فيما دون خمس من الإبل و فيها شاة ، ثمّ كلّما زادت خمس زادت شاة إلى ستّ و عشرين فبنت مخاض و هي ما دخلت في الثانية إلى ستّ و ثلاثين فبنت لبون و هي ما دخلت في الثالثة إلى ستّ و أربعين فحقّة و هي ما دخلت في الرابعة إلى إحدى و ستّين فجذعة ـ بفتح الجيم ـ وهي ما دخلت في الخامسة إلى ستّ وسبعين فبنتا لبون إلى إحدى وتسعين فحقّتان إلى مائة وإحدى وعشرين ففي كلّ خمسين حقّة وفي كلّ أربعين بنت لبون كذا في النصّوص المستفيضة وعليه علماؤنا كافّة سوى ابن أبي عقيل وابن الجنيد فإنهما أسقطا النصاب السادس و أوجبا بنت المخاض في خمس و عشرين إلى ستّ و ثلاثين موافقاً للجمهور وهو شاذّ ، ولا شيء فيما دون الثلاثين من البقرة و فيها تبيع حوليّ أو تبيعة و في كلّ أربعين مسنّة بالنصّ والإجماع ـ والتبيع في اللّغة ما يكون في السنة الأولى من ولد البقر و حوليّته ـ أي إكمال حوله ـ مستفاد من النصّ . والمسنّة شرعاً ما دخلت في الثالثة بلا خلاف ولم نقف في اللّغة على مدلولها ـ ، ولا شيء فيما دون أربعين من الغنم و فيها شاة إلى مائة وإحدى و عشرين فشاتان إلى مائتين و واحدة فثلاث بلا خلاف إلى ثلاثمائة و واحدة ففي كلّ مائة شاة وقيل فأربع إلى أربعمائة فصاعداً ففي كلّ مائة شاة ، وخبر الأوّل أصحّ سنداً و أوضح متناً إلّا أنّ الثاني أشهر وعليه الأكثر و لعلّه لموافقة الأوّل للعامّة .

وفي هذا المقام سؤال و جواب مشهوران(١) وفي عدّ السمينة المعدّة للأكل وفحل

---

(١) في هامش بعض النسخ « ملخص السؤال أنه اذا وجب في أربعمائة ما وجب في ثلاثمائة و واحدة فأي مدخل للزائد ؟ والجواب أنه اذا تلف من الاربعمائة واحدة بعد الحول بلا تفريط نقص من الواجب جزء من مائة جزء من شاة ولو كانت ناقصة عن الاربعمائة ولو واحدة وتلف شيء لم يسقط من الفريضة شيء مادامت ثلاثمائة و واحدة وربما يناقش في عدم سقوط شيء من الفريضة في صورة النقص عن الاربعمائة لان مقتضى الاشاعة توزيع التالف الحقين وان كان الزائد على النصاب عفواً اذ لا منافاة بينهما ـ منه رحمه الله ـ .

الضراب من النصاب خلاف وفي الصحيح ليس في الأكيلة ولا في الرُّبّى الّتي تربّى اثنين ولا شاة لبن ولا فحل الغنم صدقة ولا شيء فيمادون ثلاثمائة صاع من الغلّات و فيهافصاعداً العشر إن سقيت من السّماء أو بجريان الماء أو بقربه منها بانجذاب العروق وإلّا فنصف العشر بإجماع العلماء كافّة والصحاح المستفيضة والضابط عدم توقّف ترقية الماء إلى الأرض على آلة من دولاب ونحوه و توقّفه على ذلك و مع تساوي السقيين ثلاثة أرباع العشر وإلّا فالأغلب ، والصّاع يزيد على المن التبريزي بنصف عشر المن تقريباً ، و في كلّ عتيق من الخيل ديناران ، وفي كلّ برزون دينار بالنصّ والإجماع .

المطلب الثاني زكاة الفطر و إنّما تجب على البالغ العاقل الحرّ الّذي يفي دخله بها و بخرجه الضروري ، وضابطه على المشهور من يملك مؤونة سنته له ولعياله وفي الخلاف من يملك نصاباً أو قيمته ، و قيل : عينه خاصّة ، وقيل : من فضل له صاع عن قوت يومه .

و في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام « أنّه سئل عن رجل يأخذ الزكاة عليه صدقة الفطرة ؟ قال : لا » [٢]. وفي آخر « ليس على من لايجد مايتصدّق به حرج » .

وفي الموثّق عنه عليه السلام قال : « من لم يكن عنده من الفطرة إلّا مايؤدّي عن نفسه وحدها يعطي بعض عياله ثمّ يعطي الآخر عن نفسه يرددونها فيكون عنهم جميعاً فطرة واحدة »[٣] و حمل على الاستحباب .

و يجب إخراجها عن نفسه ، و عن جميع من يعوله و لو تبرّعاً ، صغيراً كان أو كبيراً ، حرّاً أو عبداً ، مسلماً أو كافراً .

و في الصحيح عن عمر بن يزيد قال : « سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الرّجل يكون عنده الضيف من إخوانه فيحضر يوم الفطر فيؤدّي عنه الفطرة ؟ قال : نعم الفطرة واجبة

---

(١) الربى -كحبلى- : الشاة اذا ولدت واذا ماتولدهاأيضاً وقال أبوزيد : الربى من المعز وقال غيره من المعز والضأن جميعاً وربما جاءفي الابل أيضاً . كمافي الصحاح وغيره .

(٢) التهذيب ج١ ص ٣٦٩ ، والاستبصار ج٢ص ٤٠ ، والخبر الاخر في التهذيب ج١ ص ٣٧٠ ، والاستبصار ج ٢ ص٤٢ رقم ١٣ .

(٣) الكافي ج ٤ ص١٧٢ ، والتهذيب ج١ ص٣٦٩ ، والفقيه ص ١٩٨ تحت رقم٦ .

على كلّ من يعول من ذكر أو أنثى صغير أو كبير حرّ أو مملوك» (١) وفي رواية أخرى «كلّ من ضممت إلى عيالك من حرّ أومملوك فعليك أن تؤدّي الفطرة عنه» (٢).

و من استكمل له شرائط الوجوب ببلوغ أو زوال جنون أو غنى أو حصول ولدله أو مملوك ، فإن كان قبل الهلال بأن يكون قبل غروب الشمس ليلة الفطر ولو بلحظة وجبت عليه و إلّا فإن كان قبل مضيّ صلاة العيد أي الزّوال استحبّت و إلّا سقطت.

و كلّ من وجبت فطرته على غيره سقطت عن نفسه وإن كان لو انفرد وجبت عليه كالضيف الغني والزّوجة لقول النبيّ ﷺ : لاثنيني في صدقة» (٣) و في الضيف قول آخر.

و كلّ من اقتات قوتاً فعليه أن يؤدّي فطرته من ذلك القوت كما يستفاد من الرّوايات (٤) و قيل بانحصارها في الغلّات الأربع الزكويّة ، و أضاف إليها الآخرون الأرز والأقت واللّبن وتجزيء القيمة بلاخلاف ، وقدرها صاع بالإجماع والصحاح المستفيضة.

المطلب الثالث الخمس و إنّما يجب في الغنائم و هي الفوائد فمنها ما غنم في الحربيّين (٥) ، قلّ أو كثر واشتراط المفيد بلوغه عشرين ديناراً شاذّ ، وفي حكمه مال البغاة عند الأكثر وفي ما يسرق أو يؤخذ غيلة (٦) قولان وقيل : إذا غزا قوم بغير إذن الإمام عليه السلام فغنيمتهم كلّها له للخبر (٧) و فيه ضعف و له معارض أقوى.

ومنها المعادن كلّها حتّى الملح والكبريت وفي مثل المغرة (٨) وطين الغسل وحجارة الرّحى والجصّ والنورة إشكال لانتفاء النصّ الخاص والشكّ في إطلاق اسم المعدن عليها و يشترط فيها بلوغه عشرين ديناراً على الأصحّ للخبر الصّحيح (٩).

---

(١) الفقيه ص ١٩٨ ، والكافي ج٤ ص ١٧٣ تحت رقم ١٦ .
(٢) الكافي ج٤ ص ١٧٠ تحت رقم ١ ، والتهذيب ج١ ص ٣٦٩ .
(٣) راجع مختلف الشيعة ج٢ص٢٥و٢٦ الاختلاف في المسألة والخبر منقول هناك .
(٤) راجع الفقيه ص ١٩٨ تحت رقم ٤ ، والتهذيب ج١ص ٣٧٠ ، والاستبصار ج٢ ص ٤٢ ، والكافي ج ٤ ص ١٧٣ .
(٥) كذا ولعل الصواب «من» مكان «في» .
(٦) الغيلة : الخديعة و يقال : قتله غيلة أي خدعه فذهب به الى موضع فقتله .
(٧) الكافي ج ٥ ص ٤٣ والتهذيب ج١ ص٣٨٨.
(٨) بالفتح والسكون وفتح الراء : الطين الاحمر.
(٩) التهذيب ج ١ ص ٣٨٩ ، وله معارض رواه في ص ٣٨٤ و ٣٨١ أيضاً .

ومنها الكنوز بشرط أن لايكون للأرض مالك يعرفه فإنّه حينئذ لقطة والحق به أكثر المتأخّرين كلّ ما وجد في دارالإسلام وعليه أثره و هو ضعيف . و يشترط فيه بلوغه نصاب الزكاة للخبر الصحيح(١).

ومنها ما يخرج بالغوص كاللّؤلؤ والمرجان والعنبر وفي اعتبار النصّاب فيه ثمّ في كونه ديناراً أو عشرين إشكال ، والدينار مرويٌّ في الفقيه مرسلاً(٢).

ومنها أرباح التجارات والصناعات والزّراعات على المشهور لعموم «ما غنمتم» و للنصوص المستفيضة بل المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام و في بعضها « حتّى الخياط يخيط قميصاً بخمسة دوانيق فلنا منه دانق إلّا من أحللناه من شيعتنا لتطيب لهم به الولادة »(٣) وأضاف إليها بعضهم الميراث والهبة والهديّة والعسل الجبلي والمنّ والصمغ وشبهه ، وحمله آخرون على الاستحباب وظاهر بعض قدمائنا العفو عن هذا النوع مطلقاً كما يظهر من الصحاح المستفيضة الّتي لا معارض لها كصحيح الحارث بن المغيرة النصري عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قلت له : إنّ لنا أموالاً من غلاّت و تجارات ونحو ذلك ، وقد علمت أنّ لك فيها حقّاً قال : فلم أحللناه إذاً لشيعتنا إلّا لتطيب ولادتهم و كلّ من والى أبائي فهم في حلّ ممّا في أيديهم من حقّنا فليبلّغ الشاهد الغائب »(٤).

وفي الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال : «قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : « هلك الناس في بطونهم و فروجهم لأنّهم لايؤدّون إلينا حقّنا ألا وإنّ شيعتنا من ذلك و أبناءهم في حلّ »(٥) .

وفي بعض الصحاح «يحلّ لهم ذلك إلى أن يقوم قائمنا»(٦) والأخبار كثيرة في هذا المعنى .

وقال ابن الجنيد : لايصحّ التحليل إلّا لصاحب الحقّ في زمانه إذ لايسوغ تحليل مايملكه غيره وأجابه الشيخ المحقّق نجم الدّين الحلّي بأنّ الإمام لايحلّ إلّا مايعلم أنّ

(١) رواه المفيد في المقنعة ص ٤٦ .

(٢) ص ١٥٨ باب الخمس الخبر الاول .

(٣) راجع التهذيب ج١ ص ٣٨٤ .

(٤) التهذيب ج ١ ص ٣٩١ .

(٥) التهذيب ج١ص٣٩١ في خبر طويل .

(٦) التهذيب ج١ ص ٣٩١ .

له الولاية في تحليله ، نعم يتوجّه اختصاص العفو بحقّهم دون حقوق الأصناف الباقية إلّا أن نقول باختصاص هذا النوع من الخمس كلّه بالإمام عليه السلام كما يأتي الكلام فيه .

﴿ فصل ﴾

و إنّما يجب الخمس بعد المؤونة الّتي يفتقر إليها إخراج الكنز والمعدن بلاخلاف لأنّها وصلة إلى تحصيله فكانت من الجميع كالشريكين و في اعتبار النصاب بعدها أوقبلها وجهان ، وفي الأرباح بعد مؤونة سنة له ولواجبي نفقته ومندوبيها ، والنّذور والكفّارات و مأخوذ الظالم غصباً أومصانعة ، والهديّة والصلة اللائقتين بحاله ، ومؤونة الحجّ الواجب عام الاكتساب ، وضروريات أسفار الطاعات ، والترويج ونحوه كذا قاله أصحابنا .

وفي النصوص « أنّ الخمس بعد المؤونة(١) » وفيه إجمال ولوكان له مال آخر لاخمس فيه ففي احتساب المؤونة منه أومن الكسب أومنهما بالنسبة أوجه ، ولامدخل للحول في شيء من الأنواع بلاخلاف ، نعم يحتاط في الأرباح بالتأخير إلى كماله لاحتمال تجدّد مؤونة .

﴿الباب الثاني﴾

في الأداء وشروطه وآدابه الباطنة والظاهرة

(بيان الشروط و الاداب الظاهرة)

أقول : وهي ستّة الأوّل النيّة ـ وهي واجبة فيه بإجماع العلماء إلّا الأوزاعي ـ مقارنة للدّفع أومتأخّرة عنه ، أمّا التقدّم فلا ولا بدّ فيها من التعيين والقربة وإن كان له مال غائب فقال : هذا عن مالي الغائبّ إن كان سالماً و إلّا فهو نافلة جاز لأنّه إن لم يصرّح به فكذلك يكون عند إطلاقه ولا يفتقر إلى تعيين الجنس الّذي يخرج منه بلاخلاف .

(١) الفقيه ص ١٥٨ .

قال في المعتبر : والنيّة اعتقاد بالقلب ، فإذا اعتقد عند دفعها أنّها زكاة تقرّباً إلى الله كفى ذلك ، وتجزىء نيّة الوكيل والولي عنه و في نيّته عند دفعه إلى الوكيل قولان أصحّهما الإجزاء ونيّة السلطان تقوم مقام نيّة المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدّنيا أعني في قطع المطالبة عنه أمّا في الآخرة فلا بل تبقي ذمّته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة .

الثاني البدار به عقيب الحول و هو مستحبّ على الأصحّ وقيل بوجوبه مع وجود المستحقّ ويدفعه ظاهر الأخبار المفيدة لجواز التأخير سيّما إذا قصد به البسط أو دفعها إلى الأفضل ، نعم يضمن بالتأخير مع وجود المستحقّ لابدونه ، و ينبغي عزلها فوراً وجد المستحقّ أولم يجد ، ولا ضمان حينئذ إلّا بالتفريط و لا يجوز تقديمها إلّا على سبيل القرض والاحتساب بعد الوقت مع بقاء الوجوب والاستحقاق ، وقيل : بل يجوز تقديمها شهرين ، وفي الفطر تمام شهررمضان والأوّل أصحّ لما روي في الحسن عن الصادق عليه السلام «أنّه سئل أيزكّي الرّجل ماله إذامضى ثلث السنة ؟ قال : لاأيصلّي الأولى قبل الزّوال[1]» و في جواز تأخيرها في الفطرعن الصلاة قولان والأكثر على العدم وقيل يجوزتأخيره إلى الزوّال ويدخل وقت وجوبها فيه بغروب ليلة العيد وقيل : بل بطلوع فجره والأوّل أصحّ.

ووقت الوجوب في الغلّتين انعقادالحبّ ، وفي الثمرتين صيرورتهما حصرماً[2] وبسراً وقيل : عنباً وتمراً وقيل : زبيباً وتمراً ، أمّا الإخراج ففي الغلّتين التصفية ، و في الثمرتين الزبيبيّة والتمريّة بلاخلاف .

و يجوز الدفع على رؤوس الأشجار و الخرص على أصحاب النخيل و الكروم وتضمينهم حصّة الفقراء لفعل النبي صلى الله عليه وآله ذلك ، ولاحتياج أربابها إلى الأكل والتصرف .

الثالث أن لايدفع القيمة في الأنعام بدلاً عن الفرض إلّامع عدم الفرض وهوواجب عند المفيد خلافاً لآخرين فيجوّزون القيمة ، وإن وجد الفرض وله الخيار في دفع ما شاء مع تعدّد ماهو بصفة الواجب وليس له أن يدفع المريضة ولاالهرمة ولا ذات عوار بلاخلاف وإن انحصر السنّ الواجب فيها إلّا أن يشاء المصدّق إلّا أن يكون كلّه كذلك فلم يكلّف

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٢٤ تحت رقم ٩ . (٢) الحصرم ـ بالكسر ـ اول العنب مادام أخضر.

شراء الصحيح .

ويجزىء ابن لبون عن بنت مخاض مع فقدها بلاخلاف ، فمع فقدهما تخيّر في ابتياع أيّهما شاء وإن كان شراء بنت المخاض مع الإمكان أولى ، ومن ليس عنده ما وجب عليه دفع الأخفض بسنة مع شاتين أو عشرين درهماً أوأعلى بسنة وأخذ ذلك بالنصّ والإجماع ولايجزىء هذا فيما عدا الإبل والواجب في الشاة المسمّى ، و قيل : بل يجب جذع من الضأن أوثنيّ من المعز وهوأحوط .

والجذع في اللّغة ما بلغ ستّة أشهروالثني فيها ما دخل في الثالثة ومن فسرّه من متأخّرينا بمادخل في الثانية فلعلّ مستنده العرف ودفع القيمة في النقدين والغلّات مجزىء عندنا بالنصّ والإجماع و كذا في الفطروالأفضل فيه دفع التمرلأنّه أقرب إلى الأكل و في الصحيح «لأن أُعطي صاعاً من تمرأحبّ إليّ من أن أُعطي صاعاً من ذهب[(١)]» والأصحّ تعلّق الماليّة بالعين و إن جاز العدول إلى القيمة تسهيلاً للمالك .

الرابع أن لاينقلها إلى بلدآخرسيّما في الفطر ، فإنّ أعين المساكين في كلّ بلد تمتدّ إلى أموالها وفي النقل تخييب للظنون و هذا ليس بواجب على الأصحّ لورود جواز النقل في الصحاح [(٢)] وإن وجد المستحقّ في البلد خلافاً للخلاف و جماعة مع وجود المستحقّ لأنّ فيه نوع خطروتغريربها وتعريض لإتلافها واُجيب بأنّه مندفع بالضمان فإنّه يضمن بنقلها حينئذ بلاخلاف أمّا الاجزاء فإجماعي ومع فقدان المستحقّ لاضمان ولا إثم إلّا مع التفريط قولاً واحداً .

الخامس أن لايعطى الفقيرأقلّ ممّا يجب في النصاب الاوّل وأوجبه الأكثرون لما ورد في الصحيح «لايعطى أحدٌ من الزكاة أقلّ من خمسة دراهم و هو أقلّ ما فرض الله عزّوجلّ من الزكاة في أموال المسلمين ، فلاتعطوا أحداً أقلّ من خمسة دراهم فصاعداً[(٣)]»

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٧٢ ، والمقنعة ص ٤٠ .

(٢) راجع الكافي ج٣ ص ٥٥١ ، والفقيه ص١٥٦ ، والتهذيب ج١ص٣٦١و٣٦٢.

(٣) الكافي ج٣ ص ٥٤٨ ، والمقنعة ص٤٠ ، والمحاسن ص ١٩ ، والتهذيب ج١ ص ٣٦٦ .

وفي معناه رواية أُخرى وفي رواية في الفطر «لاتعط أحداً أقلّ من رأس»[١] واستحبّه الآخرون إلّا أن يجتمع جماعة لايتسّع لهم فالبسط أولى تعميماً للنفع ودفعاً لأذيّة المؤمن وفي بعض الصحاح جواز إعطاء الدّرهم والثلاثة ولا حدّ للأكثر إجماعاً و في الصحيح «أعطه من الزكاة حتّى تغنيه[٢]» وفي الموثّق «إذا أعطيته فأغنه[٣]» ولايجب بسطها على الأصناف الثمانية عندنا، بل لوخصّ بها شخصاً واحداً من بعضها جاز بإجماعنا والصحاح المستفيضة ولا ينافيه الآية الشريفة[٤] إذ اللّام فيها للاختصاص لا الملك و التشريك، وفي الخمس قولان أحوطهما البسط لعقد النصّ فيه وأوجب المفيد المفاوتة بين الفقراء بحسب فقههم ودياناتهم وفي الأخبار مايؤيّده وفي الصحيح «يفضّل الّذي لايسأل على الّذي يسأل[٥]».

السادس أن يحملها إلى الإمام أو نائبه الخاصّ ومع الغيبة الفقيه المأمون لأنّهم أبصر بمواقعها[٦]، و أوجب المفيد وجماعة ذلك في الماليّة وآخرون على استحبابه مطلقاً.

✡(بيان دقايق الاداب الباطنة فى الزكاة)✡

اعلم أنّ على من يريد طريق الآخرة بزكاته وظائف: الأُولى فهم وجوب الزكاة ومعناها، ووجه الامتحان فيها، وأنّها لِم جعلت من مباني الإسلام مع أنّها تصرّف ماليّ وليست من عبادات الأبدان وفيه ثلاثة معان:

---

(١) التهذيب ج١ ص٣٧٣ وقال المحقق في المعتبر ص٢٩١: الرواية مرسلة فلاتقوى أن تكون حجة والاولى أن يحمل ذلك على الاستحباب تفصياً من خلاف الاصحاب ويدل على جواز الشركة ما رواه اسحاق بن المبارك [التهذيب ج١ص ٣٧٣] قال: سألت أبا ابراهيم عليه السلام عن صدقة الفطر قلت: «أجعلها فضة واعطيها رجلا واحد واثنين؟ قال: تفرقها أحب الى» فأطلق استحباب التفرقة من غير تفصيل.

(٢) الكافى ج ٣ ص ٥٤٨ تحت رقم ٤ باختلاف يسير فى اللفظ.

(٣) الكافى ج ٣ ص ٥٤٨ تحت رقم ٣ و ٤.

(٤) «انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم و فى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم» التوبة: ٦٠.

(٥) الكافى ج ٣ ص ٥٥٠ تحت رقم ٢، والفقيه ص ١٥٧ تحت رقم ٥٦.

(٦) يعنى أبصر بمواقعها التى عينها الشارع.

الأوّل أنّ التلفّظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود، وشرط تمام الوفاء بذلك أن لا يبقى للموحّد محبوبٌ سوى الواحد الفرد، فإنّ المحبّة لا تقبل الشركة، و التوحيد باللّسان قليل الجدوى، و إنّما يمتحن درجة الحبّ بمفارقة المحبوبات، والأموال محبوبة عند الخلق لأنّها آلة تمتّعهم بالدّنيا، وبسببها يأنسون بهذا العالم، وينفرون عن الموت مع أنّ فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الّذي هو مرموقهم[1] ومعشوقهم، ولذلك قال الله تعالى: «إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّة[2]» وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله، والمساحة بالمال أهون.

ولمّا فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس ثلاثة أقسام: فقسم صدقوا التوحيد و وفوا بعهده، و نزلوا عن جميع أموالهم، فلم يدّخروا ديناراً ولا درهماً و أبوا أن يتعرّضوا لوجوب الزكاة عليهم حتّى قيل لبعضهم: كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال له: أمّا على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأمّا نحن فيجب علينا بذل الجميع.

أقول: وأحسن منه ما قاله مولانا الصادق عليه السلام «حين سأله رجل في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال له: الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد؟ فقال: اُريدهما جميعاً، قال: أمّا الظاهرة ففي كلّ ألف خمسة وعشرون وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك»[3] وفي الكافي[4] عن عبدالملك بن عمرو الأحول قال: «تلا أبو عبدالله عليه السلام هذه الآية «الّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً[5]» قال: فأخذ قبضة من حصى وقبضها بيده فقال: هذا الإقتار الّذي ذكره الله في كتابه، ثمّ أخذ قبضة اُخرى فأرخى كفّه، ثمّ قال: هذا الإسراف، ثمّ أخذ قبضة اُخرى فأرخى بعضها وأمسك

---

(١) رمق الشيء اذا أطال النظر اليه.

(٢) التوبة: ١١١. والمهجة: الدم أو دم القلب. والروح.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٥٠٠.

(٤) المصدر ج ٤ ص ٥٤ تحت رقم ١.

(٥) الفرقان: ٦٧. والاقتتار: التضييق، والقوام حالة الوسطى.

بعضها وقال : هذا القوام » .

قال أبو حامد :

«القسم الثاني درجتهم دون هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادّخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعّم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البرّ مهما ظهر وجوهه وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة ، وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أنّ في المال حقوقاً سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد أن قيل له : هل في المال حقّ سوى الزكاة ؟ قال : نعم أما سمعت قوله تعالى : « وآتى المال على حبّه ذوي القربى ـ الآية ـ[1] » ـ و استدلّوا بقوله تعالى : « أنفقوا ممّا رزقناكم [2] » وزعموا أنّ ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حقّ المسلم على المسلم ، ومعناه أنّه يجب على الموسر مهما وجد محتاجاً أن يزيل حاجته فضلاً عن مال الزكاة والّذي يصحّ في الفقه من هذا أنّه مهما ارهقت حاجة كان إزالتها فرض كفاية إذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال : ليس على الموسر إلّا تسليم ما يزيل الحاجة قرضاً فلا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ، و يحتمل أن يقال : يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الإقراض أي لا يجوز تكليف الفقير قبول القرض و هذا مختلف فيه والإقراض نزول إلى الدّرجة الأخيرة من درجات العوام ، وهي درجة .

القسم الثالث الّذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهو أقلّ المراتب وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم وبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبّهم للآخرة قال الله تعالى : «إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا »[3] يحفكم أي يستقص عليكم فكم بين عبد اشتري منه ماله ونفسه بأنّ له الجنّة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا أحد معاني أمر الله تعالى عباده ببذل الأموال » .

---

(١) البقرة : ١٧٧.

(٢) البقرة : ٢٥٤ .

(٣) سورة محمد : ٣٧ « فيحفكم » أي يجهدكم و يطلب منكم جميع أموالكم أو يستقص كما في المتن .

أقول : وعن مولانا الصادق عليه السلام باسناد حسن « أنّ الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنّما هو شيء ظاهر، إنّما حقن بها دمه وسمّي مسلماً ، ولو لم يؤدّها لم تقبل له صلاة ، وإنّ عليكم في أموالكم غير الزّكاة ، فقلت : أصلحك الله وما علينا في أموالنا غير الزكاة ؟ فقال : سبحان الله أما تسمع الله تعالى يقول في كتابه : « والّذين في أموالهم حقّ معلوم * للسائل والمحروم » ؟[١] قال : قلت : فماذا الحقّ المعلوم الّذي علينا ؟ قال : هو و الله الشيء يعمله الرّجل في ماله يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو الشهر قلّ أو كثر غير أنّه يدوم عليه وقوله تعالى : « ويمنعون الماعون» [٢] قال : هو القرض تقرضه و المعروف تصنعه و متاع البيت تعير ، ومنه الزكاة ، فقلت : إنّ لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعنا كسروه وأفسدوه فعلينا جناح أن نمنعهم ؟ فقال : لا ليس عليكم جناح أن تمنعوهم إذا كانوا كذلك ، قال : قلت له : «يطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» [٣] قال : ليس من الزكاة ، قلت : قوله تعالى : « ينفقون أموالهم باللّيل والنهار سرّاً وعلانية» [٤] قال : ليس من الزكاة ، قلت له : قوله : « إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » [٥] قال : ليس من الزكاة ، وصلتك قرابتك ليس من الزكاة »[٦].

و في الفقيه [٧] عنه عليه السلام قال : « إنّما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجّهوها حيث وجّهها الله عزّ وجلّ ، ولم يعطكموها لتكنزوها ».

قال أبوحامد :

«المعنى الثاني التطهير عن صفة البخل فإنّه من المهلكات قال صلى الله عليه وآله : « ثلاث مهلكات شحّ مطاع وهوى متّبع وإعجاب المرء بنفسه »[٨] وقال الله تعالى : « ومن يوق شحّ نفسه

(١) المعارج :٢٤و٢٥ . (٢) الماعون : ٧ .
(٣) الدهر : ٨ . (٤) البقرة :٢٧٤ .
(٥) البقرة : ٢٧١ . (٦) الكافي ج ٣ ص ٤٩٩ .
(٧) المصدر ص ١٦٢ تحت رقم ١٤ .
(٨) أخرجه أبو الشيخ فى التوبيخ والطبرانى فى الاوسط عن أنس كما فى الجامع الصغير ، و رواه الصدوق فى الخصال ج١ ص ٤٢ .

فأولئك هم المفلحون» [1] .

و سيأتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكاً و كيفيّة التفصّي عنه [2] و إنّما تزول صفة البخل بأن يتعوّد بذل المال فحبّ الشيء لا ينقطع إلّا بقهر النفس على مفارقته حتّى يصير ذلك اعتياداً ، فالزكاة بهذا المعنى طهرة أي تطهّر صاحبها عن خبث البخل المهلك و إنّما طهارته بقدر بذله و بقدر فرحه بإخراجه و استبشاره بصرفه إلى الله تعالى .

المعنى الثالث شكر النعمة فإنّ لله على عبده نعمةً في نفسه و في ماله فالعبادات البدنيّة شكر لنعمة البدن و الماليّة شكر لنعمة المال ، و ما أخسّ من ينظر إلى الفقير و قد ضيق الرزق عليه و أحوج إليه ثمّ لا تسمح نفسه بأن يؤدّي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال و إحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله .

الوظيفة الثانية في وقت الأداء . من آداب وقت الأداء عند ذوي الدين التعجيل على وقت الوجوب إظهاراً للرغبة في الامتثال ، و إيصالاً للسرور إلى قلوب الفقراء ، و مبادرة لعوائق الزمان أن تعوّقه عن الخيرات ، و علماً بأنّ في التأخير آفات مع ما يتعرّض العبد له من العصيان لو أخّر عن وقت الوجوب » .

أقول : وليكن التقديم بالعزل أو على سبيل القرض لما قد عرفت من عدم إجزائه بدون ذلك .

قال : « و مهما ظهرت داعية الخير من الباطن ، فينبغي أن يغتنم فإنّ ذلك لمّة الملك و قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرّحمن فما أسرع تقلّبه ، و الشيطان يعد الفقر و يأمر بالفحشاء و المنكر و له لمّة عقيب كلّ لمّة للملك ، فليغتنم الفرصة و ليعيّن لزكاته إن كان يؤدّيها جميعاً شهراً معلوماً ، و ليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سبباً لنماء قربته و تضاعف زكاته ، و ذلك كشهر رمضان فقد كان صلّى الله عليه وآله أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئاً [3] ، ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانّها أُنزل فيه القرآن ، و ذو الحجّة أيضاً من الشهور الكبيرة الفضل ، فإنّه شهر حرام و فيه الحجّ الأكبر و فيه الأيّام المعلومات و هي العشر الأوّل ، و الأيّام المعدودات و هي أيّام

---

(١) الحشر : ٩ . (٢) أى التخلص منه . (٣) البخارى ج٤ص ٢٢٩ .

التشريق ، وأفضل أيّام رمضان العشر الأواخر ، وأفضل أيّام ذي الحجّة العشر الأول .

الوظيفة الثالثة الإسرار فإنّ ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال ﷺ : «أفضل الصدقة جهد المقلّ إلى فقير في سرّ» (١).

وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البرّ منها إخفاء الصدقة وقد روي أيضاً مسنداً (٢) .

و قال ﷺ : «إنّ العبد ليعمل عملاً في السرّ فيكتبه الله سرّاً فإن أظهره نقل من السرّ وكتب في العلانية فإن تحدّث به نقل من السرّ والعلانية و كتب رياء» (٣) .

و في الحديث المشهور «سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه أحدهم رجل تصدّق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطته يمينه» (٤) .

و في الخبر «صدقة السرّ تطفىء غضب الربّ تعالى» (٥) و قال تعالى : «و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو خير لكم» (٦) و فائدة الإخفاء الخلاص من آفة الرياء و السمعة ، فقد قال ﷺ : «لا يقبل الله من مسمع ولا مرائي ولا منّان» (٧) والمتحدّث بصدقته يطلب السمعة في ملأ من الناس يبغي الرياء ، و الإخفاء والسكوت هو المخلّص من ذلك ، و قد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتّى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي ، فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى ، و بعضهم يلقيه في طريق الفقير و في موضع جلوسه حيث

---

(١) رواه أحمد في حديث طويل عن أبي ذر والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ج ٥ ص ١١٥ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في كتاب الايجاز و جوامع الكلم عن ابن عباس كما في المغني .

(٣) قال العراقي : أخرج نحوه الخطيب في التاريخ من حديث أنس باسناد ضعيف .

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح ج ٢ ص ١٣١ ، ومسلم ج ٣ ص ٩٣ ، ورواه الصدوق في الخصال ج ٢ ص ٢ .

(٥) الكافي ج ٤ ص ٧ ، والتهذيب ج ١ ص ٣٧٨ .

(٦) البقرة : ٢٧١ .

(٧) لم أعثر عليه في أحد من الاصول وفي بطلان العمل بالرياء جاءت روايات عدة راجع وسائل الشيعة الباب الثاني عشر من أبواب مقدمة العبادات وكذا في مستدرك الوسائل الباب المذكور .

يراه ولايرى المعطي ، وبعضهم كان يصرّه[١] في ثوب الفقير وهو نائم ، و بعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لايعرف المعطي ، وكان يستكتم المتوسّط شأنه و يوصيه بأن لا يفشيه ، كلّ ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الربّ و احترازاً من الرياء و السمعة و مهما لم يمكن إلّا بأن يعرفه شخصٌ واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلّم إلى المسكين و المسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة المسكين الرياء و المنّة جميعاً و ليس [في معرفة] المتوسّط إلّا الرياء ، و مهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأنّ الزكاة إزالة للبخل و تضعيف لحبّ المال وحبّ الجاه أشدّ استيلاء على النفس من حبّ المال ، و كلّ واحد منها مهلك في الآخرة ، ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقرباً لدّاغة ، و صفة الرياء تنقلب في القبر في حكم المثال أفعى من الأفاعي و هو مأمور بتضعيفهما و قتلهما لدفع أذاهما فمهما قصد الرياء و السمعة فكأنّه جعل بعض أطراف العقرب قوتاً للحيّة فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوّة الحيّة و لو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه و قوّة هذه الصفات الّتي بها قوتها العمل بمقتضاها و ضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها و العمل بخلاف مقتضاها ، فأيّ فائدة في أن يخالف دواعي البخل و يجيب دواعي الرياء فيضعف الأدنى ويقوي الأقوى ، وسيأتي أسرار هذه المعاني في ربع المهلكات» .

أقول : وظيفة الإسرار عندنا مختصّة بالصدقة المندوبة دون الزكاة المفروضة ، قال الصادق عليه السلام فيما روي عنه بإسناد حسن : «كلّ ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره ، وكلّ ما كان تطوّعاً فإسراره أفضل من إعلانه ، فلو أنّ رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسناً جميلاً »[٢] و في الموثّق عنه عليه السلام في قوله تعالى : « و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو خير لكم »[٣] قال : هي سوى الزكاة ، إنّ الزكاة علانية غير سرّ»[٤] نعم الإسرار الّذي يجري في الزكاة الواجبة أن يعطى

(١) الصرة : الدارهم و صررت الصرة شددتها .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٥٠١ ، والتهذيب ج ١ ص ٣٧٨ .

(٣) البقرة : ٢٧١ .

(٤) الكافي ج ١ ص ٥٠٢ تحت رقم ١٧ ، والتهذيب ج ١ ص ٣٧٨ .

المستحيي من أخذها لاعلى اسم الزكاة ، ففي الفقيه [١] عن عاصم بن حميد قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : الرجل من أصحابنا من يستحيي أن يأخذ من الزكاة فأعطيه من الزكاة و لا اُسمّي له أنّها من الزكاة ؟ فقال : أعطه و لا تسمّ له ولا تذلّ المؤمن» .

الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أنّ في الإظهار ترغيباً للناس في الإقتداء و يحرس سرّه عن داعية الرياء بالطريق الّذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال تعالى : « إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي» [٢] و ذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إمّا للاقتداء وإمّا لأنّ السائل إنّما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدّق خيفة من الرياء في الإظهار بل ينبغي أن يتصدّق و يحفظ سرّه عن الرياء بقدر الإمكان و هذا لأنّ في الإظهار محذوراً ثالثاً سوى المنّ و الرياء ، و هو هتك ستر الفقير ، فإنّه ربّما يتأذّى بأن يرى في صورة المحتاج ، فمن أظهر السؤال فهو الّذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره و هو كإظهار الفسق على من يتستّر به فإنّه محظور [٣] و التجسّس فيه و الإغتياب بذكره منهيّ عنه ، فأمّا من أظهره فاقامة الحدّ عليه إشاعة و لكن هو السبب فيها و لمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » [٤] و قد قال تعالى : « و أنفقوا ممّا رزقناهم سرّا وعلانية » [٥] ندب إلى العلانية أيضاً لما فيه من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمّل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الّذي فيها فإنّ ذلك يختلف بالأحوال و الأشخاص فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل و من عرف الفوائد و الغوائل و لم ينظر بعين الشهوة اتّضح له الأولى و الأليق بكلّ حال .

الوظيفة الخامسة أن لا يفسد صدقته بالمنّ و الأذى قال تعالى : « لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى» [٦] واختلفوا في حقيقة المنّ والأذى فقيل : المنّ أن يذكرها ، و

---

(١) المصدر ص ١٥٢ .

(٢) البقرة : ٢٧١ . (٣) أى ممنوع شرعاً .

(٤) رواه البيهقى فى شعب الايمان عن أنس بسند ضعيف كما فى الجامع الصغير باب الميم .

(٥) الرعد : ٢٢ .

(٦) البقرة : ٢٦٤ .

الأذى أن يظهرها ، وقيل : المنّ أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيّره بالفقر، وقيل : المنّ أن يتكبّر عليه لأجل عطائه و الأذى أن ينتهره أو يوبّخه بالمسألة ، و قد قال صلى الله عليه وآله : « لا يقبل الله صدقة منّان » (١) و عندي أنّ المنّ له أصل و مغرس هو من أحوال القلب و صفاته ، ثمّ يتفرّع عليه أفعال ظاهرة على اللّسان و الجوارح و أصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعماً عليه و حقّه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حقّ الله تعالى منه الّذي هو طهرته ونجاته من النار و أنّه لو لم يقبله لبقي مرتهناً به ، فحقّه أن يتقلّد منّة من الفقير إذ جعل كفّه نائباً عن الله في قبض حقّه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّ الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل» (٢) فليتحقّق أنّه مسلّم إلى الله ، و الفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته مسلّماً إلى الله عزّ و جلّ ، و لو كان عليه دين لانسان فأحال به صاحب الدين عبده أو خادمه الّذي هو متكفّل برزقه لكان اعتقاد مودّي الدين كون القابض تحت منّته سفهاً وجهلاً فإنّ المحسن إليه هو المتكفّل برزقه ، أمّا هو فإنّما يقضي الدين الّذي لزمه بشراء ما أحبّه ، فهو ساع في حقّ نفسه فلم يمنّ به على غيره ؟ و مهما عرف المعاني الثلاثة الّتي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسناً إلّا إلى نفسه إمّا ببذل ماله إظهاراً لحبّ الله تعالى أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل أو شكراً على نعمة المال طلباً للمزيد ، و كيفما كان فلا معاملة بينه و بين الفقير حتّى يرى نفسه محسناً إليه و مهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسناً إليه تفرّع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المنّ و هو التحدّث به و إظهاره و طلب المكافاة منه بالشكر و الدعاء و الخدمة و التوقير و التعظيم و القيام بالحقوق و التقديم في المجالس و المتابعة في الأمور فهذه كلّها ثمرات المنّة و معنى المنّة في الباطن ما ذكرناه .

و أمّا الأذى فظاهره التوبيخ و التعيير و تخشين الكلام و تقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف ، وباطنه ـ و هو منبعه ـ أمران أحدهما كراهيته لرفع

---

(١) مر الكلام فيه .

(٢) رواه العياشي في تفسيره كما في الوسائل ج٦ ص٣٠٣ الطبعة الحروفية الحديثة . و مثله في عدة الداعي ص ٤٤ ، ورواه البيهقي في شعب الايمان بسند ضعيف كما في المغني .

اليد عن المال و شدّة ذلك على نفسه ، فإنّ ذلك يضيق الخلق لا محالة ، و الثاني رؤيته أنّه خير من الفقير ، و أنّ الفقير بسبب حاجته أخسّ رتبةً منه ، و كلاهما منشاؤه الجهل أمّا كراهية تسليم المال فهو حمق لأنّ من كره بذل درهم في مقابلة ما يسوي ألفاً فهو شديد الحماقة ، ومعلوم أنّه يبذل المال يطلب رضى الله عزّ و جلّ و الثواب في دار الآخرة و ذلك أشرف ممّا بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل و شكراً لطلب المزيد ، و كيفما فرض فالكراهية لا وجه لها . أمّا الثاني فهو أيضاً جهل لأنّه لو عرف فضل الفقير على الغني و عرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرّك به و تمنّى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنّة بعد الفقراء بخمسمائة عام و لذلك قال ﷺ : « هم الأخسرون و ربّ الكعبة ، فقال أبو ذرّ : من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالاً الحديث» (١) ثمّ كيف يستحقر الفقير و قد جعله الله سخرة له (٢) إذ يكتسب المال بجهده و يستكثر منه و يجتهد في حفظه و قد ألزم أن يسلّم إلى الفقير قدر حاجته و يكفّ عنه الفاضل الّذي يضرّه لو سلّم إليه فالغني يستخدم للسعي في رزق الفقير و يتميّز عنه بتقلّد المظالم و التزام المشاقّ و حراسة الفضلات إلى أن يموت فيأكلها أعداؤه فإذن مهما انتفت الكراهية و تبدّلت بالسرور و الفرح بتوفيق الله له في أداء الواجب و تقبيضه للفقير حتّى يخلّصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الأذى و التوبيخ و تقطيب الوجه و تبدّل بالاستبشار و الثناء و قبول المنّة فهذا منشأ المنّ و الأذى».

أقول : وفي الكافي عن الصادق عليه السلام « قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من علم أنّ ما صنع إنّما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم (٣) و لم يستزدهم في

(١) تمام الحديث كما في مشكاة المصابيح ص ١٦٤ هكذا «عن أبي ذر قال : انتهيت الى النبي صلى الله عليه وآله وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال : هم الاخسرون و رب الكعبة ، فقلت : فداك أبي وامي من هم ؟ قال : هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا و هكذا و هكذا وهكذا من بين يديه و من خلفه و عن يمينه وعن شماله و قليل ماهم » وقد مر آنفاً عن مصادر عدة .

(٢) قال الجزري : السخرة : التكليف والحمل على الفعل بغير اجرة .

(٣) يعني لم يتوقع منهم أن يشكروه . « ولم يستزدهم في مودتهم اياه » يعني لم يطلب منهم زيادة مودتهم اياه بما صنع اليهم ـ منه رحمه الله ـ .

مودّتهم إيّاه فلاتلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك و وقيت به عرضك و اعلم أنّ الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فأكرم وجهك عن ردّه »[١].

قال أبو حامد : «فإن قلت : فرؤيته نفسه في درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن به قلبه فيعرف به أنّه لم ير نفسه محسناً ؟ فاعلم أنّ له علامة دقيقة واضحة و هو أن يقدّر أنّ الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا عدوّا له[٢] عليه مثلاً هل كان يزيد استنكاره و استبعاده له على استنكاره قبل التصدّق ، فإن زاد فلم تخل صدقته عن شائبة المنّة لأنّه توقّع بسببه ما لم يكن يتوقّعه قبل ذلك .

فإن قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفكّ قلب أحد عنه فمادواؤه ؟ فاعلم أنّ له دواء باطناً و دواء ظاهراً :

أمّا الباطن فالمعرفة بالحقائق الّتي ذكرناها في فهم الوجوب ، و أنّ الفقير هو المحسن إليه في تطهيره بالقبول ؛ و أمّا الظاهر فالأعمال الّتي يتعاطاها متقلّد المنّة فإنّ الأفعال الّتي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق كما سيأتي أسراره في الشطر الأخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثّل قائماً بين يديه يسأله قبولها حتّى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لوردّه ، و كان بعضهم يبسط كفّه ليأخذ الفقير ويكون يد الفقير هي العليا ، وكان بعضهم إذا أرسل معروفاً إلى فقير قال للرسول : احفظ ما يدعو به ، ثمّ كان يردّ عليه مثل قوله : « و يقول : هذا بذاك حتّى يخلص لي صدقتي ، فكانوا لا يتعوّقون الدعاء لأنّه شبه المكافاة و كانوا يقابلون الدعاء بمثله » .

أقول : و الظاهر من طريقة أهل البيت عليهم السلام خلاف ذلك فقد روي « أنّ زين العابدين عليه السلام كان يقول للخادم : أمسكي قليلاً حتّى يدعو فإنّ دعوة السائل الفقير لا تردّ » وكان عليه السلام يأمر الخادم إذا أعطت السائل أن تأمره أن يدعو بالخير » و عن أحدهما عليهما السلام « إذا أعطيتموهم فلقّنوهم الدعاء فإنّهم يستجاب لهم فيكم و لا يستجاب

---

(١) المصدر ج ٤ ص ٢٨ .

(٢) مالاه على الامر ساعده .

لهم في أنفسهم »[١].

قال أبوحامد: «فهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلّا هذه الأعمال الدالّة على التذلّل و التواضع و قبول المنّة و من حيث الباطن المعارف الّتي ذكرناها، هذا من حيث العمل و ذلك من حيث العلم ولا تعالج القلب إلّا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة و ثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وآله: «ليس للمرء من صلاته إلّا ماعقل منها»[٢] و هذا بقوله صلى الله عليه وآله: «لا يقبل الله صدقة منّان»[٣] و بقوله تعالى: «لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الأذى»[٤] و أمّا فتوى الفقيه بوقوعها موقعها و براءة ذمّته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر و قد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة.

الوظيفة السادسة أن يستصغر العطيّة فإنّه إن استعظمها أعجب بها والعُجب من المهلكات و هو محبط للأعمال، قال الله تعالى: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين»[٥] و يقال: إنّ الطاعة كلّما استصغرت كبرت عند الله و المعصية كلّما استعظمت صغرت عند الله، و قيل: لا يتمّ المعروف إلّا بثلاث: تصغيره وتعجيله و ستره».

أقول: هذا ممّا رواه في الفقيه[٦] عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «رأيت المعروف لا يصلح إلّا بثلاث خصال: تصغيره و ستره و تعجيله، فإنّك إذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه إليه، و إذا سترته تمّمته، و إذا عجّلته هنّأته، و إن كان غير ذلك محقته و نكدته».

قال أبو حامد: «و ليس الاستعظام هو المنّ و الأذى فإنّه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن المنّ والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات، و دواؤه علم و عمل أمّا العلم فهو أن يعلم أنّ العشر أو نصف ـ

(١) عدة الداعي ص ٤٤.
(٢) و (٣) مرسابقاً.
(٤) البقرة: ٢٦٤.
(٥) التوبة: ٢٥.
(٦) ص ١٦٢ تحت رقم ١٢.

العشر قليل من كثير و أنّه قد قنع لنفسه بأخسّ درجات البذل كما ذكرنا في فهم الوجوب ، فهو جدير بأن يستحيي منه فكيف يستعظمه و إن ارتقى إلي الدرجة العليا فبذل كلّ ماله أو أكثره فليتأمّل أنّه من أين له المال و إلى ما ذا يصرفه ، فالمال لله وله المنّة عليه إذ أعطاه ، ثمّ وفّقه لبذله فلم يستعظم في حقّ الله ما هو عين حقّ الله سبحانه و إن كان مقامه يقتضي أن ينظر إلى الآخرة و أنّه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه ؛ و أمّا العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساكه بقيّة ماله عن الله فيكون هيئته في الانكسار و الحياء كهيئة من يطالب بردّ وديعة فيمسك بعضها و يردّ البعض لأنّ المال كلّه لله و بذل جميعه هو الأحبّ عند الله و إنّما لم يأمر به عبده لأنّه يشقّ عليه بسبب بخله كما قال تعالى : «إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا»(١).

الوظيفة السابعة أن ينتقي من ماله أجوده وأحبّه إليه و أجلّه و أطيبه فإنّ الله طيّب لا يقبل إلّا طيّباً ، و إذا كان المخرج من شبهة فربّما لا يكون ملكاً له طلقاً فلا يقع الموقع و في بعض الأخبار « طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية »(٢) و إذا لم يكن المخرج من جيّد المال فهو من سوء الأدب إذ يمسك الجيّد لنفسه أولعبده أو أهله فيكون قد آثر على الله غيره و لو فعل هذا بضيفه و قدّم إليه أردى طعام في بيته لأوغر به صدره ، هذا إن كان نظره إلى الله و إن كان نظره إلى نفسه و ثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه ، و ليس له من ماله إلّا ما تصدّق فأبقى أو أكل فأفنى و الّذي يأكله قضاء وطر في الحال ، فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادّخار ، و قد قال تعالى : « أنفقوا من طيّبات ما كسبتم و ممّا أخرجنا لكم من الأرض و لا تيمّموا الخبيث منه تنفقون و لستم بآخذيه إلّاأن تغمضوا فيه» (٣) أي ما لاتأخذونه إلّا مع كراهية و حياء ، و هو معنى الإغماض ، فلا تؤثروا به ربّكم و في الخبر « سبق درهم مائة ألف درهم » (٤) و ذلك بأن يخرجه الإنسان و هو من أجلّ ماله و أجوده فيصدر ذلك عن الرضا و الفرح بالبذل ، و قد يخرج مائة ألف درهم ممّا يكره من ماله

---

(١) سورة محمد : ٣٧ . (٢) مرسابقاً عن الكافي وغيره .

(٣) البقرة : ٢٦٧ . (٤) أخرجه النسائي ج ٥ ص ٥٩ .

فيدلُّ على أنّه ليس يؤثر الله بشيء ممّا يحبّه و لذلك ذمّ الله تعالى قوماً جعلوا لله ما يكرهون فقال : « و يجعلون لله ما يكرهون و تصف ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحسنى لا ـ وقف بعض القراء على النفي تكذيباً لهم ثمّ ابتدأ وقال : ـ جرم أنّ لهم النار»[١] أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .

الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ، ولا يكتفي بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية ، فإنّ في عمومهم خصوصاً فليراع خصوص تلك الصفات و هي ستّة :

الصفة الاولى أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجرّدين لتجارة الآخرة . قال ﷺ : « لا تأكل إلّا طعام تقيّ ولا يأكل طعامك إلّا تقيّ »[٢] هذا لأنّ التقيّ يستعين به على التقوى فتكون شريكاً له في طاعاته بإعانتك إيّاه .

و قال ﷺ : « أطعموا طعامكم الأتقياء و أولوا[٣] معروفكم المؤمنين » ـ وفي لفظ آخر «أضف بطعامك من تحبّه بالله » .

الصفة الثانية أن يكون من أهل العلم خاصّة ، فإنّ ذلك إعانة له على العلم ، و العلم أشرف العبادات مهما صحّت فيه النيّة ، و كان ابن المبارك يخصّص بمعروفه أهل العلم ، فقيل له : لو عممت ؟ فقال : إنّي لا أعرف بعد مقام النبوّة أفضل من مقام العلماء ، فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرّغ للعلم و لم يقبل على التعلّم ، فتفريغهم للعلم أفضل .

الصفة الثالثة أن يكون صادقاً في تقواه و علمه بالتوحيد و توحيده أنّه إذا أخذ العطاء حمد الله و شكره و رأى النعمة منه و لم ينظر إلى واسطة فهذا هو شكر العباد لله ، و هو أن يرى النعم كلّها منه . ومن وصيّة لقمان لابنه « لا تجعل بينك و بين الله منعماً

(١) النحل : ٦٢ .

(٢) أخرج الدارمي ج ٢ ص ١٠٣ عن ابي سعيد الخدري أنه ، سمع نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «لا تصحب الا مؤمناً ولا يأكل طعامك الا تقي»

(٣) كذا وقال العراقي : أخرجه ابن المبارك في البر والصلة ، حديث ابي سعيد الخدري و كذا ما بعده عن الضحاك مرسلا .

و اعدد نعمة غيره عليك مغرماً » و من رأى النعمة من غير الله فكأنّه لم يعرف المنعم و لم يتيقّن أنّ الواسطة مقهور مسخرٌ بتسخير الله إذ سلّط الله عليه دواعي الفعل و يسّر له الأسباب فأعطى ، فمن تيقّن هذا لم يكن له نظر إلّا إلى مسبّب الأسباب ، و يقين مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره و شكره فذلك حركة لسان يقلّ في الأكثر جدواها ، و إعانة مثل هذا الموحّد لا تضيع ، فأمّا الّذي يمدح بالعطاء و يدعو بالخير فيذمّ بالمنع ، و يدعو بالشرّ عند الايذاء ، و أحواله متفاوتة ، و من لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلّا من حيث أنّهم وسائط فكأنّه لم ينفكّ عن الشرك الخفي سرّه فليتّق الله في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوائبه ».

أقول : و في هذا المعنى ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى : « و ما يؤمن أكثرهم بالله إلّا و هم مشركون » [1] قال : « هو قول الرجل لولا فلان لهلكت و لولا فلان لما أصبت كذا وكذا و لو لا فلان لضاع عيالي ألا ترى أنّه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه ، قلت : فيقول : لولا أنّ الله منّ عليّ بفلان لهلكت ؟ قال : نعم لا بأس بهذا ونحوه » رواه أحمد بن فهد رحمه الله في العدّة [2] و ينبغي أن لا يمنعه علمه بالتوحيد عن شكر الواسطة ، ففي الفقيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أتى إليه معروف فليكاف به وإن عجز فليثن فإن لم يفعل فقد كفر النعمة[3] » و قال الصادق عليه السلام : « لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل : و ما قاطعوا سبيل المعروف ؟ قال : الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره » [4] و يأتي تمام الكلام فيه في وظائف القابض إن شاء الله .

الصفة الرابعة أن يكون متستّراً مخفياً حاجته لا يكثر البثّ و الشكوى ، أو يكون من أهل المروّة و ممّن ذهبت نعمته و بقيت عادته فهو يتعيّش في جلباب التجمّل قال الله : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف[5] تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس ،

---

(١) يوسف : ١٠٦ . (٢) ص ٧٠.

(٣) و(٤) رواهما الصدوق في الفقيه ص١٦٢ رقم ١٦ و١٧ وفي الكافي ج٤ ص٣٣ .

(٥) التعفف ترك السؤال يعني من أجل تعففهم عن السؤال يظن الجاهل بحالهم أنهم مستغنون

الحافاً » (١) أي لا يلحّون في سؤال لأنّهم أغنياء بيقينهم ، أعزّة بصبرهم و هذا ينبغي أن يطلب بالتفحّص عن أهل الدين في كلّ محلّة و يستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير و التجمّل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال .

الصفة الخامسة أن يكون معيلاً أو محبوساً بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى : «للفقراء الّذين اُحصروا في سبيل» (٢) أي حبسوا في طريق الآخرة لعيلة أو ضيق معيشة و إصلاح قلب لا يستطيعون ضرباً في الأرض لأنّهم مقصوصوا الجناح ، مقيّدوا الأطراف بهذه الأسباب وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يعطي العطاء على قدر العيلة .

الصفة السادسة أن يكون من الأقارب و ذوي الأرحام فتكون صدقة وصلة ، و في صلة الرحم من الثواب مالا يخفى والأصدقاء و إخوان الخير أيضاً يتقدّمون على المعارف كما يتقدّم الأقارب على الأجانب . قال عليّ عليه السلام : « لئن أصل أخاً من إخواني بدرهم أحبّ إليّ من أن أتصدّق بعشرين درهماً ، و لئن أصله بعشرين درهماً أحبّ إليّ من أن أتصدّق بمائة درهم و لئن أصله بمائة درهم أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة » (٣) .

فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة و في كلّ صفة درجات فينبغي أن يطلب أعلاها فإن و جد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى و الغنيمة العظمى و مهما اجتهد في ذلك و أصاب فله أجران و إن أخطأ فله أجر واحد فإنّ أحد أجريه في الحال تطهير[ه] نفسه عن صفة البخل و تأكيده حبّ الله في قلبه و اجتهاده في طاعته و هذه الصفات هي الّتي تقوي في قلبه فتشوّقه إلى لقاء الله ، و الأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ و همّته فإنّ قلوب الأبرار لها آثار في الحال و المآل ، فإن أصاب حصل الأجران و إن أخطأ حصل الأوّل دون الثاني ، فهذا معنى تضاعف أجر المصيب في الاجتهاد ههنا و في سائر المواضع و الله أعلم » .

أقول : ما ذكره أبو حامد من الصفات للمستحقّ و الاجتهاد فيها إنّما يعتبر في مستحقّ البرّ والصلة دون مستحقّ الزكاة والصدقة ، دليل ذلك ما رواه مولانا العسكري عليه السلام

(١) و (٢) البقرة : ٢٧٣ .

(٣) لم أجده .

في تفسيره [١] عن النبي ﷺ في حديث طويل قال: «فقيل لرسول الله ﷺ: فمن مستحق الزكاة؟ قال: المستضعفون من شيعة محمد و آله الذين لم يقو بصائرهم فأمّا من قويت بصيرته و حسنت بالولاية لأوليائهم و البراءة من أعدائهم معرفته فذاك أخوكم في الدين أمسّ بكم رحماً من الآباء و الأمّهات المخالفين فلا تعطوه زكاة و لا صدقة فإنّ موالينا وشيعتنا منّا كالجسد الواحد يحرم على جماعتنا الزكاة و الصدقة وليكن ماتعطونه إخوانكم المستبصرين البرّ وارفعوهم عن الزكوات والصدقات ونزّهوهم عن أن تصبّوا عليهم أوساخكم، أيحبّ أحدكم أن يغسل وسخ بدنه ثمّ يصبّه على أخيه المؤمن إنّ وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن فلا توسّخوا إخوانكم المؤمنين، ولا تقصدوا أيضاً بصدقاتكم و زكواتكم المعاندين لآل محمد المحبّين لأعدائهم، فإنّ المتصدّق على أعدائنا كالسارق في حرم ربّنا عزّ وجلّ و حرمي. فقيل: يا رسول الله فما للمستضعفين من المخالفين الجاهلين، لاهم في مخالفتنا مستبصرون و لا هم لنا معاندون؟ قال: يعطى الواحد من الدراهم ما دون الدرهم و من الخبز ما دون الرغيف، و قال رسول الله ﷺ: ثمّ كلّ معروف بعد ذلك و ما وقيتم به أعراضكم و صنتموها عن ألسنة كلاب الناس كالشعراء و الوقّاعين في الأعراض تكفونهم فهو محسوب لكم في الصدقات» ـ انتهى كلامه صلوات الله عليه و سلامه.

أقول: و من الوظائف أن يقبّل يده بعد الإعطاء لأنّها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا ناولتم السائل فليردّ الّذي ناوله يده إلى فيه فيقبّلها فإنّ الله عزّ و جلّ يأخذ قبل أن تقع في يده فإنّه عزّ و جلّ يأخذ الصدقات» [٢].

و قال رسول الله ﷺ: «ما تقع صدقه المؤمن في يد السائل حتّى تقع في يد الله ثمّ تلاهذه الآية «ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات و أنّ الله هو التواب الرحيم» [٣].

(١) ص٢٩. (٢) رواه الصدوق في الخصال ج ٢ ص ١٦٠ في حديث الاربعمائة.
(٣) التوبة: ١٠٤، والخبر رواه ابن فهد في عدة الداعي ص ٤٤.

و عن الصادق عليه السلام « انّ الله تعالى يقول : ما من شيء إلّا و قد وكّلت من يقبضه غيري إلّا الصدقة فإنّي أتلقّفها بيدي تلقّفاً [١] حتّى أنّ الرجل ليتصدّق أو المرأة لتتصدّق بالتمرة أو بشقّ تمرة فأربّيها له كما يربّي الرجل فلوه و فصيله فتلقاني يوم القيامة و هي مثل جبل أُحد» [٢].

﴿ الباب الثالث ﴾

(في القابض و اسباب استحقاقه و وظائف قبضه)

(أسباب الاستحقاق)

« اعلم أنّه لا يستحقّ الزكاة إلّا حرّ مسلم ليس بهاشميّ و لا مطّلبي اتّصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله تعالى [٣]، فلا تصرف زكاة إلى كافر ، و لا إلى عبد ، و لا إلى هاشميّ أو مطّلبي ، أمّا الصبيّ و المجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليّهما» .

أقول : اشتراط الحرّيّة على الإطلاق غير صحيح كما سيأتي و إلحاق المطّلبي بالهاشميّ شاذّ عندنا قولاً و رواية ، و يجوز إعطاء الهاشميّ إذا كان المزكّي هاشميّاً أو قصر الخمس عن مؤونته ، و يشترط عندنا في غير المؤلّفة أن يكون اثنى عشريّ المذهب بإجماعنا و الصحاح المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام [٤] حتّى أنّه لو كان المزكّي مخالفاً و أعطاها أهل نحلته ثمّ استبصر وجب عليه إعادة الزكاة و إن لم يجب عليه إعادة سائر عباداته ، و في اشتراط العدالة في غيرهم و غير العاملين خلاف و الأصحّ الاكتفاء باجتناب التظاهر بالفسق ، أمّا في العاملين فشرطٌ بلاخلاف لتضمّن العمالة الاستيمان

(١) لقفت الشي و تلقفته أى تناولته بسرعة .

(٢) التهذيب ج ١ص ٣٨٠ ، رجال الكشى ص١٥٢ ، الكافى ج ٤ص٤٧ ، والفلو : المهر يفصل عن امه والجمع أفلاء . والمهر - بضم الميم - : ولد الفرس .

(٣) فى الاية الخامسة والعشرين من سورة التوبة .

(٤) راجع وسائل الشيعة كتاب الزكاة الباب الخامس .

كما لا خلاف في عدم اشتراطه في المؤلّفة ، و يشترط أن لا يكونوا واجبي نفقة للمزكّي إلّا من يصرفه في غير النفقة الواجبة كالغازي و الغارم و المكاتب ففي الصحيح عن الصادق عليه السلام « خمسة لا يعطون من الزكاة شيئاً ؛ الأب و الأمّ و الولد و المملوك و المرأة وذلك أنّهم عياله لازمون له[1] » قال أبو حامد : « ولنذكر

✿(صفات الاصناف الثمانية)✿

الصنف الأوّل الفقراء و الفقير هو الّذي ليس له مال و لا قدرة على الكسب فإن كان معه قوت يومه و كسوة حاله فليس بفقير و لكنّه مسكين و إن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير ، و إن كان معه قميصٌ و ليس معه منديل ولا خفٌّ ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لأنّه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه و هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوةٌ سوى ساتر العورة ، فإنّ هذا غلوٌّ و الغالب أن لا يوجد مثله ، ولايخرجه عن الفقر كونه معتاداً للسؤال فلا يجعل السؤال كسباً بخلاف ما لو قدر على الكسب فإنّ ذلك يخرجه عن الفقر ، فإن قدر على الكسب بآلة فهوفقير و يجوز أن يشترى له الآلة و إن قدر على كسب لايليق بمروءته و بحال مثله فهو فقير و إن كان متفقّهاً و يمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقّه فهو فقير ولا يعتبر قدرته و إن كان متعبّداً يمنعه الكسب عن وظائف العبادات و أوراد الأوقات فليكتسب لأنّ الكسب أولى منه قال صلى الله عليه وآله : « طلب الحلال فريضةٌ بعد الفريضة »[2] و إن كان مكفياً بنفقة أبيه أومن يجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير » .

أقول : إلّا إذا لم يوسّع عليه المنفق كما رواه أصحابنا في الصحيح عن الكاظم عليه السلام « أنّه سئل عن الرجل أن يكون أبوه أو عمّه أو أخوه يكفيه مؤنته أيأخذ الزكاة فيوسّع به إذا كانوا لايوسّعون عليه في كلّ ما يحتاج إليه ؟ قال : لا بأس »[3] و فيه قول آخر .

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٥٢ تحت رقم ٥ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير كما في الجامع الصغير باب الطاء .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٥ ، التهذيب ج ١ ص ٣٧٩ ، المقنعة ص ٤٣ .

و اعلم أنّ ما ذكره أبو حامد في تفسير الفقير و كذا ما سيذكره في تفسير المسكين مبنيٌّ على أنّ الفقير أسوء حالاً من المسكين و هو أحد القولين في هذه المسألة و القول الآخر أنّ الأمر بالعكس و لعلّه الأصحّ لما رواه أصحابنا في الصحيح [(١)] عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «الفقير الّذي لا يسأل و المسكين الّذي هو أجهد منه الّذي يسأل» و في الحسن مثله و زاد «و البائس أجهدهم» [(٢)] و على هذا يتعاكس التفسيران.

«الصنف الثاني المساكين والمسكين هو الّذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم و هو مسكين و قد لا يملك إلّا فاساً و حبلاً و هو غنيٌّ، و الدويرة الّتي يسكنها و الثوب الّذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين، و كذا أثاث البيت أعني ما يحتاج إليه و ذلك ما يليق به، و كذا كتب الفقه لا يخرجه عن المسكنة، فإذا لم يملك سوى الكتب فلا يلزمه صدقة الفطر».

أقول: و ممّا يدلّ على هذه الأحكام من أخبار أهل البيت عليهم السلام ما رواه معاوية ابن وهب في الصحيح عن الصادق عليه السلام «أنّه سئل عن الرجل يكون له ثلاثمائة درهم أو أربعمائة درهم وله عيالٌ و هو يحترف فلا يصيب نفقته فيها أيكبّ فيأكلها و لا يأخذ الزكاة أو يأخذ الزكاة؟ قال: لا بل ينظر إلى فضلها فيقوت بها نفسه و من وسعه ذلك من عياله و يأخذ البقية من الزكاة و يتصرّف بهذه لا ينفقها» [(٣)].

و في الموثّق عن الصادق عليه السلام «أنّه سئل عن الزكاة هل تصلح لصاحب الدار والخادم؟ فقال: نعم إلّا أن تكون داره دار غلّة فيخرج له من غلّتها مايكفيه لنفسه وعياله، فان لم تكن الغلّة تكفيه لنفسه و عياله في طعامهم و كسوتهم و حاجتهم من غير إسراف فقد حلّت له الزكاة وإن كانت غلّتها تكفيهم فلا» [(٤)].

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام «أنّه سئل عن الرجل له دار أو خادم أو عبد أيقبل الزكاة؟ قال: نعم إنّ الدار و الخادم ليسا بمال» [(٥)]. و في التعليل إشعارٌ باستثناء

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٠٢ تحت رقم ١٨.
(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٧٨، الكافي ج ٣ ص ٥٠١ تحت رقم ١٦.
(٣)، (٤)، (٥) الكافي ج ٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٦، و ٥٦٠ رقم ٤، و ٥٦١ رقم ٧، و التهذيب ج ١ ص ٣٦٢ و ٣٧٩، والمقنعة ص ٤٣، والفقيه ص ١٥٦ رقم ٥٤.

ماساوى الدار و الخادم في المعنى .

و في الموثّق عن الصادق عليه السلام قال : « قد تحلّ الزكاة لصاحب السبعمائة و تحرم على صاحب الخمسين درهماً ، فقيل له : و كيف يكون هذا ؟ فقال : إذا كان صاحب السبعمائة له عيال كثير فلو قسّمها بينهم لم تكفه فليعف عنها نفسه و ليأخذها لعياله و أمّا صاحب الخمسين فإنّه تحرم عليه إذا كان وحده و هو محترف يعمل بها وهو يصيب منها مايكفيه إن شاء الله » (١).

إلى غير ذلك من الأخبار ممّا في معناها وهي مؤيّدة لما ذهب إليه الشيخ الطوسي ـ رحمه الله ـ في المبسوط في تفسير الأحسن حالاً من الصنفين أنّه من لم يقدر على كفايته و كفاية من يلزمه من عياله عادة على الدوام بربح مال أو غلّة أو صنعة ، و المشهور وسيّما بين متأخّرينا أنّه من لم يملك مؤونة سنة له ولواجبي نفقته ، و قيل : من لم يملك نصاباً يجب فيه الزكاة أو قيمته .

و يستدلّ للمشهور بما روي في الموثّق عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « يأخذ الزكاة صاحب السبعمائة إذا لم يجد غيره ، قيل : فإنّ صاحب السبعمائة تجب عليه الزكاة ؟ فقال : زكاته صدقة على عياله فلا يأخذها إلّا أن يكون إذا اعتمد على السبعمائة أنفدها في أقلّ من سنة فهذا يأخذها ، ولاتحلّ الزكاة لمن كان محترفاً و عنده ما يجب فيه الزكاة أن يأخذ الزكاة » (٢) و تحصيل الضابطة فيه على وجه يتلائم الأخبار و الأقوال و شهادة العقل و اللّغة و العرف لا يخلو من إشكال .

قال أبوحامد : «وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنّه يحتاج إليه ولكن ينبغي أن يحتاط في فهم الحاجة إلى الكتاب ، فالكتاب يحتاج إليه لثلاثة أغراض التعليم و الاستفادة والتفرّج بالمطالعة ، أمّا حاجة التفرّج فلا يعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار و أمثال ذلك ممّا لاينفع في الآخرة ولا يجدى في الدّنيا إلّا مجرّد التفرّج و الاستيناس فهذا يباع في الكفّارة و زكاة الفطر ، و يمنع اسم المسكنة ، و أمّا

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٩ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٥٦٠ .

حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمعلّم و المؤدّب و المدرّس بأجرة فهذا آلته فلا يباع في الفطرة كأدوات الخياط و سائر المحترفين و إن كان يدرّس للقيام بفرض الكفاية فلا يباع أيضاً ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنّها حاجة مهمّة و أمّا حاجة الاستفادة و التعلّم من الكتاب كادّخاره كتاب طبّ ليعالج به نفسه أو كتاب وعظ ليطالع و يتّعظ فإن كان في البلد طبيب و واعظ فهذا مستغن عنه و إن لم يكن فهو محتاج إليه ، ثمّ ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلّا بعد مدّة فينبغي أن يضبط مدّة الحاجة و الاقرب أن يقال : مالا يحتاج إليه في السنة فهو مستغن عنه ، فإنّ من فضل من قوت يومه شيء لزمه الفطرة فإذا قدّر حاجة القوت باليوم فحاجة أثاث البيت و ثياب البدن ينبغي أن يقدّر بالسنة فلايباع ثياب الصيف في الشتاء ، والكتب بالثياب و الأثاث أشبه فلا تباع ، وقد يكون له من كتاب نسختان فلاحاجة إلّا إلى أحدهما فإن قال : أحدهما أصحّ والآخر أحسن فأنا أحتاج إليهما ، قلنا : اكتف بالأصحّ وبع الأحسن ودع التفرّج و الترفّه وإن كانت نسختان من علم واحد أحديهما بسيط و الأخرى وجيز فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كلّ واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لاتنحصر ولم يتعرّض له في فنّ الفقه فإنّما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره ، فإنّ استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدّى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدّار في سعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ، ولكنّ الفقيه يجتهد فيها رأيه ويقرب في التحديدات بمايراه ويقتحم فيه خطر الشبهات ، والمتورّع يأخذ بالأحوط و يدع مايريبه إلى مالا يريبه والدّرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجليّة كثيرة ولاينجى منها إلّا بالاحتياط » .

الصنف الثالث العاملون .

أقول : العاملون هم عمّال الصدقات جباية و كتابة وحفظاً وقسمة ونحوها ولو كانوا أغنيـاء ولا يشترط حرّيتهم خلافاً للمبسوط .

والمؤلّفة هم الكفّار المستمالون إلى الجهاد ، وقيل : هم المنافقون ، وجوّز جماعة

كونهم مسلمين .

و في الرقاب هم المكاتبون الّذين ليس لهم ما يصرفونه في كتابتهم ، والعبيد الّذين كانوا تحت شدّة فيعتقون منها ومع عدم الشدّة قولان لتعارض النصوص إلّا مع عدم مستحقّ غيره فيجوز بلاخلاف .

والغارمون هم المدينون في غير معصية أومع التوبة مع عدم تمكّنهم من القضاء و يجوز مقاصّتهم بما عليهم من الزكاة بلا خلاف و الدّفع إلى أرباب الدّيون بدون إذنهم وبعد موتهم .

وفي سبيل الله ما يتوصّل به إلى رضاه سبحانه كالجهاد و تعمير مسجد و جسر و مدرسة ومعونة زائر ونحوها كما يستفاد من تفسير العسكري عليه السلام وغيره و عليه الأكثر وفي الصحيح عن عليّ بن يقطين « قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : يكون عندي المال من الزكاة أفأحجّ به مواليّ وأقاربي ؟ قال : نعم » [1] فتخصيصه بالجهاد كما في النهاية ليس بجيّد مع أنّه بعيد عن ظاهر اللّفظ ، وفي اشتراط حاجتهم خلاف والأصحّ جواز صرفه في كلّ قربة لايتمكّن فاعلها الإتيان بها بدونه و إن كان غنيّاً ، أمّا الغازي فيعطى قدر كفايته على حسب حاله وإن كان غنيّاً بلاخلاف .

وابن السبيل هو المنقطع به في غير معصية وإن كان غنيّاً في بلده فيعطى قدر بلغته واعتبار عجزه عن الاستدانة أوبيع ماله بعيد عن اللّفظ .

ويصدّق مدّعي الفقر أو المسكنة من غير بيّنة ولا يمين مالم يعلم كذبه والأحوط اعتبار الظنّ الغالب بصدقه ولو ظهر عدم الاستحقاق فإن كان قد فحص أوّلاً أجزأت و إلّا فلا .

و في سائر الأصناف لابدّ من الثبوت فإن صرفوا في غير أغراضهم استردّ .

وهذه مصارف زكاة المال و الفطر . و قال المفيد : بل الفطر يختصّ بالمساكين و ظاهر الأخبار معه فهو أحوط .

---

(١) و رواه الصدوق فى الفقيه ص ١٥٧ رقم ٦٠ .

﴿فصل﴾

و أمّا الخمس فيقسّم ستّة أسهم ثلاثة للإمام عليه السلام هي سهمه و سهم الله و سهم رسوله صلى الله عليه وآله، و ثلاثة للأصناف الثلاثة : اليتامى و المساكين و ابن السبيل كما هو ظاهر الآية الشريفة و النصوص المستفيضة ، و قيل : بل خمسة أسهم سهم للإمام عليه السلام و سهم لأقرباء الرسول صلى الله عليه وآله وثلاثة للثلاثة الباقية للخبر الصحيح و يشعر بعض النصوص باختصاص خمس الأرباح كلّه بالإمام عليه السلام ، و يشترط في الأصناف الثلاثة كونه اثنى عشريّ المذهب لا العدالة بلا خلاف و أن يكونوا هاشميّين للأخبار المستفيضة خلافاً لابن الجنيد لإطلاق الآية و الخبر الصحيح و لا يكفي الانتساب بالأمّ عند الأكثر خلافاً للسيّد المرتضى وابن حمزة .

و لا يعتبر الفقر في ابن السبيل بل الحاجة في بلد التسليم خاصّة كما مرّ في الزكاة ؛ و في اليتيم قولان ولا يجب استيعاب أشخاص الثلاثة بلا خلاف إذ المراد بهم في الآية الجنس لا العموم ، وفي بعض الأخبار المعتبرة أنّ ذاك إلى الإمام(١) . و في وجوب بسط حصصهم عليهم ، أو جواز تخصيص واحدة بها قولان ، أشهرهما الثاني و أحوطهما الأوّل كما أشرنا إليه سابقاً .

و هل يسقط فرض الخمس حال غيبة الإمام عليه السلام لما ورد من الرخص في الأخبار المستفيضة أم يجب حفظه ثمّ الوصيّة به إلى حضوره عليه السلام لأنّه حقّه فوجب إيصاله إليه مهما أمكن أن يدفن لأنّه إذا قام دلّه الله على الكنوز كما جاء في الخبر ، أم يصرف النصف إلى مستحقّيه و يحفظ ما يختصّ به بالوصاية أو الدفن ، أم يصرف الكلّ إلى الموجودين لأنّ عليه إتمام كفايتهم مع العوز(٢) وله الزيادة في حضوره كما ورد في الرواية فكذلك مع الغيبة ؟ أقوال و يحتمل قوياً سقوط ما يختصّ بالامام عليه السلام لتحليلهم عليهم السلام ذلك لشيعتهم و وجوب صرف حصص الباقين إلى أهلها لعدم مانع منه و لو صرف الكلّ إليهم لكان أحوط و أحسن ولكن يتولّى ذلك الفقيه المأمون بحقّ النيابة كما يتولّى عن

(١) راجع الكافي ج١ ص ٥٤٤ وقرب الاسناد ص ١٧٠ . (٢) أي الحاجة والضيق .

الغائب و ربما يؤيّد ذلك بأنّه على تقدير ثبوت حقّه عليه السلام لاضرر في مثل هذا التصرّف عليه بوجه فينتفي المانع منه بل ربما يعلم رضاه إذا كان المدفوع إليه من أهل الاضطرار و التقوى و كان المال في معرض التلف مع التأخير كما هو الغالب في مثل هذا الزمان فيكون دفعه إليهم إحساناً محضاً و ما على المحسنين من سبيل .

(بيان وظائف القابض و هي خمسة)

«الأولى»أن يفهم أنّ الله أوجب صرفه إليه ليكفي مهمّه ويجعل همومه همّاً واحداً فقد تعبّدالله الخلق بأن يكون همّهم واحداً و هو الله أصلاً و اليوم الآخر تبعاً ، و هو المعنيّ بقوله تعالى : « و ما خلقت الجنّ و الإنس إلّا ليعبدون » (١) ولكن لمّا اقتضت الحكمة أن يسلّط على العبد الشهوات و الحاجات وهي تفرّق همّه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفي الحاجات ، فأكثر الأموال و صبّها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم و وسيلة لتفرّغهم لطاعاتهم فمنهم من أكثر ماله فتنة و بليّة فأقحمه متن الخطر و منهم من أحبّه فحماه الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضوله و ساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون شغل الكسب و التعب في الجمع و الحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجرّدون لعبادة الله و الاستعداد لما بعد الموت فلا يصرفهم عنها فضول الدنيا و لا يشغلهم عن التأهّب الفاقة وهذا منتهى النعمة ، فحقّ الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ، و يتحقّق أنّ فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه و بيانه ، فليأخذ ما يأخذه من الله رزقاً و عوناً له على الطاعة ، وليكن نيّته فيه أن يتقوّى به على طاعته ، فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله تعالى فإن استعان به على معصية الله كان كافراً لأنعم الله مستحقّاً للبعد و المقت من الله .

الثانية أن يشكر المعطي و يدعو له و يثني عليه و يكون شكره و دعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنّه طريق وصول نعمة الله إليه و للطريق حقّ من حيث جعله الله طريقاً و واسطة و ذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله و قد قال صلى الله عليه و آله : « من

---

(١) الذاريات : ٥٦ .

لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) و قد أثنى الله على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها ، و خالق القدرة عليها ، نحو « نعم العبد إنّه أوّاب » (٢) إلى غير ذلك و ليقل القابض في دعائه : طهّر الله قلبك في قلوب الأبرار ، و زكى عملك في عمل الأخيار ، و صلّى على روحك في أرواح الشهداء . و قد قال ﷺ : « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتّى تروا أن قد كافأتموه » (٣) .

أقول : و قد مرّ هذا الحديث من طريق الخاصّة أيضاً مع حديث آخر في هذا الباب و في الكافي عن الصادق عليه السلام « قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من صنع بمثل ما صنع إليه فإنّما كافأه و من أضعفه كان شكوراً و من شكر كان كريماً »(٤) .

قال أبو حامد : « و من تمام الشكر أن يستر عيوب صاحب العطاء إن كان فيه عيبٌ ولا يحقّره ولاينمّه ، ولا يعيّره بالمنع إذا منع ، و يفخّم عند نفسه و عند الناس صنيعه » فوظيفة المعطي الاستصغار ، و وظيفة القابض تقلّد المنّة و الاستعظام ، وعلى كلّ عبد القيام بحقّه و ذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير و التعظيم تتعارض و النافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير و يضرّه خلافه ، و الآخذ بالعكس منه وكلّ ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله فإنّ من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل و إنّما المنكر أن يرى الواسطة أصلاً .

الثالثة أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حلّه تورّع عنه «فمن يتّق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب» ولن يعدم المتورّع عن الحرام فتوحاً من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك و الجنود و عمّال السلاطين و من أكثر كسبه من الحرام إلّا إذا ضاق عليه الأمر وكان ما يسلّم إليه لا يعرف له مالكاً معيّناً فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإنّ فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدّق به على ما سيأتي بيانه في كتاب الحلال

(١) أخرجه الترمذى ج ٨ ص ١٣٣ وأحمد ج٢ ص٢٥٢ و ابو داود ج ٢ ص ٥٥٥ .
(٢) سورة(ص) : ٤٤ .
(٣) أخرجه أبو داود فى حديث عن ابن عمر و فيه « من صنع اليكم معروفاً» والنسائى ج٥ ص٨٢ فى حديث وفيه «من آتى اليكم » .
(٤) المصدر ج ٤ ص ٢٧ .

و الحرام و ذلك إذا عجز عن الحلال فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤدّيه وهو حرام».

أقول: وليتورّع العالم من أخذ الزكاة مطلقاً ما لم يضطرّ إليه تنزيهاً لنفسه عن أوساخ أيدي الناس كمامرّ ذكره.

«الرابعة أن يتوقّى مواقع الريبة و الاشتباه في مقدار ما يأخذ فلا يأخذ إلّاالقدر المباح، و لا يأخذ إلّا إذا تحقّق أنّه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذ بالكتابة أو الغرامة فلا يزيد على قدرالدّين و إن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على اُجرة المثل، فإن اُعطي زيادة أبى و امتنع إذ ليس المال للمعطي حتّى يتبرّع به، و إن كان مسافراً لم يزد على الزاد و كراء الدابة إلى مقصده، و إن كان غازياً لم يأخذ إلّا قدر ما يحتاج إليه للغزو خاصّة من خيل و سلاح و نفقة، و تقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حدّ، و كذا زاد السفر، والورع ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، و إن أخذ بالمسكنة فلينظر أوّلاً إلى أثاث بيته وثيابه و كتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه أويستغني عن نفاسته، فيمكن أن يبدّل بما يكفي و يفضل بعض قيمته، و كلّ ذلك إلى اجتهاده، و فيه طرف ظاهر يتحقّق معه أنّه يستحقّ و طرف آخر مقابل يتحقّق معه أنّه غير مستحقّ و بينهما أوساط مشتبهة، و من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، و الاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهراً، و للمحتاج في تقدير الحاجة مقامات في التضييق و التوسيع فلا ينحصر مراتبه و ميل الورع إلى التضييق و ميل المتساهل إلى التوسيع حتّى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسّع وهو ممقوت في الشرع، ثمّ إذا تحقّقت حاجته فلا يأخذنّ مالاً كثيراً بل ما يتمّم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخّص فيه من حيث أنّ السنة إذا تكرّرت تكرّر أسباب الدخل ومن حيث «أنّ رسول الله ﷺ ادّخر لعياله قوت سنة»[1] فهذا أقرب ما يحدّ به حقّ الفقير والمسكين، و لو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى، و مذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة و الصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حدّ أوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته لنهيه ﷺ

(١) قال العراقي: أخرجه مسلم والبخاري من حديث عمر وفيهما «يعزل نفقة اهله سنة».

عن السؤال مع الغنى « فسئل عن الغنى ، فقال : غداؤه وعشاؤه»[١] و قال آخرون : يأخذ إلى حدّ الغنى و هو نصاب الزكاة أذلم يوجب الله الزكاة إلّا على الأغنياء ، فقالوا : له أن يأخذ لنفسه و لكلّ واحد من عياله نصاب زكاة و قال قائلون : حدّ الغنى خمسون درهماً لقوله صلى الله عليه وآله : « من سأل و له مال يغنيه جاء يوم القيامة و في وجهه خموش ، قيل و ماغناه ؟ فقال : خمسون أو قيمتها من الذهب »[٢] و قال قوم : أربعون لقوله صلى الله عليه وآله : « من سأل و له أو قيّة فقد ألحف في السؤال »[٣] و بالغ آخرون في التوسيع فقالوا : له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به طول عمره أو يهيّىء بها بضاعة ليتّجر فيها و يستغني لأنّ هذا هو الغنى فهذا ما حكي فيه ، أمّا التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقيّة فذلك ورد في كراهية السؤال و التردّد على الأبواب ، و ذلك مستنكر وله حكم آخر ، بل التجويز إلى أن يشتري ضيعة فيستغني بها عن السؤال أقرب إلى الاحتمال و هو أيضاً مائل إلى الإسراف» .

أقول : بل هذا هو الأصحّ و هو المستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام و لا ينافيه النهي عن السؤال لمن له قوت اليوم أو الأوقيّة لأنّ السؤال مذموم مطلقاً كما يأتي ، و الأخذ من غير سؤال إلى هذا الحدّ جائز سيّما إذا كان متعلّق القلب بأمر المعاش بدونه و لم يتفرّغ همّه للعلم و العبادة و لم يكن صاحب توكّل .

قال أبو حامد : « والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر و فيما دونه فيه تضييق و هذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد إلّا الحكم بما يقع له ، ثمّ يقال للورع : استفت قلبك و إن أفتوك و أفتوك كما قال صلى الله عليه وآله[٤]

---

(١) أخرجه ابن حزم فى المحلى ج ٦ ص ١٥٢ .

(٢) رواه ابن ماجه فى السنن تحت رقم ١٨٤٠ و الخموش كالخدوش و وزناً و معنى ورواه غيره من اصحاب السنن و قال الترمذى حسن وضعفه النسائى .

(٣) أخرجه ابن حزم فى المحلى ج ٦ ص ١٥٣ ، و النسائى ج ٥ ص ٩٨ وفيه «وله قيمة أوقية » .

(٤) قد مر فى المجلد الاول عن أحمد رواه فى المسند ج ٤ ص ٢٢٨ .

إذ الإثم حوازّ القلوب (١) فإذا وجد القابض في نفسه شيئاً ممّا يأخذه فليتّق الله فيه ولا يترخّص تعلّلاً بالفتوى من علماء الظاهر فإنّ لفتاويهم قيوداً ومطلقات من الضرورات و فيها تخمينات واقتحام شبهات ، والتوقّي من الشبهات من شيم ذوي الدين و عادات السالكين لطريق الآخرة .

الخامسة أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه ، فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذ » .

أقول : و هذه الوظيفة ساقطة عندنا لما عرفت من عدم وجوب البسط على الأصناف إلّا في الخمس على القول الأحوط ، فأنا أذكر بدلها ترك السؤال .

قال الصادق عليه السلام : « شيعتنا من لا يسأل الناس شيئاً ولومات جوعاً» (٢) .

و قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « شهادة الّذي يسأل في كفّه تردّ»(٣) .

و نظر عليّ بن الحسين عليهما السلام يوم عرفة إلى رجال يسألون فقال : « هؤلاء شرار من خلق الله ، الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس » (٤) .

و قال الصادق عليه السلام : « لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحدٌ أحداً ، و لو يعلم المسؤل ما عليه إذا منع ما منع أحد أحداً» (٥).

و قال عليه السلام : « من سأل من غير فقر فإنّما يأكل الجمر» (٦) .

و قال الباقر عليه السلام : «اُقسم بالله - و هو حقّ - ما فتح رجلٌ على نفسه باب مسألة إلّا فتح الله عليه باب فقر » (٧) .

وقال سيّد العابدين عليه السلام : « ضمنت على ربّي أن لا يسأل أحدٌ أحداً من غير حاجة إلّا اضطرّته حاجة المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة » (٨) .

---

(١) رواه أحمد من حديث ابن مسعود وقد مر في المجلد الاول ص ٥٧ مع بيانه .

(٢) و(٣) و(٤) عدة الداعي ص ٧٠ .

(٥) عدة الداعي ص ٧٠ وفي الكافي ج٤ ص٢٠ تحت رقم ٢ ، والفقيه ص١٦٦ تحت رقم ٣١ بادنى اختلاف في اللفظ .

(٦) عدة الداعي ص٧٠ ورواه الطبراني في الكبير وابن خزيمة في صحيحة والبيهقي أيضاً في شعب الايمان كما في الترغيب ج ١ ص٥٧٤ .

(٧)و(٨) الكافي ج ٤ ص١٩ تحت رقم٢ و١ ، والفقيه ص١٦٦ تحت رقم٢٦ و ٢٧ .

و قال النبيّ ﷺ يوماً لأصحابه : « ألا تبايعوني ؟ فقالوا : قد بايعناك يا رسول الله قال : تبايعوني على أن لاتسألوا الناس شيئاً فكان بعد ذلك تقع المخصرة من يدأحدهم فينزل لها ولا يقول لأحد : ناولنيها» (١) .

و قال ﷺ : « لو أنّ أحدكم يأخذ حبلاً فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكفّ بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل» (٢) .

و قال الصادق عليه السلام : « اشتدّت حال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالت له امرأته : لو أتيت النبيّ ﷺ فسألته ؟ فجاء إلى النبيّ ﷺ فسمعه يقول : من سألنا أعطيناه و من استغنى أغناه الله ، فقال الرجل : ما يعني غيري ، فرجع إلى امرأته فأعلمها فقالت : إنّ رسول الله ﷺ بشر فأعلمه فأتاه فلمّا رآه قال : من سألنا أعطيناه و من استغنى أغناه الله حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات ، ثمّ ذهب الرجل فاستعار فاساً ، ثمّ أتى الجبل فصعده و قطع حطباً ثمّ جاء به فباعه بنصف مدّ من دقيق ثمّ ذهب من الغد فجاء بأكثر منه فباعه و لم يزل يعمل و يجمع حتّى اشترى فاساً ، ثمّ جمع حتّى اشترى بكرين و غلاماً ثمّ أثرى و حسنت حاله فجاء إلى النبيّ ﷺ فأعلمه كيف جاء يسأله و كيف سمعه يقول : فقال ﷺ : قلت لك : من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله» (٣) .

و قال الباقر عليه السلام : « طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعزّة و مذهبة للحياء ، و اليأس ممّا في أيدي الناس عزّ المؤمن ، و الطمع هو الفقر الحاضر » (٤) .

و عن النبيّ ﷺ « من استغنى أغناه الله ، و من استعفّ أعفّه الله ، و من سأل

---

(١) عدة الداعي ص٧٠ ، الكافي ج ٤ ص ٢١، و الصدوق رواه في الفقيه ص ١٦٦ تحت رقم٣٢ بلفظ أبسط ، وفي الترغيب ج١ ص٥٧٨ مثله وقال رواه مسلم والترمذي والنسائي باختصار ، و أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٨٣٧ من السنن ، والمخصرة كالعصاء و نحوه شيء يتوكأ عليه .

(٢) عدة الداعي ص٧١، وأخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٨٣٦ والبخاري ج٢ ص١٤٥.

(٣) الكافي ج٢ ص ١٣٩ تحت رقم ٧ . وعدة الداعي ص ٧١ .

(٤) الكافي ج٢ ص١٤٨ رقم٤، عدة الداعي ص٧١ وفي الوسائل «استسلاب للعزة» .

أعطاه الله ، و من فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر لا يسدّ أدناها شيء» (١) .

و سأله رجل « فقال : أسألك بوجه الله ، قال : فأمر النبيّ ﷺ فضرب خمسة أسواط ، ثمّ قال ﷺ : « سل بوجهك اللّئيم و لا تسأل بوجه الله الكريم » (٢) .

وهذه الأخبار كلّها نقلت من عدّة الداعي لأحمد بن فهد - رحمه الله - و أكثرها مذكور في الفقيه و الكافي .

الباب الرابع

في صدقة التطوّع وفضلها و آداب أخذها و إعطائها

(بيان فضل الصدقة)

قال ﷺ : « تصدّقوا و لو بتمرة فإنّها تسدّ من الجائع ، وتطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار » (٣) .

و قال ﷺ : «اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيّبة » (٤) .

و قال ﷺ : « ما من عبد مسلم يتصدّق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلّا طيّباً - إلّا كان الله عزّ و جلّ يأخذها بيمينه فيربّيها له كما يأتي أحدكم فصيله حتّى يبلغ التمرة مثل اُحد (٥) » .

---

(١) عدة الداعي ص ٧١ .

(٢) أخرج النسائي في السنن ج ٥ ص ٨٣ نحوه . وفي العده ص ٧١ مثله .

(٣) أخرجه ابن المبارك عن عكرمة مرسلا في الزهد كما في الجامع الصغير باب التاء .

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح ج ٣ ص ٨٦ و أخرج صدره البخاري ج ٢ ص ١٣٠ ، و رواه الشيخ في المجالس ص ٢٩٢ .

(٥) أخرج نحوه البخاري في الصحيح ج٢ ص١٢٨ ومسلم ج٣ ص٨٥ وقدمر عن غيرهما من المصادر آنفاً .

وقال ﷺ لأبي الدّرداء: «إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثمّ انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف(١)».

وقال ﷺ: «ما أحسن عبدالصدقة إلّا أحسن الله الخلافة على تركته(٢)».

وقال ﷺ: «كلّ أمرىء في ظلّ صدقته حتّى يقضى بين الناس(٣)».

وسئل ﷺ «أيّ الصدقة أفضل؟ قال: أن تتصدّق و أنت صحيح شحيح، تأمل البقاء و تخشى الفاقة ولاتمهل حتّى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا»(٤).

وقال ﷺ يوماً لأصحابه: «تصدّقوا فقال رجل: إنّ عندي ديناراً؟ قال: أنفقه على نفسك قال: إنّ عندي آخر؟ قال: أنفقه على زوجتك، قال: إنّ عندي آخر؟ قال: أنفقه على ولدك، قال: إنّ عندي آخر؟ فقال: أنفقه على خادمك، قال: إنّ عندي آخر؟ قال: أنت أبصر به(٥)».

وقال ﷺ: «لاتحلّ الصدقة لآل محمّد إنّما هي أو ساخ الناس(٦)».

أقول: المراد بالصدقة في هذا الحديث الزكاة المفروضة كما ورد عن الصادقين عليهما السلام وفي دخول النذور و الكفّارات فيها قولان أمّا المندوبة فلا خلاف بين أصحابنا في إباحتها لهم والنصوص به مستفيضة.

وفي الصحيح عنهم عليهم السلام «إنّما تلك الصدقة الواجبة على الناس لا تحلّ لنا فأمّا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج٥ص١٤٩و١٥٦ من حديث أبي ذر، وفي مجمع الزوائد ج ٥ ص١٩ عنه وعن البزاز من حديث جابر. ولعل ماذكره الغزالي من حديث أبي الدرداء وهم أو تصحيف.

(٢) أخرجه ابن المبارك عن ابن شهاب مرسلا كما في الجامع الصغير باب الميم.

(٣) أخرجه احمد في المسند ج ٤ ص ١٤٧ وفيه «يفصل بين الناس».

(٤) أخرجه البخاري ج ٢ص ٣٠ و مسلم ج٢ ص ٩٣ وفيهما «تخش الفقر و تأمل الغنى» وصدره النسائي ج٥ ص٦٨.

(٥) أخرجه النسائي في السنن ج٥ص٦٢. وابوداود ج ٢ص٣٩٣.

(٦) أخرجه النسائي ج٥ص١٠٦.

غيرذلك فليس به بأس[1] «وفي آخر «لو حرّمت الصدقة علينا لم تحلّ لنا أن نخرج إلى مكّة لأنّ كلّ مابين مكّة والمدينة فهو صدقة» وفي آخر «هذه المياه عامّتها صدقة[2]».

☆(ومن طريق الخاصة في فضل الصدقة)☆

مارواه في الفقيه «قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أرض القيامة نار ماخلاظلّ المؤمن فإنّ صدقته تظلّه»[3].

وقال أبوجعفر عليه السلام: «البرّ والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء»[3].

وقال الصادق عليه السلام: «داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعواالبلاء بالدعاء، واستنزلوا الرزق بالصدقة فإنّها تفكّ من بين لحى سبعمائة (*)شيطان، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن، وهي تقع في يدالربّ قبل أن تقع في يد العبد[4]».

وقال عليه السلام: «الصدقة باليد تقي ميتة السوء و تدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء وتفكّ عن لحى سبعين شيطاناً كلّهم يأمره أن لايفعل[5]».

و قال عليه السلام: «يستحبّ للمريض أن يعطي السائل بيده، و يؤمر السائل أن يدعو له[6]».

وقال عليه السلام: «باكروا بالصدقة فإنّ البلايا لا تتخطّاها، و من تصدّق بصدقة أوّل النهار دفع الله عنه شرّ ما ينزل من السماء في ذلك اليوم، فإن تصدّق أوّل اللّيل دفع الله عنه شرّ ماينزل من السماء في تلك اللّيلة[7]».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله لاإله إلّا هو ليدفع بالصدقة الداء والدّبيلة (*) والحرق والغرق والهدم والجنون وعدّ سبعين باباً من الشرّ[8]».

وقال عليه السلام: «صدقة السرّ تطفيء غضب الربّ جلّ جلاله[9]».

---

(١) و(٢) التهذيب ج١ص٣٦٦ والكافي ج٤ ص٥٩ وقال الصدوق في الفقيه ص١٥٧ «وصدقة غير بني هاشم لاتحل لبني هاشم الافي وجهين اذاكانوا عطاشاً فاصابوا ماءفشربوا، وصدقة بعضهم على بعض». (*) كذا وفي بعض نسخ الحديث «تفك عن لحى سبعين».

(٣) الى (٩) الفقيه ص١٦٤ رقم١الى ٨.

(*) الدبيلة -بضم الدال- الداهية، والطاعون وداء في الجوف.

وروى عمّار عن الصادق عليه السلام : « قال : قال لي : « يا عمّار الصدقة والله في السرّ أفضل من الصدقة في العلانية فكذلك والله العبادة في السرّ أفضل من العبادة في العلانية [1] »

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا طرقكم سائل ذكر بليل فلا تردّوه [2] » .

وقال عليه السلام : « الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ، وصلة الإخوان بعشرين ، وصلة الرّحم بأربعة وعشرين [3] ».

وسئل عليه السلام : « أيّ الصدقة أفضل ؟ قال : على ذي الرحم الكاشح [4](*) » .

وقال عليه السلام : « لاصدقة وذورحم محتاج [5] »

وقال عليه السلام : « ملعون ملعونٌ من ألقى كلّه على الناس ، ملعون ملعونٌ من ضيّع من يعول [6] » .

و قال أبو الحسن الرّضا عليه السلام : « ينبغي للرجل أن يوسّع على عياله لئلاّ يتمنّوا موته » [7].

و « سئل الصادق عليه السلام عن السائل يسأل ولايدرى ما هو فقال : أعط من وقع في قلبك الرحمة له [8] »

وقال عليه السلام : « أعطه دون الدرّهم ، قلت : أكثر مايعطى ؟ قال : أربعة دوانيق [9] ».

وروى الوصافي عن أبي جعفر عليه السلام « قال : كان فيما ناجى الله عزّ وجلّ موسى عليه السلام أن قال : ياموسى أكرم السائل ببذل يسير أو بردّ جميل ، إنّه يأتيك من ليس بإنس ولا جانّ ، ملائكة من ملائكة الرحمن ، يبلونك فيما خوّلتك ، ويسألونك ممّا نوّلتك ، فانظر كيف أنت صانع ياابن عمران [10] » .

وقال عليه السلام : أعط السائل ولو على ظهر فرس [11] » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لاتقطعوا على السائل مسألته ، فلولا أنّ المساكين يكذبون ما أفلح من ردّهم [12] » .

---

(١) الى (١٦) الفقيه ص ١٦٥ تحت رقم ٩ الى ٢٥ .

(*) الكاشح المبغض قال ابن الجوزى كانه يضم العداوة فى كشحه وهى خاصرته وانما فضلت الصدقة عليه لمكان مخالفة هوى النفس وأما من أعطى من يحبه فانما ينفق على قلبه وهواه .

وروي عن الوليد بن صبيح قال: «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فجاءه سائل فأعطاه ثمّ جاء آخر فأعطاه، ثمّ جاءه آخر فأعطاه، ثمّ جاءه آخر فقال: وسّع الله عليك، ثمّ قال: إنّ رجلاً لوكان له مال يبلغ ثلاثين أوأربعين ألف درهم، ثمّ شاء أن لا يبقى منها شيئاً إلّا وضعه في حقّ لفعل فيبقى لامال له فيكون من الثلاثة الّذين يردّ دعاؤهم، قال: قلت: من هم؟ قال: أحدهم رجلٌ كان له مالٌ فأنفقه في غير وجهه، ثمّ قال: يا ربّ ارزقني، فيقول الربّ عزّ وجلّ: ألم أرزقك، ورجلٌ جلس في بيته ولايسعى في طلب الرزق ويقول: ياربّ ارزقني فيقول الرّبّ عزّ وجلّ: ألم أجعل لك سبيلاً إلى طلب الرزق، و رجل له أمرأة تؤذيه فيقول: ياربّ خلّصني منها، فيقول عزّ وجلّ: ألم أجعل أمرها بيدك [(١)]».

وقال الصادق عليه السلام: «في السؤال أطعموا ثلاثة وإن شئتم أن تزدادوا فازدادوا و إلّا فقد أدّيتم حقّ يومكم [(٢)]».

وقال عليه السلام: «إذا أعطيتم فلقّنوهم الدّعاء، فإنّه يستجاب لهم فيكم، ولايستجاب لهم في أنفسهم [(٣)]».

وقال الصادق عليه السلام: «في الرجل يعطي غيره الدراهم يقسّمها قال: يجري له من الأجر مثل مايجري للمعطي ولاينقص من أجره شيئاً، و لوأنّ المعروف جرى على سبعين يداً لأوجروا كلّهم من غير أن ينقص من أجر صاحبه شيء [(٤)]».

وسئل الصادق عليه السلام «أيّ الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقلّ أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: «ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة (*)» هل ترى ههنا فضلاً [(٥)]».

---

(١) الى (٥) الفقيه ص١٦٥ تحت رقم ٢١ الى ٢٥.

(*) الحشر: ٩، وفى لفظ آخر عن النبى صلى الله عليه وآله «خير الصدقة جهد من مقل» والجهد هو الطاقة و فيه اشعار ببقاء مايستعين به على حاجته فلا ينافى قوله صلى الله عليه وآله: «خير الصدقة ماكان عن ظهر غنى» أو تقول لكل وجه فضيلة أما صدقة المقل فلانه يحتاج اليها فيجاهد نفسه باخراجها بخلاف الغنى فانه واجد فلايكترث بها واما صدقة الغنى فلانه لا يضطر بسببها ولا يبقى عائلا لانه يغرف من بحر زاخر و الفقير ان تصدق بماله بقي عاجزا، ذكر السجستاني في سننه [ج١ ص ٣٨٩] عن جابر قال: كنا ←

وقال رسول الله ﷺ : « إنّ الله تبارك و تعالى كره لي ستّ خصال و كرهتهنّ للأوصياء من ولدي وأتباعهم من بعدي : العبث في الصلاة ، و الرفث في الصوم ، و المنّ بعد الصدقة ، وإتيان المساجد جنباً ، والتطلّع في الدّور ، والضحك بين القبور[١] » .

وروي عن مسعدة بن صدقة ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام «أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسة أوساق من تمر البغيبغة [٢] وكان الرجل ممّن يرجى نوافله [٣] و يرضى نائله ورفده ، وكان لا يسأل عليّاً عليه السلام ولا غيره شيئاً ، فقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام : والله ما سألك فلانٌ شيئاً ولقد كان يجزئه من الخمسة الأوساق وسق فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لا كثّر الله في المؤمنين ضربك أُعطي أنا و تبخل به أنت إذاً أنا لم

ــ عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذجاءه رجل بمثل بيضة من ذهب فقال : يارسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهى صدقة ما أملك غيرها ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم أتاه من قبل ركنه الايمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ، ثم أتاه من قبل ركنه الايسر فأعرض عنه ، ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله فخذفه بها فلو أصابته لاوجعته أو لعقرته وقال : يأتى احدكم بمايملك ويقول : هذه صدقة ويقعد فيستكف الناس خير الصدقة ماكان عن ظهر غنى ، وقيل : يعنى بذلك ما يفضل عن العيال فيستغنون منه وهو حسن ، وأحسن منه وأتم ماقيل : ان جهد المقل محمول على المتفرد لان الايثار على النفس حسن قال الله عزوجل : « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » و عن ظهر غنى وارد فى المعيل لان الايثار على العيال غير مستحسن لقوله عليه السلام : « ملعون من ضيع من يعول » ولقوله صلى الله عليه وآله : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدء بمن تعول ، وخير الصدقة ماكان على ظهر غنى ، من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله » وفى معنى هذا الحديث ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام خير الصدقة ما ابقت غنى (منه - رحمه الله -) .

(١) الفقيه ص ١٦٦ تحت رقم ٣٥ ، والكافى ج٤ ص٢٢ .

(٢) البغيبغة - بيائين موحدتين وغينين معجمتين وفى الوسط ياء مثناة وفى الاخر هاء - : ضيعة أوعين بالمدينة ، غزيرة كثيرة النخل لال الرسول ، و فى تاريخ السمهودى البغيبغة تصغير البغبغ وهى البئر القريبة الرشا و البغبغات والمبغبغة عيون عملها على بن أبى طالب عليه السلام بينبع اول ماصارت اليه وتصدق بها و بلغ جذاذ ها فى زمنه ألف وسق ومنها خيف الاراك وخيف ليلى وخيف الطاس .

(٣) النوافل : العطايا وقوله ؛ «يرجى نوافله» فى بعض نسخ الكافى «يرجو» .

أعط الّذي يرجوني إلّا من بعد مسألتي ، ثمّ أعطيته بعد المسألة فلم أعطه إلّا ثمن ما أخذت منه وذلك لأنّي عرّضته لأن يبذل لي وجهه الّذي يعفره في التراب لربّي و ربّه عزّ وجلّ عند تعبّده له و طلب حوائجه إليه فمن فعل هذا بأخيه المسلم وقد عرف أنّه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدّق الله عزّوجلّ في دعائه له حيث يتمنّى له الجنّة بلسانه ويبخل عليه بالحطام من ماله ، وذلك أنّ العبد قد يقول في دعائه : اللّهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإذا دعا له بالمغفرة فقد طلب له الجنّة ، فما أنصف من فعل هذا بالقول ولم يحقّقه بالفعل » (١) .

وقال الصادق عليه السلام : « من لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي موالينا يكتب له ثواب صلتنا ، ومن لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحي موالينا يكتب له ثواب زيارتنا (٢) » .

و في الفقيه أيضا قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أوّل ما يبدأ به في الآخرة صدقة الماء -يعني في الأجر- (٣)» .

وقال أبوجعفر عليه السلام : « إنّ الله تعالى يحبّ إبراد الكبد الحرّى و من سقى كبداً حرّى من بهيمة وغيرها أظلّه الله في ظلّ عرشه يوم لاظلّ إلّا ظلّه (٤) » .

و روى معاوية بن عمّار عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : « من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة ، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيى نفساً ، ومن أحيى نفساً فكأنّما أحيى الناس جميعاً (٥)» .

✡(بيان اخفاء أخذ الصدقة و اظهاره)✡

« قد اختلف طرق طلّاب الإخلاص في ذلك فمال قوم إلى أنّ الإخفاء أفضل ومال قوم إلى الإظهار ونحن نشير إلى ما في كلّ واحد من المعاني والآفات ثمّ نكشف الغطاء عن الحقّ فيه .

أمّا الإخفاء ففيه خمسة معان : الأوّل أنّه أبقى للستر على الآخذ فإنّ أخذه ظاهراً هتك لستر المروءة و كشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفّف والتصوّن المحبوب

(١) الفقيه ص١٦٦ تحت رقم ٣٦ ، والكافي ج ٤ ص٢٢ .

(٢) الى (٥) الفقيه ص ١٦٧ تحت رقم ٣٠ وص ١٦٤ تحت رقم ١و٢و٣ .

الّذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفّف .

الثاني أنّه أسلم لقلوب الناس ولألسنتهم فإنّهم ربّما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنّون أنّه أخذ مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن و الغيبة من الذّنوب الكبائر ، وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى ، وقال أبو أيّوب السختياني : إنّي لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسداً . وقال بعض الزّهاد : ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون : من أين له هذا ؛ و عن إبراهيم التيمي أنّه رئي عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه : من أين لك هذا ؟ فقال : كسانيه أخي خيثمة ولو علمت أنّ أهله علموا به ماقبلته .

الثالث إعانة المعطي على إسرار العمل فإنّ فضل السرّ على الجهر في الإعطاء أكثر ، والإعانة على إتمام المعروف معروف ، والكتمان لايتمّ إلّا باثنين ؛ فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي .

دفع رجلٌ إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فردّه ، و دفع إليه آخر شيئاً في السرّ فقبله ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : إنّ هذا عمل بالأدب في إخفاء معروفه فقبلته و ذاك أساء أدبه في عمله فرددته عليه .

وأعطى رجل بعض الصوفيّة شيئاً في الملأ فردّه ، فقال : لِم تردّ على الله ما أعطاك ؟ فقال : إنّك أشركت غير الله فيما كان لله ، ولم تقنع بعين الله عزّ وجلّ فرددتُ عليك شركك.

الرابع أنّ في إظهار الأخذ ذلا و امتهاناً ، و ليس للمؤمن أن يذلّ نفسه .

كان بعض العلماء يأخذ في السرّ و لا يأخذ في العلانية ، و يقول : إنّ في إظهاره إذلالاً للعلم و إمتهاناً لأهله ، فما كنت بالّذي أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم و إذلال أهله .

الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة ، قال ﷺ : « من أهدي له هديّة و عنده قوم فهم شركاؤه فيها » (١) .

---

(١) قال العراقى : أخرجه العقيلى و ابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الاوسط و البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن محمّد بن مسلم قال : قال : « جلساء الرجل شركاؤه في الهديّة » (١).

و عن عثمان بن عيسى رفعه قال : « إذا اُهدي إلى الرجل هديّة من طعام و عنده قومٌ فهم شركاؤه في الهديّة الفاكهة وغيرها » (٢).

قال أبوحامد : « و بأن يكون ورقاً أو ذهباً لا يخرج عن كونه هديّة فانفراده بما يعطى بالملأ مكروه إلّا برضى جميعهم و لا يخلو عن شبهة فإذا انفرد سلم عن هذه الشبهة .

وأما الاظهار والتحدّث به ففيه معان أربعة :

الأوّل الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال و المراياة .

الثاني إسقاط الجاه والمنزلة و إظهار العبوديّة و المسكنة ، والتبرّي عن الكبرياء و دعوى الاستغناء و إسقاط النفس عن أعين الخلق ، قال بعض العارفين لتلميذه : أظهر الأخذ على كلّ حال إن كنت آخذاً فإنّك لا تخلو من أحد رجلين : رجل تسقط من قلبه إن فعلت ذلك فذلك هو المراد لأنّه أسلم لدينك و أقلّ لآفات نفسك ، أو رجل تزداد في قلبه بإظهارك الصدق فذلك هو الّذي يريده أخوك كأنّه يزداد ثواباً بزيادة حبّه لك و تعظيمه إيّاك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه .

الثالث هو أنّ العارف لا نظر له إلّا إلى الله و السرّ و العلانية في حقّه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد .

قال بعضهم : كنّا لانعبؤ بدعاء من يأخذ في السرّ ويردّ في العلانية ، والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال ، بل ينبغي أن يكون النظر مقصوراً على الواحد الفرد .

حكي أنّ بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشقّ على الآخرين ذلك فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فأعطى كلّ واحد منهم طائراً و قال له : اذبح هذا حيث لا يراك أحدٌ ، فذهبوا ثمّ جاؤوا قد ذبح كلّ واحد منهم طائره إلّا

(١) المصدر ج٥ ص١٤٣ تحت رقم ١٠ ، وفي الدروس يستحب المكافاة على الهدية ومشاركة الجلساء فيها اذا كانت طعاماً فاكهة أوغيرها .

(٢) الكافي ج ٥ ص ١٤٤ .

ذلك المريد فإنّه ردّ طائره حياً ، فقال الشيخ : مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟ فقال : لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد فإنّ الله تعالى يراني في كلّ موضع ، فقال الشيخ : لهذا أميل إليه لأنّه لا يلتفت إلى غير الله عزّ وجلّ.

الرابع أنّ الإظهار إقامة لسنّة الشكر و قد قال تعالى : « و أمّا بنعمة ربّك فحدّث »[١] والكتمان كفران للنعمة ، و قد ذمّ الله تعالى من كتم ما آتاه الله وقرنه بالبخل و قال : « الّذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله »[٢] .

وقال ﷺ : « إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحبّ أن ترى عليه »[٣] وأعطى رجل بعض العارفين شيئاً في السرّ فرفع به يده وقال : هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسرّ في اُمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم : إذا اُعطيت في الملأ فخذ ثمّ اردد في السرّ.

و الشكر محثوث عليه قال ﷺ : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »[٤] ، و الشكر قائم مقام المكافأة حتّى قال ﷺ : « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأثنوا عليه به خيراً و ادعوا له حتّى تعلموا أنّكم قد كافأتموه »[٥] و لمّا قالت المهاجرين في الشكر : « يا رسول الله ما رأينا خيراً من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الأموال حتّى خفنا أن قد ذهبوا بالأجر كلّه ؟ فقال : كلاّ ما شكرتم لهم و أثنيتم به عليهم »[٦] أي هو مكافأة .

فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أنّ ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافاً في المسألة بل هو اختلاف حال ، فكشف الغطاء في هذا أنّا لا نحكم حكماً بتّاً بأن الإخفاء أفضل في كلّ حال أو الإظهار أفضل ، بل يختلف ذلك باختلاف النيّات ، ويختلف النيّات باختلاف الأحوال و الأشخاص ، فينبغي أن يكون المخلص مراقباً لنفسه حتّى لا يتدلّى بحبل الغرور ، و لا ينخدع بتلبيس الطبع و مكر الشيطان ، و المكر و الخداع أغلب في معاني الإخفاء منه في الإظهار مع أنّ له دخلاً في كلّ واحد منهما ، فأمّا

(١) الضحى : ١١ .　　　(٢) النساء : ٣٦ .
(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده ص ٤٠ رقم ٣١٢ باختلاف في اللفظ مع زيادة .
(٤) و(٥) تقدما آنفاً .
(٦) رواه الترمذي في صحيحه كما في مشكاة المصابيح ص ٢٦١ .

مدخل الخداع في الإسرار من ميل الطبع إليه لما فيه من حفظ الجاه و المنزلة و سقوط القدر من أعين الناس و نظر الخلق إليه بعين الازدراء و إلى المعطي بعين المنعم المحسن إليه فهذا هو الداء الدفين و يستكنّ في النفس و الشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتّى يتعلّل بالمعاني الخمسة الّتي ذكرناها ، و معيار كلّ ذلك و محكه أمرٌ واحدٌ وهو أن يكون تألّمة بانكشاف أخذه للصدقة كتألّمه بانكشاف صدقة أخذها بعض أقرانه و أمثاله ، فإنّه إن كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة و الحسد و سوء الظنّ أو يتّقي انهتاك الستر أو إعانة المعطي على الإسرار أو صيانة العلم عن الابتذال ، فكلّ ذلك ممّا يحصل بانكشاف صدقة أخيه ، فإن كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني أغاليط و أباطيل من مكر الشيطان و خدعه ، فإنّ إذلال العلم محذورٌ من حيث أنّه علم لا من حيث أنّه علم زيد أو علم عمرو ، و الغيبة محذورة من حيث أنّها تعرّض لعرض مصون لا من حيث أنّها تعرّض لعرض زيد على الخصوص و من أحسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه و إلّا فلا يزال كثير العمل قليل الحظّ ، و أمّا جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث أنّه تطييب لقلب المعطي واستحثاث له على مثله و إظهاره عند غيره أنّه من المبالغين في الشكر حتّى يرغبوا في إكرامه و تفقّده ، و هذا داءٌ دفين في الباطن و الشيطان لا يقدر على المتديّن إلّا بأن يروّج عليه هذا الخبث في معرض السنّة ، و يقول له : الشكر من السنّة و الإخفاء من الرياء و يورد عليه المعاني الّتي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ، ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لاينتهي الخبر إلى المعطي ولا إلى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون إظهار العطيّة ويرغبون في إخفائها و عادتهم أنّهم لايعطون إلّا من يخفى ولايشكر ، فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أنّ باعثه هو إقامة السنّة في الشكر والتحدّث بالنعمة وإلّا فهو مغرورٌ ، ثمّ إذا علم أنّ باعثه السنّة فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حقّ المعطي فينظر فإن كان هو ممّن يحبّ الشكر والنشر فينبغي أن يخفى ولا يشكر لأنّ قضاء حقّه أن لا ينصره على الظلم و طلبه الشكر ظلم و إذا علم من حاله أنّه لايحبّ الشكر ولايقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ، ولذلك

قال ﷺ للرجل الّذي مدح بين يديه: «ضربتم عنقه لوسمعها ما أفلح[1]» مع أنّه ﷺ كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأنّ ذلك لايضرُّهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد: «إنّه سيّد أهل الوبر[2]» وقال في آخر: «إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه[3]» وسمع كلام رجل فأعجبه فقال: «إنّ من البيان لسحراً[4]».

وقال: «إذا علم أحدكم من أخيه خيراً فليخبره فإنّه يزداد رغبة في الخير[5]» وقال: «إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه[6]» وقيل: من عرف نفسه لم يضرّه مدح الناس.

فدقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه، فإنّ أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلّة النفع، ومثل هذا العلم هو الّذي يقال فيه: إنّ تعلّم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة. إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطّل وعلى الجملة فالأخذ في الملأ والردُّ في السرّ أحسن المسالك وأسلمها، فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات إلّا أن تكمل المعرفة بحيث يستوي السرّ والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر يتحدّث به ولا يرى.

❁(بيان الافضل من أخذ الصدقة او الزكاة)❁

قيل: إنّ الأخذ من الصدقة أفضل لأنّ في أخذ الزكاة مزاحمةً للمساكين

---

(١) قال العراقى: الحديث متفق عليه من حديث أبى بكرة بلفظ «ويحك قطعت عنق صاحبك» وزاد الطبرانى فى رواية «والله لوسمعها ما أفلح أبداً»: أقول: أخرج صدره أحمد فى المسند ج ٥ ص ٤١.

(٢) نقله ابن الاثير فى اسدالغابة ج ٤ ص ٢١٩ من حديث قيس بن عاصم و أن النبى صلى الله عليه وآله قال له ذلك.

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٧١٢. وفى لفظه «اذا أتاكم الخ». وهكذا فى الكافى ج ٢ ص ٦٥٩.

(٤) أخرجه الترمذى فى الصحيح ج ٨ ص ١٨٤.

(٥) رواه الدار قطنى فى العلل من حديث أبى هريرة. (المغنى).

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك كما فى الجامع الصغير باب الهمزة.

وتضييق عليهم ، ولأنّه ربما لايكمل في أخذها صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب .
و أمّا الصدقة فالأمر فيها أوسع ، و قيل : بل أخذ الزكاة أولى لأنّه إعانة على واجب ولوترك المساكين كلّهم أخذ الزكاة لأثموا ، و لأنّ الزكاة لامنّة فيها و إنّما هي حقّ واجبٌ لله رزقاً لعباده المحتاجين ، ولأنّه أخذ بالحاجة والإنسان يعلم حاجة نفسه قطعاً وأخذ الصدقة أخذ بالدّين فإنّ الغالب أنّ المتصدّق يعطي من يعتقدفيه خيراًولأنّ مراقبة المساكين أدخل في الذّلّ والمسكنة وأبعد عن التكبّر إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة في معرض الهديّة فلا تتميّزعنها وهذا تنصيص على ذلّ الأخذ وحاجته .
والقول الحقّ في هذا أنّ هذا يختلف باختلاف أحوال الشخص و ما يغلب عليه ويحضره من النيّة ، فإن كان في شبهة من اتّصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة وإذا علم أنّه مستحقٌّ قطعاً كما إذا حصل عليه دين صرفه إلى خيروليس له وجه في قضائه فهو مستحقٌّ قطعاً فإذا خيّرهذا بين الزكاة و الصدقة فإن كان صاحب الصدقة لا يتصدّق بذلك المال لولم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فإنّ الزكاة الواجبة يصرفه صاحبه إلى مستحقّه ، ففي ذلك تكثير للخيروتوسيع على المساكين ، وإن كان المال معرضاً للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخيّرٌ والأمر فيهمامتقارب ، وأخذالزكاة أشدّ في كسرالنفس و إذلالها في أغلب الأحوال » .
أقول : في الشقّ الأخير أيضاً أخذ الصدقة أولى لأنّها أطهرلإباحتها للمعصومين عليهم السلام كما عرفت سيّما إذا كان الآخذ من أهل العلم والبصيرة بل لاينبغي له أخذالصدقة أيضاً إلّا مع الضّرورة الشديدة فضلاً عن الزكاة لما عرفت من حديث العسكريّ عليه السلام ومع الضرورة يجب الأخذ ، قال الصادق عليه السلام : « تارك الزكاة وقد وجبت له مثل مانعه وقد وجبت عليه(١) » .

﴿ الباب الخامس فى زكاة الجسد ﴾

روى في الكافي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً لأصحابه:

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٧٨ . و الكافى ج٣ ص ٥٦٣ رقم ٢ .

« ملعون كلّ مال لايزكّى ، ملعون كلّ جسد لايزكّى ، ولو في كلّ أربعين يوماً مرّة ، فقيل له : يا رسول الله أمّا زكاة المال فقد عرفناها فما زكاة الأجساد ؟ فقال لهم : أن تصاب بآفة ، قال : فتغيّرت وجوه الّذين سمعوا ذلك منه ، قال : فلّما رآهم قد تغيّرت ألوانهم قال : هل تدرون ماعنيت بقولي ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : إنّ الرّجل يخدش الخدشة، وينكب النكبة ، ويعثر العثرة ، و يمرض المرضة ، ويشاك الشوكة وما أشبه هذا ـ حتّى ذكر في حديثه اختلاج العين ـ »[1] .

وعن الصادق عليه السلام : « على كلّ جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عزّ وجلّ ، بل على كلّ منبت شعرك ، بل على كلّ لحظة من لحظاتك ، فزكاة العين النظر بالعبر والغضّ عن الشهوات ومايضاهيها ، وزكاة الأذن استماع العلم والحكمة والقرآن و فوائد الدّين من الموعظة والنصيحة ومافيه نجاتك بالاعراض عمّا هو ضدّه من الكذب والغيبة وأشباههما، وزكاة اللّسان النصح للمسلمين ، والتيقّظ للغافلين ، و كثرة التسبيح والذكر وغيره ، وزكاة اليد البذل والسخاء بما أنعم الله به عليك ، وتحريكها بكتبة العلوم ، و منافع ينفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى ، والقبض عن الشرور ، وزكاة الرّجل السعي في حقوق زيارة الصالحين ، ومجالس الذكر ، وإصلاح الناس ، وصلة الرحم ، والجهاد ، ومافيه صلاح قلبك وسلامة دينك ، هذا ماتحمّل القلوب والتقوى استعماله وما لايشرف عليه إلّا عباده المقرّبون المخلصون أكثر من أن يحصى وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم »[2] .

هذا آخر كتاب أسرار الزكاة ومهمّاتها من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الصيام ومهمّاته والحمد لله أوّلاً وآخراً .

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٢٥٨ تحت رقم ٢٦ . وقوله :«ينكب النكبة» هو أن يقع رجله على حجارة و نحوها ، أو يسقط على وجهه ، أو اصابته بلية خفيفة من بلايا الدهر وأمثال ذلك ، و قوله : « يشاك الشوكة » يقال : شاكته الشوكة تشوكه وشيكة اذا دخلت فى جسده شوكة ، و الاختلاج حركة سريعة متواترة غير عادية تعرض لجزء من البدن .

(٢) مصباح الشريعة الباب الثانى والعشرون .

كتاب اسرار الصيام ومهماته

وهو الكتاب السادس من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي أعظم على عباده المنّة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنّه ، وردّ أمله وخيّب ظنّه ، إذ جعل الصوم حصناً لأوليائه وجُنّة ، وفتح لهم أبواب الجنّة و عرّفهم أنّ وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنّة ، وأنّ بقمعها تصبح النفس المطمئنّة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها ، قويّة المُنّة[1] .

والصلاة على محمّد قائد الحقّ و ممهّد السُنّة ، و على آله المعصومين و أصحابه ذوي العقول المرجحنّة[2] ، وسلّم كثيراً .

اما بعد فإنّ الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله صلّى الله عليه وآله : « الصوم نصف الصبر»[3] وبمقتضى قوله : « الصبر نصف الايمان [4]» ثمّ هو متميّز بخاصيّة النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيّه صلّى الله عليه وآله : « كلّ حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلّا الصيام فإنّه لي وأنا أجزي به[5]» وقد قال تعالى : «إنّما

(١) المنة ـ بالضم ـ : القوة .

(٢) قال في القاموس باب النون فصل الراء : جيش مرجحن ورحى مرجحنة أى ثقيلة .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ٢٦٠ . وفي لفظ ابن ماجه والبيهقي «الصيام نصف الصبر» كما في الجامع الصغير باب الصاد .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب كما في الجامع الصغير باب الصاد .

(٥) أخرجه النسائي في سننه ج ٤ ص ١٦٢ عن أبي هريرة باختلاف في اللفظ .

يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب (١)، والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب، وناهيك في فضيلته قوله ﷺ: «والّذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يقول الله عزّ وجلّ: إنّما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به» (٢).

وقال ﷺ: «للجنّة باب يقال له: الريّان لا يدخل منه إلّا الصائمون (٣)» وهو موعودٌ بلقاء الله تعالى في جزاء صومه، قال رسول الله ﷺ: «للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربّه (٤)».

وقال ﷺ: «لكلّ شيء باب وباب العبادة الصوم (٥)».

وقال: «نوم الصائم عبادة (٦)».

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الفقيه (٧):

قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحجّ

---

(١) الزمر: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري ج ٣ ص ٣٠ وفيه «انما يترك شهوته». والنسائي ج ٤ ص ١٦٣ وفيه «انما يدع شهوته». وخلوف الفم - بضم المعجمة واللام وسكون الواو على المشهور وقيل بفتح المعجمة - وهو تغير رائحته.

(٣) أخرجه البخاري ج ٣ ص ٣٠، والنسائي ج ٤ ص ١٦٨ بلفظ آخر وكذا في سنن ابن ماجه. وقال الزركشي: الريان فعلان أي كثير الري ضد العطش سمي به لانه جزاء الصائمين على عطشهم وجوعهم واكتفى بذكر الري عن الشبع لانه يدل عليه من حيث أنه يستلزم.

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٦٣٨، وفي سنن النسائي ج ٤ ص ١٥٩.

(٥) قال العراقي: أخرجه ابن المبارك في الزهد. وقال في الجامع الصغير: اخرجه هناد عن ضمرة بن حبيب مرسلا.

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الايمان وفيه «نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف» كما في الجامع الصغير باب النون.

(٧) باب فضل الصيام ص ١٦٧.

والصوم والولاية [١] ».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « الصوم جُنّة من النار [٢] ».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « الصائم في عبادة وإن كان نائماً على فراشه مالم يغتب مسلماً [٣] ».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « قال الله تعالى: الصوم لي وأنا أجزي به، وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربّه عزّ وجلّ، و الّذي نفس محمّد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك [٤] ».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: « ألا أخبركم بشيء إن فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الصوم يسوّد وجهه، و الصّدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله والموازرة على العمل الصالح تقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه، ولكلّ شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام [٥] ».

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: « إنّ الله تعالى وكّل ملائكة بالدّعاء للصائمين، و قال: أخبرني جبرئيل عن ربّه تعالى ذكره أنّه قال: ماأمرت ملائكتي بالدّعاء لأحد من خلقي إلّا استجبت لهم فيه [٦] ».

وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: « استعينوا بالصبر والصلاة [٧] » قال: « يعني بالصبر الصوم ».

و قال عليه السلام: إذا نزلت بالرّجل النازلة أو الشدّة فليصم، فإنّ الله تعالى يقول: « واستعينوا بالصبر والصلاة » [٨].

وقال عليه السلام: «من صام لله عزّوجلّ يوماً في شدّة الحرّ فأصابه ظمأ وكّل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشّرونه حتّى إذا أفطر، قال الله تعالى: « ماأطيب ريحك وروحك

---

(١) الى (٦) المصدر ص ١٦٧ رقم ١ الى ٦ ورقم ١٠ و ١١ . والموازرة: المعاونة، و دابره اى آخره بحيث لم يبق منه شيء ويمكن أن يقال: الدابر ههنا التابع والجند او كناية عن الاستيصال . والوتين عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه .

(٧) البقرة: ٤٥ .

(٨) الكافى ج٤ ص٦٣ رقم ٧، والفقيه ص ١٦٨ رقم ٨ و٩ .

يا ملائكتي اشهدوا أنّي قد غفرت له (١) ».

وقال أبوالحسن الأوّل عليه السلام: « قيلوا فإنّ الله تبارك وتعالى يطعم الصائم ويسقيه في منامه (٢) ».

وقال الصادق عليه السلام: « نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، و عمله متقبّل، و دعاؤه مستجاب (٣) ».

وأعظم الصيام أجراً صوم شهررمضان ففي الحديث النبويّ صلى الله عليه وآله « من صام شهر رمضان إيماناً واحتساباً، و كفّ سمعه و بصره ولسانه عن النّاس قبل الله صومه و غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وأعطاه ثواب الصابرين (٤) ».

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام « أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سئل عن ليلة القدر، فقام خطيباً فقال بعد الثناء على الله عزّوجلّ: « أمّا بعد فإنّكم سألتموني عن ليلة القدر ولم أطوها عنكم لأنّي لم أكن بها عالماً اعلموا أيّها النّاس أنّه من ورد عليه شهررمضان وهو صحيح سويّ فصام نهاره وقام ورداً من ليله وواظب على صلاته و هجّر إلى جمعته وغدا إلى عيده فقد أدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرّبّ؛ قال الصادق عليه السلام: «فاز والله بجوائز ليست كجوائز العباد (٥) ».

و في الصحيح عنه عليه السلام: « قال: إنّما فرض الله الصيام ليستوي به الغنيّ والفقير وذلك أنّ الغنيّ لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير لأنّ الغنيّ كلّما أراد شيئاً قدر عليه فأراد الله عزّ و جلّ أن يسوّي بين خلقه، و أن يذيق الغنيّ نيل الجوع و الألم ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع (٦) ».

(١) الكافى ج ٤ ص٦٤ رقم ٨وص٦٥ رقم ١٧. والفقيه ص ١٦٨ رقم ١٤.

(٢) الكافى ج ٤ ص ٦٥ رقم ١٤ والفقيه ص ١٦٨، رقم ١٥ وقوله: « قيلوا » أمر من قال يقيل قيلولة بمعنى النوم قبل الظهر.

(٣) الفقيه ص١٦٨ رقم ١٦.

(٤) رواه المفيد ـ رحمه الله ـ فى المقنعة ص ٤٩.

(٥) رواه الصدوق فى الفقيه ص ١٧٤ تحت رقم ٤ و ٥. و طرق الحديث كثيرة. وهجر الى جمعته أى ذهب اليه فى الهاجرة.

(٦) الفقيه ص ١٦٧ رقم ١.

قيل : لولم يكن في الصوم إلّاالارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيميّة إلى ذروة التشبّه بالملائكة الرّوحانيّة لكفى به فضلاً ومنقبة .

قال أبوحامد : « إنّما كان الصوم لله ومشرّفاً بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلّها له كما شرّف البيت بالنسبة إليه والأرض كلّها له لمعنيين : أحدهما أنّ الصوم كفّ وترك وهو في نفسه سرّ ليس فيه عمل يشاهد فجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يعلمه إلّا الله تعالى فإنّه عمل في الباطن بالصبر المجرّد ، والثاني أنّه قهر لعدوّ الله فإنّ وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات ، وإنّما يقوي الشهوات بالأكل والشرب و لذلك قال ﷺ : «إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدّم فضيّقوا مجاريه بالجوع (١) » وسيأتي فضائل الجوع في كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات ، فلمّا كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان وسدّاً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه استحقّ التخصيص بالنسبة إلى الله ففي قمع عدوّ الله نصرة لله ونصرة الله للعبد موقوفة على النصرة له قال الله : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم (٢) » فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله ولذلك قال : « والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا (٣) » وقال : «إنّ الله لايغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم (٤) » و إنّما التغيير بكسر الشهوات ، فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فمادامت مخصبة (٥) لم ينقطع تردّدهم وماداموا يتردّدون فلاينكشف للعبد جلال الله و كان محجوباً عن لقائه قال رسول الله ﷺ : « لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٦) » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جُنّة فإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحدّ فلابدّ من بيان شروطه وذكر أركانه وآدابه وسننه الظاهرة والباطنة ونبيّن ذلك بثلاثة أبواب :

(١) أخرج صدره البخاري ج ٣ ص ٦٢ وأحمد في المسند ج ٣ ص ١٥٦ و ٢٧٥ و ٣٠٩.
(٢) سورة محمد : ٧ . (٣) العنكبوت : ٦٩ .
(٤) الرعد : ١١ .
(٥) الخصب ـ بالكسر ـ : كثرة العشب وهو الكلاء .
(٦) أخرجه أحمد عن أبي هريرة باختلاف و قوله : « يحومون » من حام الطائر حول الشيء اذا دار .

﴿الباب الاول﴾

☼(في الشروط والواجبات والمكروهات والسنن الظاهرة)☼
☼(واللوازم بافساده)☼

أقول : ولنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول :

أمّا الشروط فالصوم إنّما هوعلى كلّ مكلّف خال عن الحيض والنفاس ، صحيح من المرض المستضرّ به ، مقيم أو في حكمه ولايصحّ بدون هذه الشروط إلّامن النائم والمغمى عليه والمجنون مع سبق النيّة منهم ومن الصبيّ المميّز على خلاف في غير النائم أمّا الحائض و النفساء وا لمريض المتضرّر به فلا يصحّ منهم قولاً واحداً .

وأمّا المسافر فلا يصحّ منه صوم رمضان بلاخلاف ولا غيره من الصيام الواجب إلّا ثلاثة أيّام بدل الهدي و ثمانية عشر بدل البدنة لمن أفاض من عرفات قبل الغروب عامداً ، والنذر المشترط سفراً و حضراً على إشكال في الأخير والأحوط عدم التعرّض لإيقاع مثل هذا النذر وفي المندوب أقوال ثالثها الكراهة ، والأصحّ المنع منه مطلقاً إلّا ثلاثة أيّام الحاجة عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله ، ولا يجزيء الصوم من أحد من ذوي الأعذار المذكورة إلّا المسافر مع جهله بالحكم والحائض والنفساء يقضيان و كذا المريض والمسافر ، ولوزال عذرهذين قبل الزوال وجب عليهما بخلاف الآخرين ، ولوحصل عذرهما في الأثناء فالمريض يفطرولو قبيل الغروب كالمرأتين و أمّا المسافر فالأصحّ أنّه إن خرج من بيته قبل الزّوال أفطروإن خرج بعده صام واعتدّ به كما في الصحاح المستفيضة وفيه أقوال اُخر ؛ والحامل المقرب والمرضعة القليلة اللّبن إذا ظنّتا الضرر بهما أو بولدهما تفطران وتتصدّقان بمدّ وتقضيان و كذا الشيخ والشيخة وذوالعطاش ، ومدّان لهذه الثلاثة أحسن وأحوط ، وفي وجوب القضاء عليهم خلاف ، وفي الصحيح السقوط .

ويشترط في الصوم النيّة المعيّنة الجازمة ولوكان معيّناً كرمضان والنذر المعيّن كفت القربة و وقتها الاختياريّ فيهما طول اللّيل و الإضطراري إلى الزّوال و في غيرهما إليه

مطلقاً و في النافلة إلى قبيل الغروب كما في الصحاح وفي بعضها إن هو نوى الصوم قبل أن تزول الشمس حسب له يومه وإن نواه بعد الزوال حسب له من الوقت الّذي نوى فيه ، وفي إجزاء نيّة واحدة لصيام الشهر كلّه خلاف ، ويجزىء صوم يوم الشكّ عن رمضان إذا نواه ندباً ثمّ انكشف أنّه منه للاكتفاء فيه بالقربة ولا يجزىء عنه إذا نواه منه خلافاً للخلاف وإنّما يثبت الهلال بالرؤية ولو انفرد بها إذا لم يشكّ وبمضيّ ثلاثين من شعبان ، وبشاهدين عدلين متوافقين ، وبالشياع المفيد للظنّ المتاخم للعلم لاغير ، و يختلف الحكم باختلاف مطالع البلاد .

و أمّا الواجبات و لوازم الإفساد فيجب الإمساك عن تعمّد الأكل و الشرب والجماع والاستمناء والقيء والكذب(١) بلاخلاف ، وعن تعمّد البقاء على الجنابة إلى طلوع الفجر في شهر رمضان وقضائه خاصّة على الأقوى الأشهر ، وعن الارتماس في الماء والحقنة بالمايع على الأصحّ وإلّا فيقضي بغير الأخيرين ، والكذب إن كان الصوم واجباً بلاخلاف ، ويكفّر أيضاً بغير القيء على خلاف فيه ، وفي تعمّد البقاء على الجنابة لصوم رمضان بعتق رقبة ، أو إطعام ستّين مسكيناً أو صوم شهرين متتابعين ؛ و للنذر المعيّن بكفّارة اليمين كما بيّن في القرآن ، ولقضاء رمضان إن أفطر بعد العصر ، وقيل : بعد الزّوال بإطعام عشرة ، ومع العجز فصيام ثلاثة .

وفي وجوب القضاء خاصّة بالارتماس ، والحقنة بالمايع ، والكذب على الله ورسوله والأئمة عليهم السلام ، أو مع الكفّارة أو العدم خلافٌ ، أمّا الحقنة بالجامد و الكذب الآخر فلا يفسد .

و في إيصال الغبار إلى الحلق مطلقاً أو الغليظ منه خاصّة ثمّ في وجوب القضاء به خاصّة أو مع الكفّارة أو العدم أقوال .

و في الموثّق عن الرّضا عليه السلام « أنّه سئل عن الصائم يدخّن بعود أو غير ذلك فتدخل الدخنة في حلقه ؟ قال : لاباس ؛ وعن الصائم يدخل الغبار في حلقه ؟ قال : لابأس(٢) » وفي معارضه ضعفٌ سنداً ودلالةً .

---

(١) أي على الله تعالى و رسوله والائمة عليهم السلام كما يأتي .

(٢) رواه الشيخ في التهذيب ج١ ص٤٤٤ .

وفي الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : «لا يضرّ الصائم ما صنع إذا اجتنب أربع خصال : الطعام و الشراب و النساء و الارتماس في الماء»[١] .

و ليس على الناسي شيء و لا على الموجود في حلقه و لا المكره و لا المتّقي و لا الجاهل بالحكم و القضاء له أحوط و قيل بالكفارة أيضاً .

و من أفطر عامداً في طرفي النهار ثمّ ظهر أنّه وقع نهاراً بالتحقيق فعليه القضاء سواء راعي الوقت أولا ، و إن بقي على حكم ظنّه واجتهاده فلا قضاء ، و مع الشكّ يجوز فعل المفطر في أوّل النهار دون آخره .

و إن نام الجنب حتّى أصبح فإن كان عازماً على الغسل قبل الفجر فلا قضاء عليه و إلّا فيقضي و إن كان عازماً على ترك الطهارة فعليه الكفّارة أيضاً .

و يجب الإمساك بقيّة النهار إن عصى بالإفطار أوقصّر و يستحبّ في مواضع يأتي بيانها في الباب الثالث .

و يجوز إفساد غير المعيّن قبل الزوال مطلقاً ويكره بعده في غير قضاء رمضان و فيه لا يجوز فيكفّر والأفضل للمتطوّع إذا دعي إلى طعام أن يفطر ولو بعد الزوال .

وأما المكروهات فيكره ابتلاع النخامة ، و الريق المتغيّر الطعم بطاهر إذا لم يدخله أجزاء منه ، و صبّ الدواء في الأذن و العين و الأنف إذا لم يبلغ الحلق وفي الإحليل ، و الاكتحال ، و شمّ الرائحة الغليظة و كذا الرياحين و سيّما النرجس ، و الاستنقاع في الماء للمرأة خاصّة ، و بلّ الثوب على الجسد ، و الاستياك بالرطب ، وفي أكثر ذلك قول بالإفساد شاذّ .

و لا بأس بمصّ الخاتم و مضغ الطعام للصبي وزقّ الطائر و ذوق المرق ، و يكره النساء تقبيلاً و لمساً و ملاعبة مع ظنّ عدم الإمناء لمن يحرّك شهوته بذلك وفعل مايوجب الضعف من دخول الحمّام و إخراج الدم و نحوهما ، و إنشاد الشعر في شهر رمضان ، و السفر بعد دخوله إلّا مع الضرورة ، و القول بتحريمه شاذّ .

---

(١) الفقيه ص ١٧٧ ، والتهذيب ج ١ ص ٤٠٩ و ٤٠٦ و ٤٤٢ .

و تزول الكراهة بمضيّ ثلاثة و عشرين يوماً منه كما في الرواية (١) ، و التملّي من الطعام و الشراب للمسافر و الجماع أشدّ كراهة وحرّمه بعضهم.

و اما السنن فيستحبّ الدعاء عند رؤية هلال رمضان أوّل ليلة و إلّا فإلى ثلاث (٢) رافعاً يديه مستقبل القبلة لا إليه ، غير مشير نحوه فيقول : « اللّهمّ أهلّه علينا بالأمن و الايمان ، و السلامة و الاسلام ، و العافية المجلّلة ، والرزق الواسع ، و دفع الاسقام ، اللّهمّ ارزقنا صيامه و قيامه و تلاوة القرآن فيه ، اللّهمّ سلّمه لنا و تسلّمه منّا ».

وأن يغتسل في أوّل ليلة منه ، و في ليلة تسع عشرة ، و إحدى وعشرين ، وثلاث و عشرين .

و إيتان النساء أولّ ليله منه ، والدعاء لكلّ ليلة ويوم منه و عند دخوله و اسحاره و وداعه بالمأثور ، و كثرة تلاوة القرآن فيه و قيام لياليه كلّها وخصوصاً فراداه ، والاتيان بالنوافل المختصّة به مع دعواتها المأثورة ـ و قراءة سورتي العنكبوت و الروم ليلة ثلاث و عشرين ، و سورة القدر فيها ألف مرّة ، و كثرة الجود و البذل في هذا الشهر فإنّه يتضاعف في الأجر ، و تفطير الصائمين .

ففي الخبر « فطرك أخاك الصائم خيرٌ من صيامك (٣)» و الافطار على الحلو فإن لم يجد فالماء الفاتر فإنّه يغسل درن القلب ، وتأخيره عن الصلاة إلّا أن ينتظر إفطاره أو نازعته نفسه .

قال الصادق عليه السلام : «قد حضرك فرضان الافطار و الصلاة فابدأ بأفضلهما وأفضلهما

---

(١) التهذيب ج١ ص٤١٣ .

(٢) قال شيخنا البهائى ـ رحمه الله ـ : وقت الدعاء يمتد بامتداد وقت التسمية هلالا ، والاولى عدم تأخيره عن الاول عملا بالمتيقن عليه لغة و عرفاً ، فان لم يتيسر فمن الثانية لقول أكثر أهل اللغة بالامتداد اليها فان فاتت فمن الثالثة لقول كثير منهم بانها آخر لياليه ، واما ماذكره صاحب القاموس وشيخنا الشيخ أبو على ـ رحمه الله ـ من اطلاق الهلال عليه الى السابعة فهو خلاف المشهور لغة وعرفاً وكانه مجاز من قبيل اطلاقه عليه فى الليلتين الاخريين .

(٣) الكافى ج ٤ ص ٦٨ ، والتهذيب ج١ ص ٤٠٩ ، والمحاسن ص ٣٩٦ .

الصلاة ، ثمّ قال : تصلّي و أنت صائمٌ قبلت صلاتك تلك وتختم بالصوم أحبُّ إليّ » (١) .

و تقول عندالإفطار : «اللّهمّ لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبّله منّا ذهب الظماء و ابتلّت العروق و بقي الأجر».

والسحورففي الخبر « تسحّروا ولوبجرع الماء ألا صلوات الله على المتسحّرين»(٢) و يتأكّد في الواجب المعيّن ـ و في رمضان آكد ، و أقلّه الماء و أفضله السويق والتمر ، و كلّما قرب من الفجر كان أفضل .

و الاعتكاف فيه لا سيّما في العشر الأخير منه و هي عادة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش و شدّ المئزر و دأب و أدأب أهله (٣) أي أداموا النصب في العبادة إذ فيها ليلة القدر ، و الأغلب أنّها في أوتارها و أشبه أوتاره ليلة إحدى و عشرين و ثلاث و عشرين .

ولا اعتكاف عندنا أقلّ من ثلاثة أيّام و لا في غير مسجد جامع ، و يحرم فيه النساء جماعاً و لمساً و تقبيلاً ، نهاراً و ليلاً ، وكذا المماراة و البيع و الشراء و شمّ الطيب و التلذّذ بالريحان والخروج من المسجد إلّا لقضاء حاجة أو حضور جمعة أو تشييع جنازة أو عيادة مريض أو نحوها ، ثمّ لا يجلس حتّى يرجع ، و لا بأس بالصعود إلى السطح و الخروج ببعض بدنه أو مكرها أوسهواً .

﴿ الباب الثانى ﴾

(فى أسرار الصوم و شروطه الباطنة)

«اعلم أنّ للصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص أمّا صوم العموم فهو كفّ البطن و الفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله .

وأمّا صوم الخصوص فهو كفّ السمع والبصر واللّسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام ».

---

(١) التهذيب ج ١ص ٤٠٨ رواه عن زرارة وفضيل عن أبي جعفر عليه السلام .

(٢) التهذيب ج ١ص ٤٠٨ ورواه أيضا فى الامالى ص ٣١٧ . وفى المقنعة ص٥ .

(٣) روى مسلم فى صحيحه ج ٣ص ١٧٦ مثله .

أقول : و إليه الإشارة بمارواه أصحابنا بإسناد حسن عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « إذا صمت فليصم سمعك و بصرك و شعرك و جلدك ـ وعدّ أشياء غيرهذا ـ وقال : لايكون يوم صومك كيوم فطرك [(۱)] » و زاد في خبر آخر « ودع المراء وأذى الخادم و ليكن عليك وقار الصيام فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سمع امرأة تسبّ جاريتها و هي صائمة فدعا بطعام فقال لها : كلي ، فقالت إنّي صائمة ، فقال : كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك إنّ الصوم ليس من الطعام والشراب [(۲)] » .

قال أبوحامد : « و أمّا صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنيّة والأفكار الدنيويّة و كفّه عمّا سوى الله بالكلّية ، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله و اليوم الآخر ، و بالفكر في الدّنيا إلّا دنيا تراد للدّين فإنّ ذلك زاد الآخرة وليس من الدّنيا حتّى قال أرباب القلوب : من تحرّكت همّته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطرعليه كتبت عليه خطيئة فإنّ ذلك من قلّة الوثوق بفضل الله وقلّة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصدّيقين والمقرّبين ولايطول النظر في تفصيله قولاً ولكن في تحقيقه عملاً فإنّه إقبالٌ بكنه الهمّة على الله وانصراف عن غير الله وتلبّس بمعنى قوله تعالى « قل الله ثمّ ذرهم » [(۳)] .

أقول : وإليه الإشارة بماروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الصوم جُنّة » [(٤)] أي ستر من آفات الدّنيا وحجاب من عذاب الآخرة ، فإذا صمت فانو بصومك كفّ النفس عن الشهوات وقطع الهمّة عن خطوات الشيطان ، فأنزل نفسك منزلة المرضى لاتشتهي طعاماً وشراباً متوقّعاً في كلّ لحظة شفاءك من مرض الذّنوب ، و طهّر باطنك من كلّ كدر و غفلة وظلمة يقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « قال الله عزّوجلّ : الصوم لي وأنا أجزي به [(٥)] » فالصوم يميت موادّ

(۱) الكافی ج٤ ص۸۷، والفقيه ص۱۷۷ . وكذا الخبر الاخر .
(۲) الكافی ج ٤ ص ۸۷ رقم ۳ ، والفقيه ص ۱۷۸ ، والتهذيب ج ۱ص ٤۰۷ .
(۳) الانعام : ۹۱ .
(٤) الكافی ج ٤ ص ٦۲ و فيه « الصوم جنة من النار » .
(٥) رواه العامة والخاصة كما مر ، ورواه أحمد ج۱ ص۱۹٥ .

النفس وشهوة الطبع، وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر و الباطن و الشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء و زيادة التضرّع و الخشوع والبكاء وحبل الإلتجاء إلى الله وسبب انكسار الهمّة و تخفيف الحساب و تضعيف الحسنات، و فيه من الفوائد مالا يحصى و كفى بما ذكرناه منبّهاً لمن عقل و وفّق لا ستعماله.

قال أبوحامد: «و أمّا صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كفّ الجوارح عن الآثام و تمامه بستّة اُمور:

ألأوّل غضّ البصر و كفّه عن الاتّساع في النظر إلى كلّ ما يذمّ ويُكره، و إلى كلّ ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله، قال ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه[١]».

و عنه ﷺ «خمس يفطرن الصائم: الكذب والغيبة والنميمة و اليمين الكاذبة والنظر بشهوة»[٢].

الثاني حفظ اللّسان عن الهذيان، و الكذب، و الغيبة، و النميمة، و الفحش، و الجفاء والخصومة، و المراء، و إلزامه السكوت أوشغله بذكر الله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللّسان، و قد قال ﷺ: «إنّما الصوم جُنّة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولايجهل، وإن امرؤ قاتله أوشاتمه فليقل: إنّي صائم[٣]» وجاء في الخبر[٤] «أنّ امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فأجهد هما الجوع والعطش من آخر النهار حتّى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله ﷺ تستأذناه في الافطار، فأرسل إليهما قدحاً وقال: قل لهما قيئافيه ماأكلتما، فقاءت إحداهما نصفه دماًعبيطاً ولحماً غريضاً، و قاءت الاُخرى مثل ذلك حتّى ملأتاه، فعجب الناس من ذلك، فقال ﷺ: ها تان صامتا عمّا أحلّ الله لهما و أفطرتا على ما حرّم الله عليهما، قعدت إحداهما إلى الاُخرى فجعلتا تغتابان

(١) رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٦٣.
(٢) قال العراقي: الحديث أخرجه الازدي في الضعفاء من رواية جابان.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ٣٠٦ و ٣١٣ و ٣٥٦ و ج ٦ ص ٢٤٤.
(٤) رواه أحمد في المسند كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٧١.

الناس فهذا ما أكلنا من لحومهم ».

أقول : و من طريق الخاصّة مارواه الصدوق باسناده إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « من اغتاب مسلماً بطل صومه و نقض وضوؤه فإن مات وهو كذلك مات و هو مستحلٌّ لما حرّم الله (١) ».

و في الكافي (٢) باسناده عن الصادق عليه السلام قال : « إنّ الكذبة لتفطر الصائم ، قلت: وأيّنا لايكونّ ذلك منه ؟ قال : ليس حيث تذهب إنّماذاك الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة عليهم السلام ».

« الثالث كفُّ السمع عن الاصغاء إلى كلّ مكروه لأنّ كلّما حرّم قوله حرّم الاصغاء إليه ولذلك سوّى الله تعالى بين المستمع للكذب وآكل السحت فقال : « سمّاعون للكذب أكّالون للسحت (٣) » و قال تعالى : « لولا ينهاهم الرّبّانيّون و الأحبارعن قولهم الاثم وأكلهم السحت (٤) » فالسكوت على الغيبة حرامٌ وقال أيضا : « إنّكم إذاً مثلهم (٥) » ولذلك قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : « المغتاب والمستمع شريكان في الاثم (٦) ».

الرابع كفُّ بقيّة الجوارح من اليد والرجل عن المكاره و كفُّ البطن عن الشبهات وقت الافطار فلامعنى للصوم و هو كفٌّ عن الطعام الحلال ، ثمّ الافطار على الحرام ، فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصراً ويهدم مصراً ، فإنّ الطعام الحلال إنّما يضرُّ بكثرته لابنوعه فالصوم لتقليله و تارك الاستكثار من الدّواء خوفاً من ضرره إذا عدل إلى تناول السمّ كان سفيهاً والحرام سمٌّ يهلك الدّين والحلال دواءٌ ينفع قليله و يضرُّ كثيره ، وقصد الصوم تقليله وقد قال صلّى الله عليه وآله : « كم من صائم ليس له من صومه إلّا الجوع والعطش (٧) »

(١) رواه في عقاب الاعمال .
(٢) المصدر ج ٢ ص٣٤ تحت رقم ٩ .
(٣) المائدة : ٤٢ . (٤) المائدة :٦٣ .
(٥) النساء : ١٤٠ .
(٦) جامع الاخبار باب الغيبة مثله و قال العراقي : الحديث غريب وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة
(٧) أخرجه أحمد في مسنده ج ٢ص٤٤١ .

فقيل : هو الّذي يفطر على الحرام ، وقيل : هو الّذي يمسك عن الطعام الحلال و يفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام ، وقيل : هو الّذي لايحفظ جوارحه عن الآثام .

الخامس أن لايستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتليء فما من وعاء أبغض إلى الله من بطن مليء من حلال و كيف يستفاد من الصوم قهر عدوّ الله و كسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره مافاته ضحوة نهاره ، و ربما يزيد في ألوان الطعام حتّى استمرّت العادات بأن يدّخر جميع الأطعمة لرمضان فيأكل من الأطعمة فيه مالايؤكل في عدّة أشهر ، ومعلوم أنّ مقصود الصوم الخوى[1] و كسر الهوى ليقوي النفس على التقوى ، و إذا دفعت المعدة ضحوة النهار إلى العشاء حتّى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثمّ أطعمت من اللّذات وأشبعت زادت لذّتها ، وتضاعفت قوّتها ، وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها ، فروح الصوم وسرّه تضعيف القوى الّتي هي وسائل الشيطان في القود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلّا بالتقليل وهو أن يأكل أكلة الّتي كان يأكلها كلّ ليلة لو لم يصم ، و أمّا إذا جمع ماكان يأكل ضحوة إلى ماكان يأكل ليلاً فلم ينتفع بصومه ، بل من الآداب أن لايكثر النوم بالنهار حتّى يحسّ بالجوع والعطش ، ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كلّ ليلة قدر أمن الضعف حتّى يخفّ عليه تهجّده وأوراده ، فعسى الشيطان لايحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء ، وليلة القدر عبارة عن اللّيلة الّتي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر[2]» ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ، ومن أخلى معدته فلايكفيه ذلك لرفع الحجاب حتّى يخلو همّته عن غير الله تعالى وذلك هو الأمر كلّه ، ومبدء جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله .

السادس أن يكون قلبه بعد الإفطار معلّقاً مضطرباً بين الخوف و الرجاء إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقرّبين أو يردّ عليه فهو من الممقوتين ، وليكن كذلك في آخر

---

(١) الخوى - بفتح المعجمة و فتح الواو مقصوراً - و الخواء - ممدوداً -: خلو الجوف من الطعام .

(٢) القدر : ٢ .

كلّ عبادة يفرغ منها ، فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن أنّه مرّ بقوم يوم العيد و هم يضحكون فقال : «إنّ الله عزّ وجلّ جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه ، يستبقون فيه لطاعته ، فسبق أقوامٌ ففازوا ، و تخلّف أقوامٌ فخابوا ، فالعجب كلّ العجب للضاحك اللاعب في اليوم الّذي فاز فيه المسارعون و خاب فيه المبطلون ، أما والله لو قد كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء عن إساءته » أي كان سرور المقبول يشغله عن اللّعب ، وحسرة المردود تسدّ عليه باب الضحك » .

أقول : وهذا الخبر رواه في الفقيه [1] في كتاب الصلاة عن الحسن بن عليّ عليهما السلام ، و في كتاب الصوم [2] عن الحسين بن عليّ عليهما السلام بأدنى تغيير في اللّفظ .

قال أبو حامد : « فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم .

﴿فصل﴾

فإن قلت : فمن اقتصر على كفّ شهوة البطن و الفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء : صومه صحيح فما معناه ؟

فاعلم أنّ فقهاء الظاهر يثبتون شروطه الظاهرة بأدلّة هي أضعف من هذه الأدلّة الّتي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لا سيّما الغيبة و أمثالها ، و لكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلّا ما يتيسّر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته ، فأمّا علماء الآخرة فيعنون بالصحّة القبول و بالقبول الوصول إلى المقصود و يفهمون أنّ المقصود من الصوم التخلّق بخلق من أخلاق الله تعالى ، و هو الصمديّة و الاقتداء بالملائكة في الكفّ عن الشهوات بحسب الإمكان ، فإنّهم منزّهون عن الشهوات ، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، و دون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه و كونه مبتلى بمجاهدتها ، فكلّما انهمك في الشهوات انحطّ إلى

(١) المصدر ص ١٣٥ تحت رقم ٢٧ .

(٢) المصدر ص ١٩٧ تحت رقم ١٩ .

أسفل السافلين و التحق بغمار البهائم ، وكلّما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى علّيّين ، والتحق بأفق الملائكة ، و الملائكة مقرّبون من الله ، و الّذي يقتدي بهم و يتشبّه بأخلاقهم يقرب من الله كقربهم ، فإنّ الشبيه من القريب قريب ، و ليس القرب ثمّة بالمكان بل بالصفات و إذا كان هذا سرّ الصوم عند أرباب الألباب و أصحاب القلوب فأيّ جدوى لتأخير أكلة و جمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول النهار ، ولو كان لمثله جدوى فأيّ معنى لقوله صلى الله عليه وآله : «كم من صائم ليس له من صومه إلّا الجوع و العطش» ، و لهذا قال أبو الدرداء : يا حبّذا نوم الأكياس وفطرهم ، كيف يغبنون صوم الحمقى و سهرهم ، و لذرّة من ذي يقين و تقوى أفضل و أرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترّين ؛ و لذلك قال العلماء : كم من صائم مفطر ، و كم من مفطر صائم ؛ و المفطر الصائم هو الّذي يحفظ جوارحه عن الآثام و يأكل و يشرب ، والصائم المفطر هو الّذي يجوع و يعطش و يطلق جوارحه ، و من فهم معنى الصوم و سرّه علم أنّ مثل من كفّ عن الأكل و الجماع و أفطر بمفارقة الآثام كمن مسح كلّ عضو من أعضائه في الوضوء و أتى بجميع الآداب و السنن و الأذكار فقد وافق في الفضائل إلّا أنّه ترك المهمّ و هو الغسل ، فصلاته مردودة عليه لجهله ، و مثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه الواجب غسلها ومسح الواجب مسحه و اقتصر على الفرائض فصلاته صحيحة متقبّلة لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل ، ومثل من جمع بينهما كمن جمع بين الأصل و الفضل في الوضوء و هو الكمال ، و قد قال صلى الله عليه وآله : «إنّما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته» (١) ولمّا تلا قوله تعالى : «إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها» وضع يده على سمعه و بصره فقال : السمع أمانة و البصر أمانة» (٢) و لولا أنّه من أمانات الصوم لما قال : «فليقل إنّي صائم» أي إنّي أودعت لساني لأحفظ فكيف

---

(١) قال العراقي : أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود في حديث الامانة والصوم واسناده حسن .

(٢) الآية في سورة النساء : ٥٨ والخبر أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم وابن حبان وابوداود كما في الدر المنثور ج٢ص ١٧٥ . بدون قوله : «السمع أمانة والبصر أمانة».

أطلقه بجوابك ، فإذن قد ظهر أنّ لكلّ عبادة ظاهراً و باطناً و قشراً و لبّاً ، و للقشور درجات ولكلّ درجة طبقات ، فإليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللّباب أوتتحيّز إلى غمار أرباب الألباب (١).

﴿الباب الثالث﴾

(في التطوع بالصيام)

أقول : روى في الفقيه عن عليّ عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صام يوماً تطوّعاً أدخله الله عزّ و جلّ الجنّة » (٢).

و عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من ختم له بصيام يوم دخل الجنّة » (٣) .

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من صام يوماً في سبيل الله كان له كعدل سنة يصومها » (٤) .

وقال صلى الله عليه وآله : « ما من صائم يحضر قوماً يطعمون إلّا سبّحت له أعضاؤه وكانت صلاة الملائكة عليه و كانت صلاتهم استغفاراً »(٥).

قال : و روى الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن محمّد بن مروان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم حتّى يقال : لا يفطر ، و يفطر حتّى يقال : لا يصوم ، ثمّ صام يوماً و أفطر يوماً ، ثمّ صام الاثنين و الخميس ثمّ آل من ذلك إلى صيام ثلاثة أيّام في الشهر : الخميس في أوّل الشهر ، وأربعاء في وسط الشهر و خميس في آخر الشهر ، وكان يقول : ذلك صوم الدهر » .

و قد كان أبي عليه السلام يقول : « ما من أحد أبغض إلى الله عزّ وجلّ من رجل يقال : له : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل كذا وكذا ، فيقول : لا يعذّبني الله على أن أجتهد في

---

(١) غمار الناس جمعهم المتكاثف (النهاية) .

(٢) الى (٥) المصدر ص ١٧١ رقم ٢و٣و٤و٦ .

الصلاة و الصوم كأنّه يرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ترك شيئاً من الفضل عجزاً عنه » (١).

و في رواية حمّاد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « صام رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى قيل : ما يفطر ثمّ أفطر حتّى قيل : ما يصوم ، ثمّ صام صوم داود عليه السلام يوماً ويوماً لا ، ثمّ قبض صلى الله عليه وآله على صيام ثلاثة أيّام في الشهر وقال : يعدلن صوم الدهر ويذهبن بوحر الصدر ، قال حمّاد : الوحر الوسوسة ؛ قال حمّاد فقلت : وأيّ الأيّام هي؟ قال : أوّل خميس في الشهر ، وأوّل أربعاء بعد العشر منه ، و آخر خميس فيه ، فقلت : و كيف صارت هذه الأيّام تصام فيهنّ ؟ فقال : لأنّ من قبلنا من الاُمم كانوا إذا نزل على أحدهم العذاب نزل في هذه الأيّام فصام رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الأيّام لأنّها الأيّام المخوفة (٢)» .

وروى الفضيل بن يسار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «إذا صام أحدكم الثلاثة الأيّام من الشهر فلا يجادلنّ أحداً ولا يجهل ولا يسرع إلى الحلف والأيمان بالله و إن جهل عليه أحد فليتحمّل (٣)» .

و روى عبدالله بن المغيرة عن حبيب الخثعمي قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أخبرني عن التطوّع وعن هذه الثلاثة الأيّام إذا أجنبت في أوّل اللّيل فأعلم أنّي أجنبت فأنام متعمّداً حتّى ينفجر الفجر أصوم أولا أصوم ؟ قال : صم (٤)» .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « صيام شهر الصبر وثلاثة أيّام من كلّ شهر يذهب ببلابل الصدر ، و صيام ثلاثة أيّام في كلّ شهر صيام الدّهر ، إنّ الله عزّوجلّ يقول : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (٥) » .

و في رواية عبدالله بن سنان قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : « إذا كان في أوّل الشهر

(١) المصدر ص ١٦٩ رقم ١ ، والكافي ج ٤ ص ٩٠ رقم ٣ .
(٢) الفقيه ص ١٦٩ رقم ٣ ، والكافي ج ٤ ص ٨٩ رقم ١ .
(٣) الكافي ج ٤ ص ٨٨ تحت رقم ٤ ، وفي الفقيه ص ١٧٠ رقم ٥ .
(٤) الفقيه ص ١٧٠ رقم ٦ .
(٥) الانعام : ١٦٠. والبلبال : الهم والحزن والوسواس والخبر في الفقيه ص ١٧٠ رقم ٧ .

خميسان فصم أوّلهما فإنّه أفضل ، وإذا كان في آخر الشهر خميسان فصم آخرهما فإنّه أفضل[1] »

وسئل العالم عليه السلام « عن خميسين يتّفقان في آخر العشر(*) فقال : صم الأوّل فلعلّك لاتلحق الثاني[2] » .

و سأل عيص بن القاسم أبا عبدالله عليه السلام «عمّن لم يصم الثلاثة من كلّ شهر و هو يشتدّ عليه الصيام هل فيه فداء ؟ فقال : مدّ من طعام في كلّ يوم[3] » .

و روى ابن مسكان عن إبراهيم بن المثنّى قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّي قد اشتدّ عليّ صوم ثلاثة أيّام في كلّ شهر فما يجزىء عنّي أن أتصدّق مكان كلّ يوم بدرهم ؟ فقال : صدقة درهم أفضل من صيام يوم[4] » .

وروى الحسن بن محبوب عن الحسن بن أبي حمزة قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : أو لأبي عبدالله عليه السلام : صوم ثلاثة أيّام في الشهر أؤخّره في الصيف إلى الشتاء فإنّي أجده أهون عليّ ؟ فقال : نعم فاحفظها[5] » .

وفي رواية ابن بكير عن زرارة « أنّ صوم الثلاثة الأيّام جميع ماجرت به السنّة في الصوم[6] » .

❊(فصل)❊

ومن الصيام المتأكّد صوم رجب وشعبان أوماتيسّر منهما فإنّ رجب شهر أمير المؤمنين عليه السلام وشعبان شهر رسول الله صلّى الله عليه وآله كما أنّ رمضان شهر الله عزّ وجلّ ؛ و قد ورد في صومها الحثّ الأكيد والثواب الجزيل ، وكذا في أبعاضهما على التفصيل يوماً و يومين وثلاثة إلى الثلاثين نطوي ذكرها روماً للاختصار .

وفي الفقيه[7] « روي عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال : من صام أوّل يوم من ذي الحجّة

(*) لعل الصواب «آخر الشهر» كما في بعض نسخ الفقيه .

(١) الى (٦) الفقيه ص١٧٠ رقم ١٠و٨و١١و١٢و١٣و١٤ .

(٧) المصدر ص ١٧١ رقم ٧ .

كتب الله له صوم ثمانين شهراً فإن صام التسع كتب الله عزّ وجلّ له صوم الدّهر» وقال الصادق عليه السلام: «صوم يوم التروية كفّارة سنة ويوم عرفة كفارة سنتين»(١).

وروي «أنّ في أوّل ذي الحجّة اُنزلت توبة داود عليه السلام فمن صام ذلك اليوم كان كفّارة تسعين سنة (٢)».

و روى عن يعقوب بن شعيب قال: «سألت أباعبدالله عليه السلام عن صوم يوم عرفة قال: إن شئت صمت وإن شئت لم تصم (٣)».

وروى حنان بن سدير عن أبيه قال: «سألته عن صوم يوم عرفة فقلت: جعلت فداك إنّهم يزعمون أنّه يعدل صوم سنة، قال: كان أبي عليه السلام لا يصومه، قلت: ولم جعلت فداك؟ قال: يوم عرفة يوم دعاء ومسألة فأتخوّف أن يضعفني عن الدّعاء و أكره أن أصومه أتخوّف أن يكون يوم عرفة يوم الأضحى وليس بيوم صوم (٤)».

و روى الحسن بن عليّ الوشاء قال: «كنت مع أبي وأنا غلام فتعشّينا عند الرضا عليه السلام ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة، فقال له: ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم، وولد فيها عيسى ابن مريم، وفيها دحيت الأرض من تحت الكعبة، فمن صام ذلك اليوم كان كمن صام ستّين شهراً (٥)».

وروي «أنّ في تسع وعشرين من ذي القعدة أنزل الله عزّوجلّ الكعبة وهي أوّل رحمة نزلت فمن صام ذلك اليوم كان كفّارة سبعين سنة (٦)».

وروى الحسن بن راشد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت: جعلت فداك للمسلمين عيد غير العيدين؟ قال: نعم يا حسن وأعظمهما وأشرفهما، قال: قلت له: فأيّ يوم هو؟ قال: يوم نصب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام علماً للناس، قلت: جعلت فداك و أيّ يوم هو؟ قال: إنّ الأيّام تدور وهو يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة، قال: جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه؟ قال: تصومه يا حسن وتكثر فيه الصلاة على محمّد وأهل بيته عليهم السلام وتبرأ إلى الله عزّوجلّ ممّن ظلمهم حقّهم، فإنّ الأنبياء عليهم السلام كانت تأمر الأوصياء باليوم الّذي كان يقام فيه الوصيّ أن يتّخذ عيداً، قال: قلت: ما لمن صامه منّا؟ قال: صيام ستّين

(١) الى (٦) المصدر ص ١٧١ رقم ٨و٩و١٠و١٣و١٧و١٨ .

شهراً ولا تدع صيام يوم سبعة وعشرين من رجب فإنّه هو اليوم الّذي اُنزلت فيه النبوّة على محمّد صلى الله عليه وآله وثوابه مثل ستّين شهراً لكم»[1].

و روى المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «صوم يوم غدير خمّ كفّارة ستّين سنة[2]».

و «في أوّل يوم من المحرّم دعا زكريّا عليه السلام ربّه عزّ وجلّ فمن صام ذلك اليوم استجاب الله له كما استجاب لزكريّا عليه السلام[3]».

قال:[4] وسأل محمّد بن مسلم وزرارة بن أعين أباجعفر الباقر عليهما السلام عن صوم يوم عاشورا فقال: «كان صومه قبل شهر رمضان فلمّا نزل شهر رمضان ترك».

أقول: ويؤيّد ذلك ماورد عن أهل البيت عليهم السلام أيضاً «أنّ من صامه كان حظّه من ذلك حظّ ابن مرجانة وآل زياد وهو النار[5]».

وأمّا ما ورد «أنّ صومه كفّارة سنة[6]» فمحمول على التقيّة أو على الإمساك إلى العصر على وجه الحزن كما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «صمه من غير تبييت وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملاً، وليكن إفطارك بعد العصر بساعة على شربة من ماء فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وانكشفت الملحمة عنهم[7]».

وينبغي العمل على هذا الحديث لاعتبار سنده، ومثل هذا الصوم يسمّى بصوم التأديب وهو الإمساك عن المفطرات في بعض النهار تشبيهاً بالصائمين، وهو ثابت في سبعة مواطن غير هذا بالنصّ والإجماع: المسافر إذا قدم أهله أو بلداً يعزم فيه إقامة عشرة فمازاد بعد الزوال أو قبله وقد أفطر، وكذا المريض إذا برىء، والحائض والنفساء إذا طهرتا في أثناء

---

(١) الى (٣) المصدر ص ١٧١ رقم ١٩و٢٠و٢١.

(٤) يعنى الصدوق رحمه الله ـ فى الفقيه ص ١٧١ تحت رقم ١ .

(٥) التهذيب ج ١ ص ٤٣٧، الكافى ج ٤ ص١٤٧.

(٦) التهذيب ج ١ ص ٤٣٧، الاستبصار ج ٢ ص ١٣٤.

(٧) رواه الشيخ فى مصباح المتهجد ص ٥٤٧ . و فى النهاية الملحمة هى الحرب و موضع القتال .

النهار ، والكافر إذا أسلم ، والصبيّ إذا بلغ ، والمجنون إذا أفاق ، و كذا المغمى عليه ، ويلحق به تمرين الصبيّ لتسع سنين .

﴿فصل﴾

يحرم صوم العيدين وأيّام التشريق لمن كان بمنى ، ويوم الشك بنيّة رمضان ، وصوم المرأة والمملوك ندباً بغير إذن الزوج والمولى ؛ وفي المرض والسفر إلّا ما استثني ؛ و صوم الصمت والوصال .

وفي الفقيه روى معاوية بن عمّار قال : « سألت أبا عبدالله عليه السلام عن صيام أيّام التشريق ، قال : إنّما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن صيامها بمنى فأمّا بغيرها فلا بأس ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الوصال في الصيام وكان يواصل فقيل له في ذلك ، فقال : إنّي لست كأحدكم إنّي أظلّ عند ربّي فيطعمني ويسقيني (١) » .

و قال الصادق عليه السلام : « الوصال الّذي نهي عنه هو أن يجعل الرّجل عشاءه سحوره (٣) » وسأل زرارة أبا عبدالله عليه السلام عن صوم الدّهر ، فقال : لم يزل مكروهاً ، و قال : لا وصال في صيام ولا صمت يوماً إلى اللّيل (٤) » .

وفي حديث الزهري (٥) عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : « و أمّا الصوم الحرام فصوم يوم الفطر ويوم الأضحى وثلاثة أيّام التشريق وصوم يوم الشك اُمرنا به و نهينا عنه ، اُمرنا أن نصومه مع شعبان ونهينا عنه أن يتفرّد الرّجل بصيامه في اليوم الّذي يشكّ فيه الناس ، فقلت له : جعلت فداك فإن لم يكن صام من شعبان شيئاً كيف يصنع ؟ قال : ينوي ليلة الشكّ أنّه صائم من شعبان فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه و إن كان من شعبان لم يضرّه ، فقلت له : و كيف يجزىء صوم تطوّع عن صوم فريضة ؟ فقال : لو أنّ رجلاً صام يوماً من شهر رمضان تطوّعاً وهو لا يدري ولا يعلم أنّه من شهر رمضان ثمّ علم بعد ذلك أجزأ عنه لأنّ الفرض إنّما وقع على اليوم بعينه ، وصوم الوصال حرامٌ ، و صوم الصمت حرامٌ ، وصوم نذر المعصية حرامٌ ، وصوم الدّهر حرامٌ » .

---

(١) الى (٤) الفقيه ص ١٩٦ و١٩٧ تحت رقم ٧و٩و١٠و١١ .
(٥) الكافي ج ٤ ص ٧٥ ، والفقيه ص ١٦٩ .

قال عليه السلام: «وأمّا الصوم الّذي يكون صاحبه فيه بالخيار فصوم يوم الجمعة والخميس والاثنين، وصوم البيض، وصوم ستّة أيّام من شوّال بعد شهر رمضان، وصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء كلّ ذلك صاحبه فيه بالخيار، إن شاء صام وإن شاء أفطر».

أقول: يعني أنّ هذه الأيّام ليست لها مزيّة على سائر الأيّام للصيام كما زعمته العامّة.

قال عليه السلام: «و أمّا الصوم في السفر والمرض فإنّ العامّة اختلفت فيه فقال قوم: يصوم، وقال قوم: لايصوم، وقال قوم: إن شاء صام و إن شاء أفطر، فأمّا نحن فنقول: يفطر في الحالتين جميعاً فإن صام في السفر أو في حال المرض فعليه القضاء وذلك لأنّ الله عزّوجلّ يقول: «فمن كان منكم مريضاً أوعلى سفر فعدّة من أيّام اُخر».

وذكر الصدوق في علل الشرايع[1] أنّ صوم أيّام البيض منسوخ بصوم الخميسين والأربعاء و ربما يشعر به بعض النصوص وفسّر بعض علمائنا الأيّام البيض بذلك والمشهور خلافهما.

وأمّا صوم الستّة الأيّام فقد ورد في بعض الأخبار من طريقنا أيضاً إلّا أنّ في الصحيح «لاصيام بعد الأضحى ثلاثة أيّام ولا بعد الفطر ثلاثة أنها أيّام أكل وشرب[2]» وهو المعتمد.

وفي الفقيه أيضاً «روى الفضيل بن يسار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دخل رجل بلدة فهو ضيف على من بها من أهل دينه حتّى يرحل عنهم، و لا ينبغي للضيف أن يصوم إلّا بإذنهم لئلّا يعملوا شيئاً فيفسد، ولا ينبغي لهم أن يصوموا إلّا بإذن الضيف لئلايحتشمهم فيشتهي فيتركه لهم [3]».

و روى نشيط بن صالح عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من فقه الضيف أن لايصوم تطوّعاً إلّا بإذن صاحبه، و من طاعة المرأة لزوجها أن لاتصوم تطوّعاً إلّا بإذنه وأمره، ومن صلاح العبد وطاعته ونصيحته لمولاه أن لايصوم تطوّعاً إلّا بإذن مولاه، و من برّ الولد بأبويه أن لايصوم تطوّعاً إلّا بإذن أبويه وأمرهما، وإلّا كان الضيف جاهلاً وكانت المرأة عاصية و كان العبد فاسقاً عاصياً، و كان

---

(١) المصدر ص ١٣٣.
(٢) التهذيب ج ١ ص ٤٤٥، والكافي ج ٤ ص ١٤٨.
(٣) المصدر ص ١٩١ تحت رقم ١و٢ باب صوم الاذن.

الولدعاقّا »[1] .

قال : [2] وردت الأخبار والآثار عن الأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ « أنّه لايجوز أن يتطوّع الرجل بالصيام وعليه شيء من الفرض » وممّن روى ذلك الحلبيّ وأبو الصبّاح الكناني عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قال : [3] وروى داود الرقّي عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «لإفطارك في منزل أخيك أفضل من صيامك سبعين ضعفاً أو تسعين ضعفاً» .

و روى جميل بن درّاج عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال : « من دخل على أخيه وهو صائم فأفطر عنده ولم يُعلمه بصومه فيمنّ عليه كتب الله له صوم سنة »[4] ، قال : و قال مصنّف هذا الكتاب ـ رحمه الله ـ : هذا في السنّة والتطوّع جميعاً .

أقول : أراد بالسنّة صوم الثلاثة الأيّام من كلّ شهر وبالتطوّع ما عداه من الصيام المستحبّ .

قال أبوحامد : « وإذ ظهر أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأنّ مقصوده تصفية القلب وتفريق الهمّ لله ، والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم ، وقد يقتضي دوام الفطر، وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم ، فإذا فهم المعنى وتحقّق حدّه في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيباً مستمرّاً ، ولذلك روي « أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان يصوم حتّى يقال : إنّه لايفطر ويفطر حتّى يقال : لايصوم ، وينام حتّى يقال : لايقوم ويقوم حتّى يقال : لاينام»[5] وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوّة من القيام بحقوق الأوقات والحمد لله » .

هذا آخر كتاب أسرار الصيام ومهمّاته من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الحجّ ومهمّاته والحمد لله أوّلاً وآخراً .

(١) المصدر ص ١٩١ تحت رقم ٢ باب صوم الاذن .
(٢) الفقيه ص ١٨٦ رقم ١ .
(٣) و(٤) الفقيه ص ١٧٠ تحت رقم ١٥ و١٦ و١٧ .
(٥) مرّ مصدر الحديث آنفاً .

كتاب اسرار الحج ومهماته

وهو الكتاب السابع من ربع العبادات من المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزاً وحصناً ، و جعل البيت العتيق مثابة للناس وأمناً ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفاً وتخصيصاً و منّاً ، و جعل زيارته والتطواف به حجاباً بين العبد وبين العذاب ومجنّاً ، والصلاة على محمّد نبيّ الرحمة و سيّد الأمّة وعلى آله المعصومين وأصحابه المرضيّين قادة الحقّ وسادة الخلق ، وسلّم تسليما كثيراً.

اما بعد فإنّ الحجّ من بين أركان الإسلام و مبانيه عبادة العمر وختام الأمر ، و تمام الإسلام ، و كمال الدّين فيه ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « من مات ولم يحجّ فليمت إن شاء يهوديّاً وإن شاء نصرانيّاً(١) ».

أقول : ومن طريق الخاصّة ما ورد في الصحيح عن الصادق عليه السلام : « من مات و لم يحجّ حجّة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لايطيق فيه الحجّ أو سلطان يمنعه منه فليمت يهوديّاً أو نصرانيّاً (٢) » .

قال أبوحامد : « فأعظم بعبادة يعدم الدّين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال ، وأجدربها أن تصرف العناية إلى شرحها و تفصيل أركانها و سننها وآدابها وفضائلها وأسرارها ، وجملة ذلك تنكشف بتوفيق الله في ثلاثة أبواب : الباب الأوّل

(١) قال العراقي : أخرجه ابن عدى . أقول : أخرج نحوه ابن مردويه باسناده عن على عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله كما فى تفسير ابن كثير ج١ ص ٣٨٦ .

(٢) الفقيه ص ٢٦٥ تحت رقم٣ ، والكافى ج ٤ص٢٦٨ و٢٦٩ وقوله : «تجحف» فى القاموس أجحف به : ذهب ، وبه الفاقة : أفقرته الفاقة وايضاً قاربه و دنامنه ، و حمل على المبالغة .

في فضائلها و فضائل مكّة و البيت العتيق وجمل أركانها و شرائط و جوبها ؛ الباب الثاني في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدء السفر إلى الرّجوع ؛ الباب الثالث في آدابها الدقيقة ، وأسرارها الخفيّة ، وأعمالها الباطنة .

فلنبدء بالباب الأوّل وفيه فصلان : الفصل الأوّل في فضائل الحجّ والبيت و مكّة والمدينة وشدّ الرحال إلى المشاهد .

✿(فضيلة الحج)✿

قال الله تعالى : « و أذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامر (١) » قال قتادة : لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يؤذّن في الناس بالحجّ نادى يا أيّها الناس إنّ لله بيتاً فحجّوه فأسمع الله نداءه كلّ من يريد الله أن يحجّ من ذرّيّته إلى يوم القيامة »

أقول : وفي الفقيه « أنّ إبراهيم عليه السلام نادى هلمّ إلى الحجّ هلمّ إلى الحجّ فلو ناداهم هلمّوا إلى الحجّ لم يحجّ إلّا من كان يومئذ إنسيّاً مخلوقاً ولكنّه نادى هلمّ إلى الحجّ ، فلبّى الناس في أصلاب الرجال وأرحام النساء لبّيك داعي الله لبّيك داعي الله ، فمن لبّى مرّة حجّ حجّة ، ومن لبّى عشراً حجّ عشر حجج ، ومن لم يلبّ لم يحجّ »(٢) .

وفيه قال الله تعالى : « ففرّوا إلى الله (٣) » يعني حجّوا إلى الله ومن اتّخذ محملاً للحجّ كان كمن ارتبط فرساً في سبيل الله (٤) » .

قال : و روي أنّ الجبّار جلّ جلاله يقول : « إنّ عبداً أحسنت إليه وأجملت إليه فلم يزرني في هذا المكان في كلّ خمس سنين لمحروم (٥) » :

وقال أبوجعفر عليه السلام : « ما من عبد يؤثر على الحجّ حاجة من حوائج الدّنيا إلّا نظر إلى المحلّقين قد انصرفوا قبل أن يقضى له تلك الحاجة (٦) » .

(١) الحج : ٢٧ والضامر : البعير أو الفرس المهزول .
(٢) المصدر ص ٢١٢ باب نكت في حج الانبياء والمرسلين .
(٣) الذاريات : ٥٠ .
(٤) الفقيه ص ٢٠٤ باب فضائل الحج .
(٥) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٣٠ .
(٦) الفقيه ص ٢٥٨ باب علة التخلف عن الحج .

وقال الصادق عليه السلام: «ما تخلّف رجلٌ عن الحجّ إلّا بذنب، ومايعفوالله أكثر»(١).

و «سئل عليه السلام عن رجل ذي دين يستدين و يحجّ؟ فقال: نعم هو أقضى للدّين» انتهى كلام الفقيه(٢).

و في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لقيه أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله إنّي خرجت اُريد الحجّ ففاتني و أنا رجلٌ ميّلٌ (٣) فمرني أن أصنع في مالي ما أبلغ به مثل أجر الحاجّ، قال: فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: انظر إلى أبي قبيس فلو أنّ أبا قبيس لك ذهبة حمراء أنفقته في سبيل الله ما بلغت ما يبلغ الحاجّ، ثمّ قال: إنّ الحاجّ إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلّا كتب له عشر حسنات، و محا عنه عشر سيّئات، و رفع له عشر درجات، فإذا ركب بعيره لم يرفع خفّاً ولم يضعه إلّا كتب الله له مثل ذلك، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه، فإذا رمى الجمار خرج من ذنوبه، [قال: فعدّد رسول الله صلى الله عليه وآله كذا و كذا موقفاً إذا وافقها الحاجّ خرج من ذنوبه]، ثمّ قال: أنّى لك أن تبلغ ما تبلغه الحاجّ، قال أبو عبد الله عليه السلام: ولا يكتب عليه الذنوب أربعة أشهر و يكتب له الحسنات إلّا أن يأتي بكبيرة» (٤).

و في الصحيح عن معاوية بن عمّار عنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحجّ و العمرة ينفيان الفقر كما ينفي الكير خبث الحديد، قال معاوية: فقلت: حجّة أفضل أو عتق رقبة؟ قال: حجّة أفضل، قلت: فثنتين؟ قال: حجّة أفضل، فلم أزل أزيد و يقول: حجّة أفضل حتّى بلغت ثلاثين رقبة، فقال: حجّة أفضل»(٥).

و في الصحيح «الحاجّ ثلاثة أصناف: صنف يعتق من النار، و صنف يخرج من

---

(١) الفقيه باب علة التخلف عن الحج ص ٢٥٨، وفى الكافى ج٤ ص٢٧٠ نحوه.
(٢) المصدر ص ٢٦٢ تحت رقم ٥.
(٣) يعنى كثير المال وفى بعض النسخ [انى رجل مميل] وهو بمعناه.
(٤) التهذيب ج ١ ص٤٤٧ حسبما رقمناه.
(٥) التهذيب ج ١ ص ٤٤٨.

ذنوبه كهيئة يوم ولدته اُمّه ، و صنف يحفظ في أهله و ماله و هو أدنى ما يرجع به الحاجّ»[١] .

و في الفقيه « قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما من مُهلّ يهلّ بالتلبية إلّا أهلّ من عن يمينه من شيء إلى مقطع التراب و من عن يساره إلى مقطع التراب ، و قال له الملكان : أبشر يا عبد الله وما يبشّر الله عبداً إلّا بالجنّة ، و من لبّى في إحرامه سبعين مرّة إيماناً و احتساباً أشهد الله له ألف ملك ببراءة من النّار و براءة من النفاق ، ومن انتهى إلى الحرم فنزل و اغتسل و أخذ نعليه بيده ، ثمّ دخل الحرم حافياً تواضعاً لله عزّ وجلّ محا الله عنه مائة ألف سيّئة و كتب الله له مائة ألف حسنة و بنى له مائة ألف درجة و قضى له مائة ألف حاجة ، ومن دخل مكّة بسكينة غفر الله له ذنبه و هو أن يدخلها غير متكبّر ولا متجبّر و من دخل المسجد حافياً على سكينة و وقار و خشوع غفر الله له ، و من نظر إلى الكعبة عارفاً بحقّها غفر الله له ذنوبه و كفى ما أهمّه »[٢].

و فيه « قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : الساعي بين الصفا و المروة تشفع له الملائكة فتشفع فيه بالإيجاب »[٣].

و قال أبو جعفر عليه السلام : «مايقف أحد على تلك الجبال برّ ولا فاجر إلّا استجاب الله له فأمّا البرّ فيستجاب له في آخرته و أمّا الفاجر فيستجاب له في دنياه »[٤] .

وقال الصادق عليه السلام : « ما من رجل من أهل كورة وقف بعرفة من المؤمنين إلّا غفر الله عزّ وجلّ لأهل تلك الكورة من المؤمنين و ما من رجل وقف بعرفة من أهل بيت من المؤمنين إلّا غفر الله لأهل ذلك البيت من المؤمنين »[٥].

و فيه « و أعظم الناس جرماً من أهل عرفات الّذي ينصرف من عرفات وهو يظنّ

---

(١) الكافي ج ٤ ص ٢٥٣ ، والتهذيب ج ١ ص٢٤٨ .

(٢) المصدر ص ٢٠٥ تحت رقم ٣ .

(٣) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٢٤ .

(٤) الفقيه ص ٢٠٧ تحت رقم ٣٢ .

(٥) الفقيه ص ٢٠٧ تحت رقم ٣٣ .

أنّه لم يغفر له ـ يعني الّذي يقنط من رحمة الله عزّ وجلّ ـ »[١].

وأسنده أبو حامد إلى الحديث من طريق أهل البيت عليهم السلام.

قال: « و يقال: إنّ من الذنوب ذنوباً لا يكفّرها إلّا الوقوف بعرفة و قد أسنده جعفر بن محمّد عليهما السلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله ».

و في الفقيه قال الصادق عليه السلام: « من حجّ حجّة الإسلام فقد حلّ عقدة من النّار من عنقه، و من حجّ حجّتين لم يزل في خير حتّى يموت، و من حجّ ثلاث حجج متوالية ثمّ حجّ أو لم يحجّ فهو بمنزلة مد من الحجّ »[٢].

و روي « أنّ من حجّ ثلاث حجج لم يصبه فقر أبداً، و أيّما بعير حجّ عليه ثلاث سنين جعل من نعم الجنّة ـ وروي سبع سنين ـ »[٣].

و قال الرضا عليه السلام: « من حجّ بثلاثة من المؤمنين فقد اشترى نفسه من الله عزّ و جلّ بالثمن و لم يسأله من أين اكتسب ماله من حلال أو حرام[٤] ومن حجّ أربع حجج لم يصبه ضغطة القبر أبداً وإذا مات صوّر الله عزّ وجلّ الحجج الّتي حجّ في صورة حسنة أحسن ما يكون من الصور بين عينيه تصلّي في جوف قبره حتّى يبعثه الله عزّ و جلّ من قبره، و يكون ثواب تلك الصلاة له، و اعلم أنّ الركعة من تلك الصلاة تعدل ألف ركعة من صلاة الآدميّين، و من حجّ خمس حجج لم يعذّبه الله أبداً، ومن حجّ عشر حجج لم يحاسبه الله أبداً، و من حجّ عشرين حجّة لم ير جهنم و لم يسمع شهيقها ولا زفيرها، و من حجّ أربعين حجّة قيل له: اشفع فيمن أحببت و يفتح له باب من أبواب الجنّة، يدخل منه هو و من يشفع له، و من حجّ خمسين حجّة بني له مدينة في جنّة عدن فيها ألف قصر، في كلّ قصر ألف حوراء من حور العين، و ألف زوجة، و يجعل من رفقاء

(١) المصدر ص ٢٠٧ رقم ٣٦.

(٢) و(٣) المصدر ٢٠٨ تحت رقم ٤٨ و٤٩.

(٤) قال الصدوق فى العيون بعد نقل تمام الخبر: يعنى بذلك أنه لم يسأله عما وقع فى ماله من الشبهة ويرضى عنه خصماءه بالعوض. و قال المؤلف بعد نقله فى الوافى: لعل ذلك بشرط التوبة وعدم معرفة أصحاب المال باعيانهم ليرده عليهم.

محمّد صلى الله عليه وآله في الجنّة ، و من حجّ أكثر من خمسين حجّة كان كمن حجّ خمسين حجّة مع محمّد و الأوصياء صلوات الله عليهم و كان ممّن يزوره الله تبارك و تعالى كلّ جمعة وهو ممّن يدخل جنّة عدن الّتي خلقها الله عزّ و جلّ بيده ، و لم ترها عين ، و لم يطلع عليها مخلوقٌ ، ومامن أحد يكثر الحجّ إلّا بنى الله عزّوجلّ له بكلّ حجّة مدينة في الجنّة فيها غرف في كلّ غرفة منها حوراء من حور العين ، مع كلّ حوراء ثلاثمائة جارية لم ينظر الناس إلى مثلهنّ حسناً وجمالاً » (١).

و قال الصادق عليه السلام من حجّ سنة و سنة لا فهو ممّن أدمن الحجّ» (٢) .

و قال إسحاق بن عمّار قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « إنّي قد وطّنت نفسي على لزوم الحجّ كلّ عام بنفسي أو برجل من أهل بيتي بمالي ، فقال : و قد عزمت على ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : إن فعلت ذلك فأيقن بكثرة المال أو أبشر بكثرة المال » (٣).

و روي « أنّه ما تقرّب العبد إلى الله عزّ وجلّ بشيء أحبّ إليه من المشي إلى بيته الحرام على القدمين ، و أنّ الحجّة الواحدة تعدل سبعين حجّة ، و من مشى عن جمله كتب الله له ثواب ما بين مشيه ور كوبه ، و الحاجّ إذا انقطع شسع نعله كتب الله له ثواب ما بين مشيه حافياً إلى متنعّل ، و الحجّ راكباً أفضل منه ماشياً لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حجّ راكباً» (٤) .

و الجمع ما بين الخبرين في هذا المعنى ما رواه أبو بصير عن الصادق عليه السلام «أنّه سأله عن المشي أفضل أو الركوب ؟ فقال : إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أقلّ لنفقته ، فالركوب أفضل» (٥) .

و كان الحسن بن علي عليهما السلام يمشي و تساق معه المحامل و الرحال » (٦) .

و قد روي « أنّ الحجّ أفضل من الصلاة و الصيام لأنّ المصلّي إنّما يشتغل عن أهله ساعة و أنّ الصائم يشتغل عن أهله بياض يوم و أنّ الحاجّ يشخص بدنه ، و يضحى نفسه ، و ينفق ماله ، و يطيل الغيبة عن أهله لا في مال يرجوه ولا إلى تجارة » (٧) .

(١) الى (٦) الفقيه ص ٢٠٨ رقم ٥١ الى ٥٥ .
(٧) الفقيه ص ٢٠٩ تحت رقم ٧٠ .

و روي عن إسحاق بن عمّار قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ رجلاً استشارني في الحجّ و كان ضعيف الحال فأشرت عليه أن لا يحجّ ، فقال : ما أخلقك أن تمرض سنة قال : فمرضت سنة » (١) .

وقال الصادق عليه السلام : « ليحذر أحدكم أن يعوّق أخاه عن الحجّ فتصيبه فتنة في دنياه مع ما يدّخر له في الآخرة » (٢) .

و سئل الصادق عليه السلام عن الرجل يحجّ عن آخر ، له من الأجر والثواب شيء؟ فقال : « للّذي يحجّ عن الرجل أجر وثواب عشر حجج ، و يغفر له و لأبيه و لأمّه و لابنه و لا بنته و لأخيه ولأخته و لعمّه ولعمّته ولخاله ولخالته ، إنّ الله واسعٌ كريمٌ » (٣) .

و قال الصادق عليه السلام : « من حجّ عن إنسان اشتركا حتّى إذا قضى طواف الفريضة انقطعت الشركة ، فما كان بعد ذلك من عمل كان لذلك الحاجّ » (٤).

وقال الصادق عليه السلام : « لو أشركت ألفاً في حجّتك كان لكلّ واحد حجّ من غير أن ينقص من حجّتك شيء » (٥) .

وروي « أنّ الله تبارك و تعالى جاعلٌ له ولهم حجّاً وله أجراً لصلته إيّاهم » (٦).

و قال الصادق عليه السلام : « من أنفق درهماً في الحجّ كان خيراً له من مائة ألف درهم ينفقها في حقّ » (٧).

و قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : « يا معشر من لم يحجّ استبشروا بالحاجّ إذا قدموا فصافحوهم و عظّموهم فإنّ ذلك يجب عليكم ، تشاركوهم في الأجر » (٨) .

و قال عليه السلام : « بادروا بالسلام على الحاجّ و المعتمرين و مصافحتهم من قبل أن يخالطهم الذنوب » (٩) .

---

(١) الى (٣) الفقيه ص ٢٠٩ تحت رقم ٦٨ و٦٩ و٨٣ و قوله : « ما أخلقك » أى ما أليق بك ذلك .

(٤) و(٥) و(٦) المصدر ص ٢١٠ رقم ٧٤ و٧٥ و٧٧ .

(٧) الكافى ج ٤ ص ٢٥٥ تحت رقم ١٥ .

(٨) المصدر ج ٤ ص ٢٦٤ تحت رقم ٤٨ .

(٩) المصدر ج ٤ ص ٢٥٦ تحت رقم ١٧ .

(فضيلة البيت ومكّة)

في الفقيه « قال أبو جعفر عليه السلام : لمّا أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن متن الماء حتّى صار موجاً ، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت ، ثمّ جعله جبلاً من زبد ، ثمّ دحا الأرض من تحته وهو قول الله عزّ و جلّ : « إنّ أوّل بيت وضع للناس للّذي ببكّة مباركاً » (١) فأوّل بيت خلقت من الأرض الكعبة ، ثمّ مدّت الأرض منها » (٢) .

و قال أبو جعفر عليه السلام : « أتى آدم عليه السلام هذا البيت ألف أتية على قدميه ، منها سبعمائة حجّة و ثلاثمائة عمرة ، و كان يأتيه من ناحية الشام ، وكان يحجّ على ثور ، و المكان الّذي تيب فيه عليه الحطيم ، و هو ما بين باب البيت و الحجر الأسود ، و طاف آدم قبل أن ينظر إلى حوّاء مائة عام ، و قال له جبرئيل عليه السلام : حيّاك الله وبيّاك - يعني أصلحك - » (٣).

و قال الصادق عليه السلام : « لمّا أفاض آدم من منى تلقّته الملائكة بالأبطح فقالوا : يا آدم برّ حجّك أما إنّا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجّه بألفي عام» (٤) .

و روى سعيد بن عبد الله الأعرج عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « أحبّ الأرض إلى الله عزّ و جلّ مكّة ، ما تربة أحبّ إلى الله عزّ و جلّ من تربتها ، ولاحجر أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من حجرها ، ولا شجر أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من شجرها ، ولا جبال أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من جبالها ، و لا ماء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من مائها » (٥) .

و في خبر آخر « ما خلق الله تبارك و تعالى بقعة في الأرض أحبّ إليه منها - و أو مأبيده نحو الكعبة - و لا أكرم على الله عزّ و جلّ منها ، لها حرّم الله الأشهر الحرم

---

(١) آل عمران : ٩٥ .

(٢) المصدر باب ابتداء الكعبة و فضائلها ص ٢١٤ . و في الكافي ج ٤ ص ١٨٩.

(٣) المصدر ص ٢١١ باب نكت في حج الانبياء وفي بعض نسخه «حياك الله وبياك».

(٤) الكافي ج٤ ص ١٩٤ تحت رقم ٣ .

(٥) الفقيه ص ٢١٥ تحت رقم ٨ .

في كتابه يوم خلق السماوات والأرض » (۱) .

و روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : «إنّ الله عزّوجلّ اختار من كلّ شيء شيئاً ، اختار من الأرض موضع الكعبة » (۲) .

و قال عليه السلام : « لا يزال الدّين قائماً ما قامت الكعبة » (۳) .

و روي عن أبي حمزة الثمالي قال : قال لنا عليّ بن الحسين عليهما السلام : « أيّ البقاع أفضل ؟ فقلت : الله و رسوله و ابن رسوله أعلم ، فقال : أما أفضل البقاع ما بين الركن و المقام و لو أنّ رجلاً عمر ما عمر نوح في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً ، يصوم النهار و يقوم اللّيل في ذلك المكان ثمّ لقي الله عزّ و جلّ بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً » (٤) .

و قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : « من ختم القرآن بمكّة لم يمت حتّى يرى رسول الله صلى الله عليه وآله ، و يرى منزله من الجنّة ، و تسبيحة بمكّة تعدل خراج العراقين ينفق في سبيل الله ، و من صلّى بمكّة سبعين ركعة فقرأ في كلّ ركعة بقل هو الله أحد ، و إنّا أنزلناه ، و آية السخرة (٥) ، و آية الكرسي لم يمت إلّا شهيداً ، و الطاعم بمكّة كالصائم فيما سواها ، و صيام يوم بمكّة تعدل صيام سنة فيما سواها ، و الماشي بمكّة في عبادة الله عزّ وجلّ » (٦) .

وقال أبوجعفر عليه السلام : «من جاورسنة بمكّةغفرالله له ذنوبه و لأهل بيته و لكلّ من استغفر له ولعشيرته ولجيرانه ذنوب تسع سنين وقد مضت ، و عصموا من كلّ سوء أربعين ومائة سنة ، والانصراف و الرجوع أفضل من المجاورة ، و النائم بمكّة كالمجتهد في البلدان ، و الساجد بمكّة كالمتشحّط بدمه في سبيل الله ، ومن خلّف حاجّاً في أهله بخير كان له كأجره حتّى كأنّه يستلم الحجر » (۷) .

و قال الصادق عليه السلام : « إنّ لله تبارك و تعالى حول الكعبة عشرين و مائة رحمة

---

(۱) الى (٤) الفقيه ص۲۱٥ تحت رقم ۹ الى ۱۱ و رقم ۱۸ .

(٥) المرادمنهاقوله تعالى فى سورة الاعراف آية ٥٤ الى ٥٦ « ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض . الى قوله ـ ان رحمة الله قريب من المحسنين».

(٦) و(۷) الفقيه ص ۲۱۱ تحت رقم ۹۱ و۹۲ .

منها ستّون للطائفين ، و أربعون للمصلّين ، و عشرون للناظرين» (١) .

و روي « أنّ من نظر إلى الكعبة لم يزل يكتب له حسنة و يمحى عنه سيئة حتّى يصرف ببصره » (٢) .

و قال الصادق عليه السلام : « الركن اليماني بابنا الّذي ندخل منه الجنّة ، و قال : فيه باب من أبواب الجنّة لم يغلق منذ فتح ، و فيه نهرٌ من الجنّة يلقى فيه أعمال العباد » (٣) .

و روي «أنّه يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه »(٤) .

و روي « أنّه من روى من ماء زمزم أحدث له به شفاء ، و صرف عنه داء ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستهدي ماء زمزم وهو بالمدينة » (٥) .

قال أبو حامد : « قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «إنّ الله وعد هذا البيت أن يحجّه في كلّ سنة ستّمائة ألف ، فإن نقصوا أكملهم الله بالملائكة ، و إنّ الكعبة تحشر كالعروس المزفوف و كلّ من حجّها يتعلّق بأستارها يسعون حولها حتّى تدخل الجنّة فيدخلون معها » (٦) .

و في الخبر « أنّ الحجر ياقوتة من يواقيت الجنّة و أنّه يبعث يوم القيامة له عينان و لسان ينطق به و يشهد لمن استلمه بحقّ و صدق » (٧) و كان صلى الله عليه وآله يقبّله كثيراً (٨) .

و روي « أنّه سجد عليه ، و كان يطوف على الراحلة و يضع المحجن عليه ثمّ يقبّل

---

(١) المصدر ص ٢٠٦ تحت رقم ١٥ .

(٢) الكافي ج ٤ ص ٢٤٠ تحت رقم ٤ .

(٣) الى (٥) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٢٠ الى ٢٢ .

(٦) قال العراقي : لم أجد لهذا الحديث أصلا .

(٧) أخرجه الطبراني في مسنده الكبيرمن طريق بكربن محمد بأدنى اختلاف كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٤٢ . ونحوه الترمذي في الصحيح ج ٤ ص ١٠٨ و١٨٢ .

(٨) راجع في كل ذلك مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٤١وسنن النسائي ج ٥ ص ٢٣٣ وصحيح البخاري ج ٢ ص ١٧٦ وصحيح مسلم ج ٤ص ٦٦ وصحيح الترمذي ج ٤ ص٩٣.

طرف المحجن (١) ، و قبّله عمر ثمّ قال : إنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرّ و لا تنفع ولولا أنّي رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقبّلك لما قبّلتك ، ثمّ بكى ثمّ علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليّاً عليه السلام فقال : يا أبا حسن ههنا تسكب العبرات ، فقال عليّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين بل هو يضرّ وينفع ، قال : و كيف ؟ قال : إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخذ الميثاق على الذرّيّة كتب عليهم كتاباً ثمّ ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء و يشهد على الكافر بالجحود » قيل : فذلك هو قول الناس عند الاستلام : «اللّهمّ إيماناً بك وتصديقاً بكتابك و وفاء بعهدك».

✡(فضيلة المقام بمكة و كراهته)✡

قال أبو حامد : « كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكّة لمعان ثلاثة : أحدها خوف التبرّم و الاُنس بالبيت ، فإنّ ذلك ربما يؤثّر في تسكين حرقة القلب في الاحترام ، و الثاني تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فإنّ الله جعل البيت مثابة للنّاس أي يتوبون و يعودون إليه مرّة بعد اُخرى و لا يقضون منه وطراً ، وقال بعضهم : لأن تكون في بلد و قلبك مشتاق إلى مكّة متعلّق بهذا البيت خيرٌ لك من أن تكون فيه و أنت متبرّم بالمقام و قلبك في بلد آخر ، الثالث الخوف من ركوب الخطايا و الذنوب بها فإنّ ذلك مخطر وبالحريّ أن يورث مقت الله لشرف الموضع . قال ابن مسعود : ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمّة قبل العمل إلّا مكّة وتلا قوله تعالى : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » (٢) .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه معاوية بن عمّار في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « سألته عن قول الله عزّ وجلّ : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » قال : كلّ ظلم إلحاد و ضرب الخادم في غير ذنب من ذلك الإلحاد » رواه في الفقيه (٣) .

---

(١) أخرجه البخارى ج ٢ ص ١٧٦ ومسلم ج ٤ ص ٦٧ وأبو داود ج ١ ص ٤٣٣ بدون الزيادة التى رواها أن علياً عليه السلام وراءه . وأخرجه مع الزيادة الحاكم فى المستدرك ج٢ ص٤٥٧ بدون شرط الشيخين .

(٢) الحج : ٢٥ .

(٣) ص ٢١٧ تحت رقم ٣٥ .

قال : و في رواية أبي الصباح الكناني عنه عليه السلام قال : «كلّ ظلم يظلمه الرجل نفسه بمكّة من سرقة أو ظلم أحد أو شيء من الظلم فإنّي أراه إلحاداً ، ولذلك كان يتّقي الفقهاء أن يسكنوا مكّة »(١).

قال : و روى العلاء عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا ينبغي للرجل أن يقيم بمكّة سنة ، قلت : كيف يصنع ؟ قال : يتحوّل عنها ، و لا ينبغي أن يرفع بناء فوق الكعبة(٢) ، و روي أنّ المقام بمكّة يقسي القلب »(٣) .

و روى داود الرقّي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « إذا فرغت من نسكك فارجع فإنّه أشوق لك إلى الرجوع » (٤).

قال أبو حامد : « و لا تظنن أنّ كراهية المقام يناقض فضل البقعة لأنّ هذه كراهة علّتها ضعف الخلق و قصورهم عن القيام بحقّ الموضع فمعنى قولنا : « إنّ ترك المقام به أفضل » أي بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرّم ، فأمّا أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقّه فهيهات و كيف لا ؟ و لمّا عاد صلى الله عليه وآله إلى مكّة استقبل القبلة و قال : «إنّك لخير أرض و أحبّ بلاد الله تعالى إليّ و لولا أنّي اُخرجت منك ما خرجت »(٥) و كيف لا والنظر إلى البيت عبادة و الحسنات فيها مضاعفة ».

أقول : قال : في الفقيه «لم يبت أميرالمؤمنين عليه السلام بمكّة بعد أن هاجر منها حتّى قبض لأنّه كان يكره أن يبيت بأرض قد هاجر منها ».

☼(فضيلة المدينة و سائر البلاد)☼

قال أبو حامد : « ما بعد مكّة بقعة أفضل من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فالأعمال فيها أيضاً تضاعف ».

قال صلى الله عليه وآله : « صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلّا المسجد

---

(١) الفقيه ص ٢١٧ تحت رقم٣٦ .

(٢) الى (٤)جميع تلك الاخبارفى الفقيه ص ٢١٨ تحت رقم ٤٣ الى ٤٥ .

(٥) أخرجه ابويعلى كما فى مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٨٣ . وأخرج الترمذى مثله.

الحرام » (١) «و كذلك كلّ عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدّسة فإنّ الصلاة فيها بخمسمائة » (٢) و كذا سائر الأعمال .

أقول : و قد مرّ الحديث في ذلك من طريق الخاصّة في كتاب الصلاة وفي الفقيه : روى خالد بن ماد القلانسيّ ، عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « مكّة حرم الله و حرم رسوله و حرم عليّ بن أبي طالب عليهما السلام الصلاة فيها بمائة ألف صلاة ، و الدرهم فيها بمائة ألف درهم ، و المدينة حرم الله و حرم رسوله و حرم عليّ بن أبي طالب عليهما السلام الصلاة فيها بعشرة آلاف صلاة ، و الدرهم فيها بعشرة آلاف درهم ، و الكوفة حرم الله و حرم رسوله و حرم عليّ بن أبي طالب عليهما السلام و الصلاة فيها بألف صلاة ، و سكت عن الدرهم »(٣) .

و قال أبو جعفر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي : « المساجد الأربعة : المسجد الحرام و مسجد الرسول و مسجد بيت المقدس ، و مسجد الكوفة يا أبا حمزة الفريضة فيها تعدل حجّة ، والنافلة تعدل عمرة »(٤).

و قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من أتى مسجدي مسجد قبا فصلّى فيه ركعتين رجع بعمرة » (٥) .

و لمّا دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينة قال : « اللّهمّ حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكّة أو أشدّ و بارك في صاعها و مدّها و انقل حمّاها و وباها إلى الجحفة » (٦) .

و روي « أنّ الصادق عليه السلام ذكر الدّجال فقال : لا يبقى منها منهل إلّا وطئه إلّا مكّة و المدينة ، فإنّ على كلّ نقب من أنقابهما ملكٌ يحفظهما من الطاعون و الدجال » (٧) .

---

(١) رواه أحمد والبزاز كما فى مجمع الزوائد ج ٤ ص ٤ وأيضاً ابويعلى والطبرانى فى الكبير كما فى المجمع أيضاً ج ٤ ص ٥ .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات كما فى المجمع ج ٤ ص ٧ .

(٣) المصدر ص ٦١ باب فضل المساجد وحرمتها من كتاب الصلاة رقم ١ وفى الكافى ج ٤ ص ٥٨٦ وفيه « والدرهم فيها بألف درهم » .

(٤) و(٥) الفقيه ص ٦١ تحت رقم ٥ و٧ .

(٦) و(٧) الفقيه ص ٢٩٣ تحت رقم ٧ و٨ ، و روى نحوه البخارى ج ٣ ص ٢٧ عن النبى صلى الله عليه وآله .

و سأل عبد الأعلى مولى آل سام أبا عبد الله عليه السلام «كم كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: كان ثلاثة آلاف و ستّمائة ذراع مكسّرة»[1].

و قال الصادق: «حد مسجد الكوفة آخر السراجين، خطّ آدم عليه السلام و أنا أكره أن أدخله راكباً، قيل: فمن غيّره عن خطّته؟ قال: أمّا أوّل ذلك فالطوفان في زمن نوح عليه السلام، ثمّ غيّره كسرى و النعمان، ثمّ غيّره زياد بن أبي سفيان، و كأنّي أنظر إلى ديراني في مسجد الكوفة في دير له فيما بين الزاوية و المنبر فيه سبع نخلات وهومشرف من ديره على نوح يكلّمه»[2].

وقال أبو بصير: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: «نعم المسجد مسجد الكوفة، صلّى فيه ألف نبيّ وألف وصيّ و منه فار التنّور، وفيه نجرت السفينة، ميمنته رضوان الله، و وسطه روضة من رياض الجنّة، و ميسرته مكر ـ يعني منازل الشياطين ـ»[3].

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، و مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، و مسجد الكوفة»[4] (*).

و قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لمّا اُسري بي مررت بموضع مسجد الكوفة، و أنا على البراق و معي جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد أنزل فصلّ في هذا المكان قال: فنزلت فصلّيت فقلت: ياجبرئيل أيّ شيء في هذا الموضع؟ قال: يامحمّد هذه كوفان، وهذا مسجدها أما إنّي فقد رأيتها عشرين مرّة خراباً، و عشرين مرّة عمراناً بين كلّ مرّة خمسمائة سنة»[5].

و روي عن الأصبغ بن نباتة قال: بينما نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) الى (٥) الفقيه ص ٦١ باب فضل المساجد من كتاب الصلاة تحت رقم ٤ورقم ١٤ الى ١٨.

(*) هذا الحديث رواه أبوحامد عن النبى صلى الله عليه وآله و ذكر بدل مسجد الكوفة المسجد الاقصى، قال: واستدل به بعض العلماء على عدم جواز السفر لزيارة المشاهد وأجاب بأن المراد من الحديث المساجد خاصة دون المشاهد وغيرها لان غير هذه المساجد سواء فى الفضيلة وليس بلد الاوفيه مسجد أوأكثر فلاوجه للسفر لها، قال: ولوشمل الحديث المشاهد أيضاً لما جاز السفر لزيارة قبور الانبياء وهو باطل قطعاً بل لما جاز السفر لزيارة الاحياء من العلماء والصلحاء وليس كذلك ـ منه رحمه الله ـ.

في مسجد الكوفة إذ قال : يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عزّ وجلّ بما لم يحب به أحداً من فضل مصلاّكم ، فيه بيت آدم و بيت نوح وبيت إدريس ومصلّى إبراهيم الخليل ومصلّى أخي الخضر و مصلاّي ، و إنّ مسجدكم هذا لأحد الأربعة المساجد الّتي اختارها الله تعالى لأهلها وكأنّي به قد اُوتي به يوم القيامة في ثوبين ابيضين يتشبّه بالمحرم و يشفع لأهله و لمن يصلّي فيه فلا تردّ شفاعته ولا تذهب الأيّام و اللّيالي حتّى ينصب الحجر الأسود فيه و ليأتينّ عليه زمانٌ يكون مصلّى المهديّ من ولدي و مصلّى كلّ مؤمن ولا يبقى على الأرض مؤمن إلّا كان به أو حنّ قلبه إليه فلا تهجره ، و تقرّبوا إلى الله عزّ و جلّ بالصلاة فيه و ارغبوا إليه في قضاء حوائجكم فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبواً على الثلج »(١) .

وأما مسجد السهلة فقد قال الصادق عليه السلام : « لو استجار عمّي زيدبه لأجاره الله سنة ، ذاك موضع بيت إدريس الّذي كان يخيط فيه ، و هو الموضع الّذي خرج منه إبراهيم إلى العمالقة ، و هو الموضع الّذي خرج منه داود إلى جالوت ، و تحته صخرة خضراء فيها صورة وجه كلّ نبيّ ، خلقه الله عزّوجلّ ، ومن تحتها اُخذت طينة كلّ نبيّ وهوموضع الراكب ، فقيل له : وما الراكب ؟ قال : الخضر عليه السلام »(٢) .

وأما مسجد براثا ببغداد فصلّى فيه أمير المؤمنين عليه السلام « لمّا رجع من قتال أهل النهروان »(٣) انتهى .

﴿ الفصل الثاني ﴾

في شروط وجوب الحجّ ، ـ وصحّته ، و واجباته و أركانه ، ومحظوراته ، وأنواعه .
أقول : و لنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام .
و أمّا الشروط فشرط صحّة الحجّ اثنان : الوقت و الاسلام ، فيصحّ حجّ الصبيّ

---

(١) الفقيه ص ٦٢ باب فضل المساجد من كتاب الصلاة تحت رقم ١٩ .
(٢) و(٣) المصدر ص ٦٣ تحت رقم ٢١ و٢٢ .

و يحرم بنفسه إن كان مميّزاً ، و يحرم عنه وليّه إن كان صغيراً و يفعل به المناسك من الطواف والسعي وغيره .

و أمّا الوقت فهو شوّال ،و ذو القعدة ، و تسع من ذي الحجّة إلى طلوع الفجر يوم النحر فمن أحرم في غير هذه المدّة فهي عمرة ، و جميع السنة وقت العمرة و أفضله رجب ، و لكن من كان معكوفاً على النسك أيّام مني ، فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لاشتغاله بأعمال منى ، و لا ينبغي أيضاً أن يجعل بين العمرتين أقلّ من شهر .

و أمّا شروط وقوعه عن حجّة الإسلام فخمسة : الإسلام ، و الحرّيّة ، والبلوغ ، و العقل ، و الوقت . فإن أحرم الصبيّ أو العبد ولكن اعتق العبد و بلغ الصبيّ بأحد الموقفين أجزأهما عن حجّة الإسلام ، و يشترط هذه الشروط في وقوع العمرة عن فرض الإسلام إلّا الوقت في غير التمتّع .

وأمّا شرط وقوع الحجّ نفلاً عن الحرّ البالغ فهو براءة ذمّته عن الواجب .

و أمّا شرط لزوم الحجّ فخمسة : الإسلام ، و البلوغ ، و الحرّيّة ، و العقل ، و الاستطاعة . و من لزمه فرض الحجّ لزمه فرض العمرة و من أراد دخول مكّة لزيارة أو تجارة و لم يكن ممّن يتكرّر دخوله كالحطّاب و الحشّاش لزمه الإحرام ثمّ يتحلّل بعمل عمرة أو حجّ .

وأمّا الاستطاعة فنوعان : أحدهماالمباشرة وذلك له أسباب إمّافي نفسه فالصحّة ، وإمّا في الطريق فبأن يكون خصبة آمنة ، و إمّا في المال فبأن يجد نفقة ذهابه و إيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأنّ مفارقة الوطن شديدة ، وأن يملك نفقة من يلزمه نفقته في هذه المدّة ، وأن يملك ما يقضي به ديونه ، و أن يقدر على راحلة أو كراها ، ومحمل أو زاملة إن احتاج إلى ذلك .

و أمّا النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله[1] أن يستأجر من يحجّ عنه ويكفي نفقه الذّهاب في هذا النوع ، والابن إذا عرض طاعته على الأب الزمن صاربه مستطيعاً ولو عرض ماله لم يصربه مستطيعاً لأنّ الخدمة بالبدن فيه شرف للولد و بذل المال فيه

(١) المعضوب : الضعيف ، الزمن ، المخبول لاحراك له .

منّة على الوالد ، ومن استطاع لزمه الحجّ فوراً وتأخيره كبيرة موبقة .

واما واجباته فسبعة عشر : الإحرام ، و التلبية أو ما يقوم مقامها ، و لبس ثوبي الإحرام ، والوقوف بعرفة ، و المبيت بالمشعر الحرام ، والوقوف به ، ورمي جمرة القصوى ، وذبح الهدي إن كان ، والحلق أوالتقصير ، وطواف الزيارة ، وركعتاه ، والسعي بين الصفا والمروة ، وطواف النساء ، وركعتاه ، والمبيت بمنى ليالي التشريق ، ورمي الجمرات الثلاث ، والترتيب بين الأفعال .

والركن منها سبعة : الإحرام ، و التلبية ، و الوقوفان ، و الطواف ، و السعي ، والترتيب ، فيبطل بترك شيء منها عمداً لا سهواً إلّا أن يكون الفائت الوقوفين معاً فيبطل و إن كان سهواً ، و يسقط في العمرة الوقوفان ، والمبيت بالمشعر ، ومناسك منى ، و طواف النساء ، فواجباتها ثمانية وأركانها خمسة .

واما محظوراته فسبعة : الأوّل لبس القميص ، والسراويل ، و الخفّ ، و العمامة ، والقباء ، والثوب المزرّر ، والمدرع بل ينبغي أن يلبس إزاراً و رداءً ونعلين فإن لم يجد نعلين فمكعّباً فإن لم يجد إزاراً فسراويل ويجوز المنطقة والهميان وكذا الخفّ والجورب مع الضرورة ، وكذا الطيلسان إذا لم يزره عليه ، ولا يلبس الخاتم للزّينة وجاز للسنّة والفارق القصد ، ولا يستظلّ بالمحمل راكباً ولا يغطّي رأسه فإنّ إحرام الرجل في رأسه . وللمرأة أن تلبس كلّ مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسّه فإنّ إحرامها في وجهها .

الثاني الطيب فليجتنب كلّ ما يعدّه العقلاء طيباً والأدهان المطيبة وان ادّهن بها قبل الإحرام إذا بقيت رائحته إليه وأمّا غير المطيبة من غير ضرورة ففيه قولان ، وليجتنب الإكتحال بما فيه طيب .

الثالث الزينة والتنظيف وما يتبع ذلك فليجتنب الاكتحال بالسواد و النظر في المرآة وإزالة الشعر وتقليم الأظفار ، وقتل هوامّ الجسد ، وإخراج الدّم ، ويكره الحنّاء للزّينة ، ودخول الحمّام وتدليك الجسد .

الرابع الجماع ومقدّماته من التقبيل ، واللّمس ، و النظر بشهوة ، و الاستمناء ، والنكاح ، والإنكاح ، والشهادة على العقد وإقامتها .

الخامس صيد البرّ أعني ما يؤكل عند قوم ، ومطلق الممتنع بالأصالة عند آخرين إلّا الأفعي والعقرب والفارة ، وقيل : كلّ ما خيف منه ويحرم حيازته وذبحه وأكله والدّلالة عليه والاشارة إليه والتسبيب بإعارة سلاح ونحوه .

السادس ، و السابع : الفسوق ، والجدال ، وفسّر الأوّل بالكذب والسباب ، وفي الصحيح الكذب والمفاخرة ، والثاني بقول : « لا والله » ، « بلى والله » ، و قيل : بل كلّ ما يسمّى يميناً .

و كفّارة هذه المحظورات وسائر أحكامها مذكورة في الكتب الفقهيّة ، ولا فرق بين العمرة والحجّ في شيء من ذلك .

وأمّا أنواعه فثلاثة : التمتّع ، والقران ، والإفراد ، والتمتّع أفضلها ويتقدّم عمرته على حجّه ويرتبط به ويوقع في أشهر الحجّ وتسمّى العمرة المتمتّع بها إلى الحجّ ، وما سواها تسمّى بالعمرة المفردة ، والتمتّع فرض من نأى عن مكّة بثمانية وأربعين ميلاً ، وليس لهؤلاء غير التمتّع عند أصحابنا لنصّ القرآن والصحاح المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام إلّا مع الإضطرار كضيق الوقت أو طرء الحيض ونحو ذلك والآخران فرض أهل مكّة ومن بينه وبينها دون المسافة المذكورة على التخيير بينهما ولا يجوز لهم العدول إلى التمتّع على الأصحّ إلّا مع الاضطرار فالمتطوّع يتخيّر بين الأنواع الثلاثة إلّا أنّ الأفضل له التمتّع وكذا الناذر إذا لم يعيّن أحدها ، و كذا من له منزلان بمكّة وغيرها يتساويان في إقامته فيهما ، فإن غلب أحدهما عليه لزمه فرضه ، ومن أقام بمكّة سنتين فهو من أهل مكّة لا متعة له .

والقران إنّما يتميّز عن الإفراد ويفضل عليه بسياق الهدي عند إحرامه فحسب عند الأكثر ، وقيل به وبالجمع بين العبادتين فيه من غير تحلّل بينهما ولهذا سمّي بالقران .

﴿ الباب الثاني ﴾

« في ترتيب الأعمال الظاهرة من أوّل السفر إلى الرجوع وهي عشر جمل » :

أقول : و أنا أتصرّف في تقرير الجمل كلّها وأذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام سوى الأولى فأتركها على حالها لعدم بعدها عنها و لأنّي سأورد ما فيها على طريقتهم

عليه‌السلام في كتاب آداب السفر من ربع العادات إن شاء الله.

«الجملة الاولى في السنن من أوّل الخروج إلى الإحرام وهي ثمانية:

الأولى في المال فينبغي أن يبدء بالتوبة و ردّ المظالم و قضاء الديون و إعدادالنفقه لكلّ من يلزمه نفقته إلى وقت الرجوع، و يردّ ما عنده من الودايع و يستصحب المال من الطيّب الحلال ما يكفيه لذهابه و إيابه من غير تقتير، بل على وجه يمكنه معه التوسيع في الزاد و الرفق بالضعفاء و الفقراء، و يتصدّق بشيء قبل خروجه، و يشتري لنفسه دابّة قويّة على الحمل لا يضعف أو يكتريها فإن اكترى فليظهر للمكاري كلّ ما يريد أن يحمله من قليل و كثير و يحصّل رضاه فيه.

الثانية في الرفق ينبغي أن يلتمس رفيقاً صالحاً محبّاً للخير معيناً عليه، إن نسي ذكّره، و إن ذكر أعانه، و إن جبن شجّعه، وإن عجز قوّاه، وإن ضاق صدره صبّره. و أمّا رفقاؤه المقيمون و إخوانه فيودّعهم و يلتمس أدعيتهم، فإنّ الله تعالى جاعلٌ في دعائهم خيراً و السنّة في الوداع أن يقول: «أستودع الله دينك و أمانتك و خواتيم عملك» و كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول لمن أراد السفر: «في حفظ الله و كنفه، زوّدك الله التقوى، و غفر ذنبك، و وجّهك للخير أينما توجّهت».

الثالثة في الخروج من الدار ينبغي إذا همّ بالخروج أن يصلّي أوّلاً ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل: يا أيّها الكافرون، و في الثانية الإخلاص فإذا فرغ يرفع يديه و دعا الله عن إخلاص صاف و نيّة صادقة، و قال: «اللّهمّ أنت الصاحب في السفر و أنت الخليفة في المال و الأهل والولد والأصحاب، احفظنا وإيّاهم من كلّ آفة وعاهة، اللّهمّ إنّا نسألك في مسيرنا هذا البرّ و التوفيق و التقوى و من العمل ما ترضاه، اللّهمّ إنّا نسألك أن تطوي لنا الأرض، و تهوّن علينا السفر، و أن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن و الدين و المال، و تبلّغنا حجّ بيتك الحرام وزيارة قبر نبيّك صلى‌الله‌عليه‌وآله، اللّهمّ إنّي أعوذبك من وعثاء السفر و كآبة المنقلب [1] و سوء المنظر في الأهل و المال و الولد و الأصحاب، اللّهمّ اجعلنا و إيّاهم في جوارك، و لا تسلبنا و إيّاهم نعمتك، ولا تغيّر ما بنا و بهم

(١) الوعثاء: المشقة والتعب. والكآب والكآبة: الغم والحزن.

من عافيتك » .

الرابعة إذا حصل على باب الدار قال : « بسم الله توكّلت على الله ولا حول ولاقوّة إلّا بالله ، ربّ أعوذ بك أن أضلّ أو اُضلّ ، أوأظلم أو اُظلم ، أو أجهل أو يجهل عليّ ، اللّهمّ إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولاسُمعة بل خرجت اتّقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك و قضاء لفرضك واتّباع سنّة نبيّك ﷺ وشوقاً إلى لقائك » فإذا مشى قال : «اللّهمّ بك انتشرت ، وعليك توكّلت ، وبك اعتصمت ، و إليك توجّهت ، اللّهمّ أنت ثقتي و أنت رجائي فاكفني ما أهمّني ، و ما لم أهتمّ به ، و ما أنت أعلم به منّي ، عزّ جارك ، و جلّ ثناؤك ، و لا إله غيرك ، اللّهمّ زوّدني التقوى ، و اغفرلي ذنبي و وجّهني للخير أينما توجّهت » ـ و يدعو بهذا الدعاء في كلّ منزل يرحل عنه .

الخامسة في الركوب فإذا ركب الراحلة يقول : « بسم الله وبالله والله أكبر توكّلت على الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم ، ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ، سبحان الّذي سخّر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين (١) ، و إنّا إلى ربّنا لمنقلبون ، اللّهمّ إنّي وجّهت وجهي إليك و فوّضت أمري إليك و توكّلت في جميع اُموري عليك ، أنت حسبي ونعم الوكيل » فإذا استوى على الراحلة و استوت تحته قال : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر ـ سبع مرّات ـ و قال : « الحمد لله الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، اللّهمّ أنت الحامل على الظهر ، وأنت المستعان على الاُمور ».

السادسة في النزول والسنّة أن لا ينزل حتّى يحمي النهار و يكون أكثر سيره في اللّيل ، قال ﷺ : «عليكم بالدلجة فإنّ الأرض تطوي باللّيل مالا تطوي بالنهار»(٢) و ليقلّل نومه باللّيل حتّى يكون عوناً على السير ، و مهما أشرف على المنزل فليقل :

---

(١) أقرن أى أطاق .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٤٤٥ . و رواه الصدوق فى الفقيه ص٢٢٢ وفيه « عليكم بالسير بالليل » والدلجة بمعناه و أخرجه بلفظه أبويعلى والبزاز وابوداود كما فى مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢١٣ .

« اللّهمّ ربّ السماوات السبع و ما أظللن ، و ربّ الأرضين السبع و ما أقللن ، و ربّ الشياطين و ما أضللن ، وربّ الرياح وما ذرين(١) ، و ربّ البحار وماجرين ، أسألك خير هذا المنزل و خير أهله و أعوذ بك من شرّ هذا المنزل و شرّ ما فيه . اصرف عني شرّ شرارهم » فإذا نزل المنزل صلّى فيه ركعتين ، ثمّ قال : « اللّهمّ إنّي أعوذ بكلماتك التامّات الّتي لا يجاوزهنّ برّ و لا فاجرّ من شرّ ما خلقت » فإذا جنّ عليه اللّيل يقول : « يا أرض ربّي وربّك الله ، أعوذ بالله من شرّك وشرّ ما فيك و شرّ ما دبّ عليك ، أعوذ بالله من شرّ كلّ أسد و أسود وحيّة وعقرب و من شرّ ساكن البلد و والد و ما ولد ، وله ما سكن في اللّيل و النهار و هو السميع العليم » .

السابعة في الحراسة ينبغي أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفرداً خارج القافلة لأنّه ربما يغتال أو ينقطع ، و يكون باللّيل متحفّظاً عند النوم ، و إن نام في ابتداء اللّيل افترش ذراعه و إن نام في آخر اللّيل نصب ذراعه نصباً وجعل رأسه في كفّه ، هكذا كان ينام رسول الله ﷺ في أسفاره ، فإنّه ربما يستثقل في النوم فتطلع الشمس و هو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل ممّا في الحجّ . و الأحبّ باللّيل أن يتناوب الرفيقان في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر فهوالسنّة ، و إن قصده عدوّ أو سبع في ليل أو نهار فليقرء آية الكرسيّ ، و شهد الله ، و الإخلاص ، و المعوّذتين و ليقل : « بسم الله ما شاءالله ، لاقوّة إلّا بالله ، حسبي الله ، توكّلت على الله ، ماشاء الله ، لا يأتي بالخيرات إلّا الله ، لا يصرف السوء إلّا الله ، حسبي الله و كفى ، سمع الله لمن دعاء ، ليس وراء الله منتهى ، و لا دون الله ملجأ ، كتب الله لا غلبنّ أنا و رسلي إنّ الله قويّ عزيزٌ ، تحصّنت بالله العظيم ، و استعنت بالحيّ الّذي لا يموت ، اللّهمّ احرسنا بعينك الّتي لا تنام واكنفنا بركنك الّذي لا يُرام ، اللّهمّ ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك و أنت ثقتنا و رجاؤنا ، اللّهمّ اعطف علينا قلوب عبادك و إمائك برأفة ورحمة إنّك أنت أرحم الراحمين» .

الثامنة مهما علا نشزاً(٢) من الأرض في الطريق فيستحبّ أن يكبّر ثلاثاً ثمّ يقول :

---

(١) ذرى الريح التراب : أطارته وفرقته .

(٢) النشز ـ محركة ـ : المكان المرتفع.

« اللّهمّ لك الشرف على كلّ شرف ولك الحمد على كلّ حال » و مهما هبط سبّح ، ومهما خاف الوحشة في سفره قال : « سبحان الله الملك القدّوس ربّ الملائكة و الروح جللت السماوات و الأرض بالعزّة و الجبروت »

الجملة الثانية في آداب الإحرام من الميقات و هي ستّة : الأوّل أن يغتسل و ينوي به غسل الإحرام أعني إذا انتهى إلى الميقات المشهور الّذي يحرم الناس منه و إن كان لحجّ التمتّع فيحرم من مكّة ولا يجزىء من غير ذلك إلّا مع الجهل أو النسيان و يتمّم غسله بالتنظيف أوّلاً والاطلاء سيّما للعانة و الإبطين ، و تقليم الأظفار ، وقصّ الشارب ، والسواك وينبغي أن يوفّر شعر رأسه من أوّل ذي العقدة وهو من السنن الوكيدة .

الثاني أن يفارق الثياب المخيطة و يلبس ثوب الاحرام فيتّزر و يرتدي بثوبين طاهرين نظيفين أبيضين ممّا يجوز فيه الصلاة .

الثالث أن يحرم عقيب فريضة فإن لم يتّفق صلّى ركعتين ، و في بعض الأخبار ستّ ركعات و أفضل الساعات للإحرام عند زوال الشمس .

الرابع أن يدعو عقيب الصلاة و يتلفّظ بما يعزم عليه و يشترط أن يحلّه الله حيث حبسه و إن لم تكن حجّة فعمرة ، و في صحيحة معاوية بن عمّار (١) ، عن أبي عبد الله عليه السلام : « فاذا انفتلت من الصلاة فاحمد الله عزّ و جلّ وأثن عليه و صلّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و تقول : « اللّهمّ إنّي أسألك أن تجعلني ممّن استجاب لك و آمن بوعدك واتّبع أمرك فإنّي عبدك و في قبضتك لا اوقي إلّا ما وقيت ولا آخذ إلّا ما أعطيت و قد ذكّرت بالحجّ فأسألك أن تعزم لي عليه على كتابك و سنّة نبيّك و تقوّيني على ما ضعفت عنه و تتسلّم منّي (٢) مناسكي في يسر منك و عافية و اجعلني من وفدك الّذي رضيت و ارتضيت وسمّيت و كتبت ، اللّهمّ إنّي خرجت من شقّة بعيدة ، وأنفقت مالي ابتغاء مرضاتك ، اللّهمّ فتمّم لي حجّي ، اللّهمّ إنّي اُريد التمتّع بالعمرة إلى الحجّ على كتابك و سنّة

---

(١) التهذيب ج ١ ص ٤٦٨ . و الكافي ج ٤ ص ٣٣١ . والفقيه ص ٢٣٦ ، و قوله «انفتلت» أي انصرفت .

(٢) أي تقبل مني ، وفي الكافي بحذف احدى التائين .

نبيّك صلواتك عليه وآله ، فإن عرض لي عارضٌ يحبسني فحلّني حيث حبسني لقدرك الّذي قدّرت عليّ ، اللّهمّ إن لم تكن حجّة فعمرة[1] أحرم لك شعري و بشري ولحمي و دمي و عظامي و مخّي و عصبي من النساء والثياب و الطيب أبتغي بذلك وجهك و الدار الآخرة» يجزئك أن تقول : « هذا مرّة واحدة حين تحرم ثمّ قم فامش هنيئة فإذا استوت بك الأرض[2] ماشياً كنت أو راكباً فلبّ » .

و في صحيحة حمّاد بن عثمان عنه عليه السلام قال : « قلت : إنّي اُريد أن أتمتّع بالعمرة إلى الحجّ فكيف أقول؟ قال : تقول : « اللّهمّ إنّي اُريد أن أتمتّع بالعمرة إلى الحجّ على كتابك و سنّة نبيّك » و إن شئت أضمرت الّذي تريده »[3] .

الخامس أن يصبر بعد التهيّؤ و العزم حتّى ينبعث به راحلته إن كان راكباً أو يبتدىء السير إن كان راجلاً ، ثمّ يأتي بالتلبية كما مرّ في الرواية المتقدّمة .

و في صحيح آخر « و الأفضل أن تمضي قليلاً ثمّ تلبّي»[4].

و **صورة التلبية** « لبّيك اللّهمّ لبّيك ، لبّيك لا شريك لك لبّيك ، إنّ الحمد والنعمة لك ، و الملك لاشريك لك » ـ و إن زاد قال : ـ « لبّيك ذا المعارج لبّيك » و إن شاء زاد عليه بما ورد في الأخبار من التلبيات ، و ينبغي أن يذكر في تلبية عمرة التمتّع الحجّ والعمرة معاً فينوي فعل العمرة أوّلاً ثمّ الحجّ بعدها باعتبار دخولها في حجّ التمتّع .

و في الصحيح « أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول فيها : « لبّيك بحجّة و عمرة معاً لبّيك »[5] و لو أهلّ المتمتّع بالحجّ جاز لدخول عمرة التمتّع فيه .

و من وقت الإحرام حرّم عليه المحظورات الّتي ذكرناها من قبل .

و القارن بالخيار بين أن يعقد إحرامه بالتلبية أو الإشعار أو التقليد و بأيّها بدأ كان الآخر مستحبّاً ، و لا يلزم الإحرام إلّا بأحدها .

---

(١) اى ان لم يتيسرلى اتمام الحج فيكون هذا الاحرام للعمرة فأتمها عمرة .

(٢) اى سلكت فيها .

(٣) الكافى ج ٤ ص ٢٣٢ .

(٤) الفقيه ص ٢٣٧ من رواية هشام بن الحكم . تحت رقم ٦ .

(٥) التهذيب ج ١ ص ٤٧٠ فى حديث .

و الإشعار أن يطعن في سنامها من الجانب الأيمن ، قيل : و يلطخ صفحته بدمه ، و التقليد أن يقلّد في رقبته نعلاً خلقاً و يختصّ به البقر والغنم لضعفهما .

السادس أن يكثر من التلبية و يكرّرها في دوام الإحرام و خصوصاً قوله : «لبّيك ذا المعارج لبّيك » و يجدّدها ، كلّما لقي راكباً أو علا أكمة [١] ، أو هبط وادياً ، ومن آخر اللّيل ، و عند الاستيقاظ ، و في أدبار الصلوات ، و عند كلّ ركوب و نزول رافعاً بها صوته ؛ و في رواية حريز [٢] « أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا أحرم أتاه جبرئيل عليه السلام فقال : مر أصحابك بالعجّ و الثجّ ، فالعجّ رفع الصوت بالتلبية ، و الثجّ نحر البدن » .

ومن أحرم من مسجد الشجرة و كان راكباً فالأفضل أن لايجهر بالتلبية حتّى علت راحلته البيداء ، و من أحرم من مكّة فلا يلبّي حتّى ينتهي إلى الرقطاء [٣] ولا يجهر بها حتّى يشرف على الأبطح [٤] ، ويجب قطعها عند زوال الشمس من يوم عرفة إن كان حاجّاً ، و إذا شاهد بيوت مكّة إن كان معتمراً بمتعة ، وعند مشاهدة الكعبة إن كان معتمراً بمفردة وقد خرج من مكّة للإحرام ، وإن أحرم من خارج فعند دخول الحرم .

الجملة الثالثة في آداب دخول الحرم إلى الطواف وهي ستّة : الأوّل أن يغتسل لدخول الحرم من بئر ميمون أومن فخّ [٥] ويقول عند دخوله : « اللّهمّ إنّك قلت في كتابك المنزل ـ وقولك الحقّ ـ « و أذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق» اللّهمّ و إنّي أرجو أن أكون ممّن أجاب دعوتك وقد جئت من

(١) الاكمة ـ محركة ـ : التل من القف من حجارة واحدة أوهى دون الجبال أو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مماحوله وهوغليظ لا يبلغ أن يكون حجراً . (القاموس)

(٢) الكافي ج ٤ ص ٣٣٦ تحت رقم ٥ .

(٣) الرقطاء : موضع دون الردم والردم هو الحاجز الذى يمنع السيل عن البيت المحرم وسمى المدعى .

(٤) الابطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى أوله عند منقطع الشعب بين وادى منى وآخره متصل بالمقبرة التى تسمى المعلى عند أهل مكة .

(٥) بئر ميمون بمكة باعلاها دفن عندها المنصور . وفخ ـ بفتح أوله و تشديد ثانيه واد بمكة قتل به الحسين بن على بن الحسن العلوى يوم التروية سنة تسع وستين ومائة وقتل جماعة من أهل بيته . (المراصد) .

شُقّة بعيدة ومن فجّ عميق، سامعاً لندائك ومستجيباً لك، مطيعاً لأمرك و كلّ ذلك بفضلك عليّ وإحسانك إليّ فلك الحمد على ما وفّقتني له، أبتغي بذلك الزُّلفة عندك و القربة إليك، والمنزلة لديك والمغفرة لذنوبي والتوبة عليّ منها بمنّك، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وحرّم بدني على النّار وآمنّي من عذابك وعقابك برحمتك يا كريم ».

الثاني أن يدخل مكّة على غسل بسكينة ووقارمن جانب الأبطح من ثنيّة كدا - بفتح الكاف - قيل: عدل رسول الله صلى الله عليه وآله من جادّة الطريق إليها وإذا خرج خرج من ثنيّة كدا - بضم الكاف - وهي الثنيّة السفلى، والأولى هي العليا.

الثالث أن يدخل المسجد الحرام على غسل بسكينة و وقارمن باب بني شيبة حافياً مقدّماً للرّجل اليمنى بخشوع فإنّه من دخله بخشوع غفرله، و يقول و هو على باب المسجد: «السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، بسم الله وبالله ومن الله وما شاء الله، و السلام على رسول الله و آله، والسلام على إبراهيم وآله، والسلام على أنبياء الله ورسله، والحمد لله ربّ العالمين ».

الرابع أن يقول عند النظر إلى الكعبة « الحمد لله الّذي عظّمك و شرّفك و كرّمك، وجعلك مثابة للناس وأمناً، مباركاً و هدى للعالمين ».

الخامس أن يقول عند النظر إلى الحجر الأسود وهو مستقبل إليه: « الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، و الله أكبر، لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حيّ لايموت، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كأفضل ماصلّيت وباركت وترحّمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وسلامٌ على جميع النبيّين والمرسلين، والحمد لله ربّ العالمين، اللّهمّ إنّي أُومن بوعدك واُصدّق رسلك وأتّبع كتابك ».

السادس أن يستلم الحجر ويقبّله، فإن لم يقدر فيمسّه بيده ويقبّلها، فإن لم يقدر فيشير إليه بيده ويقبّلها ويقول: « أمانتي أدّيتها و ميثاقي تعاهدته لتشهدلي بالموافاة، آمنت بالله و كفرت بالجبت والطاغوت واللّات والعزّى وعبادة الشيطان وعبادة

الأوثان وعبادة كلّ ندّ يدعى من دون الله».

الجملة الرابعة في الطواف، ويجب أن يراعي فيه شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمطاف وستر العورة، و أن يكون مختوناً، و الطهارة إنّما يشترط في الطواف الواجب دون المندوب، ويجب فيه النيّة والبداءة بالحجر و الختم به وتكفي البداءة العرفيّة، و المتأخّرون أوجبوا جعل أوّل جزء من الحجر محاذياً لأوّل جزء من مقاديم بدنه بحيث يمرّ عليه بعد النيّة بجميع بدنه علماً أوظنّاً، و يجب جعل البيت على يساره وأن يدخل الحجر[1] في الطواف، وأن يطوف بين البيت والمقام مراعياً قدر ما بينهما من جميع الجهات إلّا مع الضرورة وأن يكمله سبعاً.

و يستحبّ أن يكون على سكينة و وقار، وأن يقارب بين خطاه، و أن يدنو من البيت ولكن لايطوف على الشادروان فإنّه من البيت، وأن يقبّل الحجر في كلّ شوط كما وصفناه، ويلتزم الأركان كلّها سيّما اليماني فإذا بلغ باب البيت قال: «سائلك فقيرك مسكينك ببابك فتصدّق عليه بالجنّة، اللّهمّ البيت بيتك، والحرم حرمك، والعبد عبدك، و هذا مقام العائذ المستجير بك من النار، فأعتقني ووالديّ وأهلي و ولدي وإخواني المؤمنين من النّار يا جواد يا كريم».

فاذا بلغ مقابل الميزاب قال: «اللّهمّ أعتق رقبتي من النّار ووسّع عليّ من الرزق الحلال وادرء عنّي شرّ فسقة العرب والعجم، وشرّ فسقة الجنّ والإنس؛ ويقول وهو جائز: «اللّهمّ إنّي إليك فقير وإنّي منك خائف مستجير فلا تبدّل اسمي ولا تغيّر جسمي».

ويقول في الطواف: «اللّهمّ إنّي أسألك باسمك الّذي يمشى به على طلل الماء[2] كما يمشى به على جدد الأرض، وأسألك باسمك المخزون المكنون عندك، وأسألك باسمك الأعظم الأعظم الّذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تفعل بي كذا و كذا».

فإذا بلغ الركن اليماني التزمه و قبّله وصلّى على النبيّ و آله في كلّ شوط ويقول بين هذا الركن والركن الّذي فيه الحجر: «ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة و في

(١) بكسر المهملة وسكون المعجمة. (٢) الطلل: الموضع المرتفع.

الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار» فإذا كان في الشوط السابع وقف بالمستجار وهو مؤخّر الكعبة ممّا يلي الركن اليماني بحذاء باب الكعبة، فبسط يديه على البيت وألزق خدّه وبطنه بالبيت ويقول: «اللّهمّ البيت بيتك، والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ بك من النّار، اللّهمّ إنّي حللت بفنائك فاجعل قراي مغفرتك، وهب لي ما بيني و بينك، واستوهبني من خلقك» ويدعو بماشاء ثمّ يُقرّ لربّه بذنوبه و يقول: «اللّهمّ من قِبلك الرّوح و الرّاحة والفرج والعافية، اللّهمّ إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي و اغفرلي مااطّلعت عليه منّي وخفي على خلقك، أستجير بالله من النار» ويكثر لنفسه من الدّعاء ثمّ يستلم الركن اليماني والّذي فيه الحجر الأسود ويقبّله ويختم به ويقول: «اللّهمّ قنّعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني».

فإذا فرغ من الطواف أتى مقام إبراهيم ويصلّي ركعتين ويجعل المقام أمامه ويقرأ في الأولى بعد الحمد التوحيد، وفي الثانية الجحد، ثمّ يتشهّد ويسلّم ويحمد الله ويثني عليه ويصلّي على النبيّ وآله ويسأل الله أن يتقبّله منه وأن لايجعله آخر العهد منه فيقول: «الحمد لله بمحامده كلّها على نعمائه كلّها حتّى ينتهي الحمد إلى مايحبّ ربّي ويرضى، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، و تقبّل منّي، وطهّر قلبي، و زكّ عملي» وليجتهد في الدعاء ثمّ يأتي الحجر الأسود فيستلمه ويقبّله أويمسحه بيده أو يشير إليه ويقول ماقاله أوّلاً فإنّه لابدّ من ذلك، وقد عرفت أنّ الطواف ركن في كلّ من الحجّ والعمرة، من تركه عامداً بطل حجّه أو عمرته، فلوكان ناسياً قضاه ولو بعد المناسك، ولو شقّ العود استناب فيه.

الجملة الخامسة في السعي فإذا فرغ من الطواف وتوابعه أتى زمزم فإن قدر أن يشرب من مائه قبل أن يخرج إلى الصفا فليفعل ويقول حين يشرب: «اللّهمّ اجعله علماً نافعاً، و رزقاً واسعاً، وشفاء من كلّ داء وسقم، إنّك قادرٌ يا ربّ العالمين».

ثمّ يخرج إلى الصفا من بابه ويقوم عليه حتّى ينظر إلى البيت و يستقبل الركن الّذي فيه الحجر ويحمد الله و يثني عليه ويذكر من آلائه وحسن ما صنع إليه ما قدر عليه، ثمّ يقول: «لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، يحيي و يميت

وهو على كلّ شيء قدير » ـ ثلاث مرّات ـ ويقول : « اللّهمّ إنّي أسألك العفو و العافية واليقين في الدّنيا والآخرة » ـ ثلاث مرّات ـ ويقول : « ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» ـ ثلاث مرّات ـ ويقول : «الحمدلله» مائة مرّة و «الله أكبر» مائة مرّة و « سبحان الله » مائة مرّة و « لا إله إلّا الله » مائة مرّة و « أستغفر الله و أتوب إليه » مائة مرّة و « صلّ على محمّد و آل محمّد » مائة مرّة ، ويقول : « يامن لايخيب سائله ، ولاينفد نائله ، صلّ على محمّد وآل محمّد ، وأعذني من النار برحمتك » ويدعو لنفسه بما أحبّ ، وليكن وقوفه على الصفا أوّل مرّة أطول من غيرها ، ثمّ ينحدر ويقف على المرقاة الرابعة حيال الكعبة ويقول : « اللّهمّ إنّي أعوذبك من عذاب القبر وفتنته وغربته و وحشته وظلمته وضيقه وضنكه ، اللّهمّ أظلّني في ظلّ عرشك يوم لاظلّ إلّا ظلّك » ، ثمّ ينحدر عن المرقاة وهو كاشف عن ظهره ويقول : « ياربّ العفو ، يا من أمر بالعفو ، يا من هو أولى بالعفو ، يا من يثيب على العفو ، العفو العفو العفو ، ياجواد يا كريم ، يا قريب يابعيد اردد عليّ نعمتك ، واستعملني بطاعتك ومرضاتك » ثمّ يمشي وعليه السكينة والوقار حتّى يصير إلى المنارة وهي طرف المسعى فيسعى ملء فروجه ويقول : « بسم الله و الله أكبر ، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، اللّهمّ اغفروارحم وتجاوزعمّا تعلم إنّك أنت الأعزّ الأكرم ، و اهدني للّتي هي أقوم ، اللّهمّ إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي وتقبّل منّي ، اللّهمّ لك سعيي ، وبك حولي و قوّتي ، تقبل عملي يا من يقبل عمل المتّقين » فإذا جاز زقاق العطّارين يقطع الهرولة ويمشي على سكون و وقار و يقول : « ياذا المنّ والطول والكرم والنعماء والجود ، صلّ على محمّد و آل محمّد و اغفر لي ذنوبي إنّه لايغفر الذّنوب إلّا أنت يا كريم » فإذا أتى المروة يصعد عليها ويقوم حتّى يبدوله البيت ويدعو كما دعا على الصفا ويسأل الله حوائجه ويقول في دعائه : « يا من أمر بالعفو ، يا من يجزيء على العفو ، يا من دلّ على العفو ، يا من زيّن العفو ، يا من يثيب على العفو ، يا من يحبّ العفو ، يا من يعطي على العفو ، يامن يعفوعلى العفو ، ياربّ العفو، العفوالعفو» ويتضرّع إلى الله ويبكي فإن لم يقدر على البكاء فيتباكي ويجهد أن يخرج من عينيه الدّموع ولو مثل رأس الذّباب ويجهد في الدّعاء ، ثمّ ينحدر عن المروة إلى الصفا و هو

يمشي ، فإذا بلغ زقاق العطّارين يسعى ملء فروجه إلى المنارة الّتي تلي الصفا ، فإذا بلغها يقطع الهرولة ويمشي حتّى يأتي الصفا ويقوم عليه ويستقبل البيت بوجهه و يقول مثل ماقاله في الدّفعة الاُولى حتّى يأتي المروة فيطوف بين الصفا والمروة سبعة أشواط يكون وقوفه على الصفا أربعاً وعلى المروة أربعاً والسعي بينهما سبعاً يبدء بالصفا و يختم بالمروة ، ومن ترك الهرولة في السعي في بعض المكان لم يحوّل وجهه ورجع القهقرى حتّى يبلغ الموضع الّذي ترك فيه الهرولة ثمّ يهرول منه إلى الموضع الّذي ينبغي له أن يقطعها فيه .

ويستحبّ في السعي الطهارة من الحدث والخبث و قد عرفت أنّ السعي ركن في الحجّ والعمرة ، من تركه عامداً بطل حجّه أوعمرته فلوكان ناسياً أتى به فإن شقّ عليه استناب فيه .

فإذا فرغ من السعي نزل من المروة و قصّر من شعر رأسه من جوانبه و من حاجبه و من لحيته و يأخذ شاربه ويقلّم أظفاره ويكفي مسمّى الأخذ من الشعر أوالظفر ، فإذا فعل ذلك فقد أحلّ من كلّ شيء أحرم منه .

الجملة السادسة في الوقوف بعرفات وما قبله ، الحاجّ إذا أحرم بالحجّ توجّه إلى منى ملبيّاً كمامرّ ، وينبغي أن يكون ذلك يوم التروية إمّا قبل أن يصلّي الظهرين أوبعد على التخيير إلّا الإمام فقبل لأنّ عليه أن يوقعهما بمنى مؤكّداً ، ويقول وهومتوجّه إلى منى : « اللّهمّ إيّاك أرجو ، و إيّاك أدعو ، فبلّغني أملي ، و أصلح لي عملي » فإذا أتى منى يقول : « الحمد لله الّذي أقد منيها صالحاً في عافية وبلّغني هذا المكان ، اللّهمّ و هذه منى و هي ممّا مننت به على أوليائك من المناسك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد ، وأن تمنّ عليّ فيها بما مننت على أوليائك وأهل طاعتك ، فإنّما أنا عبدك و في قبضتك » ، ثم يصلّي بها المغرب والعشاء الآخرة والفجر في مسجد الخيف ، ولتكن صلاته فيه عند المنارة الّتي في وسط المسجد وعلى ثلاثين ذراعاً من جميع جوانبها فذاك مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله ومصلّى الأنبياء الّذين صلّوا فيه قبله عليهم السلام و ما كان خارجاً من ثلاثين ذراعاً حولها من كلّ جانب البيت فليس من المسجد ، و ينبغي أن يبيت بمنى إلى طلوع الفجر من يوم

عرفة لكن لايجوز وادي محسّر [١] إلّا بعد طلوع الشمس ويكره الخروج منها قبل الفجر إلّا لضرورة وعلى الإمام أن يقيم بها إلى طلوع الشمس. ثمّ يمضي إلى عرفات ويقول وهو متوجّه إليها: «اللّهمّ إليك صمدت، و إيّاك اعتمدت، ووجهك أردت، وقولك صدّقت، و أمرك اتّبعت، أسألك أن تبارك لي في أجلي، وأن تقضي لي حاجتي، و أن تجعلني ممّن تباهي به اليوم من هو أفضل منّي» ثمّ يلبّي و هومارّ إلى عرفات فإذا أتى عرفات يضرب خباءه بنمرة قريباً من المسجد، فإنّ ثمّة ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله خباءه وقبّته، فإذا زالت الشمس يوم عرفة يقطع التلبية، ويغتسل ويصلّي بها الظهر والعصر بأذان واحد و إقامتين، و إنّما يتّعجل في الصلاة و يجمع بينهما ليفرغ للدّعاء فإنّه يوم الدّعاء والمسألة.

ثمّ يأتي الموقف و عليه السكينة والوقار و يقف بسفح الجبل في ميسرته و يدعو بدعاء الموقف و يدعو لأبويه كثيراً ويستوهبهما من ربّه عزّ وجلّ، ولايقف إلّا وهوعلى طهر و قد اغتسل، و جمع رحله وتوجّه بقلبه إلى الدعاء ويجب الوقوف بها إلى الغروب فإن أفاض قبله عامداً جبره ببدنة، و لو كان جاهلاً أو ناسياً فلا شيء عليه.

قال في الفقيه [٢] روى زرعة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أتيت الموقف فاستقبل البيت وسبّح الله مائة مرّة و كبّر الله مائة مرّة وتقول: «ماشاءالله لاقوّة إلّا بالله» مائة مرّة، وتقول: «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت و يحيي، بيده الخير و هو على كلّ شيء قدير» مائة مرّة، ثمّ تقرء عشر آيات من أوّل سورة البقرة، ثمّ تقرء قل هو الله أحد ثلاث مرّات و تقرء آية الكرسيّ حتّى تفرغ منها، ثمّ تقرء آية السخرة «إنّ ربّكم الله الّذي خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش» إلى آخرها، ثمّ تقرء قل أعوذ بربّ الفلق، و قل أعوذ بربّ الناس حتّى تفرغ منهما، ثمّ تحمد الله عزّ و جلّ على كلّ نعمة أنعم

---

(١) قال عبدالمؤمن البغدادى فى المراصد: «محسر» - بالضم ثم الفتح ثم كسر السين المشددة وراء - واد بين منى و مزدلفة، ليس من منى ولا من مزد لفة. هذا هو المشهور. وقيل: موضع بين مكة وعرفة. وقيل: بين منى وعرفة.

(٢) المصدر ص ٢٨٦ تحت رقم ٣٠.

عليك و تذكر أنعمه واحدة واحدة ما أحصيت منها و تحمده على ما أنعم عليك من أهل أو مال و تحمد الله على ما أبلاك وتقول : « اللّهمّ لك الحمد على نعمائك الّتي لا تحصى بعدد ولا تكافي بعمل ، وتحمده بكلّ آية ذكر فيها الحمد لنفسه في القرآن ، و تسبّحه بكلّ تسبيح ذكر به نفسه في القرآن ، و تهلّله بكلّ تهليل هلّل به نفسه في القرآن ، و تصلّي على محمّد و آل محمّد وتكثر منه ، و تجتهد فيه ، و تدعو الله تعالى بكلّ اسم سمّى به نفسه في القرآن ، و بكلّ اسم تحسنه وتدعوه بأسمائه الّتي في آخر الحشر وتقول : « أسألك يا الله يا رحمن بكلّ اسم هو لك و أسألك بقوّتك و قدرتك و عزّتك و بجميع ما أحاط به علمك و بجمعك و بأركانك كلّها و بحقّ رسولك صلّى الله عليه وآله ، و باسمك الأكبر الأكبر ، وباسمك العظيم الّذي من دعاك به كان حقّاً عليك أن تجيبه ، وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الّذي من دعاك به كان حقّاً عليك أن لا تردّه و أن تعطيه ما سأل أن تغفر لي جميع ذنوبي في جميع علمك فيّ » وتسأل الله حاجتك كلّها من أمر الآخرة والدنيا وترغب إليه في الوفادة في المستقبل و في كلّ عام ، و تسأل الله الجنّة ـ سبعين مرّة ـ و تتوب إليه ـ سبعين مرّة ـ و ليكن من دعائك « اللّهمّ فكّني من النار ، و أوسع عليّ من رزقك الحلال الطيّب ، و ادرأ عنّي شرّ فسقة الجنّ والإنس وشرّ فسقة العرب والعجم » فإن تقدّم هذا الدعاء ولم تغرب الشمس فأعده من أوّله إلى آخره ، و لا تملّ من الدعاء و التضرّع والمسألة .

و روى معاوية بن عمّار (١) ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : ألا اُعلّمك دعاء يوم عرفة و هو دعاء من كان قبلي من الأنبياء ؟ فقال عليّ عليه السلام : بلى يا رسول الله ، قال : فتقول : « لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، ويميت ويحيي وهو حيّ لا يموت ، بيده الخير و هو على كلّ شيء قدير ، اللّهمّ لك الحمد أنت كما تقول و خير ما يقول القائلون ، اللّهمّ لك صلاتي و ديني و محياي و مماتي و لك تراثي وبك حولي ومنك قوّتي ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الفقر و من وسواس الصدر و من شتات الأمر و من عذاب النار ومن عذاب القبر ، اللّهمّ

---

(١) الفقيه ص ٢٨٧ رقم ٣١ ، وفي التهذيب ج ١ ص ٤٩٨ بسند آخر مع زيادة في آخره.

إنّي أسألك من خير ما تأتي به الرياح، و أعوذبك من شرّ ما تأتي به الرياح، وأسألك خير اللّيل والنهار».

و رواية عبد الله بن سنان (١) «اللّهمّ اجعل في قلبي نوراً و في سمعي و بصري و لحمي ودمي وعظامي وعروقي ومفاصلي ومقعدي ومقامي ومدخلي ومخرجي نوراً و أعظم لي نوراً يا ربّ يا ربّ يوم ألقاك إنّك على كلّ شيء قدير».

قال مصنّف هذا الكتاب(٢) : هذا الدعاء تامّ كاف لموقف عرفة و قدأخرجت دعاء جامعاً لموقف عرفة في كتاب دعاء الموقف فمن أحبّ أن يدعو به دعا بهإن شاء الله. انتهى كلام الفقيه.

وأقول: دعاء الموقف لحسين بن عليّ(٣) مشهور و كذا لعليّ بن الحسين عليهما السلام في الصحيفة المباركة(٤) و مسمّى الكون بعرفة ركن من تركه عامداً فلا حجّ له وإن كان لعذر تداركه ولوقبل الفجر من يوم النحر إن أمكنه و إلّا اجتزأ بالوقوف بالمشعر و لو تردّد في إمكان إدراكه قبل الفجر لم يجب عليه إتيانه ويكتفي بالمشعر و قد تمّ حجّه.

الجملة السابعة في الإفاضة من عرفات إلى المشعر الحرام والوقوف به قال في الفقيه (٥) فإذا غربت الشمس يوم عرفة فامش وعليك السكينة والوقار وافض بالاستغفار فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: «ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس»(٦) واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم».

و روي زرعة عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا غربت الشمس يوم عرفة فقل: «اللّهمّ لا تجعله آخر العهد من هذا الموقف، و ارزقنيه أبداً ما أبقيتني

(١) الفقيه ص ٢٨٧ تحت رقم ٣٢. وفي التهذيب ج ١ ص ٤٩٨ ذيل حديث.

(٢) من كلام الصدوق - رحمه الله - فيذيل الخبر.

(٣) راجع اقبال الاعمال للسيد ابن طاوٗوس ص ٣٠٩.

(٤) راجع الصحيفة السجادية الدعاء السابع والاربعين.

(٥) المصدر ص ٢٨٧ تحت رقم ٣٣.

(٦) البقرة: ١٩٩.

و اقلبني اليوم مفلحاً منجحاً ، مستجاباً لي مرحوماً مغفوراً لي بأفضل ما ينقلب به اليوم أحدٌ من وفدك و حجّاج بيتك الحرام ، و اجعلني اليوم من أكرم وفدك عليك و أعطني أفضل ما أعطيت أحداً منهم من الخير و البركة و الرحمة و الرضوان و المغفرة ، وبارك لي فيما أرجع إليه من أهل و مال أو قليل أو كثير و بارك لهم فيّ » فإذا أفضت فاقتصد في السير و عليك بالدعة و اترك الوجيف[1] الّذي يصنعه كثيرٌ من الناس في الجبال والأودية فإنّ رسول الله ﷺ كان يكفُّ ناقته حتّى تبلغ رأسها الورك ويأمر بالدعة ، و سنّته السنّة الّتي تتّبع فإذا انتهيت إلى الكثيب الأحمر وهو على يمين الطريق فقل : «اللّهمّ ارحم موقفي وبارك لي في عملي و سلّم لي ديني و تقبّل مناسكي » فإذا أتيت مزدلفة و هي جمع[2] فأنزل في بطن الوادي عن يمين الطريق قريباً من المشعر الحرام ، فإن لم تجد فيه موضعاً فلا تجاوز الحياض الّتي عند وادي محسّر، فإنّها فصل ما بين جمع ومنى وصلّ المغرب و العشاء بأذان واحد و إقامتين ، ثمّ صلّ نوافل المغرب بعد العشاء ولا تصلّ المغرب ليلة النحر إلّا بالمزدلفة ، وإن ذهب ربع اللّيل إلى ثلثه فبت بمزدلفة ، و ليكن من دعائك فيها « اللّهمّ هذه جمع فاجمع لي فيها جوامع الخير كلّه ، اللّهمّ لا تؤيسني من الخير الّذي سألتك أن تجمعه لي في قلبي ، و عرّفني ما عرّفت أولياءك في منزلي هذا ، و هب لي جوامع الخير و اليسر كلّه » و إن استطعت أن لا تنام تلك اللّيلة فافعل فإنّ أبواب السماء لا تغلق لأصوات المؤمنين ، لها دويٌّ كدويّ النحل ، يقول الله تعالى : «أنا ربّكم و أنتم عبادي ، يا عبادي أدّيتم حقّي و حقٌّ عليّ أن أستجيب لكم » فيحط تلك اللّيلة عمّن أراد أن يحطّ عنه ، و يغفر ذنوبه لمن أراد .

قال : و خذ حصى الجمار من جمع و إن شئت أخذتها من رحلك بمنى ، ولا تأخذ من حصى الجمار الّذي قد رمي ، ولا تكسر الأحجار كما يفعل عوام الناس ، ولا بأس أن تأخذ حصى الجمار من حيث شئت من الحرم إلّا من المسجد الحرام و مسجد الخيف

---

(١) الوجيف : ضرب من سير الابل .

(٢) انما سمى المزدلفة جمعاً لاجتماع الناس فيه أو لانه يجمع فيه بين المغرب والعشاء بأذان واقامتين .

و تكون منقّطة كحلية مثل الأنملة أو مثل حصى الخذف ، و اغسلها و هي سبعون حصاة و شدّها في طرف ثوبك و احفظ بها .

فإذا طلع الفجر فصلّ الغداة ، وقف بالمشعر الحرام بسفح الجبل ، و يستحبّ للصرورة أن يطأ المشعر برجله أو براحلته إن كان راكباً قال الله تعالى : « فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام و اذكروه كما هداكم و إن كنتم من قبله لمن الضالّين »(1) وليكن وقوفك و أنت على غسل و قل : « اللّهمّ ربّ المشعر الحرام ، و ربّ الركن و المقام ، و ربّ الحجر الأسود و زمزم ، و ربّ الأيّام المعلومات فكّ رقبتي من النار وأوسع عليّ من رزقك الحلال ، وادرأ عنّي شرّ فسقة الجنّ والإنس ، وشرّ فسقة العرب و العجم ، اللّهمّ أنت خير مطلوب إليه و خير مدعوّ و خير مسؤول ، ولكلّ وافد جائزة فاجعل جائزتي في موطني هذا أن تقيلني عثرتي ، و تقبل معذرتي ، و تتجاوز عن خطيئتي و تجعل التقوى من الدنيا زادي ، و تقلبني مفلحاً ، منجحاً ، مستجاباً لي بأفضل ما يرجع به أحدٌ من وفدك ، و حجّاج بيتك الحرام » .

و ادع الله تعالى كثيراً لنفسك و لوالديك و ولدك وأهلك ومالك وإخوانك المؤمنين و المؤمنات ، فإنّه موطن شريف عظيم والوقوف فيه فريضة .

فإذا طلعت الشمس فاعترف لله تعالى بذنوبك ـ سبع مرّات ـ واسأله التوبة ـ سبع مرّات ـ و إذا كثر الناس بجمع و ضاقت عليهم ارتفعوا إلى المأزمين . انتهى كلامه (2) .

واقول : مسمّى الكون بالمشعر ركن من تركه عامداً فلا حجّ له وإن كان لعذر تداركه و لو قبل الزوال و إلّا بطل حجّه و إن أدرك اختياري عرفة على الأصحّ .

الجملة الثامنة في الإفاضة من المشعر الحرام إلى منى وقضاء مناسكها قال في الفقيه :

فإذا طلعت الشمس على جبل ثبير(3) و رأت الإبل مواضع أخفافها فأفض وإيّاك

(1) البقرة : ١٩٨ .

(2) يعني الصدوق ـ رحمه الله ـ وفي القاموس المأزم ويقال له : المأزمان مضيق بين جمع و عرفة و آخر بين مكة و منى .

(3) ثبير ـ بتقديم المثلثة على الموحدة ـ : جبل بين مكة ومنى ، ويرى من منى وهو على يمين الداخل منها الى مكة . (المصباح)

أن تفيض منها قبل طلوع الشمس فيلزمك دم شاة ، وأفض و عليك السكينة والوقار واقصد في مشيك إن كنت راجلاً ، وفي مسيرك إن كنت راكباً ، وعليك بالاستغفار فإنّ الله تعالى يقول : «ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إنّ الله غفورٌ رحيم (١) » و يكره المقام عند المشعر الحرام بعد الإفاضة ، فإذا انتهيت إلى وادي محسّر و هو وادي عظيم بين جمع و منى و هو إلى منى أقرب فاسع فيه مقدار مائة خطوة ، و إن كنت راكباً فحرّك راحلتك قليلاً ، و قل : « ربّ اغفر و ارحم و تجاوز عمّا تعلم إنّك أنت الأعزّ الأكرم » كما قلت في السعي بمكّة ، و كان رسول الله ﷺ يحرّك ناقته فيه و يقول : « اللّهمّ سلّم عهدي (٢) و اقبل توبتي ، و أجب دعوتي ، و اخلفني فيما تركت بعدي » .

و من ترك السعي في وادي محسّر فعليه أن يرجع حتّى يسعى فيه و من لم يعرف موضعه سأل الناس عنه .

ثمّ امض إلى منى فإذا أتيت رحلك بمنى فاقصد إلى جمرة العقبة و هي القصوى و أنت على طهر ، وأخرج ممّا معك من حصى الجمار سبع حصيات و تقف في وسط الوادي مستقبل القبلة يكون بينك و بين الجمرة عشر خطوات أو خمس عشرة خطوة ، و تقول و أنت مستقبل القبلة و الحصى في كفّك اليسرى : « اللّهمّ هذه حصياتي فأحصهنّ لي وارفعهنّ في عملي » ثمّ تتناول منها واحدة واحدة و ترمي الجمرة من قبل وجهها و لا ترمها من أعلاها ، و تقول مع كلّ حصاة إذا رميتها : «الله أكبر اللّهمّ ادحر عنّي الشيطان (٣) و جنوده اللّهمّ اجعله حجّاً مبروراً ، و عملاً مقبولاً ، و سعياً مشكوراً ، و ذنباً مغفوراً ، اللّهمّ إيماناً بك وتصديقاً بكتابك وعلى سنّة نبيّك محمّد ﷺ » حتّى ترميها بسبع حصيات ، و يجوز أن تكبّر مع كلّ حصاة ترميها تكبيرة ، فإن سقطت منك حصاة في الجمرة أو في طريقك فخذ مكانها من تحت رجليك و لا تأخذ من حصى الجمار الّذي قد رمي .

---

(١) البقره :١٩٩.

(٢) في الكافي ج ٤ ص ٤٧١ « اللهم سلم لي عهدي » .

(٣) دحره أي طرده وأبعده .

قال : و ترمي يوم الثاني و الثالث و الرابع كلّ يوم بأحد و عشرين حصاة وترمي إلى الجمرة الأولى بسبع حصيات ، و تقف عندها و تدعو ، و إلى الجمرة الثانية بسبع حصيات ، و تقف عندها و تدعو ، وإلى الجمرة الثالثة بسبع حصيات ولا تقف عندها فإذا رجعت من رمي الجمار يوم النحر إلى رحلك بمنى فقل : « اللّهمّ بك وثقت و عليك توكّلت فنعم الربّ أنت ونعم المولى ونعم النصير » .

و اشتر هديك إن كان من البدن أو من البقر أو من الغنم وإلّا فاجعله كبشاً سميناً فحلاً ، فإن لم تجد فحلاً فموجوءاً[1] من الضأن فإن لم تجد فتيساً فحلاً ، فإن لم تجد فما تيسّر لك ، و عظّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب ، ولا تعط الجزّار جلودها ولا قلائدها و لا جلالها ولكن تصدّق بها ولا تعط السلّاخ منها شيئاً .

فإذا اشتريت هديك فاستقبل القبلة وانحره أواذبحه وقل : « وجّهت وجهي للّذي فطر السماوات و الأرض حنيفاً مسلماً و ما أنا من المشركين ، إنّ صلاتي و نسكي و محياي و مماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت و أنا من المسلمين ، اللّهمّ منك و لك بسم الله والله أكبر ، اللّهمّ تقبّل منّي » ثمّ اذبح ولا تنخع حتّى تموت و يبرد ، ثمّ كل و تصدّق و أطعم و أهد إلى من شئت .

أقول : ولا يجزىء في الهدي أقلّ من واحد إلّا مع الضرورة فيجزىء البقرة عن خمسة إذا كانوا أهل خوان واحد ، وفي الصحيح يشترط أن يكون ثنيّاً في غير الضأن و فيه يكفي الجذع و الثنيّ من الإبل ما دخل في السادسة و من الآخرين ما دخل في الثالثة ، و قيل : الثانية وأن يكون تامّاً فلا يجزىء العوراء ولا العرجاء ولا المقطوعة الاذن إلّا أن يكون مشقوقاً أو مثقوباً و لم يذهب منهما شيء .

و في الفقيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « لا تضحّى بعرجاء بيّن عرجها ، و لا بالعوراء بيّن عورها ، ولا بالعجفاء ، ولا بالجرباء ، ولا بالجدعاء ، ولا بالعضباء ، وهي المكسورة القرن ، والجدعاء المقطوعة الاُذن » [2].

(١) الموجوء : من الوجاء ـ بالكسر والمد ـ وهو رض عروق البيضتين حتى تنفضخا فيكون شبيها بالخصاء ، و قيل : هو رض الخصيتين . وفي الفقيه «فموجئاً» .
(٢) المصدر ص ٢٧٣ تحت رقم ٧ .

ويستحبّ أن يكون سميناً ينظر في سواد و يمشي في سواد و يأكل و يشرب في سواد كما ورد في الأخبار ، و الوجوه الثلاثة في تفسيرها مشهورة ، و قيل : كلّها مروية عن أهل البيت عليهم السلام ، و أن يكون ممّا عرّف به أي احضر عشيّة عرفة بعرفات ، و أن يكون انثى من الإبل و البقر و فحلاً من الغنم ، و أن ينحر الإبل قائمة قد ربطت بين الخفّ و الركبة و يطعنها من الجانب الأيمن ، و أن يتولّى الذبح بنفسه إذا أحسن وإلّا وضع يده مع يد الذابح .

و إذا فرغ من الذّبح حلق رأسه بأن يستقبل القبلة و يبدء بالناصية و يقول : «اللّهمّ أعطني بكلّ شعرة نوراً يوم القيامة » ويدفن شعره بمنى وإن شاء قصّر ، والحلق للصّرورة والملبّد أولى بل يتعيّن [(١)].

و إذا حلق فقد حلّ له كلّ شيء إلّا الطيب و النّساء ، فإذا طاف للحجّ و سعى حلّ له الطيب و إذا طاف للنساء حللن له .

و يجب على المتمتّع أن يمضي إلى مكّة لطواف الزيارة و السعي و طواف النساء يوم النحر أو من غده ولا يؤخّر عن ذلك وموسّع للمفرد أن يؤخّر .

و يجب على الحاجّ أن يبيت بمنى ليلتي الحادي عشر و الثاني عشر ، فإن بات بغيرها فعليه عن كلّ ليلة دم شاة إلّا أن يكون مشتغلاً بالعبادة أو يخرج من منى بعد انتصاف اللّيل .

الجملة التاسعة في النفر من منى قال في الفقيه [(٢)] : فإذا أردت أن تنفر من منى يوم الرابع من يوم النحر نفرت إذا طلعت الشمس ولا عليك أيّ ساعة نفرت ورميت قبل الزوال أو بعده ، فإذا أردت أن تنفر في النفر الأوّل و هو يوم الثالث فانفر إذا زالت الشمس فإنّه ليس لك أن تنفر قبل الزوال ، وإن أنت أقمت إلى أن تغيب الشمس فليس لك أن تخرج من منى و وجب عليك المقام إلى يوم الرابع من يوم النحر وهو النفر الأخير

(١) تلبيد الشعر أن يجعل فيه شيء من صمغ أو خطمي وغيره عند الاحرام لئلا يشعث و يقمل اتقاء على الشعر . (مجمع البحرين)

(٢) المصدر ص ٢٩١ تحت رقم ٥٧ .

وافض إلى مكّة مهلّلا وممّجداً وداعياً، فإذا بلغت مسجد النبيّ ﷺ وهو مسجد الحصباء دخلته و استلقيت فيه على قفاك بقدر ما تستريح، ومن نفر في النفر الأوّل فليس عليه أن يحصّب، ثمّ ادخل مكّة وعليك السكينة والوقار وقد فرغت من كلّ شيء لزمك في حجّ أو عمرة وابتع بدرهم تمراً وتصدّق به يكون كفارة لمادخل عليك في إحرامك ممّا لم تعلم.

وإن أحببت أن تدخل الكعبة فادخلها و إن شئت لم تدخلها إلّا أن تكون صرورة فلا بدّ لك من دخولها، و اغتسل قبل أن تدخلها وقل: إذا دخلتها: « اللّهمّ إنّك قلت في كتابك: « و من دخله كان آمنا » فآمنّي من عذابك عذاب النار »، ثمّ صلّ بين الاسطوانتين على البلاطة الحمراء[1] ركعتين تقرء في الأولى الحمد وحم السجدة، وفي الثانية عدد آيها من القرآن وتصلّي في زواياه وتقول: «اللّهمّ من تهيأ أو تعبأ أو أعدّ أو استعدّ لوفادة إلى مخلوق رجاء رفده ونوافله وجوائزه فإليك ياسيّدي تهيئتي وإعدادي واستعدادي رجاء رفدك ونوافلك وجائزتك، فلا تخيّب اليوم رجائي يا من لايخيب عليه سائل، ولا ينقصه نائل، ولايبلغ مدحته قائل، فإنّي لم آتك بعمل صالح قدّمته، ولا شفاعة مخلوق رجوتها، لكنّي أتيتك مقرّاً بالظّلم والإساءة على نفسي، أتيتك بلاحجّة ولاعذر فأسألك يامن هو كذلك أن تعطيني منيتي و تقلّبني برحمتك ولا تردّني محروماً خائباً، ياعظيم يا عظيم أرجوك للعظيم، أسألك يا عظيم أن تغفرلي الذّنب العظيم، فإنّه لايغفر الذّنب العظيم إلّا العظيم» ولا تدخلها بحذاء ولاخفّ ولاتبزق فيها ولا تمتخط.

فإذا أردت وداع البيت فطف به اُسبوعاً وصلّ ركعتين حيث أحببت من الحرم و انت الحطيم - والحطيم مابين باب الكعبة والحجر الأسود - فتعلّق بأستار الكعبة وأنت قائم وأحمد الله تعالى وأثن عليه وصلّ على النبيّ وآله ثمّ قل: « اللّهمّ عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملته على دوابّك وسيّرته في بلادك وأقدمته المسجد الحرام، اللّهمّ و قدكان في أملي و رجائي أن تغفرلي فإن كنت يارب قد فعلت ذلك فازددعنّي رضى وقرّبني إليك زلفى وإن لم تكن يارب فعلت ذلك، فمن الآن فاغفرلي قبل أن تنأى داري عن بيتك، غير راغب عنه ولامستبدل به، هذا أوان انصرافي إن كنت قد أذنت لي، اللّهمّ فاحفظني من بين يديّ،

(١) البلاط: الحجارة المفروشة في الداروغيرها.

ومن خلفي، ومن تحتي، ومن فوقي وعن يميني، وعن شمالي حتّى تقدمني أهلي صالحاً، فإذا أقدمتني أهلي فلاتخلُ منّي، واكفني مؤونة عيالي ومؤونة خلقك».

فإذا بلغت باب الحنّاطين فاستقبل الكعبة بوجهك وخرّ ساجداً واسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبّله منك ولا يجعله آخر العهد منك، ثمّ تقول وأنت مارّ: «آئبون، تائبون، حامدون لربّنا، شاكرون، إلى الله راغبون، وإلى الله راجعون، وصلّى الله على محمّد وآله كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها، وزيارة أهل البيت عليهم السلام.

روى في الفقيه [1] عن محمّد بن سليمان الدّيلمي عن إبراهيم بن أبي حجر الأسلمي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكّة حاجّاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنّة، ومن مات في أحد الحرمين مكّة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب ومات مهاجراً إلى الله عزّ وجلّ وحشر يوم القيامة مع أصحاب بدر».

وروي فيه عن هشام بن المثنّى، عن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال له: «ابدؤوا بمكّة واختموا بنا [2]».

وعن عمر بن أُذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّما أُمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثمّ يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم [3]».

وفيه قال الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبتاه ما جزاء من زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بنيّ من زارني حيّاً أو ميّتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأُخلّصه من ذنوبه [4]».

وروى الحسن بن عليّ الوشّاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمّتهم شفعاؤهم يوم القيامة [5]».

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) المصدر ص ٢٩٣ و٢٩٢ و٢٩٢ و٢٩٦.

(٥) المصدر ص ٢٩٧.

و روى عليّ بن الحكم عن زياد بن أبي الحلال عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « ما من نبيّ ولا وصيّ نبيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيّام حتّى يرفع بروحه و عظمه ولحمه إلى السماء وإنّما يؤتى مواضع آثارهم ويبلّغونهم من بعيد السلام (١) » .

وأما الاداب فإذا توجّه من مكّة إلى المدينة فيستحبّ أن يصلّي في مسجد غدير خمّ إذا انتهى إليه .

ففي الفقيه عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن أبان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّه يستحبّ الصلاة في مسجد الغدير لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أقام فيه أميرالمؤمنين عليه السلام وهو موضع أظهر الله عزّ وجلّ فيه الحقّ » .

و أن ينزل معرّس النبيّ صلى الله عليه وآله ففيه(٢) عن معاوية بن عمّار قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : « إذا انصرفت من مكّة إلى المدينة وانتهيت إلى ذي الحُليفة وأنت راجع إلى المدينة من مكّة فائت معرّس النبيّ صلى الله عليه وآله فإن كنت في وقت صلاة مكتوبة أونافلة فصلّ ، وإن كان غير وقت صلاة فأنزل فيه قليلاً ، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد كان يعرّس فيه و يصلّي فيه » .

و روى عليّ بن مهزيار عن محمّد بن القاسم بن الفضيل قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : « جعلت فداك إنّ جمّالنا مرّ بنا ولم ينزل المعرّس ؟ فقال : لابدّ أن ترجعوا إليه فرجعنا إليه(٣) » .

وسأل العيص بن القاسم أبا عبدالله عليه السلام عن الغسل في المعرّس ، فقال : « ليس عليك فيه غسل (٤) » .

والتعريس هو أن يصلّي فيه ويضطجع فيه ليلاً مرّ به أونهاراً (٥) .

قال أبوحامد : «فمن قصد الزيارة للمدينة فليصلّ على رسول الله صلى الله عليه وآله في طريقه كثيراً فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال : «اللّهمّ هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأماناً من العذاب وسوء الحساب» وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرّة

(١) الفقيه ص ٢٩٧ .
(٢) الى (٥) المصدر ص ٢٩٢ .

وليتطيّب وليلبس أنظف ثيابه ، فإذا دخلها فليد خلها متواضعاً معظّماً » .

وقال في الفقيه : إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها أوحين تدخلها ، ثمّ ائت قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وادخل المسجد من باب جبرئيل عليه السلام فإذا دخلت فسلّم على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ قم عند الأسطوانة المقدّمة من جانب القبر من عند زاوية القبر وأنت مستقبل القبلة ومنكبك الأيسر إلى جانب القبر ومنكبك الأيمن ممايلي القبر فإنّه موضع رأس النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ تقول : « أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله ، وأشهد أنّك رسول الله ، و أشهد أنّك محمّد بن عبدالله ، و أشهد أنّك قد بلّغت رسالات ربّك ، ونصحت لأمّتك ، وجاهدت في سبيل الله ، و عبدت الله مخلصاً حتّى أتاك اليقين ودعوت إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة و أدّيت الّذي عليك من الحقّ و أنّك قد رؤفت بالمؤمنين وغلظت على الكافرين ، فبلغ الله بك أشرف محلّ المكرّمين ، الحمدلله الّذي استنقذنا بك من الشرك والضلالة ، اللّهمّ اجعل صلواتك وصلوات ملائكتك المقرّبين وعبادك الصالحين وأنبيائك المرسلين وأهل السماوات و الأرضين ومن سبح لك يا ربّ العالمين من الأوّلين و الآخرين على محمّد عبدك ورسولك ونبيّك وأمينك ونجيّك وحبيبك وصفيّك وخاصّتك وصفوتك من بريّتك وخيرتك من خلقك ، اللّهمّ وأعطه الدّرجة والوسيلة من الجنّة ، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأوّلون والآخرون ، اللّهمّ إنّك قلت وقولك الحقّ : « ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفرلهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً » وإنّي أتيت نبيّك مستغفراً تائباً من ذنوبي يا رسول الله إنّي أتوجّه بك إلى الله ربّي وربّك ليغفرلي ذنوبي » .

و إن كانت لك حاجة فاجعل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم خلف كتفيك و استقبل القبلة و ارفع يديك واسأل حاجتك فإنّك حريّ أن تقضى لك إن شاء الله .

ثمّ قل وأنت مسند ظهرك إلى المروة الخضراء الدقيقة العرض ممّايلي القبر وأنت مسند إليه مستقبل القبلة : « اللّهمّ إليك ألجأت أمري وإلى قبر محمّد عبدك ورسولك صلواتك عليه و آله أسندت ظهري والقبلة الّتي رضيت لمحمد استقبلت ، اللّهمّ إنّي أصبحت لا أملك لنفسي خيرما أرجولها ، ولا أدفع عنها شرّ ما أحذر عليها ، وأصبحت الأمور بيدك فلا فقير

أفقرمنّي ، إنّي لما أنزلت إليّ من خيرفقير، اللّهمّ اردني منك بخيرلاراد لفضلك ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من أن تبدّل اسمي ، و أن تغيّر جسمي أوتزيل نعمتك عنّي ، اللّهمّ زيّنّي بالتقوى ، وجمّلني بالنعمة ، واغمرني بالعافية ، وارزقني شكرالعافية » .

ثمّ ائت المنبر فامسح عينيك و وجهك برمّانتيه فإنّه يقال : إنّه شفاء للعين ، وقم عنده واحمد الله وأثن عليه وسل حاجتك فإنّ رسول الله ﷺ قال : « مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة وإنّ منبري على ترعة من ترع الجنّة وقوائم المنبر ربت في الجنّة» والترعة هي الباب الصغير .

ثمّ ائت مقام النبيّ ﷺ وصلّ عنده مابدا لك ، ومتى دخلت المسجد فصلّ على النبيّ ﷺ و كذلك إذا خرجت .

ثمّ ائت مقام جبرئيل عليه السلام و هو تحت الميزاب فإنّه كان مقامه إذا استأذن على نبيّ الله ثمّ قل : أي جواد أي كريم أي قريب أي بعيد أسألك أن تردّ عليّ نعمتك » وذلك مقام لاتدعو فيه حائض فتستقبل القبلة إلّا رأت الطهر ، ثمّ تدعو بدعاء الدّم تقول : « اللّهمّ إنّي أسألك بكلّ اسم هولك أو تسمّيت به لأحد من خلقك أو هو مأثور في علم الغيب عندك و أسألك باسمك الأعظم الأعظم الأعظم ، و بكلّ حرف أنزلته على موسى ، وبكلّ حرف أنزلته على عيسى ، وبكلّ حرف أنزلته على محمّد صلواتك عليه وآله وعلى أنبياء الله إلّا فعلت بي كذا و كذا » .

والحائض تقول : « إلّا أذهبت عنّي هذا الدّم » ، وإن كان لك بالمدينة مقام ثلاثة أيّام صمت يوم الأربعاء وصلّيت ليلة الأربعاء عند اسطوانة التوبة وهي اسطوانة أبي لبابة الّتي ربط نفسه إليها ، و تقعد عندها يوم الأربعاء ، ثمّ تأتي ليلة الخميس الاسطوانة الّتي تليها ممّا يلي مقام النبيّ ﷺ فتقعد عندها ليلتك ويومك و تصوم يوم الخميس ثمّ يأتي الاسطوانة الّتي تلي مقام النبيّ ﷺ ومصلّاه ليلة الجمعة فتصلّي عندها ليلتك ويومك و تصوم يوم الجمعة ، وإن استطعت أن لاتتكلّم بشيء هذه الأيام إلّا بما لابدّ منه و لاتخرج من المسجد إلّا لحاجة ، ولاتنام في ليل ولانهار إلّا القليل فافعل ، واحمد الله عزّ وجلّ يوم الجمعة وأثن عليه وصلّ على النبيّ وآله ثمّ سل حاجتك ، ثمّ قل : « اللّهمّ ما كانت

لي إليك من حاجة شرعت في طلبها والتماسها أولم أشرع سألتكها أولم أسألكها فإنّي أتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرّحمة في قضاء حوائجي صغيرها وكبيرها ».

ويستحب زيارة فاطمة عليها السلام في المسجد قال في الفقيه [1] « اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيّدة نساء العالمين عليها السلام. فمنهم من روى أنّها دفنت في البقيع.

ومنهم من روى أنّها دفنت بين القبر والمنبر وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله إنّما قال: « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة » [2] لأنّ قبرها بين القبر والمنبر.

ومنهم من روى أنها دفنت في بيتها فلمّا زادت بنو أُميّة في المسجد صارت في المسجد وهذا هو الصحيح عندي.

قال: وهو عند الأُسطوانة الّتي تدخل إليها من باب جبرئيل عليه السلام إلى مؤخّر الحظيرة الّتي فيها النبيّ صلّى الله عليه وآله، ثمّ ذكر لزيارتها كلاماً طويلاً من أراده فليطلبه من الفقيه [3].

وقال: إذا أتيت قبر الأئمّة عليهم السلام بالبقيع فاجعله بين يديك، ثمّ قل: « السلام عليكم يا أئمّة الهدى، السلام عليكم يا أهل التقوى، السلام عليكم يا حجج الله على أهل الدنيا، السلام عليكم أيّها القوّامون في البريّة بالقسط، السلام عليكم يا أهل الصفوة، السلام عليكم يا أهل النجوى أشهد أنّكم قد بلّغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله عزّ وجلّ وكذّبتم وأُسيء إليكم فغفرتم، وأشهد أنّكم الأئمّة الراشدون، وأنّ طاعتكم مفترضة، وأنّ قولكم الصدق، وأنّكم دعوتم فلم تجابوا وأمرتم فلم تطاعوا، وأنّكم دعائم الدّين، وأركان الأرض فلم تزالوا بعين الله ينسخكم في أصلاب المطهّرين، وينقلكم من أرحام المطهّرات، لم تدنّسكم الجاهلية الجهلاء، ولم يشترك فيكم فتن الأهواء، طبتم وطاب منبتكم، أنتم الّذين منّ الله علينا بكم ديّان الدّين فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وجعل صلاتنا عليكم رحمة لنا وكفّارة لذنوبنا إذ اختاركم لنا

---

(١) المصدر ص ٢٩٥.

(٢) ورواه الكليني في الكافي ج ٤ ص ٥٥٣ و٥٥٤.

(٣) ص ٢٩٥.

وطيّب خلقنا بما منّ علينا من ولايتكم و كنّا عنده بفضلكم معترفين ، وبتصديقنا إيّاكم مقرّين وهذا مقام من أسرف و أخطأ واستكان وأقرّ بماجنى و رجا بمقامه الخلاص و أن يستنقذه بكم مستنقذ الهلكى من النار ، فكونوا لي شفعاء فقد وفدت إليكم إذ رغب عنكم أهل الدّنيا ، واتّخذوا آيات الله هزواً واستكبروا عنها ، يا من هو قائم لا يسهو ، و دائم لا يلهو ، ومحيطٌ بكلّ شيء ، لك المنّ بما وفّقتني وعرّفتني بما ائتمنتني عليه إذ صدّ عنه عبادك ، وجهلوا معرفتهم ، واستخفّوا بحقّهم ومالوا إلى سواهم ، وكانت المنّة منك عليّ مع أقوام خصصتهم بما خصصتني ، به فلك الحمد إذ كنت عندك في مقامي مكتوباً ، فلا تحرمني مارجوت ، ولا تخيّبني فيما دعوت » وادع لنفسك بما أحببت .

ثمّ صلّ ثمان ركعات في المسجد الّذي هناك وتقرء فيها ما أحببت وتسلّم في كلّ ركعتين ، ويقال : إنّه مكان صلّت فيه فاطمة عليها السلام .

قال : (١) ولا تدع أن تأتي المشاهد كلّها مسجد قبا ومشربة اُمّ إبراهيم ومسجد الفضيخ وقبور الشهداء ومسجد الأحزاب وهو مسجد الفتح ، وتطوّع فيها بما أحببت من الصلاة ، وإذا أتيت قبور الشهداء فقل : «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» و إذا أتيت مسجد الفتح فقل : «ياصريخ المكروبين ، ويامجيب المضطرّين اكشف عنّي غمّي وهمّي و كربي كما كشفت عن نبيّك صلواتك عليه وآله همّه وغمّه و كربه و كفيته هول عدوّه في هذا المكان » .

فإذا أردت أن تخرج من المدينة فائت موضع رأس النبيّ صلّى الله عليه وآله فسلّم عليه ، ثمّ ائت المنبر وصلّ عنده على النبيّ صلّى الله عليه وآله ما استطعت ، وادع لنفسك بما أحببت للدّين والدّنيا ثمّ ارجع إلى قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله والزق منكبك الأيسر بالقبر قريباً من الاُسطوانة الّتي دون الاُسطوانة المخلفة عند رأس النبيّ صلّى الله عليه وآله فصلّ ستّ ركعات أو ثمان ركعات واقرأ في كلّ ركعة الحمد وسورة واقنت في كلّ ركعتين ، فإذا فرغت منها استقبلت رسول الله صلّى الله عليه وآله وقلت مودّعاً له عليه السلام : « صلّى الله عليك ، السلام عليك ، لا جعله الله آخر تسليمي عليك ، اللّهمّ لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر نبيّك صلواتك عليه وآله ،

(١) يعني الصدوق ـ رحمه الله ـ في الفقيه .

وان توفيتني قبل ذلك ، فإنّي أشهد في مماتي على ما أشهد في حياتي أن لا إله إلّا أنت وأنّ محمّداً عبدك ورسولك ».

أقول : وأمّا زيارة سائر الأئمّة عليهم السلام في مواضعهم و آدابها والكلام عندها وفضائلها فيأتي ذكرها في كتاب آداب السفر من ربع العادات إن شاء الله .

قال أبوحامد : « و إذا أشرف على مدينته يحرّك الدابّة و يقول : « اللّهمّ اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً» ثمّ ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة ، فذلك هو السنّة ، ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلاً ، فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أوّلاً وليصلّ ركعتين فهو السنّة فإذا دخل بيته قال : « توباً توباً لربّنا أوباً لا يغادر علينا حوباً » فإذا استقرّ في منزله فلا ينبغي أن ينسي ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه و قبر نبيّه صلّى الله عليه وآله فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللّهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحجّ المبرور ، بل علامته أن يعود زاهداً في الدّنيا ، راغباً في الآخرة متأهّباً للقاء ربّ البيت بعد لقاء البيت .

﴿ الباب الثالث ﴾

في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة .

(بيان دقائق الاداب و هي عشرة)

الأوّل أن تكون النفقة حلالاً ، وتكون اليد خالياً عن تجارة تشغل القلب ، وتفرق الهمّ حتّى تكون الهمّ مجرّداً لله ، والقلب مطمئنّاً منصرفاً إلى ذكر الله و تعظيم شعائره وقد روي في خبر من طريق أهل البيت عليهم السلام « إذا كان آخر الزّمان خرج الناس للحجّ أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة ، وأغنياؤهم للتجارة ، وفقراؤهم للمسألة و قرّاؤهم للسّمعة »(١) و في الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدّنيا الّتي يتصوّر أن تتّصل بالحجّ و كلّ ذلك ممّا

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه بدون ذكر السلاطين و رواه أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين بلفظ آخر كما في المغني .

يمنع فضيلة الحجّ و يخرجه عن حيّز حجّ الخصوص لاسيّما إذا كان متّجراً بنفس الحجّ بأن يحجّ لغيره بأُجرة فيطلب الدّنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون و أرباب القلوب ذلك إلّا أن يكون قصده المقام بمكّة ولم يكن له ما يبلغه».

أقول: أو يكون قصده نفس الحجّ ولم يكن ممّن قد حجّ ولم يكن له ما يبلغه قطّ.

قال:[1] فلا بأس أن يأخذ على هذا القصد، لا ليتوسّل بالدين إلى الدنيا، بل بالدنيا إلى الدين، و عند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله، و معاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه، و في مثله قوله ﷺ: «يدخل الله تعالى بالحجّة الواحدة ثلاثة الجنّة: الموصي بها، و المنفذ لها، و من حجّ بها عن أخيه»[2] و لست أقول: لا تحلّ الأُجرة أو يحرم عليه ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه، ولكنّ الأُولى أن لا يفعل و لا يتّخذ ذلك مكسبه و متجره فإنّ الله يعطي الدنيا بالدين و لا يعطي الدين بالدنيا، و في الخبر «مثل الّذي يغزو في سبيل الله و يأخذ أجراً مثل اُمّ موسى ترضع ولدها و تأخذ أجرها»[3] فمن كان مثاله في أخذ الأُجرة على الحجّ مثال أُمّ موسى فلا بأس بأخذه فإنّه يأخذ ليتمكّن من الحجّ و الزيارة وليس يحجّ ليأخذ الأُجرة كما كانت تأخذ ليتيسّر بها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم.

الثاني: أن لا يعاون أعداء الله بتسليم المكس[4] إليهم وهم الصادّون عن المسجد الحرام من أمراء مكّة و الأعراب المترصّدين في الطرق فإنّ تسليم المال إليهم إعانة على الظلم و تيسير لأسبابه عليهم فهو كالإعانة بالنفس فليتلطّف في حيلة الخلاص فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء ـ ولا بأس بما قاله ـ: إنّ ترك التنفّل بالحجّ و الرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فإنّ هذه بدعة اُحدثت، و في الانقياد لها ما يجعلها

(١) يعنى أباحامد.

(٢) قال العراقى: أخرجه البيهقى فى شعب الايمان من حديث جابر بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن عدى فى مراسيله وفيه «مثل الذين يغزون من امتى» و أخرجه البيهقى عن جبير بن نفيل مرسلاً كما فى الجامع الصغير باب الميم.

(٤) المكس: دراهم كانت يأخذه اعوان الدولة عن اشياء معينة عند بيعها اوعند ادخالها المدن.

سنّة مطّردة و فيه ذلّ و صغار على المسلمين ببذل جزية ، و لا معنى لقول القائل : إنّ ذلك يؤخذ منّي و أنا مضطرّ فإنّه لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ بل ربما يظهر أسباب الترفّه فيكثر مطالبته و لو كان في زيّ الفقراء لم يطالب فهو الّذي ساق نفسه إلى حالة الإضطرار .

الثالث : التوسيع في الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق في غير تقتير ولا إسراف بل على الاقتصاد ، و أعني بالإسراف التنعّم بإطابة الأطعمة ، و الترفّه بأشرف أنواعها على عادة المترفين ، فأمّا كثرة البذل فلا إسراف فيه إذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل ، وبذل الزاد في طريق الحجّ نفقة في سبيل الله و الدرهم بسبعمائة درهم ، قال ﷺ : « الحجّ المبرور ليس له جزاء إلّا الجنّة ، فقيل له : يا رسول الله ما برّ الحجّ ؟ قال : طيب الكلام و إطعام الطعام » (١) .

أقول : و في الفقيه قال رسول‌الله ﷺ : « من شرف الرجل أن يطيب زاده إذا خرج في سفر» ، « وكان عليّ بن‌الحسين عليهما السلام إذا سافر إلى مكّة إلى الحجّ أو العمرة تزوّد من أطيب الزاد ، من اللّوز و السكّر و السويق المحمّض و المحلّا » (٢) .

و قال الصادق عليه السلام : « إذا سافرتم فاتّخذوا سفرة و تنوّقوا فيها » و في رواية « أنّه يكره ذلك في زيارة الحسين عليه السلام » (٣).

الرابع : « ترك الرفث و الفسوق و الجدال كما نطق به القرآن » و الرفث اسم جامع لكلّ لغو وخنى و فحش من الكلام و يدخل فيه مغازلة النساء (٤) و مداعبتهنّ و التحدّث بشأن الجماع و مقدّماته ، فإنّ ذلك يهيّج داعية الجماع المحظور والداعي إلى المحظور محظور ، و الفسوق اسم جامع لكلّ خروج عن طاعة الله ، و الجدال هو

---

(١) أخرج صدره مسلم في صحيحه ج ٤ ص ١٠٧ . و ذيله الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٤٨٣ . وتمامه احمد في المسند ج ٣ ص ٣٢٥ و ٣٣٤ .

(٢) المصدر ص ٢٢٧ باب الزاد في السفر .

(٣) المصدر ص ٢٢٦ باب اتخاذ السفرة في السفر وباب السفر الذي يكره فيها اتخاذ السفرة .

(٤) الخنى : الفحش ، والمغازلة : المحادثة والمراودة .

المبالغة في الخصومة و المماراة بما يورث الضغائن [1] و يفرّق في الحال الهمّة و يناقض حسن الخلق ، و قد جُعل في الحديث طيب الكلام مع إطعام الطعام من برّ الحجّ ، و المماراة تناقض طيب الكلام ، فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه و جمّاله و على غيرهما من أصحابه بل يلين جانبه و يخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله ، ويلزم حسن الخلق و ليس حسن الخلق كفّ الأذى بل احتمال الأذى ، و قيل : سمّي السفر سفراً لأنّه يسفر عن أخلاق الرجال و لذلك قيل لمن زعم أنّه يعرف رجلاً : هل صحبته في السفر ؟ فقال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه .

الخامس : أن يحجّ ماشياً إن قدر عليه فذلك أفضل و في التردّد من مكّة إلى الموقف و إلى منى آكد منه في الطريق ، و قال بعض العلماء : الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق و المؤونة و لأنّه أبعد من ضجر النفس و أقلّ لأذاه و أقرب إلى سلامته و تمام حجّه ، و هذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأوّل بل ينبغي أن يفصّل و يقال : من سهّل عليه المشي فهو الأفضل ، و إن كان يضعف و يؤدّي ذلك به إلى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل .

و سئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها أفضل أو يكتري حماراً بدرهم ، فقال : إن كان وزن الدرهم أشدّ عليه فالكراء أفضل من المشي وإن كان المشي أشدّ عليه كالأغنياء فالمشي أفضل و كأنّه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجهٌ ولكنّ الأفضل أن يمشي و يصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكاري عوضاً من إيذاء الدابّة ، فإذا كان لا يتّسع نفسه للجمع بين مشقّة النفس و نقصان المال فماذكره غير بعيد » .

أقول : ويدلّ على هذه الجملة من طريق الخاصّة مارواه في التهذيب عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « ما عبد الله بشيء أشدّ من المشي ولا أفضل » [2].

و عنه عليه السلام « الركوب أفضل من المشي لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ركب » [3] .

و في رواية أخرى «تركبون أحبّ إليّ فإنّ ذلك أقوى على الدعاء والعبادة» [4].

(١) الضغائن جمع الضغينة وهي الحقد .

(٢) و(٣) و(٤) المصدر ص ٤٤٨ .

وفي اُخرى: «لا تمشوا واركبوا، فقيل: بلغنا أنّ الحسن بن عليّ عليهما السلام حجّ عشرين حجّة ماشياً! فقال: إنّ الحسن بن عليّ كان يمشي و يساق معه محامله و رحاله» (١).

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام «أنّه سئل عن المشي أفضل أو الركوب؟ فقال: إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أقلّ لنفقته فالركوب أفضل» (٢).

السادس: «أن يجتنب المحمل إلّا إذا كان يخاف على الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر و فيه معنيان: أحدهما التخفيف عن البعير فإنّ المحمل يؤذيه، و الثاني اجتناب زيّ المترفين و المتكبّرين، حجّ رسول الله صلى الله عليه و آله على راحلة و كان تحته رحلٌ رثّ و قطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم (٣)، و طاف على الراحلة (٤) لينظر الناس إلى هديه و شمائله و قال: «خذوا عنّي مناسككم» (٥).

وقيل: إنّ هذه المحامل أحدثها الحجّاج و كان العلماء في وقته ينكرونها.

السابع: أن يكون رثّ الهيئة أشعث أغبر، غير مستكثر من الزينة، ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر، فيكتب في المتكبّرين و المترفّهين، و يخرج عن حزب الضعفاء و المساكين و خصوص الصالحين، فقد أمر عليه السلام بالشعث و الاحتفاء و نهى عن التنعّم و الرفاهية في حديث فضالة بن عبيد (٦) و في الخبر «إنّما الحاجّ الشعث الغبر

---

(١) التهذيب ص ٤٤٨. (٢) المصدر ص ٢٠٨ رقم ٥٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه فى سننه تحت رقم ٢٨٩٠.

(٤) سنن ابن ماجه تحت رقم ٢٩٤٨، والنسائى ج ٥ ص ٢٣٣.

(٥) أخرج مسلم ج ٤ ص ٧٩ والنسائى ج ٥ ص ٢٧٠ نحوه.

(٦) قال العراقى: الامر بالشعث والاحتفاء أخرجه البغوى والطبرانى من حديث عبدالله بن أبى حدرد قال: قال النبى صلى الله عليه وآله: «تمعددوا واخشوشنوا وانصلوا وامشو حفاة» و رواه ابن عدى من حديث أبى هريرة. وكلاهما ضعيف؛ و حديث فضالة فى النهى عن التنعم والرفاهية وأن النبى صلى الله عليه وآله كان ينهى عن كثير من الارفاه ولا حمد من حديث معاذ «اياك والتنعم». أقول: وأخرج ابن ماجه تحت رقم ٢٩٣٩ عن ابن عباس قال: «كانت الانبياء تدخل الحرم مشاة حفاة ويطوفون بالبيت ويقضون المناسك حفاة مشاة».

التفث »[١] يقول الله عزّ وجلّ : « انظروا إلى زوّار بيتي قد جاؤوني شُعثاً غُبراً من كلّ فجّ عميق » [٢] و قال تعالى : « ثمّ ليقضوا تفثهم » [٣] و التفث الشعث و الاغبرار وقضاؤه بالحلق و قصّ الأظفار .

الثامن : « أن يرفق بالدابّة فلايحمّلها مالاتطيق والمحمل خارج عن حدّ طاقتها ، و النوم عليها يؤذيها و يثقل عليها ، كان أهل الورع لاينامون على الدوابّ إلّا غفوة [٤] عن قعود و كانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال ﷺ : « لا تتّخذوا ظهور دوابّكم كراسي »[٥] ويستحبّ أن ينزل عن دابّته غدوة وعشيّة يروّحها بذلك فهو سنّة و فيه آثار عن السلف و كان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ، ثمّ كان ينزل ليكون بذلك محسناً إلى الدابّة فيكون في حسناته ، و يوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري ، وكلّ من آذى بهيمة و حمّلها مالاتطيق طولب به في القيامة .

وعلى الجملة لكلّ كبد حرّى رطبة[٦] أجر فليراع حقّ الدابّة وحقّ المكاري جميعاً ، وفي نزوله ساعةً ترويح الدابّة و سرور قلب المكاري » و رياضة البدن وتحريك الرجلين و الحذر من خدر الأعصاب بطول الركوب .

أقول : و تمام بيان هذا الأدب يأتي في كتاب آداب السفر من ربع العادات إن شاء الله على طريقة أهل البيت ﷺ .

التاسع: « أن يتقرّب بإراقة دم و إن لم يكن واجباً ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه ، قيل في تفسير قوله تعالى : « ذلك ومن يعظّم شعائر الله » [٧] إنّه تحسينه

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه تحت رقم ٢٨٩٦ من حديث ابن عمر وقال غريب .
(٢) أخرجه الحاكم ج ١ ص ٤٦٥ .
(٣) الحج : ٢٩ ، وقال الازهري : لايعرف التفث في لغة العرب إلا من قول المفسرين والمعنى أن يزيلوا و سخهم بقص الاظفار والشارب وحلق الرأس كما في الكافي والفقيه .
(٤) الغفوة - بفتح المعجمة و سكون الفاء - : النومة الخفيفة .
(٥) الجعفريات ص ٨٥ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ١٠٠ ، و أحمد في المسند ج ٣ ص ٤٤٠ .
(٦) كلمة « رطبة » ليست في نسخ الاحياء . (٧) الحج : ٣٣ .

و تسمينه ، و سوق الهدي من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكدّه ، و ليترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلاث و يكرهون المكاس فيهنّ : الهدي والاُضحيّة والرقبة، فإنّ أفضل ذلك أغلى ثمناً و أنفسه عند أهله ، وليس المقصود تكثير اللّحم إنّما المقصود تزكية النفس وتطهيرها من صفة البخل وتزيينها بجمال التمظيم لله فـ«لن ينال الله لحومها و لا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم»[1] وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة » .

أقول : روى في الكافي عن رجل يسمّى سوادة قال « : كنّا جماعة بمنى فعزّت الأضاحيّ ، فنظرنا فإذا أبو عبد الله عليه السلام واقفٌ على قطيع يساوم بغنم و يماكسهم مكاساً شديداً فوقفنا ننتظر، فلمّا فرغ أقبل علينا فقال : أظنّكم قد تعجّبتم من مِكاسي ؟ فقلنا : نعم ، فقال : إنّ المغبون لا محمود ولا مأجور » [2] .

قال أبوحامد : « وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما برّ الحجّ فقال : العجّ و الثجّ»[3] والعجّ هو رفع الصوت بالتلبية و الثجّ هو نحر البدن .

و عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : « ما عمل آدمي يوم النحر [عملاً] أحبّ إلى الله من إهراقه دماً و إنّها لتأتي يوم القيامة بقرونها و أظلافها فإنّ الدّم يقع من الله بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفساً » [4].

و في الخبر « لكم بكلّ صوفة من جلدها حسنة و كلّ قطرة من دمها حسنة وإنّها لتوضع في الميزان فأبشروا» [5].

العاشر: أن يكون طيّب النفس بما أنفقه من نفقة وهدي وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال و بدن إن أصابه ذلك ، فإنّ ذلك من دلائل قبول حجّه فإنّ المصيبة في طريق الحجّ

(١) الحج : ٣٧ .

(٢) المصدر ج ٤ ص٤٩٦ تحت رقم٣ ، والمماكسة في البيع : التناقص في الثمن .

(٣) مر نحو هذا الحديث ص١٦٨ ، وأخرج مثله أبو يعلى ، وفي اسناده رجل ضعيف راجع مجمع الزوائد ج ٣ ص٢٢٤ ، وأخرجه الترمذي ج٤ ص ٤٤ـ ٤٦ واستغربه و قال العراقي : أخرجه ابن ماجه والحاكم والبزاز واللفظ له .

(٤) و (٥) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣١٢٦ عن عائشة ، و تحت رقم ٣١٢٧ عن زيد بن أرقم .

تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة درهم و هو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكلّ أذى احتمله و خسران أصابه ثواب و لا يضيع منه شيء عند الله تعالى ، ويقال : إنّ من علامة قبول الحجّ ترك ما كان عليه من المعاصي ، وأن يستبدل بإخوانه البطّالين إخواناً صالحين وبمجالس اللّهو والغفلة مجالس الذكر و اليقظة .

✡(بيان الاعمال الباطنة)✡

(و وجه الإخلاص في النيّة و طريق الإعتبار بالمشاهد الشريفة و كيفيّة)
(الافتكارفيها و التذكّر لأسرارها ومعانيها من أوّل الحجّ إلى آخره)

اعلم أنّ أوّل الحجّ الفهم أعني تفهّم موقع الحجّ من الدّين ، ثمّ الشوق إليه ، ثمّ العزم عليه ، ثمّ قطع العلائق المانعة منه ، ثمّ شراء ثوب الإحرام ، ثمّ شراء الزاد ، ثمّ اكتراء الراحلة ، ثمّ الخروج ، ثمّ السير في البادية ، ثمّ الإحرام من الميقات بالتلبية ، ثمّ دخول مكّة ، ثمّ استتمام الأفعال كما سبق ، و في كلّ واحدة من هذه الاُمور تذكرة للمتذكّر ، و عبرة للمعتبر ، ونيّة للمريد الصادق ، و تعريف وإشارة للفطن ، فلنرمز إلى مفاتحها حتّى إذا انفتح بابها و عرف أسبابها انكشف لكلّ حاجّ من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه ، و طهارة باطنه ، وغزارة علمه .

أما الفهم فاعلم أنّه لا وصول إلى الله تعالى إلّا بالتنزّه عن الشهوات ، والكفّ عن اللّذّات ، و الاقتصار على الضرورات فيها ، و التجرّد لله سبحانه في جميع الحركات و السكنات ولأجل هذا انفرد الرّهابين[1] في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحّش عن الخلق لطلب الاُنس بالله فتركوا اللّذّات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقّة طمعاً في الآخرة ، وأثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال : «ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهباناً وأنّهم لايستكبرون »[2] فلمّا اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتّباع الشهوات وهجروا التجرّد لعبادة الله تعالى و فتروا عنها بعث الله تعالى محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم

(١) جمع رهبان - بالفتح - و هو المبالغ في الخوف كالخشيان .
(٢) المائدة : ٨٢ والقسيس والقس من رؤساء النصارى .

لإحياء طريق الآخرة و تجديد سنّة المرسلين في سلوكها، فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ﷺ: «أُبدلنا بها الجهاد والتكبير على كلّ شرف» يعني الحجّ[1] «و سئل ﷺ عن السائحين فقال: هم الصائمون» [2] فأنعم الله سبحانه على هذه الأُمّة بأن جعل الحجّ رهبانية لهم، فشرّف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه و نصبه مقصداً لعباده، و جعل ماحوا ليه حرماً لبيته و تفخيماً لأمره و جعل عرفات كالميدان على فناء حرمه و أكّد حرمة الموضع بتحريم صيده و شجره و وضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوّار من كلّ فجّ عميق و من كلّ أوب سحيق، شُعثاً غُبراً، متواضعين لربّ البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله و استكانة لعزّته، مع الإعتراف بتنزّهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقّهم و عبوديّتهم و أتمّ في إذعانهم و انقيادهم، و لذلك وظّف عليهم فيها أعمالاً لا يأنس بها النفوس ولايهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردّد بين الصفا و المروة على سبيل التكرار، و بمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرقّ و العبوديّة، فإنّ الزكاة إرفاق ووجهه معلوم مفهوم وللعقل إليه ميلٌ، والصوم كسر للشهوة الّتي هي عدوّ الله وتفرّغ للعبادة بالكفّ عن الشواغل، والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله تعالى بأفعال هي هيئة التواضع، وللنفوس اُنس بتعظيم الله تعالى فأمّا تردّدات السعي ورمي الجمار و أمثال هذه الأعمال فلا حظّ للنفس ولا اُنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها، فلا يكون في الإقدام عليها باعثٌ إلّا الأمر المجرّد وقصد الامتثال للأمر من حيث أنّه أمر واجب الاتّباع فقط و فيه عزل العقل عن تصرّفه و صرف النفس و الطبع عن محلّ اُنسه، فإنّ كلّ ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً مّا، فيكون ذلك الميل معيناً للأمر و باعثاً معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرقّ و الانقياد، و لذلك قال ﷺ في الحجّ على الخصوص: «لبّيك بحجّة حقّاً تعبّداً ورقّاً» [3] ولم يقل ذلك في صلاة و غيرها و إذا

(١) أخرج أبو داود ج ٢ ص ٥ نحوه.
(٢) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة كما في المغني.
(٣) رواه البزاز مرفوعاً و موقوفاً كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٢٣، و قال العراقي: رواه الدار قطني في العلل من حديث أنس.

اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بأن يكون أعمالهم على خلاف هوى وأن يكون زمامها بيد الشرع فيتردّدون في أعمالهم على سنن الانقياد و على مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدي إلى معانيه أبلغ أنواع التعبّدات في تزكية النفوس و صرفها عن مقتضى الطبع و الأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق ، وإذا تفطّنت لهذا فهمت أنّ تعجّب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذّهول عن أسرار التعبّدات و هذا القدر كاف في تفهيم أصل الحجّ .

وأما الشوق فإنّما ينبعث بعد الفهم والتحقّق بأنّ البيت بيت الله و أنّه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله تعالى وزائرله ، وأنّ من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لايضيّع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له و هو النظر إلى وجه الله الكريم والفوز بلقائه سبحانه ، فالشوق إلى لقاء الله مشوّقه إلى أسباب اللّقاء لا محالة ، هذا مع أنّ المحبّ يشتاق إلى كلّ ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله فبالحريّ أن يشتاق إليه بمجرّد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل » .

أقول : لاتفهمنّ من لفظة النظر إلى وجه الله سبحانه حيث ماقيل في الكتاب والسنّة وغيرهما النظر بعين الرأس وإلى الوجه كالوجوه ـ تعالى الله عن ذلك ـ بل له معنى آخر يعرفه الرّاسخون في العلم . قال :

«**وأما العزم** فليعلم أنّه بعزمه قاصدٌ إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللّذات ، متوجّها إلى زيارة بيت الله تعالى فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر ربّ البيت وليعلم أنّه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره ، وأنّ من طلب عظيماً خاطر العظيم وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقّق أنّه لايقبل من قصده وعمله إلّا الخالص وأنّ من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك و حرمه و المقصود غيره فليصحّح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه وإخلاصه باجتناب كلّ مافيه رياء وسمعة وليحذر أن يستبدل الّذي هو أدنى بالّذي هو خير .

وأما قطع العلائق فمعناه ردّ المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جميع المعاصي

وكلّ مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلّق بتلبيبه [١] ينادي عليه ويقول: إلى أين تتوجّه؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيّع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أو لاتستحيي من أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردّك ولا يقبلك، فإن كنت راغباً في قبول زيارتك فنفّذ أوامره وردّ المظالم وتب إليه أوّلاً من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ماوراءك لتكون متوجّهاً إليه بوجه قلبك كما أنت متوجّه إلى بيته بوجه ظاهرك، فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أوّلاً إلّا النصب والشقاء وآخراً إلّا الطرد والرّد، و ليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه، وقدّر أن لايعود إليه وليكتب وصيته لأهله ولأولاده فإنّ المسافر و متاعه لعلى قلت [٢] إلّا ماوقى الله وليتذكّر عند قطعه العلائق لسفر الحجّ قطع العلائق لسفر الآخرة فإنّ ذلك بين يديه على القرب وما تقدّمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقرّ وإليه المصير، فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر.

وأما الزاد فليطلبه من موضع حلال وإذا أحسّ من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغيّر ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكّر أنّ سفر الآخرة أطول من هذا السفر، و أنّ زاده التقوى، وأنّ ماعداه ممّا يظنّ أنّه زاده يتخلّف عنه عند الموت ويخونه، فلا يبقى معه كالطعام والرّطب الّذي يفسد من أوّل منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيّراً محتاجاً لاحيلة له، فليحذر أن يكون أعماله الّتي هي زاده إلى الآخرة لاتصحبه بعد الموت بل تفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير.

وأما الراحلة إذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله له الدّوابّ ليتحمّل عنه الأذى ويخفّف عنه المشقّة وليتذكّر عنده المركب الّذي يركبه إلى الدّار الآخرة وهي الجنازة الّتي يحمل عليها، فإنّ أمر الحجّ من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زاداً لذلك السفر على ذلك المركب، فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعلّ الموت قريب، ويكون ركوبه للجنازة قبل

(١) التلبيب: موضع اللبب من الثياب ويعرف بالطوق.

(٢) القلت ـ بالتحريك ـ: الهلاك والفساد.

ركوبه للجمّازة فركوب الجنازة مقطوع به ، وتيسير أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ، ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن.

وأما شراء ثوب الإحرام فليتذكّر عنده الكفن ، ولفّه فيه فإنّه سيرتدي ويتّزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله ، وربما لايتمّ سفره إليه وأنّه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة ، فكما لايلقى بيت الله إلّا مخالفاً عادته في الزيّ والهيئة فلايلقى الله بعد الموت إلّا في زيّ مخالف لزيّ الدّنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب ، إذ ليس فيها مخيط كما لا مخيط في الكفن .

وأما الخروج من البلد فليعلم أنّه فارق الأهل والوطن متوجّهاً إلى الله في سفر لايضاهي أسفار الدّنيا فليحضر في قلبه ماذا يريد و أين يتوجّه و زيارة من يقصد و أنّه متوجّه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين إليه الّذين نودوا فأجابوا ، وشوّقوا فاشتاقوا ، واستنهضوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله الّذي فخم أمره و عظم شأنه ورفع قدره تسلّياً بلقاء البيت عن لقاء ربّ البيت إلى أن يرزقوا منتهى مُناهم ، ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم ، وليحضر في قلبه رجاء الوصول و القبول لا إدلالاً بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنّه إن لم يصل وأدركته المنيّة في الطريق لقي الله وافداً إليه إذ قال : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثمّ يدركه الموت فقد وقع أجره على الله[1] » .

وأما دخول البادية إلى الميقات و مشاهدة تلك العقبات فليتذكّر فيها ما بين الخروج من الدّنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكّر من هول قطّاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ، ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيّات ، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوّداً لمخاوف القبر .

وأما الاحرام والتلبية بالميقات فليعلم أنّ معناه إجابة نداء الله فارج أن يكون مقبولاً واخش أن يقال لك : لالبّيك ولا سعديك ، فكن بين الرجاء والخوف متردّداً وعن

(١) النساء : ١٠٠ .

حولك وقوّتك متبرّئاً وعلى فضل الله وكرمه متّكلاً فإنّ وقت التلبية هو بداية الأمر وهو محلّ الخطر ، قال سفيان بن عيينة(١): «حجّ عليّ بن الحسين عليهما السلام فلمّا أحرم واستوت به راحلته اصفرّ لونه وانتفض ووقع عليه الرّعدة ولم يستطع أن يلبّي ، فقيل له : لم لاتلبّي ؟ فقال : أخشى أن يقول لي ربّي : لا لبّيك ، ولاسعديك ، فلمّا لبّى غشي عليه وسقط من راحلته ، فلم يزل يعتريه ذلك حتّى قضى حجّه » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : كنت مع أبي سليمان الدّاراني حين أراد الإحرام فلم يلبّ حتّى سرنا ميلاً وأخذته الغشية ثمّ أفاق ، وقال : يا أحمد إنّ الله عزّوجلّ أوحى إلى موسى : « مرظلمة بني إسرائيل أن يقلّوا من ذكري فإنّي أذكرمن ذكرني منهم باللّعنة » ويحك يا أحمد بلغني أنّ من حجّ من غير حلّه ثمّ لبّى قال الله عزّوجلّ له : لالبّيك ولا سعديك حتّى تردّ ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك .

وليتذكّر الملبّي عند رفع الأصوات بالتلبية في الميقات إجابة لنداء الله تعالى إذقال : « وأذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً » نداء الخلق بنفخ الصور ، وحشرهم من القبور ، وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله ، ومنقسمين إلى مقرّبين وممقوتين ، ومقبولين ومردودين ومردّدين في أوّل الأمر بين الخوف والرجاء تردّد الحاجّ في الميقات حيث لايدرون أيتيسّر لهم إتمام الحجّ وقبوله أم لا .

وأما دخول مكّة فليتذكّر عندها أنّه قد انتهى إلى حرم آمن و ليرج عنده أن

(١) قال في التنقيح بعد نقل أقوال المشايخ حول الرجل : «على كل حال فلا يمكن الاعتماد على روايته بعد جزم جمع من الاساطين بكونه عامياً و عدم ثبوت وثاقته ، نعم من اعتبر توثيق العامي اكتفى بتوثيق ابن حجر في تقريبه بقوله : ثقة حافظ فقيه امام حجة الا أنه تغير حفظه وكان دلس لكن عن الثقات من رؤوس الطبقة الثامنة ـ الى آخر قوله ـ لكن الاعتماد على توثيقهم مشكل لان عدالتهم كطهارة المسماة بيبي تميز لا يخل بها شيء و كذا تراه يعترف بتدليسه ومع ذلك يوثقه ويجعله اماماً وحجة ، وقد شهد بتدليسه في محكي اوائل جامع الاصول حيث قال ما محصله : المحكي أن من القوم من يدلس الحديث فيقول : قال فلان و بعد التفتيش يظهر طريق سماعه ، منهم سفيان بن عيينة و هو امام من أئمة أهل مكة الخ » .

يأمن بدخوله من عقاب الله وليخش أن لايكون أهلاً للقرب فيكون بدخول الحرم خائباً مستحقّاً للمقت وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً ، فالكرم عميم و شرف البيت عظيم و حقّ الزائرمرعيّ وذمام المستجيراللائذ غيرمضيّع .

وأما وقوع البصرعلى البيت فينبغي أن تحضرعنده عظمة البيت في القلب وتقدّر كأنّك مشاهد لربّ البيت لشدّة تعظيمك وارجُ أن يرزقك لقاءه كما رزقك لقاء البيت واشكرالله على تبليغه إيّاك هذه الرُّتبة وإلحاقه إيّاك بزمرة الوافدين إليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنّة آملين لدخولها كافّة ، ثمّ انقسامهم إلى مأذونين في الدّخول ومصروفين انقسام الحاجّ إلى مقبولين و مردودين ولاتغفل عن تذكّر اُمورالآخرة في شيء ممّا تراه ، فإنّ كلّ أحوال الحاجّ دليل على أحوال الآخرة .

وأما الطواف بالبيت فاعلم أنّه صلاة و أحضر قلبك فيه من التعظيم و الخوف والرّجاء والمحبّة ما فصّلناه في كتاب الصلاة و اعلم أنّك في الطواف متشبّه بالملائكة المقرّ بين الحافّين حول العرش الطائفين حوله ولاتظنّنّ أنّ المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر ربّ البيت حتّى لايبتدىء الذكر إلّا به ، ولا يختم إلّا به كما يبتدىء الطائف الطواف من البيت ويختم بالبيت ، واعلم أنّ الطواف الشريف هوطواف القلب بحضرة الربوبيّة وأنّ البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة الّتي لاتشاهد بالبصر وهو في عالم الملكوت كما أنّ البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الّذي لايشاهد بالبصروهو في عالم الغيب وأنّ عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب و الملكوت لمن فتح له الباب ، وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأنّ البيت المعمورفي السماوات بإزاء الكعبة ، وأنّ طواف الملائكة بها كطواف الانس بهذاالبيت ، ولمّا قصرت رتبة أكثرالخلق عن مثل ذلك الطواف اُمروابالتشبّه بهم بحسب الإمكان ووعدوابأنّ من تشبّه بقوم فهو منهم ، والّذي يقدرعلى مثل ذلك الطواف هو الّذي يقال : إنّ الكعبة تزوره وتطوف به على مارآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله .

وأما الاستلام فاعتقد عنده أنّك مبايع لله على طاعته فصمّم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحقّ المقت ، وقد روى ابن عبّاس عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال :

« الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه[1] » .

وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فليكن نيّتك في الالتزام طلب القرب حبّاً وشوقاً للبيت ولربّ البيت ، وتبرّكاً بالمماسّة ، ورجاء للتحصّن عن النار في كلّ جزء لاقى البيت وليكن نيّتك في التعلّق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلّق بثياب من أذنب إليه ، المتضرّع إليه في عفوه عنه ، المظهر له أنّه لاملجأ له منه إلّا إليه ، ولا مفزع له إلّا عفوه و كرمه ، وأنّه لايفارق ذيله إلّا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل .

وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فيضاهي تردُّد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً مرّة بعد اُخرى إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالّذي دخل على الملك وخرج وهو لايدري ما الّذي يقضي به الملك في حقّه من قبول أوردّ ، فلايزال يتردّد على فناء الدّار مرّة بعد اُخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الاُولى ، وليتذكّر عند تردُّده بين الصفا والمروة تردُّده بين كفّتي الميزان في عرصات القيامة وليمثّل الصفا بكفّة الحسنات والمروة بكفّة السيئات و ليتذكّر تردُّده بين الكفّتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان متردداً بين العذاب والغفران .

وأما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق ، وارتفاع الأصوات ، واختلاف اللّغات ، واتّباع الفرق أئمّتهم في التردُّدات على المشاعر اقتفاء لهم وسيراً بسيرتهم عرصات القيامة واجتماع الاُمم مع الأنبياء والأئمّة واقتفاء كلّ اُمّة نبيّها وطمعهم في شفاعتهم وتحيّرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الردّ والقبول ، و إذا تذكّرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقّق رجاءك بالإجابة فالموقف شريف والرّحمة إنّما تصل من حضرة الجلال إلى كافّة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض ولا ينفكّ الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد و طبقات من

(١) أخرجه الخطيب فى تاريخه و ابن عساكر عن جابر و قد مر آنفاً و أخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٤٥٧ بدون شرط الشيخين و بدون قوله : « كما يصافح الرجل أخاه » .

الصالحين وأرباب القلوب ، فإذا اجتمعت هممهم وتجرّدت للضّراعة و الابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله أيديهم ، وامتدّت إليه أعناقهم ، وشخصت نحو السماء أبصارهم ، مجتمعين بهمّة واحدة على طلب الرّحمة ، فلا تظنّنّ أنّه يخيّب أملهم ، ويضيّع سعيهم ، و يدّخر عنهم رحمة تغمرهم ، ولذلك قيل : إنّ من أعظم الذّنوب أن يحضر عرفات ويظنّ أنّ الله لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سرّ الحجّ وغاية مقصوده ، ولذا قال ﷺ : « الحجّ عرفة »[1] فلا طريق إلى استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد » .

أقول : وأما الوقوف بالمشعر فاستحضر أنّه قد أقبل عليك مولاك بعد أن كان مدبراً عنك طارداً لك عن بابه ، فأذن لك في دخول حرمه فإنّ المشعر من جملة الحرم وعرفة خارجة عنه فقد أشرفت على أبواب الرحمة وهبّت عليك نسمات الرأفة و كسيت خلع القبول بالإذن في دخول حرم الملك ، وإنّما لم يذكره أبو حامد لأنّه ليس بفريضة عند العامّة حرمهم الله من هذا الركن العظيم .

قال : وأما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للأمر إظهاراً للرقّ و العبوديّة وانتهاضاً لمجرّد الامتثال من غير حظّ للعقل و النفس ثمّ اقصد به التشبّه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس عليه اللّعنة في هذا الموضع ليدخل على حجّه شبهة أو فتنة بمعصية فأمره الله أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله ، فإن خطر لك أنّ الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأمّا أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم أنّ هذا الخاطر من الشيطان فإنّه الّذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيّل إليك أنّه فعل لا فائدة فيه و أنّه يضاهي اللّعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجدّ و التشمّر في الرمي فبه ترغم أنف الشيطان ، و اعلم أنّك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان و تقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلّا بامتثالك أمر الله تعظيماً له بمجرّد الأمر من غير حظّ النفس و العقل فيه .

و أما ذبح الهدى فاعلم أنّه تقرّب إلى الله بحكم الامتثال ، وأكمل الهدي

---

(١) رواه احمد والحاكم والبيهقى كلهم عن عبدالرحمن بن يعمر بسند صحيح كما فى الجامع الصغير باب الجيم .

و أجزاءه وارج أن يعتق بكلّ جزء منها جزءاً منك من النار ، فهكذا ورد الوعد ، فكلّما كان الهدي أكثر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النّـار أعمّ .

وأما زيارة المدينة فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكّر أنّها البلدة الّتي اختارها الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله وجعل إليها هجرته و أنّها داره الّتي فيها شرّع فرائض ربّه و سننه وجاهد عدوّه و ظهر بها دينه إلى أن توفّاه الله ، ثمّ جعل تربته فيها ثمّ مثّل في نفسك مواقع أقدام رسول الله صلى الله عليه وآله عند تردّداته فيها و أنّه ما من موضع قدم تطؤه إلّا و هي موقع قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه إلّا على سكينة و وجل و تذكّر مشيه و تخطّيه في سككها و تصوّر خشوعه وسكينته في المشي و ما استودع الله قلبه من عظيم معرفته و رفعه ذكره حتّى قرنه بذكر نفسه و إحباط عمل من هتك حرمته و لو برفع صوته فوق صوته ، ثمّ تذكّر ما منّ الله به على الّذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته و استماع كلامه و أعظم تأسّفك على ما فاتك من صحبته و صحبة أصحابه ثمّ اذكر أنّه قد فاتتك رؤيته في الدنيا و أنّك من رؤيته في الآخرة على خطر و أنّك ربما لاتراه إلّا بحسرة و قد حيل بينك و بين قبوله إيّاك لسوء عملك كما قال صلى الله عليه وآله : « يرفع إليّ أقوام فيقولون : يا محمّد يا محمّد فأقول : يا ربّ أصيحابي ، فيقول : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول : بعداً و سحقاً »(١) .

أقول : لا يذهب على أهل المعرفة و اللّب معنى الحديث و المراد من الأصحاب و حدثهم ، و ظاهرٌ أنّ الأصحاب لا يطلق على جميع الاُمّة .

قال : « فإن تركت حرمة شريعته و لو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك و بينه بعدولك عن محجّته ، و ليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان و أشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ، و لاحظّ في دنيا بل لمحض محبّتك له و تشوّقك إلى أن تنظر إلى آثاره و إلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر لمجرّد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجدرك بأن ينظر الله إليك بعين الرحمة ،

(١) راجع صحيح البخارى ج ٨ ص ١٤٩ و ١٥٠ باب الحوض من كتاب الدعوات ، و سنن ابن ماجه تحت رقم ٣٠٥٧ .

فإذا بلغت المسجد فاذكر أنّ فرائض الله تعالى أوّل ما اُقيمت في تلك العرصة و أنّها جمعت أفضل خلق الله حيّاً و ميّتاً فليعظم أملك في الله عزّ و جلّ أن يرحمك بدخولك إيّاه، فادخله خاشعاًمعظّماً، وماأجدرهذا المكان بأن يستدعي الخشوع من قلب كلّ مؤمن.

و أما زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه و تزوره ميّتاً كما تزوره حيّاً، ولا تقرب من قبره إلّا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيّاً و اعلم أنّه عالم بحضورك و قيامك و زيارتك وأنّه يبلغه سلامك وصلواتك فمثّل صورته الكريمة في خيالك موضوعاً على اللّحد بإزائك و أحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه صلى الله عليه وآله «أنّ الله تعالى وكّل بقبره ملكاً يبلّغه سلام من سلّم عليه من اُمّته»[1] هذا في حقّ من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن و قطع البوادي شوقاً إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاتته مشاهدة غرّته الكريمة، و قد قال صلى الله عليه وآله: «من صلّي عليّ مرّة صلّى الله عليه عشراً»[2] فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه، ثمّ ائت المنبر و توهّم صعود النبيّ صلى الله عليه وآله المنبر و مثّل في قلبك طلعته البهيّة قائماً على المنبر و قد أحدق به المهاجرون و الأنصار و هو يحثّهم على طاعة الله بخطبته، وسل الله أن لا يفرّق في القيامة بينك و بينه فهذا وظيفة القلب في أعمال الحجّ.

فإذا فرغ منها كلّها فينبغي أن يلزم قلبه الهمّ و الحزن و الخوف، فإنّه ليس يدري أقبل حجّه واُثبت في زمرة المحبوبين أو ردّ حجّه و اُلحق بالمطرودين، و ليعرف ذلك من قلبه و من أعماله، فإن صادف قلبه قد ازداد تجافياً عن دار الغرور و انصرافاً إلى الاُنس بالله و وجد أعماله قد اتّزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول، فإنّ الله لا يقبل إلّا ممّن أحبّه و من أحبّه تولّاه و أظهر عليه آثار محبّته، و كفّ عنه سطوة عدوّه إبليس، فإذا ظهر ذلك عليه دلّ على القبول، و إن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظّه من السّفر العناء و التعب نعوذ بالله منه».

---

(١) أخرجه النسائي ج ٣ ص ٤٣ ولفظه « انّ لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي السلام ».

(٢) أخرجه النسائي في السنن ج ٣ ص ٥٠ بالفاظ مختلفة.

﴿فصل﴾

أقول : و لنختم الكلام بما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في أسرار الحج و دقائقه تبركاً بكلامه عليه السلام وتشريفاً للختام .

روى في مصباح الشريعة عنه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأولاده الطاهرين أنه قال : « إذا أردت الحج فجرد قلبك لله تعالى من كل شاغل وحجاب كل حاجب ، و فوض أمورك كلها إلى خالقك و توكل عليه في جميع ما تظهر من حركاتك و سكناتك و سلم لقضائه و حكمه و قدره ، و دع الدنيا و الراحة و الخلق ، و اخرج من حقوق يلزمك من جهة المخلوقين ، ولا تعتمد على زادك و راحلتك و أصحابك وقوتك و شبابك و مالك مخافة أن يصير ذلك عدواً و وبالاً فإن من ادعى رضا الله [1] و اعتمد على ماسواه صيره عليه وبالاً و عدواً ليعلم أنه ليس له قوة و حيلة ولا لأحد إلا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع وأحسن الصحبة ، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله عليه وآله و ما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة و إيثار الزاد على دوام الأوقات ، ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك ، والبس كسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع ، وأحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله و يحجبك عن طاعته ، و لب بمعنى إجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك متمسكاً بالعروة الوثقى ، و طف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت ، وهرول هرولة من هواك و تبرء من حولك و قوتك ، و اخرج من غفلتك و زلاتك بخروجك إلى منى و لا تتمن ما لا يحل لك و لا تستحقه ، واعترف بالخطايا بعرفات ، و جدد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته و تقرب إليه ، و اتقه بمزدلفة ، و اصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل ، و اذبح حنجرة الهوى و الطمع عند الذبيحة ، وارم الشهوات و الخساسة و الدناءة و الذميمة عند رمي الجمرات ،

(١) كذا و هكذا أيضاً في المصدر وفيه : الظاهر «فان من ابتغى رضى الله» .

و احلق العيوب الظاهرة و الباطنة بحلق شعرك و ادخل في أمان الله و كنفه و ستره و كلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم و دُر حول البيت متحقّقاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله و سلطانه ، واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعاً لعزّته و ودّع ما سواه[(١)] بطواف الوداع واصف روحك و سرّك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا و كن بمرأى من الله ، نقيّاً أوصافك عندالمروة ، واستقم علىشرط حجّتك هذه ووفاء عهدك الّذيعاهدت به مع ربّك وأوجبته له إلى يوم القيامة ، واعلم بأنّ الله تعالى لم يفرض الحجّ ولميخصّه من جميع الطاعات بالاضافة إلىنفسه بقوله تعالى : « ولله علىالنّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً » و لا شرع نبيّه سنّة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه إلّا للاستعانة و الاشارة إلى الموت و القبر و البعث و القيامة و فضل بيان السبق من الدّخول في الجنّة أهلها و دخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحجّ من أوّلها إلى آخرها لاُولى الألباب و اُولي النهى »[(٢)] .

انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه .

و بانتهائه تمّ و ختم كتاب أسرار الحجّ و مهمّاته من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ، و يتلوه كتاب آداب تلاوة القرآن و الحمد لله أوّلاً و آخراً و ظاهراً و باطناً و صلّى الله على محمّد وآله .

---

(١) في بعض النسخ من المصدر والكتاب [ودع ماسواه] .

(٢) المصدر الباب الحادي والعشرون .

«كتاب آداب تلاوة القرآن»

و هو الكتاب الثامن من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الّذي امتنّ على عباده بنبيّه المرسل و كتابه المنزل الّذي لايأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه حتّى اتّسع على أهل الافتكار طرق الاعتبار بما فيه من القصص و الأخبار ، و اتّضح به سلوك المنهج القويم و الصراط المستقيم بما فصّل فيه من الأحكام و فرّق بين الحلال والحرام ، فهو الضياء والنور ، وبه النجاة من الغرور ، وفيه شفاء الصدور فمن خالفه من الجبابرة قصمه الله ، و من ابتغى العلم في غيره أضلّه الله ، وهو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى ، هو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير، لاتنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه ، ولا يحيط بفوائده عند أهل الفهم تحديد ، ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد ، هو الّذي أرشد الأوّلين و الآخرين ، و لمّا سمعه الجنّ لم يلبثوا أن ولّوا إلى قومهم منذرين فقالوا : « إنّا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرّشد فآمنّا به [١] » فكلّ من آمن به فقد وفّق ، ومن قال به فقد صدق ، و من تمسّك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز ، وقد قال الله تعالى : « إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون [٢] » و من أسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لابدّ من بيانه و تفصيله و ينكشف مقاصده في أربعة أبواب : الباب الأوّل في فضل القرآن و أهله . الباب الثاني في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث في الأعمال الباطنة عند التلاوة . الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره .

(١) اشارة الى قوله تعالى في سورة الجن : ٢-٣.

(٢) الحجر : ٩.

﴿ الباب الاول ﴾

(فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته)

فضيلة القرآن : قال النبيّ ﷺ : « من قرأ القرآن ثمّ رأى أنّ أحداً أُوتي أفضل ممّا أُوتي فقد استصغر ما عظّمه الله [(١)] » .

وقال ﷺ : « ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن ، لا نبيّ ولا ملك ولا غيره [(٢)] » .

وقال ﷺ : « لو كان القرآن في إهاب ما مسّته النّار [(٣)] » .

وقال ﷺ : « أفضل عبادة أُمّتي قراءة القرآن » [(٤)] .

وقال ﷺ : « إنّ الله قرأ « طه » و « يس » قبل أن يخلق الخلائق بألف عام ؛ فلمّا سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأُمّة ينزل هذا عليها ، وطوبى لأجواف يحمل هذا ، وطوبى لألسنة تنطق بهذا [(٥)] » .

وقال ﷺ : « خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه » [(٦)] .

---

(١) أخرجه الطبراني من حديث عبدالله بن عمر بسند ضعيف كما في المغني ويأتي عن قريب عن الكافي .

(٢) قال العراقي : رواه عبدالملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا ، و للطبراني من كلام ابن مسعود « القرآن شافع مشفع » و لمسلم من كلام أبي امامة « اقرؤوا القرآن فانه يجيىء يوم القيامة شفيعاً لصاحبه » .

(٣) رواه الشريف المرتضى في الامالي ج ١ ص ٤٢٦ عن عقبة بن عامر مع بيانه وج ٢ ص ٣٠٩ نحوه ، و أخرجه الدارمي ج ٢ ص ٤٣٠ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس واسنادهما ضعيف كما في المغني .

(٥) أخرجه الدارمي ج ٢ ص ٤٥٦ من حديث أبي هريرة .

(٦) أخرجه البخاري ج ٦ ص ٢٣٦ ، والدارمي ج ٢ ص ٤٣٧ ، وابن ماجه تحت رقم ٢١١ ، وبلفظ « أفضلكم » تحت رقم ٢١٢ ، وأخرجه الترمذي ج ١١ ص ٣٢ بلفظيه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله: من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين[1]».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود، لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتّى يفرغ ما بين النّاس منهم رجلٌ قرأ القرآن ابتغاء وجه الله و أمّ به قوماً هم به راضون»[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أهل القرآن أهل الله وخاصّته»[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل: يا رسول الله و ما جلاؤها؟ فقال: تلاوة القرآن و ذكر الموت»[4].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لله أشدّ اذناً إلى قارىء القرآن من صاحب القينة إلى قينته»[5].

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميّين ما خلا النبيّين و المرسلين، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم، فإنّ لهم من الله العزيز الجبّار لمكاناً عليّاً»[6].

---

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه ج ١١ ص ٤٦ من حديث أبي سعيد بادنى اختلاف و قال حسن غريب و قال العراقي: أخرجه ابن شاهين بلفظ المصنف.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي والطبراني من حديث ابن عمر باختلاف في حديثين كما في الجامع الصغير باب الثاء.

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢١٥، والحاكم في المستدرك ج ١ ص٥٥٦.

(٤) أخرجه البغوي في مشكاة المصابيح ص١٨٩ عن البيهقي من حديث ابن عمر بسند ضعيف، و صدىء - من باب علم و شرف -: الحديدة علاه مادة لونها يأخذ من الحمرة والشقرة تتكون على وجه الحديد.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٥٧١ على شرط الشيخين، والبيهقي في السنن الكبرى ج ١٠ ص ٢٣٠. و القينة - بالفتح - الامة المغنية. و أدنى فقرة من فقر الظهر.

(٦) المصدر ج ٢ ص ٦٠٣ تحت رقم ١.

و باسناده عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تعلّموا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شابّ جميل شاحب اللّون ، فيقول له : أنا القرآن الّذي كنت أسهرت ليلك ، و أظمأت هواجرك ، و أجففت ريقك ، وأسلت دمعتك ، و أؤول معك حيث ما ألت ، و كلّ تاجر من وراء تجارته و أنالك اليوم من وراء تجارة كلّ تاجر ، وسيأتيك كرامة الله تعالى فأبشر ، قال : فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ، و يعطى الأمان بيمينه و الخلد في الجنان بيساره ، ويكسى حلّتين ، ثمّ يقال له : اقرأ وارق ، فكلّما قرأ آية صعد درجة ، ويكسى أبواه حلّتين إن كانا مؤمنين ثمّ يقال لهما : هذا لما علّمتماه القرآن»[1].

و باسناده عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : القرآن هدى من الضلال ، و تبيانٌ من العمى ، واستقالة من العثرة ، ونورٌ من الظلمة ، وضياء من الأجداث ، وعصمة من الهلكة ، و رشدٌ من الغواية ، وبيان من الفتن ، و بلاغ من الدنيا إلى الآخرة ، وفيه كمال دينكم ، وما عدل أحدٌ عن القرآن إلّا إلى النار »[2].

و باسناده عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أيّها الناس إنّكم في دار هدنة ، وأنتم على ظهر سفر ، والسير بكم سريع ، و قد رأيتم اللّيل والنهار و الشمس والقمر يبليان كلّ جديد ، و يقرّبان كلّ بعيد ، و يأتيان بكلّ موعود ، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز ، قال : فقام مقداد بن الأسود فقال : يا رسول الله وما دار الهدنة ؟ فقال : دار بلاغ و انقطاع ، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن فإنّه شافعٌ مشفّع ، و ما حلٌ مصدّق ، من جعله أمامه قاده إلى الجنّة ، و من جعله خلفه ساقه إلى النار ، و هو الدّليل يدلّ على خير سبيل ، وهو كتاب فيه تفصيل ، و بيان و تحصيل ، وهو الفصل ليس بالهزل ، و له ظهر و بطن ، فظاهره حكم و باطنه علم ، ظاهره أنيق و باطنه عميق ، له تخوم وعلى تخومه تخوم ، لا تحصى عجائبه ، ولا تبلى غرائبه ، فيه مصابيح الهدى

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٠٣ تحت رقم ٣ . والشاحب : المتغير اللون و الجسم لعارض من مرض او سفر ونحوهما . و قوله : «تجارة كل تاجر» لعل المراد انه ان كان لكل تاجر فائدة فلك تلك الفائدة مع أني كنت لك من ورائها . واستعار اليمين والشمال للملكية لان القبض والاخذ بهما .

(٢) المصدر ص ٦٠٠ تحت رقم ٨ فى حديث .

و منار الحكمة ، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة ، فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ، ينج من عطب ، و يخلص من نشب ، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ، فعليكم بحسن التخلّص وقلّة التربّص»(١) .

و بإسناده عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا أوّل وافد على العزيز الجبّار يوم القيامة و كتابه وأهل بيتي ثمّ اُمّتي ، ثمّ أسألهم مافعلتم بكتاب الله و أهل بيتي » (٢) .

و حديث الثقلين المتّفق عليه بين الفريقين مشهورٌ و قد مرّ ذكره بألفاظه المختلفة في كتاب قواعد العقائد (٣) .

وبإسناده عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ أحقّ الناس بالتخشّع في السرّ والعلانية لحامل القرآن ، وإنّ أحقّ الناس في السرّ والعلانية بالصلاة والصوم لحامل القرآن ، ثمّ نادى بأعلى صوته يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله ولا تعزّز به فيذلّك الله ، يا حامل القرآن تزيّن به لله يزيّنك الله به ، ولاتزيّن به للناس فيشينك الله به ، من ختم القرآن فكأنّما اُدرجت النبوّة بين جنبيه ، ولكنّه لا يوحى إليه ، ومن جمع القرآن فنوله(٤) لا يجهل مع من يجهل عليه ، ولا يغضب فيمن يغضب عليه ، ولا يحدّ فيمن يحدّ و لكنّه يعفو ويصفح ويغفر ويحلم لتعظيم القرآن ، ومن اُوتي القرآن فظنّ أنّ أحداً من الناس اُوتي أفضل ممّا اُوتي فقد عظّم ما حقّر الله وحقّر ما عظّم الله »(٥).

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٩٨ رقم ٢ وقوله : «شافع مشفع» أى مقبول الشفاعة ، ويقال : محل به اذا سعى به الى السلطان وهو ماحل . والانق : الفرح والسرور، وأنق - بالكسر - يأنق : الشيء أحبه ، وأنيق أى حسن معجب ، وقوله : « له تخوم» فى بعض النسخ من الكافى [له نجوم] . وقوله : « دليل على المعرفة »أى لمن عرف كيفية التعرف واشارات القرآن ونكات بيانه وعلم معاريضه . والعطب : الهلاك . والتربص : الانتظار.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٠ تحت رقم ٤ .

(٣) المجلد الاول ص ١٩٣ .

(٤) من قولهم : «نولك أن تفعل كذا» أى حقك وينبغى لك وأصله من التناول .

(٥) الكافى ج ٢ ص ٦٠٤ تحت رقم ٥ .

و بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ، و من قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ، و من قرأ مائة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين ، و من قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين ، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من برّ ، القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب ، و المثقال أربعة وعشرون قيراطاً أصغرها مثل جبل أُحد و أكبرها ما بين السماء والأرض» (١).

و بإسناده عن سعد الأسكاف قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أُعطيت السور الطول مكان التوراة ، و أُعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأُعطيت المثاني مكان الزبور ، وفضّلت بالمفصّل ثمان و ستّون سورة ، و هو مهيمن على سائر الكتب ، فالتوراة لموسى ، والإنجيل لعيسى ، والزبور لداود عليهم السلام » (٢).

وفي نهج البلاغة(٣) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام « ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفؤ مصابيحه ، و سراجاً لا يخبو توقّده ، و بحراً لا يدرك قعره ، و منهاجاً لا يضلّ نهجه ، و شعاعاً لا يظلم نوره (٤) ، و فرقاناً لا يخمد برهانه ، و بنياناً لا تهدم أركانه ، و شفاء لا تخشى أسقامه ، و عزّاً لا تُهزم أنصاره ، و حقّاً لا تخذل أعوانه ، فهو معدن الإيمان وبحبوحته ، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل و غدرانه ، وأثافيّ الإسلام(٥) و بنيانه ، وأودية الحقّ و غيطانه ، وبحرٌ لا ينزفه المستنزفون ، و عيون لا يُنضبها

(١) المصدر ج ٢ ص ٦١٢ تحت رقم ٥ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠١ رقم ١٠ ، والسور الطول - كصرد - هي السبع الاول بعد الفاتحة على أن تعد الانفال والبراءة واحدة لنزولهما جميعاً في مغازى النبى صلى الله عليه وآله وتدعيان قرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة أو السابعة سورة يونس ، والمثانى هى السبع التى بعد هذه السبع سميت بها لانها ثنتها واحدها مثنى مثل معانى ومعنى وقد تطلق المثانى على سور القرآن كلها طوالها وقصارها وأما المئون فهى من بنى اسرائيل الى سبع سور سميت بها لان كلا منها على نحو من مائة آية كذا فى بعض التفاسير .

(٣) خطبة ١٩٦ . (٤) فى بعض نسخ النهج [ضوؤه] .

(٥) غدران جمع الغدير، والاثافى - بالتشديد جمع اثفية - بالضم وبالكسر -: الحجر يوضع عليه القدر .

الماتحون ، و مناهل لا يغيضها الواردون[١] ، و منازل لا يضلّ نهجها المسافرون ، وأعلام لايعمى عنها السائرون ، و آكام لايجوز عنها القاصدون ، جعله الله تعالى ريّاً لعطش العلماء ، وربيعاً ممرعاً لقلوب الفقهاء ، ومحاجّ لطرق الصلحاء[٢] ، ودواء ليس بعده داء ، و نوراً ليس معه ظلمة ، و حبلاً وثيقاً عروته ، و معقلاً منيعاً ذروته ، وعزّاً لمن تولّاه ، وسلماً لمن دخله و هدى لمن ائتمّ به ، و عذراً لمن انتحله ، و برهاناً لمن تكلّم به ، و شاهداً لمن خاصم به و فلجاً لمن حاجّ به ، و حاملاً لمن حمله ، ومطيّة لمن أعمله ، و آية لمن توسّم ، و جُنّة لمن استلأم[٣] ، و علماً لمن وعى ، و حديثاً لمن روى ، و حكماً لمن قضى» .

و في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان في وصيّة أميرالمؤمنين عليه السلام أصحابه « اعلموا أنّ القرآن هدى النهار ونور اللّيل المظلم على ما كان من جهد وفاقة »[٤].

و بإسناده عن الزهري قال : سمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول : « آيات القرآن خزائن العلم فكلّما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها »[٥] .

و بإسناده عنه قال : « قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : « لومات مَن بين المشرق و المغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي ؛ وكان عليه السلام إذا قرأ « ملك يوم الدّين » يكرّرها حتّى كاد أن يموت »[٦].

وبإسناده عنه قال : « قلت لعليّ بن الحسين عليهما السلام : أيّ الأعمال أفضل ؟ قال : الحالّ المرتحل ، قلت : و ما الحالّ المرتحل ؟ قال : فتح القرآن وختمه ، كلّما جاء بأوّله ارتحل في آخره »[٧].

و بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : « يجيىء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور

---

(١) النوط والنياط والنوطة : المطمئن من الارض والجمع غياط وغيطان . ونضب أى نزح ، والماتح : المستقى من البئر بالدلو من أعلى البئر. ولا يغيضها أى لاينقصها . والاكام جمع اكم وهو جمع أكمة وهى التل .

(٢) أمرع المكان : أخصب . والمحاج : جمع محجة .

(٣) استلأم أى لبس اللأمة وهى الدرع أوجميع أدوات الحرب .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٦٠٠ تحت رقم ٦ . (٥) المصدر ج ٢ ص ٦٠٩ .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٦٠٢ . (٧) المصدر ج ٢ ص ٦٠٥ .

إليه صورة ، فيمرّ بالمسلمين فيقولون : هذا رجل منّا ، فيجاوزهم إلى النبيّين فيقولون : هو منّا ، فيجاوزهم إلى الملائكة المقرّبين ، فيقولون : هو منّا ، حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة عزّ و جلّ فيقول : يا ربّ فلان بن فلان أظمأتُ هواجره و أسهرتُ ليله في دار الدنيا ، و فلان بن فلان لم أظمأ هواجره ولم أسهر ليله ، فيقول تعالى : أدخلهم الجنّة على منازلهم فيقوم فيتبعونه ، فيقول للمؤمن : اقرأ وارقه ، قال : فيقرأ و يرقى حتّى يبلغ كلّ رجل منهم منزلته الّتي هي له فينزلها » (١)

و بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ الدواوين يوم القيامة ثلاثة : ديوان فيه النعم ، وديوان فيه الحسنات ، و ديوان فيه السيّئات ، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق النعم عامّة الحسنات و يبقى ديوان السيّئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب فيتقدّم القرآن أمامه في أحسن صورة ، فيقول : يا ربّ أنا القرآن و هذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ، و يطيل ليله بترتيلي ، وتفيض عيناه إذا تهجّد ، فأرضه كما أرضاني ، قال : فيقول العزيز الجبّار : عبدي ابسط يمينك فيملأها من رضوان الله العزيز الجبّار ، و يملأ شماله من رحمة الله ، ثمّ يقال : هذه الجنّة مباحة لك فاقرأ واصعد ، فإذا قرأ آية صعد درجة » (٢).

وبإسناده عنه عليه السلام قال : « الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة » (٣).

وبإسناده عنه عليه السلام قال : « إنّ العزيز الجبّار أنزل عليكم كتابه ، و هو الصادق البارّ ، فيه خبركم ، و خبر من قبلكم ، و خبر من بعدكم ، و خبر السماء و الأرض ، و لو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجّبتم » (٤).

وبإسناده عنه عليه السلام قال : « ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتّى يتعلّم القرآن أو أن يكون في تعلّمه » (٥).

وبإسناده عنه عليه السلام أنّه قال : « إنّ الّذي يعالج القرآن و يحفظه بمشقّة منه

(١) في المصدر ج ٢ ص ٦٠١ عن ابي عبدالله عليه السلام .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٢ . (٣) المصدر ج ٢ ص ٦٠٣ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٩٩ . (٥) المصدر ج ٢ ص ٦٠٧ .

و قلّة تحفّظ له أجران » (١).

و بإسناده عنه عليه السلام « من نسي سورة من القرآن مثّلت له في صورة حسنة و درجة رفيعة في الجنّة ، فإذا رآها قال : من أنت ما أحسنك ، ليتك لي ؟ فتقول : أما تعرفني ؟ أنا سورة كذا و كذا و لو لم تنسني لرفعتك إلى هذا » (٢).

و بإسناده عنه عليه السلام قال : « من قرأ القرآن فهو الغنى و لا فقر بعده وإلّا ما به غنى » (٣).

و بإسناده عن حفص بن غياث قال : سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول لرجل : « أتحبُّ البقاء في الدنيا ؟ فقال : نعم فقال : ولم ؟ قال : لقراءة « قل هو الله أحد » فسكت عنه ، فقال لي بعد ساعة : ياحفص من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن علّم في قبره ليرفع الله به من درجته فإنّ درجات الجنّة على قدر آيات القرآن يقال له : اقرأ وارق ، فيقرأ ثمّ يرقى ، ثمّ قال حفص : ما رأيت أحداً أشدّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليهما السلام ولاأرجى الناس منه ، وكانت قراءته حزناً فإذا قرأفكأنّمايخاطب إنساناً »(٤).

✿(في ذم تلاوة الغافلين)✿

أقول : روى في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « اقرؤوا القرآن بألحان العرب و أصواتها ، و إيّاكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنّه سيجيىء بعدي أقوامٌ يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرّهبانيّة لايجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم » (٥).

و بإسناده عنه عليه السلام أنّه سئل عن قول الله تعالى : « ورتّل القرآن ترتيلاً » قال : « قال أميرالمؤمنين عليه السلام : تبيّنه تبياناً ولا تهذّه هذ الشعرولا تنثره نثرالرمل ولكن أفزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة » (٦).

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٠٦ . (٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٧ .
(٣) المصدر ج ٢ ص ٦٠٥ . (٤) المصدر ج ٢ ص ٦٠٦ .
(٥) المصدر ج ٢ ص ٦١٤ .
(٦) المصدر ج ٢ ص٦١٤ والاية فيسورةالمزمل : ٤ . وهذّه هذاً : قطعه سريعاً او قطعه مطلقاً . وهذّ الحديث : سرده .

وبإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة و استدرّ به الملوك، و استطال به على الناس، و رجل قرأ القرآن فحفظ حروفه و ضيّع حدوده و أقامه إقامة القدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن، و رجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه، فأسهر به ليله و أظمأ به نهاره و قام به في مساجده وتجافى به عن فراشه، فبأولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلايا، و بأولئك يديل الله من الأعداء، و بأولئك ينزّل الله الغيث من السماء، فوالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر»(١).

و بإسناده، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ من الناس من يقرأ القرآن ليقال: فلان قارىء، و منهم من يقرأ القرآن ليطلب به الدنيا ولاخير في ذلك، و منهم من يقرأ القرآن لينتفع به في صلاته و ليله ونهاره»(٢).

و في الأثر «ربّ تال القرآن والقرآن يلعنه»(٣).

قال أبوحامد: «وقال ابن مسعود: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفرطون، و بحزنه إذا الناس يفرحون، و ببكائه إذا النّاس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليّناً(٤) ولا ينبغي أن يكون جافياً و لا ممارياً و لا صيّاحاً ولاصخّاباً ولا حديداً.

وقد قال صلى الله عليه وآله: «أكثر منافقي هذه الأمّة قرّاؤها»(٥).

وقال صلى الله عليه وآله: «اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فلست تقرؤه»(٦).

---

(١) الكافي ج٢ ص ٦٢٧.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٩ في حديث.

(٣) ما عثرت عليه إلا من قول انس بن مالك.

(٤) في بعض النسخ [أن يكون سكيتاً ليناً].

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٥١ و١٥٥. ورواه الطبراني والبيهقي كما في الجامع الصغير باب الالف.

(٦) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر كما في الجامع الصغير.

و قال صلى الله عليه و آله و سلم : « ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه » (١).

و قال بعض السلف : إنّ العبد ليفتتح سورة فتصلّي عليه حتّى يفرغ منها و إنّ العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتّى يفرغ منها ، فقيل : كيف ذلك ؟ قال : إذا أحلّ حلالها و حرّم حرامها صلّت عليه و إلّا لعنته .

و قال بعض العلماء : إنّ العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه و هو لا يعلم يقرأ « ألا لعنة الله على الظالمين » وهو ظالم نفسه ، « ألا لعنة الله على الكاذبين » وهو منهم .

و في التوراة : « يا عبدي أمّا تستحيي منّي يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق و تقعد لأجله و تقرأه و تتدبّره حرفاً حرفاً حتّى لا يفوتك منه شيء ، وهذا كتابي أنزلته إليك اُنظر كم وصلت لك فيه من القول ؟ وكم كرّرت عليك فيه لتتأمّل طوله و عرضه ؟ ثمّ أنت معرض عنه ، أفكنتُ أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي ، يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكلّ وجهك وتصغي إلى حديثه بكلّ قلبك ، فإن تكلّم متكلّم أوشغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كفّ وها أنا ذا مقبلٌ عليك و محدّث لك وأنت معرض بقلبك عنّي ، فجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك » .

﴿ الباب الثاني ﴾

﴿في آداب ظاهر التلاوة وهي عشرة﴾

الأوّل في حال القاريء و هو أن يكون على الوضوء ، واقفاً على هيئة الادب و السكون ، إمّا قائماً وإمّا جالساً مستقبل القبلة ، مُطرقاً رأسه ، غير متربّع ولامتّكيء ولا جالس على هيئة التكبّر ، و يكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي اُستاده ، وأفضل الأحوال أن يقرأه في الصلاة قائماً ، و أن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال » .

أقول : بل الأفضل أن يقرأه في بيته لأنّه أبعد من الرياء ، و لما رواه في الكافي عن ليث بن أبي سليم رفعه قال : قال النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم : « نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه ج١١ ص٤٠ ، والبغوي في المصابيح ج١ ص ١٤٥.

و لا تتّخذوها قبوراً كما فعلت اليهود و النصارى ، صلّوا في الكنائس و البيع ، و عطّلوا بيوتهم فإنّ البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره واتّسع أهله ، وأضاء لأهل السماء كما يضيىء نجوم السماء لأهل الدنيا »(١).

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ البيت إذا كان فيه المرء المسلم يتلو القرآن يتراءاه أهل السماء كما يتراءى أهل الدنيا الكوكب الدرّي في السماء »(٢).

و عنه عليه السلام قال : «قال أمير المؤمنين عليه السلام : البيت الّذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته و تحضره الملائكة و تهجره الشياطين ويضيىء لأهل السماء كما يضيىء الكواكب لأهل الأرض ، وإنّ البيت الّذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه تقلّ بركته و تهجره الملائكة و تحضره الشياطين » (٣).

و في عدّة الدّاعي عن الرضا عليه السلام يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال : « اجعلوا لبيوتكم نصيباً من القرآن فإنّ البيت إذا قرىء فيه القرآن يسّر على أهله و كثر خيره و كان سكّانه في زيادة ، و إذا لم يقرأ فيه القرآن ضيّق على أهله و قلّ خيره و كان سكّانه في نقصان » (٤).

قال أبو حامد : « و إن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعاً في الفراش فله أيضاً فضل ولكنّه دون ذلك ، قال الله تعالى : « الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم »(٥) فأثنى على الكلّ ولكن قدّم القيام في الذكر ، ثمّ القعود ، ثمّ الذكر مضطجعاً .

قال عليّ عليه السلام : « من قرأ القرآن و هو قائم في الصلاة كان له بكلّ حرف مائة حسنة و من قرأ و هو جالس في الصلاة فله بكلّ حرف خمسون حسنة ، و من قرأ في غير صلاة و هو على وضوء فخمس و عشرون حسنة (٦) و من قرأ على غير وضوء فعشر

(١) الى (٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٠ رقم ١ الى ٣ . والكنائس جمع كنيسة وهي معبد اليهود والنصارى والكفار . والبيع ـ بكسر الموحدة و تحريك المثناة ـ جمع بيعة وهي معبد النصارى .

(٤) المصدر ص ٢١١ .

(٥) آل عمران : ١٩١ .

(٦) الى هنا رواه الكليني عن أبي جعفر عليه السلام كما يأتي في كلام المؤلف .

حسنات و ما كان من القيام باللّيل فهو أفضل لأنّه أفرغ للقلب ».

قال أبوذرّ الغفاريّ - رضي الله عنه - : إنّ كثرة السجود بالنهار وإنّ طول القيام باللّيل».

أقول : « و من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي [1] عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من قرأ القرآن قائماً في صلاته كتب له بكلّ حرف مائة حسنة ، ومن قرأ في صلاته جالساً كتب له بكلّ حرف خمسون حسنة ، و من قرأه في غير صلاة كتب له بكلّ حرف عشر حسنات ».

و عن بشر بن غالب الأسديّ ، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام قال : « من قرأ آية من كتاب الله في صلاته قائماً يكتب له بكلّ حرف مائة حسنة ، فإن قرأها في غير صلاة كتب له بكلّ حرف عشر حسنات ، فإن استمع القرآن كتب له بكلّ حرف حسنة فإن ختم القرآن ليلاً صلّت عليه الملائكة حتّى يصبح ، وإن ختمه نهاراً صلّت عليه الحفظة حتّى يمسي وكانت له دعوة مجابة [2] ، وكان خيراً له ممّا بين السماء إلى الأرض قلت : هذا لمن قرأ القرآن ، فمن لم يقرأ ؟ قال : يا أخا بني أسد إنّ الله جوادٌ ماجدٌ كريم إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك » [3].

و عن محمّد بن بشير عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : و قد روي هذا الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من استمع حرفاً من كتاب الله من غير قراءة كتب الله له به حسنة و محا عنه سيّئة و رفع له درجة ، و من قرأ نظراً من غير صوت كتب الله له بكلّ حرف حسنة و محا عنه سيّئة و رفع له درجة ، و من تعلّم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات ، و محا عنه عشر سيّئات ، و رفع له عشر درجات ، قال : لا أقول : بكلّ آية ولكن بكلّ حرف باء أو تاء أو شبههما ، قال : ومن قرأ حرفاً ظاهراً وهو جالس في صلاة كتب الله له به خمسين حسنة ، ومحا عنه خمسين سيّئة ، ورفع له خمسين درجة ، و من قرأ حرفاً و هو قائم في صلاته كتب الله له [بكلّ حرف] مائة حسنة ، و محا عنه مائة سيّئة ، و رفع

(١) المصدر ج ٢ ص ٦١١ .

(٢) لعل المراد بختمه ليلا و نهاراً فراغه منه فيهما وأما الدعوة المجابة فانما يترتب على ختمه كما في الوافي .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١١ .

له مائة درجة ، ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخّرة أو معجّلة ، قال : قلت : جعلت فداك ختمه كلّه ؟ قال : ختمه كلّه » (١) .

الثاني في مقدار القراءة أقول : و لنعرض عمّا ذكره أبو حامد في ذلك نقلاً عن عادات أصحابه من الختم في اليوم و اللّيلة مرّة أو مرّتين أو ثلاثاً فإنّه مبالغة في الاستكثار و خروج عن طريقة العقل و النقل عن أهل البيت عليهم السلام ، و روى هو عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : « من قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث لم يفقهه » (٢) ثمّ استحبّ الختم في الأسبوع مرّتين أو مرّة .

و في الكافي بإسناده عن محمّد بن عبدالله « قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أقرء القرآن في ليلة ؟ قال : لا يعجبني أن تقرأه في أقلّ من شهر » (٣).

و عن عليّ بن أبي حمزة « قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال له أبو بصير : جعلت فداك أقرء القرآن في شهر رمضان في ليلة ؟ فقال : لا ، قال : ففي ليلتين ؟ قال : لا ، قال : ففي ثلاث ؟ قال : ها - و أشار بيده - ثمّ قال : يا أبا محمّد إنّ لرمضان حقّاً و حرمة ولا يشبهه شيءٌ من الشهور (٤) و كان أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله يقرء أحدهم القرآن في شهر أو أقلّ ، إنّ القرآن لا يقرء هذرمة (٥) ولكن ترتّل ترتيلاً ، و إذا مررت بآية فيها ذكر الجنّة فقف عندها و اسأل الله تعالى الجنّة ، و إذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها و تعوّذ بالله من النار » (٦).

و عن حسين بن خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام « قال : قلت له : في كم أقرء القرآن ؟ فقال : اقرأه أخماساً ، اقرأه أسباعاً ، أما إنّ عندي مصحفاً مجزّى أربعة عشر جزءاً » (٧) .

---

(١) المصدر ج٢ ص ٦١٢ تحت رقم ٦ .

(٢) أخرجه الترمذى فى الصحيح ج١١ ص ٦٥ وابن ماجه تحت رقم ١٣٤٧ من ابن عمر بتقديم وتأخير .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٧ .

(٤) علل عليه السلام فى الثلاث فى شهر رمضان بحق الشهر وحرمته واختصاصه بين الشهور.

(٥) الهذرمة : السرعة فى القراءة .

(٦) و(٧) المصدر ج ٢ ص ٦١٧ .

أقول : و ينبغي لمن كان من العابدين السالكين بطريق العمل أن يأخذ بالاسبوع كما في هذا الحديث ، و لمن كان من السالكين بأعمال القلب و ضروب الفكر أو من المشغولين بنشر العلم أن يأخذ بالشهر كما في الحديثين الأوّلين ، وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي بأقلّ من ذلك لحاجته إلى كثرة الترديد والتأمّل فيأخذبما ورد أنّه ينبغي أن يُقرأ منه في كلّ يوم خمسون آية وهو أقلّ مايقرأ .

فقد روى في الكافي بإسناد حسن عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده و أن يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية »[(١)] .

الثالث في وجه القسمة أمّا من ختم بالاسبوع مرّة فيقسّم القرآن بسبعة أحزاب فقد حزّب الصحابة القرآن أحزاباً ، فروي أنّ بعضهم كان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، و ليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، و ليلة الاثنين بطه إلى القصص ، وليلة الثلثاء بالعنكبوت إلى ص ، و ليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس .

و كان ابن مسعود يقسّم سبعة أقسام لا على هذا الترتيب ، و قيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأوّل ثلاث سور ، و الحزب الثاني خمس سور ، و الحزب الثالث سبع سور ، و الحزب الرابع تسع سور ، و الخامس إحدى عشرة سورة ، و السادس ثلاث عشرة سورة ، و السابع المفصّل من ق فهكذا حزّبه الصحابة و كانوا يقرؤونه كذلك و فيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله و هذا قبل أن تعمل الأخماس و الأعشار و الأجزاء فما سوى هذا فهو محدث .

الرابع في الكتبة يستحبّ تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة و غيرها فإنّه تزيين و تبيين و صدّ عن اللّحن و الخطأ لمن يقرأه و قدكان بعضهم ينكر الأخماس و العواشر والأجزاء ، ومنهم من أنكر النقط بالحمرة وأخذ الأجر على ذلك وكانوا يقولون : جرّدوا القرآن ؛ و الظنّ بهؤلاء أنّهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٠٩ .

من أن يؤدّي إلى إحداث زيادات ، و حسماً للباب ، و شوقاً إلى حراسة القرآن عمّا يطرّق إليه تغييراً ، و إذا لم يؤدّ إلى محذور واستقرّ الأمر فيه على ما يحصل به من مزيد معرفة فلا بأس به ، و بعضهم كان يقول : أقرأ من المصحف المنقوط و لا أنقطه بنفسي .

و قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير : كان القرآن مجرّداً في المصاحف فأوّل ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا : لا بأس به فإنّه نورله ، ثمّ أحدثوا بعده نقطاً كباراً عند منتهى الآي فقالوا : لا بأس به يعرف به رأس الآية ، ثمّ أحدثوا بعد ذلك الخواتيم و الفواتح .

و قيل : إنّ الحجّاج هوالّذي أحدث ذلك و أحضر القرّاء حتّى عدّوا كلمات القرآن و حروفه و سوّوا أجزاءه و قسّموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام اُخر » .

أقول : روى في الكافي بإسناده عن محمّد بن الورّاق قال : عرضت على أبي عبد الله عليه السلام كتاباً فيه قرآن مختّم معشّر بالذّهب و كتبت في آخره سورة بالذّهب فأريته إيّاه فلم يعب فيه شيئاً إلّا كتابة القرآن بالذّهب ، و قال : لا يعجبني أن يكتب القرآن إلّا بالسواد كما كتب أوّل مرّة [(١)] » .

و عن داود بن سرحان عنه عليه السلام قال : « ليس بتحلية المصاحف و السيوف بالذهب و الفضّة بأس » [(٢)] .

« الخامس الترتيل هو المستحبّ في هيئة القراءة لأنّا سنبيّن أنّ المقصود من القراءة التفكّر ، و الترتيل يعين عليه و لذلك نعتت اُمّ سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا هي تنعت قراءة مفسّرة حرفاً حرفاً [(٣)] .

و قال ابن عبّاس : لأن أقرأ البقرة و آل عمران اُرتّلهما و أتدبّرهما أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كلّه هذرمة » .

أقول : وقد مرّ في ذلك حديث عن أهل البيت عليهم السلام وفي الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٢٩ .

(٢) المصدر ج ٦ ص ٤٧٥ .

(٣) أخرجه أبوداود ج ١ ص ٣٣٨، و راجع سنن الترمذي ج ١١ ص ٤٣ أبواب فضائل القرآن و٤٨ أبواب القراءات ، وتفسير المجمع ج ١٠ص ٣٧٨ .

قال: «أعرب القرآن فإنّه عربيٌّ» (١).

و في القرآن المجيد «ورتّل القرآن ترتيلاً» (٢) والترتيل هوحفظ الوقوف وبيان الحروف كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفسّر الأوّل بالوقف التامّ والحسن، والثاني بالإتيان بصفاتها المعتبرة من الجهر والهمس والإطباق والاستعلاء وغيرها.

و في رواية اُخرى عنه عليه السلام في معنى الترتيل «بيّنه بياناً ولا تهذّه هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرّمل ولكن أفزع به القلوب القاسية، و لا يكون: همُّ أحدكم آخر السورة» (٣).

قيل: أي اقره متفكّراً على هنيئتك كما قيل: إنّه يكون بحيث لو أراد السامع عدّ حروف الكلمات يعدّه، كما روي في قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٤).

و عن أبي عبد الله عليه السلام «هو أن تمكث وتحسّن به صوتك» (٥).

قال أبو حامد: «واعلم أنّ الترتيل مستحبٌّ لا لمجرّد التدبّر فإنّ العجميّ الّذي لا يفهم معنى القرآن يستحبُّ له أيضاً في القراءة الترتيل و التؤدة (٦) لأنّ ذلك أقرب إلى التوقير و الاحترام، و أشدُّ تأثيراً في القلب من الهذرمة و الاستعجال.

السادس البكاء مستحبٌّ مع القراءة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اُتلوا القرآن و ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» (٧).

و قال صالح المرى (٨): قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي: يا صالح هذه القراءة أين البكاء؟.

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٦١٥. (٢) المزمل: ٤.

(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٤. والهذ سرعة القراءة أى لاتسرع فيه كما تسرع فى قراءة الشعرولاتفرق كلماته بحيث لاتكاد تجتمع كذرات الرمل. وقد يقرء «اقرع به».

(٤) مر آنفاً من حديث أمسلمة عن الترمذى وأبى داود ورواه النسائى أيضاً.

(٥) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٨.

(٦) التؤدة ـ بضم التاء وفتح الهمزة وسكونها ـ: الرزانة والتأنى.

(٧) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٩٦ من حديث سعد بن أبى وقاص دون قوله: «اتلوا القرآن».

(٨) أحد زهاد البصرة وهو ضعيف متروك كما قاله الذهبى.

و قال ابن عبّاس : إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتّى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فيبك قلبه .

و إنّما طريق تكلّف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء .

قال صلّى الله عليه وآله : « إنّ القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا» (١) .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ القرآن نزل بالحزن فاقرؤوه بالحزن » (٢) .

و فيه عنه عليه السلام : « إنّ الله أوحى إلى موسى بن عمران إذا وقفت بين يدي فقف موقف الذليل الفقير ، وإذا قرأت التوراة فاسمعنيها بصوت حزين » (٣) .

قال أبو حامد : « و وجه إحضار الحزن أن يتأمّل ما فيه من التهديد والوعيد والوثايق والعهود ، ثمّ يتأمّل تقصيره في أوامره و زواجره فيحزن له لا محالة و يبكي فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن و البكاء ، فإنّ ذلك أعظم المصائب .

السابع أن يراعي حقّ الآيات فإذا مرّ بآية سجود سجد وكذلك إذا سمع من غيره » .

أقول : في القرآن خمس عشرة سجدة أربع منها واجبة تسمّى بالعزائم و البواقي مستحبّة و في الحجّ سجدتان ، و أقلّه أن يسجد بوضع جبهته على الأرض ، و أكمله أن يراعي شرائط سجود الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب و البدن من الخبث و الحدث و أن يكبّر ويسجد على الأعضاء السبعة و يدعو في سجوده و يكبّر عند الرفع منه ، و وقته عند التلفّظ بموجبه(٤) و هو فوريّ ولا يسقط بالتأخير ، وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام « أنّه سئل عن الرجل يقرأ السجدة فينساها حتّى يركع و يسجد ؟

(١) قال العراقي : أخرجه أبويعلى وابونعيم في الحلية من حديث ابن عمر .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦١٤ تحت رقم ٢ .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٥ تحت رقم ٦ .

(٤) و الموجب مجموع الاية ولايجب بقراءة بعضها .

قال : يسجد إذا ذكر إذا كانت من العزائم » (١).

و فيه عنه ﷺ « إذا قرأ أحدكم السجدة من العزائم فليقل في سجوده: « سجدت لك تعبّداً و رقّاً ، لا مستكبراً عن عبادتك ولا مستنكفاً و لا متعظّماً بل أنا عبد ذليل خائف مستجير » (٢).

قال أبو حامد : « و يدعو في سجوده بما يليق بالآية الّتي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى : «خرّوا سجّداً وسبّحوا بحمد ربّهم وهم لا يستكبرون » فيقول : « اللّهمّ اجعلني من الساجدين لوجهك المسبّحين بحمدك و أعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك » و إذا قرأ قوله : « و يخرّون للأذقان يبكون و يزيدهم خشوعاً » فليقل : « اللّهمّ اجعلني من الباكين الخاشعين لك » وكذلك في كلّ سجدة .

الثامن أن يقول في مبدأ قراءته : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرّجيم ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين و أعوذ بك ربّ أن يحضرون » و ليقرء « قل أعوذ بربّ الناس » و سورة الحمد وليقل عند فراغه من كلّ سورة : « صدق الله تعالى و بلّغ رسوله الكريم ، اللّهمّ انفعنا به و بارك لنا فيه ، الحمدلله ربّ العالمين ، وأستغفرالله الحيّ القيّوم » و في أثناء القراءة إذا مرّ بآية تسبيح وتكبير سبّح و كبّر ، و إن مرّ بآية دعاء و استغفار دعا و استغفر ، و إن مرّ بمرجوّ سأل ، و إن مرّ بمخوف استعاذ ، يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول : سبحان الله ، نعوذ بالله ، اللّهمّ ارزقنا ، اللّهمّ ارحمنا ، قال حذيفة : صلّيت مع رسول الله ﷺ فابتدأ سورة البقرة وكان لا يمرّ بآية عذاب إلّا استعاذ و لا بآية رحمة إلّا سأل و لا بآية تنزيه إلّا سبّح فإذا فرغ قال : ما كان يقوله صلوات الله عليه عند ختم القرآن « اللّهمّ ارحمني بالقرآن و اجعله لي إماماً و نوراً وهدى و رحمة ، اللّهمّ ذكّرني منه ما نسيت ، وعلّمني منه ما جهلت ، و ارزقني تلاوته آناء اللّيل و النهار ، و اجعله حجّة لي يا ربّ العالمين »(٣) .

---

(١) رواه البزنطي في نوادره كما في مستطرفات السرائر وأيضاً في التهذيب ج١ ص٢١٩ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٢٨ تحت رقم ٢٣ .

(٣) روى صدره أحمد وابو يعلى كما في مجمع الزوائد ج٢ ص ٢٧٢ و قال العراقي : رواه ابو منصور المظفر بن الحسين الارجاني في فضائل القرآن وابو بكر بن الضحاك في الشمائل كلاهما من طريق ابي ذر الهروي من رواية داود بن قيس مفصلا .

أقول : و إن اقتصر في الابتداء بقوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى امتثالاً لقوله عزّ وجلّ : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » (١) قيل : هو تطهير للّسان عمّا جرى عليه من ذكر غير الله ليستعدّ لذكر الله و كنس لحجرة القلب من تلوّث الوسوسة لينزل فيها سلطان المعرفة و ينبغي استشعار ذلك حال الاستعاذة .

وعن الصادق عليه السلام : « إذا أخذت المصحف للقراءة فقل : « اللّهمّ إنّي اُشهدك أنّ هذا كتابك المنزل من عندك على رسولك محمّد بن عبدالله و كلامك الناطق على لسان نبيّك جعلته هادياً منك إلى خلقك ، وحبلاً متّصلاً فيما بينك وبين عبادك ، اللّهمّ إنّي نشرت عهدك و كتابك ، اللّهمّ فاجعل نظري فيه عبادة و قراءتي فيه ذكراً و فكري فيه اعتباراً و اجعلني ممّن اتّعظ ببيان مواعظك فيه و أجتنب معاصيك ، ولا تطبع عند قراءتي على قلبي ولا على سمعي ، ولا تجعل على بصري غشاوة ، ولا تجعل قراءتي قراءة لا تدبّر فيها بل اجعلني أتدبّر آياته و أحكامه آخذاً بشرائع دينك ، و لا تجعل نظري فيه غفلة ولاقراءتي هذراً إنّك أنت الرؤوف الرحيم »(٢)

و قد روي للفراغ أنّه يقول : « اللّهمّ إنّي قد قرأت ما قضيت من كتابك الّذي أنزلته على نبيّك الصادق صلّى الله عليه وآله فلك الحمد ربّنا ، اللّهمّ اجعلني ممّن يحلّ حلاله ، و يحرّم حرامه ، و يؤمن بمحكمه و متشابهه و اجعله اُنساً في قبري و اُنساً في حشري و اجعلني ممّن ترقيه بكلّ آية درجة في أعلى علّيّين آمين ربّ العالمين » (٣) .

وعنه عليه السلام « إذا مرّ بـ«يا أيّها الناس» ، « يا أيّها الّذين آمنوا» قال : لبّيك ربّنا ، و إذا ختم سورة الشمس قال : صدق الله وصدق رسوله ، وإذا قرأ : « الله خيرٌ أمّا يشركون» قال : الله خيرٌ الله أكبر ، و إذا قرأ « ثمّ الّذين كفروا بربّهم يعدلون» قال : كذب العادلون بالله وإذا قرأ الحمد لله الّذي لم يتّخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك ـ الآية ـ » كبّر ثلاثاً و إذا فرغ من الإخلاص قال : « كذلك الله ربّي » .

و روي عند قوله تعالى « فمن يأتيكم بماء معين » الله ربّنا ، و عند قوله : « أليس

(١) النحل : ٩٨ .

(٢) و (٣) رواه المفيد ـ رحمه الله ـ في الاختصاص ص ١٤١ .

ذلك بقادر على أن يحيي الموتى » سبحانك بلى ، وعند قوله : « أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » بل أنت الله الخالق ، و عند « أم نحن الزارعون » بل أنت الله الزارع ، وعند « أم نحن المنشئون » بل أنت الله المنشىء ، و عند قوله عزّ وجلّ : « فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » لا بشيء من آلائك ربّ اُكذّب ، إلى غير ذلك . والظاهر انسحابه إلى كلّ ما يناسب (١) .

و لختم القرآن دعوات مشهورة أحسنها و أتمّها ما في الصحيفة السجّادية على مصدرها الصلاة والسلام (٢) .

التاسع في الجهر بالقراءة ولا شكّ في أنّه لابدّ و أن يجهر به إلى حدّ يسمع نفسه وأمّا الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوبٌ على وجه ومكروه على وجه آخر ، ويدلّ على استحباب الإسرار ماروي أنّه صلى الله عليه وآله قال : « فضل قراءة السرّ على قراءة العلانية كفضل صدقة السرّ على صدقة العلانية » (٣) و في لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة و المسرّ به كالمسرّ بالصدقة » (٤) .

وفي الخبر العام « يفضل عمل السرّ على عمل العلانية سبعين ضعفاً (٥) » و كذلك قوله : « خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي » (٦) .

---

(١) راجع الكافي ج ١ ص١٩ ، التهذيب ج ١ ص ١٧١، وص ٢٢١، و ص٢٤٧ . و ثواب الاعمال أيضاً . وانسحب اى انجر .

(٢) الدعاء الثاني والاربعون أوله « اللهم صل على محمد وآله و أفرشني مهاد كرامتك » .

(٣) ماعثرت عليه بهذا اللفظ .

(٤) أخرجه ابو داود ج ١ ص ٣٠٦ و أيضاً الترمذي ج١١ ص٤١ وقال : حسن غريب ورواه الطبراني في الكبير من طريقين بلفظ آخر كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص٢٦٦ .

(٥) اخرجه البيهقي في الشعب كما في المغني وراجع وسائل الشيعة باب استحباب العبادة في السر واختيارها على العبادة في العلانية من ابواب مقدمة العبادات .

(٦) أخرجه احمد وابن حبان والبيهقي عن سعد بن أبي قاص بسند صحيح كما في الجامع الصغير باب الخاء .

وفي الخبر « لايجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء [(١)] » وسمع سعيد بن المسيّب ذات ليلة في مسجد النبيّ ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته و كان حسن الصوت فقال لغلامه : اذهب إلى هذا المصلّي فمره بأن يخفض من صوته ، فقال الغلام : إنّ المسجد ليس لنا وللرّجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته و قال : يا أيّها المصلّي إن كنت تريد الله عزّ وجلّ بصلاتك فاخفض صوتك و إن كنت تريدالناس فإنّهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً فسكت عمر ، و خفّف ركعته فلمّا سلّم أخذ نعليه و انصرف وهو يومئذ أمير المدينة .

و يدلّ على استحباب الجهر ما روي أنّه ﷺ سمع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة اللّيل فصوّب ذلك [(٢)] ، و قد قال ﷺ : « إذا قام أحدكم من اللّيل يصلّي فليجهر بقراءته فإنّ الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلّون بصلاته » [(٣)] فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أنّ الاسرار أبعد عن الرياء والتصنّع فهو أفضل في حقّ من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف و لم يكن في الجهر ما يشوّش الوقت على مصلّ آخر فالجهر أفضل لأنّ العمل فيه أكثر و لأنّ فائدته تتعلّق أيضاً بغيره و الخير المتعدّي أفضل من اللاّزم ، و لأنّه يوقظ قلب القاريّ و يجمع همّه إلى الفكر فيه و يصرف إليه سمعه ، ولأنّه يطرد النوم برفع الصوت ، ولأنّه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلّل من كسله ، و لأنّه يرجو بجهره تيقّظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ، و لأنّه قد يراه بطّال غافل فينشط بسبب نشاطه و يشتاق إلى الخدمة ، فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل و إن اجتمعت هذه النيّات يضاعف الأجر و بكثرة النيّات يزكو عمل الأبرار و يتضاعف أجورهم فإن كان في العمل الواحد عشر نيّات كان فيه عشرة أجور ولهذا نقول : قراءة القرآن في المصحف أفضل إذ يزيد عمل البصر وتأمّل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه . وقد قيل : الختمة من المصحف بسبع لأنّ النظر في المصحف أيضاً عبادة وكان كثير

---

(١) أخرجه أبو داود ج١ص٣٠٦ بدون ذكر المغرب والعشاء ورواه أحمد وابو يعلى بلفظ آخر كما في مجمع الزوائد ج٢ ص ٢٦٥ . (٢) أخرجه ابوداود ج ١ ص ٣٠٦ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير في حديث كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص٢٦٦ .

من الصحابة يقرؤون من المصحف و يكرهون أن يخرج يوم و لم ينظروا في المصحف » .

أقول : وقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « أعطوا أعينكم حظّها من العبادة ، قالوا : وما حظّها من العبادة يا رسول الله ؟ قال : النظر في المصحف والتفكّر فيه والاعتبار عند عجائبه » [1] .

وروى العلاّمة الطوسيّ - رحمه الله - في آدابه عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « أفضل عبادة اُمّتي تلاوة القرآن نظراً » [2] .

و في الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « من قرأ القرآن في المصحف متّع ببصره و خفّف عن والديه وإن كانا كافرين » [3] .

و بإسناده عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : « جعلت فداك إنّي أحفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرؤه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف ؟ قال : فقال : بل اقرء وانظر في المصحف فهو أفضل ، أما علمت أن النظر في المصحف عباده» [4] .

والأولى أن يجعل النظر في المصحف أدباً آخر من آداب التلاوة .

« العاشر تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغيّر النظم فذلك سنّة ، قال رسول الله ﷺ : « زيّنوا القرآن بأصواتكم » [5] .

و قال ﷺ : « ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن » [6] وقال : « ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن » [7] فقيل : أراد به الاستغناء و قيل : أراد به الترنّم وترديد الألحان و هو أقرب عند أهل اللّغة .

وروي أنّه ﷺ استمع ذات ليلة إلى عبدالله بن مسعود ثمّ قال : « من أراد أن

---

(١) أخرجه البيهقي فى الشعب بسند ضعيف عن أبى سعيد كما فى الجامع الصغير .

(٢) ص ١٥١ من كتاب آداب المتعلمين طبعه الملحق بشرح الباب الحادى عشر .

(٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص ٦١٣ تحت رقم ١ و ٣ .

(٥) أخرجه الدارمى ج ٢ ص ٤٧٤ ، ورواه أحمد وأبو داود وابن ماجه هكذا . وفى سنن البيهقى ج ١٠ ص ٢٣٠ « زينوا أصواتكم بالقرآن » . والتمطيط : المد .

(٦) و (٧) أخرجهما البخارى ومسلم كما فى سنن البيهقى ج ٢ ص ٥٤ وج ١٠ ص ٢٢٩ . و زادا « يجهر به » وهكذا فى سنن الدارمى ج ٢ ص ٤٧١ و ٤٧٢ .

يقرأ القرآن غضّاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أُمّ عبد »[١].

و قال ﷺ لابن مسعود : « اقرء فقال : يا رسول الله أقرء وعليك أُنزل ؟ فقال : « إنّي أُحبّ أن أسمعه من غيري ، فكان يقرء ورسول الله ﷺ عيناه تفيضان »[٢] وقال ﷺ : « من استمع إلى آية من كتاب الله عزّ وجلّ كانت له نوراً يوم القيامة » وفي الخبر « كتب له عشر حسنات » [٣] ومهما عظم أجر الاستماع وكان التّالي هو السبب فيه كان شريكاً في الأجر إلّا أن يكون قصده الرياء والتصنّع .

أقول: و من طريق الخاصّة في هذا الباب ما رواه في الكافي عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : « قال النبيّ ﷺ : لكلّ شيء حلية و حلية القرآن الصوت الحسن»[٤].

وعنه عليه السلام قال : « قال النبيّ ﷺ : من أجمل الجمال الشَعر الحسن و نعم النغمة الصوت الحسن »[٥].

وعنه عليه السلام قال : « ما بعث الله نبيّاً إلّا حسن الصوت »[٦].

وعنه عليه السلام قال : « كان عليّ بن الحسين عليهما السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان السقّاؤون يمرّون فيقفون ببابه يستمعون قراءته ، وكان أبو جعفر عليه السلام أحسن الناس صوتاً»[٧].

وعن عليّ بن محمّد النوفليّ عن أبي الحسن عليه السلام قال : ذكرت الصوت عنده فقال : « إنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام كان يقرء فربما مرّ به المارّ يصعق من حسن صوته ، وإنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس ، قلت : و لم يكن رسول الله ﷺ يصلّي بالناس ويرفع صوته بالقرآن ؟ فقال : إنّ رسول الله ﷺ كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون »[٨].

وعن أبي بصير قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي

---

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٣٨ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١٩٥ و١٩٦ .

(٣) أخرجه أحمد من حديث ابي هريرة هكذا« من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة» وسنده ضعيف كما في الجامع الصغير باب الميم .

(٤) الى (٨) الكافي ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن .

جاءني الشيطان فقال : إنّما ترائي بهذا أهلك و الناس ، قال : يا أبا محمّد اقرء قراءة بين القراءتين تسمع أهلك و رجّع بالقرآن صوتك فإنّ الله تعالى يحبّ الصوت الحسن ، ترجّع به ترجيعاً »[1].

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت : « إنّ قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أوحدّثوا به صعق أحدهم حتّى يري أنّ أحدهم لوقطعت يداه أو رجلاه لم يشعر بذلك ، فقال : سبحان الله ذلك من الشيطان ما بهذا نعتوا إنّما هو اللّين و الرقّة و الدّمعة والوجل »[2].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أقرؤوا القرآن بألحان العرب و أصواتها ، و إيّاكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنّه سيجيىء بعدي أقوامٌ يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرّهبانيّة لا تجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة و قلوب من يعجبه شأنهم »[3].

وفي الفقيه « سأل رجل عليّ بن الحسين عليهما السلام عن شراء جارية لها صوت ؟ فقال : ما عليك لو اشتريتها فذكّرتك الجنّة » يعني بقراءة القرآن والزّهد والفضائل الّتي ليست بغناء فأمّا الغناء فمحظور ـ انتهى كلامه ـ[4].

وأمّا استماع القرآن عند قراءة الغير فكاد يكون واجباً لورود الأمر به في الكتاب والسنّة ؛ قال الله عزّ وجلّ : « وإذاقرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلّكم ترحمون»[5].

و في التهذيب بإسناده الصحيح عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « سألته عن الرّجل يؤمّ القوم وأنت لا ترضى به في صلاة يجهر فيها بالقراءة ؟ فقال : إذا سمعت كتاب الله يتلى فأنصت له ، فقلت : فإنّه يشهد عليّ بالشرك ، قال : إن عصى الله فأطع الله ، فرددت عليه ، فأبي أن يرخّص لي ، قال : فقلت له : اُصلّي إذن في بيتي ثمّ أخرج إليه ؟ فقال : أنت وذاك ، وقال : إنّ عليّاً عليه السلام كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوّا وهو

---

(١) الى (٣) الكافي ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن .

(٤) المصدر ص ٤٨٢ تحت رقم ٩ .

(٥) الاعراف : ٢٠٤ .

خلفه : « و لقد اُوحي إليك و إلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين » فأنصت عليّ عليه السلام تعظيماً للقرآن حتّى فرغ من الآية ، ثمّ عاد في قراءته ، ثمّ أعاد ابن الكوّا الآية فأنصت عليّ عليه السلام أيضاً ، ثمّ قرأ فأعاد ابن الكوّا فأنصت عليّ عليه السلام ، ثمّ قال : « فاصبر إنّ وعدالله حقٌّ ولا يستخفّنّك الّذين لايوقنون » ، ثمّ أتمّ السورة ، ثمّ ركع (١) .

و بإسناده الموثّق عن ابن بكير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « سألته عن الناصب يؤمّنا ماتقول في الصلاة معه ؟ فقال : أمّا إذا جهر فأنصت للقرآن واستمع ثمّ اركع واسجد أنت لنفسك » (٢) .

«الباب الثالث»

«(في أعمال الباطن في التلاوة)»

« وهي عشرة : فهم أصل الكلام ، ثمّ التعظيم ، ثمّ حضور القلب ، ثمّ التدبر ثم التفهّم ، ثمّ التخلّي عن موانع الفهم ، ثمّ التخصيص ، ثمّ التأثّر ، ثمّ الترقّي ، ثمّ التبرّي .

الأوّل فهم عظمة الكلام و علوّه . و فضل الله تعالى و لطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه ، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الّذي هو صفة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ، و كيف تجلّت لهم تلك الصفة في طيّ حروف و أصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله إلّا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ، و لتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه و سبحات نوره ، ولولا تثبيت الله موسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجلّيه حيث صار دكّاً ، ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلّا بأمثلة على حدّ فهم الخلق ولهذا عبّر بعض العارفين عنه فقال : إنّ كلّ حروف

(١) المصدر ج ٢ ص ٢٥٥ . و قوله : « ولقد اوحى » في سورة الزمر : ٦٥ . وقوله : « فاصبران وعدالله حق» الروم : ٦٠ . وأخرجه البيهقي في السنن ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٢٥٥ .

من كلام الله في اللّوح أعظم من جبل قاف ، وإنّ الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلّوه ما أطاقوه حتّى يأتي إسرافيل و هو ملك اللّوح فيرفعه فيقلّه بإذن الله و رحمته لا بقوّته و طاقته لكنّ الله طوّقه ذلك و استعمله به .

ولقد تأنّق بعض الحكماء[1] في التعبير عن وجه اللّطف في إيصال معاني الكلام مع علوّ درجته إلى فهم الإنسان مع قصور رتبته و ضرب له مثلاً لم يقصّر فيه و ذلك أنّه دعا بعض الملوك إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن اُمور فأجاب بما يحتمله فهمه ، فقال الملك : أرأيت ما يأتي به الأنبياء إذا ادّعيت أنّه ليس بكلام الناس وأنّه كلام الله تعالى فكيف يطيق الناس حمله ؟ فقال الحكيم : إنّا رأينا الناس لمّا أرادوا أن يفهموا بعض الدوابّ والطير ما يريدون من تقديمها و تأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدوابّ يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقلهم مع حسنه و ترتيبه و بديع نظمه فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم و أوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتهم الّتي يطيقون حملها ، و كذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه و كمال صفاته ، فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات الّتي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الّذي سمعت به الدوابّ من الناس و لم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوّة في تلك الصفات من أن يشرّف الكلام أي الأصوات لشرفها ويعظّم لتعظيمها ، فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً و الحكمة للصوت نفساً و روحاً ، فكما أنّ أجساد البشر تكرم و تعزّ لمكان الرُّوح فكذلك أصوات الكلام تشرّف للحكمة الّتي فيها و الكلام عالي المنزلة ، رفيع الدرجة ، قاهر السلطان نافذ الحكم في الحقّ والباطل ، و هو القاضي العادل ، و الشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدّام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظلّ أن يقوم قدّام شعاع الشمس ، و لا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ، ولكنّهم ينالون من عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ، و يستدلّون به على حوائجهم فقط ، فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه ، والمشاهد أمره وكالشمس

(۱) تأنق في الكلام أو العمل : عمله بالاتقان والحكمة .

العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها ، و كالنجوم الزاهرة الّتي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها ، فهو مفتاح الخزائن النفيسة ، و شراب الحياة الّذي من شرب منه لم يمت ، و دواء الأسقام الّذي من سقى منه لم يسقم ، فهذا الّذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام ، و الزيادة عليه لا يليق بعلم المعاملة ، فينبغي أن يقتصر عليه .

الثاني التعظيم للمتكلّم فالقاريء عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلّم ، ويعلم أنّ مايقرأه ليس من كلام البشر ، وأنّ في تلاوة كلام الله غاية الخطر فإنّه تعالى قال : « لا يمسّه إلّا المطهّرون »(١) و كما أنّ ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلّا إذا كان متطهّراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزّه و جلاله محجوب عن باطن القلب إلّا إذا كان منقطعاً عن كلّ رجس و مستنيراً بنور التعظيم و التوقير ، و كما لا يصلح لمسّ جلد المصحف كلّ يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كلّ لسان ولا لنيل معانيه كلّ قلب ، و لمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشي عليه ، و يقول : هو كلام ربّي ، هو كلام ربّي ، فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلّم ولن يحضره عظمة المتكلّم ما لم يتفكّر في صفاته و أفعاله ، فإذا خطر بباله العرش و الكرسيّ و السماوات و الأرضون و ما بينهما من الجنّ و الإنس و الدوابّ والأشجار ، وعلم أنّ الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد ، و أنّ الكلّ في قبضة قدرته ، مردّد بين فضله و رحمته ، و بين نقمته و سطوته ، إن أنعم فبفضله ، و إن عاقب فبعدله ، وأنّه الّذي يقول : هؤلاء في الجنّة ولا اُبالي ، و هؤلاء في النار ولا اُبالي ، و هذه غاية العظمة و التعالي ، فالتفكّر في أمثال هذا يخطر تعظيم المتكلّم ، ثمّ تعظيم الكلام .

الثالث حضور القلب وترك حديث النفس ، قيل في تفسير « يا يحيى خذ الكتاب بقوّة »(٢) أي بجدّ واجتهاد ، وأخذه بالجدّ أن يكون متجرّداً له عند قراءته ، منصرف الهمّ إليه عن غيره ، وقيل لبعضهم : إذا قرأت القرآن تحدّث نفسك بشيء ؟ فقال : أو شيء أحبّ إليّ من القرآن اُحدّث به نفسي ؟ وكان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية ، وهذه الصفة تتولّد عمّا قبلها من التعظيم فإنّ المعظّم للكلام الّذي يتلوه

---

(١) الواقعه : ٧٩ .　　(٢) مريم : ١٢ .

يشتبشر به و يستأنس ولا يغفل عنه ، ففي القرآن ما يستأنس به القلب ، إن كان التالي أهلاً له فكيف يطلب الاُنس بالفكر في غيره ؟ وهو في متنزّه ومتفرّج و الّذي يتفرّج في المتنزّهات لا يتفكّر في غيرها ، وقد قيل : إنّ في القرآن ميادين و بساتين و مقاصير وعرايس وديابيج ورياضات وخانات ، فآلميمات ميادين القرآن ، وآلراءات بساتين القرآن و الحامدات مقاصيره ، و المسبّحات عرايس القرآن ، و الحاميمات ديباج القرآن ، و المفصّل رياضه ، و الخانات ما سوى ذلك فإذا دخل القارىء في الميادين ، و قطف من البساتين ، و دخل المقاصير ، وشهد العرايس ، ولبس الديباج ، وتنزّه في الرياض ، وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك ، و شغله عمّا سواه ، فلم يعزب قلبه و لم يتفرّق فكره .

الرابع التدبّر و هو وراء حضور القلب فإنّه قد لا يتفكّر في غير القرآن ولكنّه يقتصر على سماع القرآن به من نفسه وهو لايتدبّره ، والمقصود من القراءة التدبّر ولذلك سنّ فيه الترتيل لأنّ الترتيل في الظاهر يمكّن من التدبّر في الباطن ، قال علي عليه السلام : « لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبّر فيها » [(١)] و إذا لم يتمكّن من التدبّر إلّا بترديد فليردّد إلّا أن يكون خلف إمام فإنّه لو بقي في تدبّر آية وقد اشتغل الإمام بآية اُخرى كان مسيئاً ، مثل من يشتغل بالتعجّب من كلمة واحدة ممّن يناجيه عن فهم بقية كلامه و كذلك إذا كان في تسبيح الركوع و هو متفكّر في آية قرأها فهذا وسواس ، فقد روي عن عامر بن عبدقيس أنّه قال : الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل : في أمر الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف فيّ الأسنّة أحبّ إليّ من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربّي و أنّي كيف أنصرف ، فعدّ ذلك وسواساً وهو كذلك فإنّه يشتغل عن فهم ما فيه و الشيطان لا يقدر على مثله إلّا بأن يشغله بمهمّ ديني لكي يمنعه به عن الافضل .

و روي أنّه صلى الله عليه وآله قرأ بسم الله الرّحمن الرّحيم فردّدها عشرين مرّة [(٢)] و إنّما ردّدها لتدبّره في معانيها .

و عن أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ قال : قام بنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقام ليلة بآية يردّدها

---

(١) رواه الحسن بن على بن شعبة الحرانى فى تحف العقول ص ٢٠٤ مرسلا .

(٢) رواه أبوذر الهروى فى معجمه من حديث أبى هريرة كمافى المغنى .

«إن تعذّبهم فإنّهم عبادك» ـ الآية ـ [(١)].
وقام تميم الدّاري ليلة بهذه الآية «أم حسب الّذين اجترحوا السيّئات ـ الآية ـ»[(٢)]
وقام سعيد بن جبير ليلة يردّد هذه الآية «و امتازوا اليوم أيّها المجرمون» [(٣)].
و قال بعضهم : إنّي لأفتتح السورة فتوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتّى يطلع الفجر.
و كان بعضهم يقول : كلّ آية لا أتفهّمها ولا يكون قلبي فيها لاأعدّ لها ثواباً.
و حكي عن أبي سليمان الدّاراني أنّه قال : إنّي لأتلو الآية فأُقيم فيها أربع ليال و خمس ليال و لولا أنّي أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها.
و عن بعض السلف أنّه بقي في سورة هود ستّة أشهر يكرّرها و لا يفرغ من التدبّر فيها.

وقال بعض العارفين : لي في كلّ جمعة ختمة، و في كلّ شهر ختمة، و في كلّ سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد؛ وذلك بحسب درجات تدبّره و تفتيشه؛ وكان هذا يقول : أقمت نفسي مقام الاُجراء فأنا أعمل مياومة ومسابعة ومشاهرة ومسانهة [(٤)].

الخامس التفهّم و هو أن يستوضح من كلّ آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله وذكر أفعاله وذكر أحوال أنبيائه عليهم السلام وذكر أحوال المكذّبين لهم، و أنّهم كيف أهلكوا، و ذكر أوامره و زواجره، و ذكر الجنّة و النار، أمّا صفات الله فكقوله تعالى : «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[(٥)] و كقوله : «الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر» [(٦)] فليتأمّل معاني هذه الأسماء و الصفات

(١) المائدة : ١١٨ والخبر أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٣٥٠.
(٢) الجاثية : ٢١. (٣) يس : ٥٩.
(٤) ياومه يواماً ومياومة : عامله بالايام. وسابعه مسابعة وسباعاً عامله بالاسبوع. وفي بعض النسخ [ومجامعة] بمعناه ـ من الجمعة ـ وشاهره شهاراً : استأجره بالشهر. وسانهه مسانهة عامله بالسنة كساناه.
(٥) الشورى : ١١. (٦) الحشر : ٢٣.

لينكشف له أسرارها فتحتها معاني مدفونة لا ينكشف إلّا للموفّقين وإليه أشار عليٌّ عليه السلام بقوله : « ما أسرّ إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً كتمه عن النّاس إلّا أن يؤتي الله تعالى عبداً فهماً في كتابه فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم »[1] ، و قال ابن مسعود : من أراد علم الأوّلين والآخرين فليثوّر القرآن[2] فأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلّا أُموراً لايقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها .

و أمّا أفعاله فكذكره خلق السماوات والأرض و غيرها فليفهم التالي منها صفات الله و جلاله إذ الفعل يدلّ على الفاعل فيدلّ عظمته على عظمته فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل ، فمن عرف الحقّ رآه في كلّ شيء إذ كلّ شيء منه و إليه و به و له فهو الكلّ على التحقيق ، ومن لا يراه في كلّ ما يراه فكأنّه ما عرفه و من عرفه عرف أنّ كلّ شيء ما خلا الله باطلٌ ، و أنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه لا أنّه سيبطل في ثاني الحال ، بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلّا أن يعتبر وجوده من حيث أنّه موجودٌ بالله و بقدرته فيكون له بطريق التبعيّة ثبات و بطريق الاستقلال بطلان محض و هذا مبدء من مبادي علم المكاشفة و لهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله : «أفرأيتم ماتحرثون» . «أفرأيتم الماءالّذي تشربون» . « أفرأيتم النارالّتي تورون » « أفرأيتم ما تمنون »[3] أن لا يقصّر نظره على الماء والنار والحرثة والمنيّ ، بل يتأمّل في المنيّ و هو نطفة متشابهة الأجزاء ثمّ ينظر في كيفيّة انقسامها إلى اللّحم

---

(١) قال العراقي : أخرجه النسائي من رواية أبي جحيفة قال : « سألنا علياً فقلنا : هل عند كم من رسول صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن ؟ فقال : لاوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه . . . » وهوعند البخارى بلفظ « هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس فى القرآن » وفى رواية «وقال مرةماليس عند الناس» ولابى داود والنسائى « فقلنا : هل عهداليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده الى الناس ؟ قال : لاالامافى كتابى هذا . . . » ولم يذكر «الفهم فى القرآن » .

(٢) ثار يثورالشيء : هاج ومنه ثارت بينهم الفتنة . وثوره أى هيجه وثو رالكتاب : بحث عن معانيه . ومنه « من أراد العلم فليثور القرآن » .

(٣) الواقعة : ٦٣ و ٦٨ و ٧١ و ٥٨ على الترتيب .

و العظم و العروق والعصب و كيفيّة شكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس و اليد و الرجل و الكبد و القلب و غيرها ، ثمّ إلى ما ظهر فيه من الصفات الشريفة من السمع و البصر و العقل و غيره ، ثمّ إلى ما ظهر فيه من الصفات المذمومة من الغضب و الشهوة و الكفر و الجهل ، و التكذيب و المجادلة كما قال تعالى : « أو لم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين[1] » فيتأمّل هذه العجائب ليرقى منها إلى أعجب الأعاجيب وهو الصفة الّتي منها صدرت هذه الأعاجيب ، فلا يزال ينظر إلى الصنعة حتّى يرى الصانع .

وأمّا أحوال الأنبياء عليهم السلام فإذا سمع منها كيف كذّبوا وضُربوا وقُتل بعضهم ، فليفهم منه صفة استغناء الله تعالى عن الرسل والمرسل إليهم وأنّه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه و إذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله و إرادته لنصرة الحقّ .

و أمّا أحوال المكذّبين كعاد و ثمود و ما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته و نقمته وليكن حظّه منه الاعتبار في نفسه و أنّه إن غفل و أساء الأدب و اغترّ بما اُمهل فربما يدركه النقمة و تنفذ فيه القضيّة ، و كذلك إذا سمع وصف الجنّة و النّار و سائر ما في القرآن ، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لأنّ ذلك لا نهاية له و إنّما لكلّ عبد منه بقدر رزقه « ولا رطب و لا يابس إلّا في كتاب مبين »[2] « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي و لوجئنا بمثله مدداً »[3] ، ولذلك قال عليّ عليه السلام : « لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب »[4] فالغرض ممّا ذكرناه التنبيه على طريق التفهّم لينفتح بابه فأمّا الاستقصاء فلا مطمع فيه و من لم يكن له فهم ما في القرآن و لو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى : « و منهم من يستمع إليك حتّى إذا خرجوا من عندك قالوا للّذين اُوتوا العلم ما ذا قال آنفاً » فقال تعالى : « اُولئك الّذين طبع الله على قلوبهم »[5] والطابع هو الموانع الّتي سنذكرها في معاني الفهم ، وقد قيل : لا يكون المريد مريداً حتّى يجد في القرآن كلّ ما يريد ، و يعرف منه النقصان من المزيد ، و يستغني بالمولى عن العبيد .

(١) يس : ٧٧ . (٢) الانعام : ٥٩ . (٣) الكهف : ١٠٩ .
(٤) ما عثرت على أصل له . (٥) سورة محمد : ١٦ .

السادس التخلّي عن موانع الفهم فإنّ أكثر النّاس منعوا من فهم معاني القرآن لأسباب و حجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال صلى الله عليه وآله : « لو لا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت »[1].

و معاني القرآن من جملة الملكوت و كلّ ما غاب عن الحواسّ و لم يدرك إلّا بنور البصيرة فهو من الملكوت ؛ وحجب الفهم أربعة :

أوّلها أن يكون الهمّ منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها وهذا يتولّى حفظه شيطان وكّل بالقرآن ليصرفهم عن معاني كلام الله و لا يزال يحملهم على ترديدالحرف ، يخيّل إليهم أنّه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمّله مقصوراً على مخارج الحروف فأنّى ينكشف له المعاني ، و أعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس .

ثانيها أن يكون مقلّداً لمذهب سمعه بالتقليد و جمد عليه وثبت في نفسه التعصّب له بمجرّد الاتّباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة و مشاهدة فهذا شخص قيّده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه فإن لمع برقٌ على بُعد وبدا له معنى من المعاني الّتي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة ، و قال : كيف يخطر هذا ببالك و هو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه و يحترز عن مثله ؛ و بمثل هذا قالت الصوفيّة : إنّ العلم حجاب ، و أرادوا بالعلم العقائد الّتي استمرّ عليها أكثر النّاس بمجرّد التقليد أوبمجرّد كلمات جدليّة حرّرها المتعصّبون للمذاهب وألقوها إليهم ، فأمّا العلم الحقيقيّ الّذي هو الكشف و المشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجاباً و هو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلاً فيكون مانعاً كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكّن و الاستقرار ، فإن خطر له مثلاً في القدّوس أنّه المقدّس عن كلّ ما يجوز على خلقه لم يمكّنه تقليده من أن يستقرّ ذلك في نفسه ، و لو استقرّ ذلك في نفسه لانجرّ إلى كشف ثان و ثالث و لتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل

---

(١) مر الخبر سابقاً عن الخطيب وغيره .

وقديكون حقّاً ويكون أيضاً مانعاً من الفهم والكشف لأنّ الحق الّذي كلّف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدءٌ ظاهر و غورٌ باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه من الفرق بين العلم الباطن و الظاهر في كتاب قواعد العقائد .

ثالثها أن يكون مصرّاً على ذنب أو متّصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدّنيا مطاع فإنّ ذلك سبب ظلمة القلب و صدئه و هو كالخبث على المرآة فيمنع جليّة الحقّ من أن يتجلّى فيه و هو أعظم حجاب للقلب و به حجب الأكثرون و كلّما كانت الشهوات أشدّ تراكماً كانت معاني الكلام أشدّ احتجاباً و كلّما خفّ عن القلب أثقال الدّنيا قرب تجلّي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة و الشهوات مثل الصدء و معاني القرآن مثل الصور الّتي تتراءى في المرآة و الرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال ﷺ : « إذا عظّمت اُمّتي الدنيار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي »(١) قال الفضيل : يعني حرموا فهم القرآن و قد شرط الله الإنابة في الفهم والتذكّر ، وقال : « تبصرة وذكرى لكلّ عبد منيب »(٢) وقال : « و ما يتذكّر إلّا من ينيب »(٣) ، وقال : « إنّما يتذكّر اُولو الألباب »(٤) فالّذي آثر غرور الدّنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب فلذلك لاينكشف له أسرار الكتاب .

رابعها أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً و اعتقد أنّه لا معنى لكلمات القرآن إلّا ما تناوله النقل عن ابن عبّاس و مجاهد و غيرهما و أنّ ما وراء ذلك تفسير بالرأي وأنّ من فسّر القرآن برأيه فقد تبوّأ مقعده من النّار ، فهذا أيضاً من الحجب العظيمة وسنبيّن معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع وأنّ ذلك لايناقض قول عليّ عليه السلام : « إلّا أن يؤتي الله العبد فهماً في القرآن » و أنّه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه .

---

(١) قال العرقي : أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الامر بالمعروف مفصلا من حديث الفضيل بن عياض .

(٢) ق : ٨ . (٣) المؤمن : ١٣ .

(٤) الرعد : ٢١ و الزمر : ٩ .

السابع التخصيص و هو أن يقدّر أنّه المقصود بكلّ خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً قدّر أنّه هو المنهيّ و المأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأوّلين والأنبياء علم أنّ السمر[1] غير مقصود وإنّما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه فما من قصّة في القرآن إلّا وسياقها لفائدة في حقّ النبيّ واُمّته ولذلك قال تعالى: «ما نثبّت به فؤادك[2]» فليقدّر العبد أنّ الله تعالى يثبّت فؤاده بما يقصّه عليه من أحوال الأنبياء و صبرهم على الإيذاء و ثباتهم في الدّين لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما اُنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة بل هو شفاء وهدى ورحمة و نور للعالمين، ولذلك أمر الله تعالى الكافّة بشكر نعمة الكتاب فقال: «و اذكروا نعمة الله عليكم و ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة»[3] و قال: «لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم»[4] «وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم»[5] «كذلك يضرب الله للناس أمثالهم»[6] «واتّبعوا أحسن ما اُنزل إليكم من ربّكم»[7] «هذا بصائر للنّاس وهدى ورحمة لقوم يوقنون»[8] «هذا بيان للناس وهدى و موعظة للمتّقين[9]» وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد القارىء مقصود فيماله ولسائر الناس فليقدّر أنّه المقصود، قال تعالى: «و اُوحي إليّ هذا القرآن لاُنذركم به و من بلغ[10]».

قال محمّد بن كعب القرظيّ من بلغه القرآن فكأنّما كلّمه الله تعالى و إذا قدّر ذلك لم يتّخذ دراسة القرآن عمله بل قرأه كما يقرء العبد كتاب مولاه الّذي كتب إليه ليتأمّله ويعمل بمقتضاه، ولذلك قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربّنا بعهوده نتدبّرها في الصلوات و نقف عليها في الخلوات و ننفذها في الطاعات بالسّنن المتّبعات، وكان مالك بن دينار يقول: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟ إنّ القرآن ربيع

---

(١) اى حديث الليل. (٢) هود: ١٢٠.
(٣) البقرة: ٢٣١. (٤) الانبياء: ١٠.
(٥) النحل: ٤٤. (٦) سورة محمد: ٣.
(٧) الزمر: ٥٥. (٨) الجاثية: ٢٠.
(٩) آل‌عمران: ١٣٨. (١٠) الانعام: ١٩.

المؤمن كما أنّ الغيث ربيع الأرض، و قال قتادة : لم يجالس أحدٌ القرآن إلّا قام بزيادة أونقصان ، قال الله تعالى : « هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً » (١).

الثامن التأثّر وهو أن يتأثّر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كلّ فهم حال ووجد ووجل يتّصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها ، و مهما تمّت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فانّ التضييق غالب على آيات القرآن ، فلاترى ذكر المغفرة و الرّحمة إلّا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله : « و إنّي لغفّار » ثمّ إتباعه ذلك بأربعة شروط « لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثمّ اهتدى » (٢) و قوله تعالى : « و العصر * إنّ الإنسان لفي خسر * إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات و تواصوا بالحقّ و تواصوا بالصبر » (٣) ذكر أربع شرائط و حيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال : « إنّ رحمة الله قريب من المحسنين » (٤) فالإحسان يجمع الكلّ و هكذا من يتصفّح القرآن من أوّله إلى آخره و من فهم ذلك فجديرٌ بأن يكون حاله الخشية و الحزن ، و لذلك قيل : و الله ما أصبح اليوم عبدٌ يتلو هذا القرآن يؤمن به إلّا كثر حزنه ، وقلّ فرحه ، و كثر بكاؤه ، وقلّ ضحكه ، و كثر نصبه وشغله ، وقلّت راحته و بطالته ، وقال وهيب بن الورد : نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أردّ (٥) للقلوب ولا أشدّ استجلاباً للحزن من قراءة القرآن وتفهّمه وتدبّره ، فتأثّر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوّة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنّه يكاد يموت وعند التوسيع و وعد المغفرة يستبشر كأنّه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته وعند ذكر الكفّار وما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله ولداً وصاحبة يغضّ صوته وينكسر في باطنه حياءً من قبح مقالهم ، وعند وصف الجنّة ينبعث بباطنه شوقاً إليها وعند وصف النّار ترتعد فرائصه خوفاً منها ولما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لابن مسعود : « اقرأ عليّ قال : فافتتحت سورة النساء فلمّا بلغت « فكيف إذا جئنا من

(١) الاسراء : ٨٢ . (٢) طه : ٨٢ .
(٣) العصر : ٢-٤ . (٤) الاعراف : ٥٦ .
(٥) في الاحياء [أرق] .

كلّ أُمّة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيداً [١] » رأيت عينيه تذرفان بالدّمع فقال لي حسبك الآن» وهذا لأنّ مشاهدة تلك الحالةاستغرقت قلبه بالكلّيّة ولقدكان في الخائفين من خرّمغشيّاً عليه عند سماع آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فبمثل هذه الأهوال يخرج عن أن يكون حاكياً في كلامه ، فإذا قال : «إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم[٢]» فإذا لم يكن خائفاً كان حاكياً ، وإذا قال : « عليك توكّلنا وإليك أنبنا [٣] » ولم يكن حاله التوكّل والإنابة كان حاكياً ، و إذا قرأ « ولنصبرنّ على ما آذيتمونا[٤] » فليكن حاله الصبرأوالعزيمة عليه حتّى يجدحلاوة التلاوة ، فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردّد قلبه بين هذه الحالات كان حظّه من التلاوة حركة اللّسان مع صريح اللّعن على نفسه في قوله : « ألا لعنة الله على الظالمين [٥] » وفي قوله : « كبرمقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون [٦]» و في قوله : « وهم في غفلة معرضون »[٧] و في قوله : « فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحيوة الدّنيا[٨]» وفي قوله : « ومن لم يتب فأُولئك هم الظالمون »[٩] إلى غير ذلك و كان داخلاً في معنى قوله تعالى : « و منهم أُمّيّون لايعلمون الكتاب إلّا أمانيّ »[١٠] يعني التلاوة المجرّدة ، وفي قوله : «وكأيّن من آية في السماوات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون [١١] » لأنّ القرآن هو المبيّن لتلك الآيات في السماوات والأرض ، ومهماتجاوزها ولم يتأثّر بهاكان معرضاً عنها ولذلك قيل : إنّ من لم يكن متّصفاً بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه تعالى: مالك

---

(١) الاية فيسورة النساء : ٤٠ والخبر أخرجه ابن أبي شيبة و أحمد و عبد بن حميد والبخارى والترمذى والنسائى وابن المنذر وابن أبيحاتم والبيهقى فىالدلائل من طرقعن ابنمسعود وأخرج مثله الحاكم فى المستدرك وصححه عن عمروبن حريث كمافى الدرالمنثور ج ٢ ص ١٦٣ .

(٢) الانعام : ١٥ والزمر : ١٣ .
(٣) الممتحنة : ٤ .
(٤) ابراهيم: ١٢ .
(٥) هود : ١٨ .
(٦) الصف : ٣ .
(٧) الانبياء : ٢ .
(٨) النجم : ٢٩ .
(٩) الحجرات : ١١ .
(١٠) البقرة : ٧٨ .
(١١) يوسف : ١٠٥ .

ولكلامي وأنت معرضٌ عنّي ، دع عنك كلامي إن لم تنب إليّ ، و مثال العاصي إذا قرأ القرآن و كرّره مثال من يكرّر كتاب الملك كلّ يوم مرّات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغولٌ بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعلّه لو ترك الدّراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ، ولذلك قال يوسف بن أسباط : إنّي لأهمّ بقراءة القرآن وإذا ذكرت مافيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار ، والمعرض عن العمل به أُريد بقوله تعالى : « فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون»(١) ولذلك قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرؤونه » وفي بعضها « فإذا اختلفتم فقوموا عنه » (٢) و قال تعالى : « الّذين إذا ذكر الله و جلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً و على ربّهم يتوكّلون » (٣) و قال ﷺ : « إنّ أحسن الناس صوتاً بالقرآن الّذي إذا سمعته يقرء أُريت أنّه يخشى الله عزّ وجلّ (٤) » وقال : أيضاً : « لايسمع القرآن من أحد أشهى منه ممّن يخشى الله تعالى(٥)» .

فالقرآن إنّما يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب وللعمل به و إلّا فالمؤونة في تحريك اللّسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القرّاء : قرأت القرآن على شيخ لي ثمّ رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرني وقال : جعلت القراءة عليّ عملاً اذهب فاقرء على الله عزّوجلّ فانظر بماذا يأمرك وعمّاذا ينهاك و ماذا يفهمك ، ولهذا كان شغل الصحابة في الأحوال والأعمال ، فمات رسول الله ﷺ عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلّا ستّة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة و السورتين ، و كان الّذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم ، ولماجاء واحدٌ ليتعلّم القرآن وانتهى إلى قوله :

(١) آل عمران : ١٨٧ .
(٢) أخرجه البخاري ج ٦ ص٢٤٤ ، والدارمي ج ٢ ص ٢٤١ .
(٣) الانفال : ٣.
(٤) رواه الدارمي ج ٢ ص ٤٧١ عن مسعر عن عبدالكريم بلفظ آخر.
(٥) قال العراقي : رواه أبوعبدالله الحاكم فيما ذكره ابوالقاسم الغافقي في كتاب فضائل القرآن .

« فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره[١]» فقال : يكفيني هذا وانصرف فقال (ص) انصرف الرّجل وهو فقيه[٢]» فإنّما العزيزمثل تلك الحالة الّتي يمنّ الله بها على القلب عقيب فهم الآية فأمّا مجرّد حركة اللّسان فقليل الجدوى بل التالي باللّسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله : « و من أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيمة أعمى»[٣] و بقوله تعالى : « كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى »[٤] أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فإنّ المقصّر في الأمر يقال : إنّه نسي الأمر ، وتلاوة القرآن حقّ تلاوته أن يشترك فيه اللّسان والعقل والقلب فحظّ اللّسان تصحيح الحروف بالترتيل ، و حظّ العقل تفسير المعاني ، وحظ القلب الاتّعاظ والتأثّر بالانزجار والائتمار ، فاللّسان واعظ والعقل مترجم والقلب متّعظ .

التاسع الترقّي وأعني به أن يترقّى إلى أن يسمع الكلام من الله تعالى لامن نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدّر العبد كأنّه يقرؤه على الله تعالى واقفاً بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عندهذا التقدير السؤال والتملّق والتضرّع والابتهال؛ الثانية أن يشهد بقلبه كأنّ ربّه يخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه ، فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء و الفهم ؛ الثالثة أن يرى في الكلام المتكلّم و في الكلمات الصفات فلاينظر إلى نفسه ، ولا إلى قراءته ، و لا إلى تعلّق الإنعام به من حيث إنّه منعم عليه ، بل يكون مقصور الهمّ على المتكلّم موقوف الفكر عليه كأنّه مستغرق بمشاهدة المتكلّم عن غيره وهذه درجة المقرّبين وما قبله من درجات أصحاب اليمين و ما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين ، وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقال : « والله لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لايبصرون» [٥] .

(١) الزلزال : ٧ و ٨ .

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك ج ٢ ص٥٣٢ بادنى اختلاف فى اللفظ .

(٣) طه : ١٢٤ .

(٤) طه : ١٢٦.

(٥) نقله الشهيد فيأسرار الصلاة ص ٢٠٤.

وقال أيضاً : وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتّى خرّ مغشيّاً عليه فلمّا سُرّي عنه قيل له في ذلك ، فقال : مازلت اُردّد الآية على قلبي و على سمعي حتّى سمعتها من المتكلّم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ، وفي مثل هذه الدّرجة تعظم الحلاوة ولذّة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء : كنت أقرء القرآن فلا أجدله حلاوة حتّى تلوته كأنّني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله يتلوه على أصحابه ، ثمّ رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأنّني أسمعه من جبرئيل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ جاء الله تعالى بمنزلة اُخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلّم به فعندها وجدت له لذّة ونعيماً لاأصبرعنه .

وقال حذيفة : لوطهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن و ذلك لأنّها بالطهارة يترقّى إلى مشاهدة المتكلّم في الكلام ولذلك قال ثابت البنانيّ :كابدت القرآن عشرين سنة وتنعّمت به عشرين سنة ، وبمشاهدة المتكلّم دون ماسواه يكون العبد ممتثلاً لقوله تعالى : « ففرّوا إلى الله (١)» ولقوله : « ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر (٢) » فمن لم يره في كلّ شيء فقد رأى غيره ، و كلّ ما التفت إليه العبد تضمّن التفاته شيئاً من الشرك الخفيّ ، بل التوحيد الخالص أن لايرى في كلّ شيء إلّاالله .

العاشرُ التبرّي وأعني به أنّه يتبرّى عن حوله و قوّته والالتفات إلى نفسه بعين الرّضا والتزكية فإذاتلاآيات الوعدوالمدح للصالحين فلايشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين و الصدّيقين فيها و يتشوّق أن يلحقه الله بهم ، و إذا تلاآية المقت و ذمّ العصاة والمقصّرين شهد نفسه هناك وقدّرأنّه المخاطب خوفاً وإشفاقاً » .

أقول : وإلى هذا أشارأميرالمؤمنين عليه السلام في الخطبة الّتي يصف فيهاالمتّقين بقوله : « إذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، و ظنّوا أنّ زفير جهنّم في آذانهم (٣) » .

قال أبوحامد : « فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فإنّ من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتّى يسوقه إلى درجة اُخرى في القرب

(١) الذاريات : ٥٠ . (٢) الذاريات : ٥١ :
(٣) النهج : خطبة ١٩١ .

وراءها ومن شهد القرب في البعد مكر به بالأمن الّذي يفضيه إلى درجة اُخرى في البعد أسفل ممّا هو فيه ، ومهما كان شاهداً نفسه بعين الرضا صار محجوباً بنفسه و إذا جاوز حدّ الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلّا الله في قراءته انكشف له الملكوت بحسب أحواله ، فحيث يتلو آيات الرجاء [1] ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنّة فيشاهدها كأنّه يراها عياناً ، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنّار حتّى يرى أنواع عذابها وذلك لأنّ كلام الله يشتمل على السهل اللّطيف والشديد العسوف و المرجوّ والمخوف و ذلك بحسب أوصافه إذ منها الرّحمة و اللّطف و الانتقام و البطش ، فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات ينقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كلّ حالة منها يستعدّ للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحداً والمسموع مختلف إذ فيه كلام راض ، و كلام غضبان و كلام منعم ، و كلام منتقم ، و كلام جبّار متكبّر لا يبالي و كلام حنّان متعطّف لا يهمل ».

(فصل)

أقول : وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرقّ قلبه ولم ينشىء حزناً ووجلاً في سرّه فقد استهان بعظم شأن الله و خسر خسراناً مبيناً ، فقارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء : قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال ، فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم قال الله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم »[2] وإذا تفرّغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن و فوائده ، و إذا اتّخذ مجلساً خالياً و اعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الاُوليين استأنس روحه وسرّه بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين و علم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته وبدائع إشاراته ، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً ولا على ذلك الوقت وقتاً بل يؤثره على كلّ طاعة

(١) في بعض النسخ [آيات الرحمة] .
(٢) النحل : ٩٨ .

وعبادة لأنّ فيه المناجاة مع الرّبّ بلاواسطة ، فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك و منشور ولايتك و كيف تجيب أوامره ونواهيه و كيف تمتثل حدوده فإنّه كتابٌ عزيزٌ لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فرتّله ترتيلاً وقف عند و عده ووعيده وتفكّر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده»[١].

﴿ الباب الرابع ﴾

(في فهم القرآن و تفسيره بالرأى من غير نقل)

لعلّك تقول عظّمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن بما ينكشف لأرباب القلوب الزكيّة من معانيها فكيف يستحب ذلك و قد قال ﷺ : « من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النار »[٢] وعلى هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصرّف من المنسوبين إلى التصوّف في تأويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عبّاس و سائر المفسّرين وذهبوا إلى أنّه كفر ، فإن صحّ ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصحّ ذلك فما معنى قوله ﷺ : « من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النّار » .

فاعلم أنّه من زعم أن لا معنى للقرآن إلّا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدّ نفسه وهو مصيب في الإخبار عن نفسه ، و لكنّه مخطىء في الحكم بردّ الخلق كافّة إلى درجته الّتي هي حدّه و محطّه ، بل الأخبار و الآثار تدلّ على أنّ في معاني القرآن متّسعاً لأرباب الفهم قال عليّ عليه السلام : « إلّا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن »[٣] فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟ .

(١) مصباح الشريعة الباب الرابع عشر .

(٢) أخرجه الترمذى ج ١١ ص٦٧ بالفاظ مختلفة عن ابن عباس و رواه الصدوق في الغنية في حديث طويل عن النبى صلى الله عليه وآله بلفظ آخر.

(٣) قد مر آنفاً .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ للقرآن ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلعاً »(١) ويروى أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحدّ والمطلع ؟

و قال عليّ عليه السلام : لوشئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب ، فما معنى ذلك ؟ و تفسير ظاهرها في غاية الاختصار .

وقال أبو الدّرداء : لايفقه الرجل حتّى يجعل للقرآن وجوهاً .

و قدقال بعض العلماء : لكلّ آية ستّون ألف فهم و مابقي من فهمها أكثر .

و قال آخر : القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي ألف علم ، لكلّ كلمة علم ، ثمّ يتضاعف ذلك أربعاً إذ لكلّ واحد ظاهر وباطن وحدّ ومطلع ، وترديد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بسم الله الرّحمن الرّحيم » عشرين مرّة (٢) لا يكون إلّا لتدبّره باطن معانيه و إلّا فترجمته و تفسيره ظاهر لايحتاج مثله إلى تكريره ، وقول ابن مسعود : من أراد علم الأوّلين والآخرين فليثوّر القرآن ؛ و ذلك لا يحصل بمجرّد تفسيره الظاهر ، وبالجملة فالعلوم كلّها داخلة في أفعال الله تعالى و صفاته ، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لانهاية لها ، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمّق في تفصيله راجعة إلى فهم القرآن ، و مجرّد ظاهر التفسير لايشير إلى ذلك ، بل كلّ ما أشكل على النظّار واختلف فيه الخلائق في النظريّات والمعقولات ففي القرآن رموز إليه ودلالات عليه و يختصّ أهل الفهم بدركه فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره و تفسيره ، ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « اقرؤوا القرآن والتمسوا غرائبه » (٣).

---

(١) قال العراقي : أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه . أقول : و رواه العياشي بلفظ آخر في تفسيره كما في تفسير البرهان ج ١ ص ٢٠ و قد مر في المجلد الاول .

(٢) قال العراقي : أخرجه أبوذر الهروي في معجمه من حديث ابي هريرة بسند ضعيف .

(٣) كذا ولعله تصحيف لان الخبر أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي عن أبي هريرة هكذا « اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » وللحاكم في المستدرك مثله كما في الجامع الصغير باب الالف .

وقال في حديث علي ﷺ[1] « والّذي بعثني بالحق لتفترقنّ اُمّتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتي وسبعين فرقة كلّها ضالّة مضلّة يدعون إلى النّار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله تعالى فإنّ فيه نباء ما كان قبلكم ، ونباء ما يأتي بعدكم ، وحكم ما بينكم ، من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضلّه الله ، هو حبل الله المتين ونوره المبين و شفاؤه النافع ، عصمة لمن تمسّك به ، ونجاة لمن اتّبعه ، لا يعوج فيقام ، ولا يزيغ فيستقيم ، ولا ينقضي عجائبه ، ولا يخلقه كثرة الردّ ، الحديث .

وفي حديث حذيفة لمّا أخبره رسول الله ﷺ بالاختلاف والفرقة بعده قال : فقلت : « يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك ؟ قال : تعلّم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك » قال : فأعدت ذلك عليه ثلاثاً فقال ثلاثاً : تعلّم كتاب الله تعالى واعمل بما فيه ففيه النجاة »[2].

وقال عليّ ﷺ : « من فهم القرآن فسّر جمل العلم »[3] أشار به إلى أنّ القرآن مشيرٌ إلى مجامع العلوم كلّها .

و قال ابن عبّاس في قوله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد اُوتي خيراً كثيراً »[4] يعني الفهم في القرآن وقال الله سبحانه : « ففهّمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً »[5] سمّى ما آتاهما علماً وخصّص ما انفرد سليمان بالتفطّن له باسم الفهم و جعله مقدّماً على العلم والحكمة .

فهذه اُمورٌ تدلّ على أنّ في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً و متّسعاً بالغاً وأنّ المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك منه .

و أمّا قوله ﷺ : « من فسّر القرآن برأيه » و نهيه عنه و قول بعض أصحابه : أيّ أرض تقلّني وأيّ سماء تظلّني إذا قلت في القرآن برأيي إلى غير ذلك ممّا ورد في الآثار

---

(١) مقدمة تفسير مجمع البيان الفن السادس رواه عن الحارث الاعور عنه عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله . و أخرجه الترمذى ج ١١ ص ٣٠ دون ذكر افتراق الامة .

(٢) راجع مسند احمد ج ٥ ص ٣٨٦ و ٣٨٨ و ٣٩٠ ، وصحيح مسلم ج٨ ص١٧٣ .

(٣) ماعثرت على أصل له .

(٤) البقرة : ٢٦٩ .

(٥) الانبياء : ٧٩ .

والأخبار من النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلو إمّا أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمر آخر وباطلٌ قطعاً أن يكون المراد به أن لا يتكلّم أحدٌ في القرآن إلّا بما سمعه لوجوه :

أحدها أنّه يشترط أن يكون ذلك مسموعاً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و مسنداً إليه و ذلك ممّا لا يصادف إلّا في بعض القرآن فأمّا ما يقوله ابن عبّاس و ابن مسعود من عند أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ويقال : هو تفسير بالرأي لأنّكم لم تسمعوه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكذا غيرهم من الصّحابة .

والثاني أنّ الصحابة والمفسّرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ، وسماع جميعها من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم محال ، ولو كان الواحد مسموعاً لترك الباقي فتبيّن على القطع أنّ كلّ مفسّر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتّى قالوا : في الحروف الّتي في أوائل السور سبعة أقاويل فقيل : « آلر » هي حروف « الرّحمن » وقيل : إنّ « الألف » الله ، و« اللّام » لطيف ، و « الراء » رحيم ، وقيل غير ذلك ، والجمع بين الكلّ غير ممكن فكيف يكون الكلّ مسموعاً .

والثالث أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم دعا لابن عبّاس و قال : « اللّهمّ فقّهه في الدّين ، و علّمه التأويل »[1] فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك ؟ .

والرّابع أنّه تعالى قال : « ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى اُولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم »[2] أثبت لأهل العلم استنباطاً ، و معلوم أنّه وراء السماع ، و جملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال ، فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكلّ واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه و حدّ عقله » .

أقول : التكلّم الممنوع منه في القرآن بغير سماع إنّما هو التفسير الّذي هو عبارة عن كشف المراد عن اللّفظ المشكل أو التأويل الّذي هو عبارة عن ردّ أحد محتملي اللّفظ

(١) أخرجه البخاري ج ٥ ص ٣٤ بلفظ « اللهم علمه الحكمة » وفي آخر « علمه الكتاب » وفي الاستيعاب في ترجمته : « اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن » وصحح اسناده .
(٢) النساء : ٨٣ .

إلى ما يطابق الآخر دون تجويز أن يكون في الكلام إشارة إلى معنى آخر غير معناه المراد منه ثبت حقيّته بدليل آخر على سبيل الاحتمال من دون جزم ولاحصر فيه إن لاحرج في مطلق ذلك بل في بعض أفراده كما يأتي تحقيقه في كلامه .

وأمّا الوجوه الّتي ذكرها فلا يتمشّى شيء منها على طريقتنا .

أمّا الأوّل فلأنّا نشترط السماع إمّا من رسول الله أو من أحد من الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين المرادين بالرّاسخين في العلم في قوله سبحانه : « و ما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم» وقد صادفنا ذلك فيما لابدّ لنا من تعلّمه من الآيات فيما ورد من أحاديثهم عليهم السلام وهو يكفينا ولا حجّيّة لنا في قول غيرهم ولا حاجة .

و أمّا الثاني فلأنّا نسلّم أن أقوال الصحابة و المفسّرين كلّها غير مسموعة من الرسول صلى الله عليه وآله و أنّ ذلك هو سبب الاختلاف و لكنّا لا نعتمد على شيء منها لعدم الحجّيّة فيها .

و أمّا الثالث فلأنّ الدّعاء إنّما ورد في شأن أمير المؤمنين عليه السلام و إن صحّ وروده في شأن ابن عبّاس أيضاً فيجوز أن يكون التأويل فيه بالمعنى الأخير أو يكون دعاء له بالتوفيق لسماع التأويل من أهله و فهمه عنهم عليهم السلام .

و أمّا قوله : « و جملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال » فهو كلام صحيح و الآثار من طريق الخاصّة في هذا المعنى أيضاً كثيرة طويناها خوفاً من الإطناب .

قال : « و أمّا النهي فإنّه ينزل على أحد وجهين أحدهما أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيأوّل القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتجّ على تصحيح غرضه و لو لم يكن له ذلك الرأي و الهوى لكان لايلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالّذي يحتجّ ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته و هو يعلم أنّه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبّس به على خصمه و تارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الّذي يوافق غرضه و يترجّح ذلك الجانب برأيه و هواه فيكون قد فسّر القرآن برأيه أي رأيه هو الّذي حمله على ذلك التفسير

و لولا رأيه لما كان يترجّح عنده ذلك الوجه ، و تارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن و يستدلّ عليه بما يعلم أنّه ما أُريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدلّ بقوله عليه الصلاة والسلام «تسحّروا فإنّ السحور بركة»[(١)] ويزعم أنّ المراد به التسحّر بالذكر وهو يعلم أنّ المراد به الأكل و كالّذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول : قال الله تعالى : « اذهب إلى فرعون إنّه طغى »[(٢)] ويشير إلى قلبه ويومي إلى أنّه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعّاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام و ترغيباً للمستمع و هو ممنوع و قد يستعمله الباطنيّة في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس و دعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزّلون القرآن على وفق رأيهم على أُمور يعلمون قطعاً أنّه غير مراد به ، فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح و الرأي يتناول الصحيح و الفاسد و الموافق للهوى قد يخصّص باسم الرأي . الوجه الثاني أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّة من غير استظهار بالسماع و النقل فيما يتعلّق بغرائب القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة و المبدّلة و ما فيها من الاختصار و الحذف و الإضمار و التقديم و التأخير فمن لم يُحكم ظاهر التفسير و بادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العربيّة كثر غلطه و دخل في زمرة من يفسّر بالرأي فالنقل والسماع لابدّ منه في ظاهر التفسير أوّلاً ليتّقي مواضع الغلط ، ثمّ بعد ذلك يتّسع التفهّم و الاستنباط و الغرائب الّتي لا تفهم إلّا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدلّ بها على أمثالها ، و يعلم أنّه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أوّلاً ، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، و من ادّعى فهم أسرار القرآن و لم يحكم التفسير فهو كمن يدّعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدّعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فإنّ ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللّغة الّتي لا بدّ منها للفهم وما لابدّ فيها من السماع فنون كثيرة :

---

(١) الخبر رواه البخارى ومسلم عن انس بن مالك فى كتاب الصوم وقد مرفى المجلد الاول وأخرجه الطيالسى ص ٢٦٨ .

(٢) طه : ٢٦ .

منها الإيجاز بالحذف والإضمار كقوله تعالى : «وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها»[١] معناه أنّها آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العربيّة يظنّ أنّ المراد به أنّ الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري أنّهم بماذا ظلموا وأنّهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم وكذلك قوله : « واُشربوا في قلوبهم العجل » [٢] أي حبّ العجل ، فحذف الحبّ ، وقوله : « إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات » [٣] أي ضعف عذاب الأحياء و ضعف عذاب الموتى ، فحذف العذاب و اُبدل الأحياء و الموتى بذكر الحياة والموت ، كلّ ذلك جائز في فصيح اللّغة .

و قوله : « و اسئل القرية الّتي كنّا فيها و العير الّتي أقبلنا فيها » [٤] أي أهل القرية والأهل محذوف مضمر، وقوله : « ثقلت في السموات والأرض»[٥] معناه : خفيت على أهل السماوات والأرض فالشيء إذا خفي ثقل فاُبدل اللّفظ واُقيم «في» مقام«على» واُضمر الأهل وحذف و قوله تعالى : « وتجعلون رزقكم أنّكم تكذّبون »[٦] أي شكر رزقكم ، و قوله : « ربّنا و آتنا ما وعدتنا على رسلك » [٧] أي على ألسنة رسلك فحذف الألسنة ، و قوله : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » [٨] أراد القرآن وما سبق له ذكر و قال : « حتّى توارت بالحجاب » [٩] أراد الشمس و ما سبق لها ذكر و قوله : « الّذين اتّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم » [١٠] أي يقولون : مانعبدهم وقوله : « فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً * ما أصابك من حسنة فمن الله و ما أصابك من سيّئة فمن نفسك » [١١] معناه لا يفقهون يقولون ما أصابك فإن لم يرد هذا كان مناقضاً لقوله تعالى : « قل كلّ من عند الله »[١٢].

و منها المنقول المنقلب كقوله : « وطور سينين » أي طور سيناء ، و قال تعالى :

(١) الاسراء : ٥٩ . (٢) البقرة : ٩٣ .
(٣) الاسراء : ٧٥ . (٤) يوسف : ٨٢ .
(٥) الاعراف : ١٨٧ . (٦) الواقعة : ٨٢ .
(٧) آل عمران : ١٩٤ . (٨) القدر : ١ .
(٩) ص : ٣٢ . (١٠) الزمر : ٢ .
(١١) و (١٢) النساء : ٧٨ و ٧٩ .

« سلام على آل ياسين » (١) أي على إلياس و قيل : إدريس لأنّ في حرف ابن مسعود « سلام على إدراسين » .

ومنها المكرّر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله : « وما يتّبع الّذين يدعون من دون الله شركاء إن يتّبعون إلّا الظنّ » (٢) و قوله : وقال الملأ الّذين استكبروا من قومه للّذين استضعفوا لمن آمن منهم » (٣) معناه قال الّذين استكبروا لمن آمن من الّذين استضعفوا .

و منها المقدّم و المؤخّر و هو مظنّة الغلط كقوله تعالى : « و لو لا كلمة سبقت من ربّك لكان لزاماً وأجل مسمّى » (٤) معناه ولولا كلمة سبقت من ربّك و أجل مسمّى لكان لزاماً و به ارتفع الأجل و لولاه لكان نصباً كاللّزام . و قوله تعالى : « يسألونك كأنّك حفيّ عنها » (٥) أي يسألونك عنها كأنّك حفيّ . و قوله : « لهم درجات عند ربّهم و مغفرة و رزق كريم * كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ » (٦) فهذا كلام غير متّصل وإنّما هو عائد إلى قوله السابق : « قل الأنفال لله و الرسول » (٧) « كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ » أي فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راض بخروجك و هم كارهون ، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ، ومن هذا النوع قوله : « حتّى تؤمنوا بالله وحده إلّا قول إبراهيم لأبيه » (٨) .

و منها المبهم و هو اللّفظ المشترك بين معان في كلمة أو حرف ، أمّا الكلمة فالشيء والقرين والأمّة والرّوح ونظائرها قال الله تعالى : « ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء » (٩) أراد به النفقة ممّا رزق ، وقوله : « و ضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء » (١٠) أي الأمر بالعدل والاستقامة ، وقوله : « فإن اتّبعتني فلا تسألني عن شيء » (١١) أراد به من صفات الرّبوبيّة و هي العلوم الّتي لا يحلّ السؤال

(١) الصافات: ١٣٠ . (٢) يونس : ٦٦ .
(٣) الاعراف : ٧٥. (٤) طه : ١٢٩ .
(٥) الاعراف : ١٨٧ . (٦) الانفال : ٤ و٥ .
(٧) الانفال : ٢ . (٨) الممتحنة :٤ .
(٩)و(١٠) النحل : ٧٥ و ٧٦ . (١١) الكهف : ٧٠ .

عنها حتّى يبتدىء العارف بها في أوان الاستحقاق ، وقوله : « أم خُلقوا من غير شيء »[١] أي من غير خالق فربما يتوهّم به أنّه يدلّ على أنّه لا يخلق شيء إلّا من شيء .

و أمّا القرين فقوله تعالى : « و قال قرينه هذا ما لديّ عتيد »[٢] أراد الملك الموكّل به ، و قوله : « قال قرينه ربّنا ما أطغيته »[٣] أراد به الشيطان ، وأمّا الأمّة فتطلق على ثمانية أوجه : الأُمّة الجماعة كقوله : « وجد عليه أُمّة من الناس يسقون »[٤] وأتباع الأنبياء كقولك « نحن من أُمّة محمّد » ، و رجلٌ جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى : « إنّ إبراهيم كان أُمّة قانتاً لله »[٥] ، و الأُمّة الدّين كقوله تعالى : « إنّا وجدنا آباءنا على أُمّة »[٦] ، والأُمّة الحين و الزمان كقوله تعالى : « إلى أُمّة معدودة »[٧] ، وقوله تعالى : « و ادّكر بعد أُمّة »[٨] ، والأُمّة القامة يقال : « فلان حسن الأُمّة » أي القامة ، و أُمّة رجل متفرّد بدين لا يشركه فيه أحد ، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : « يبعث زيد ابن عمرو بن نفيل أُمّة وحدة »[٩] ، والأُمّة الأُمّ يقال : « هذه أُمّة زيد » أي أُمّ زيد .

و الروح أيضاً ورد في القرآن لمعان كثيرة فلا نطوّل بإيرادها .

و كذلك قد يقع الإبهام في الحروف مثل قوله تعالى : « فأثرن به نقعاً * فوسطن به جمعاً »[١٠] فالهاء الأُولى كناية عن الحوافر وهي الموريات أثرن بالحوافر نقعاً ، و الثانية كناية عن الإغارة وهي « المغيرات صبحاً » وسطن به جمع المشركين فأغاروا بجمعهم وقوله تعالى : « فأنزلنا به الماء »[١١] يعني بالسحاب ، « فأخرجنا به من كلّ الثمرات » يعني بالماء ، و أمثال هذا في القرآن لا تنحصر .

ومنها التدريج في البيان كقوله تعالى : « شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن »[١٢]

---

(١) الطور : ٣٥ .
(٢) ق : ٢٣ .
(٣) ق : ٢٧ .
(٤) القصص : ٢٣ .
(٥) النحل : ١٢٠ .
(٦) الزخرف : ٢٣ .
(٧) هود : ٨ .
(٨) يوسف : ٤٥ .
(٩) اسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٦ .
(١٠) العاديات : ٤ و ٥ .
(١١) الاعراف : ٥٧ .
(١٢) البقرة : ١٨٥ .

إذ لم يظهر به أنّه ليل أو نهار وبان بقوله : « إنّا أنزلناه في ليلة مباركة »[١] و لم يظهر أنّه في أي ليلة و ظهر بقوله « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » [٢] و ربما يظنّ في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا و أمثاله لا يغني فيه إلّا النقل و السماع و القرآن من أوّله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنّه اُنزل بلغة العرب وكان مشتملاً على أصناف كلامهم من إيجاز و تطويل و إضمار و حذف و إبدال و تقديم و تأخير ليكون ذلك مفحماً لهم و معجزاً في حقّهم ، فكلّ من اكتفى بفهم ظاهر العربيّة وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع و النقل في هذه الاُمور فهو داخلٌ فيمن فسّر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الآية المعنى الأشهر منها فيميل طبعه ورأيه إليه فإذا سمعه في موضع آخر مال رأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه و ترك تتبّع النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منهيّاً دون التفهّم لأسرار المعاني كما سبق ، فإذا حصل السماع بأمثال هذه الاُمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ، و لا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني .

ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أنّ الله تعالى قال : « وما رميت إذ رميت و لكنّ الله رمى »[٣] . فظاهر تفسيره و اضح و حقيقة معناه غامضٌ فإنّه إثبات للرّمي و نفي له وهما متضادّان في الظاهر ما لم يفهم أنّه رمى من وجه ولم يرم من وجه ، ومن الوجه الّذي لم يرم رماه الله و كذلك قال الله تعالى : « قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم » [٤] فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذّب و إن كان الله هو المعذّب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمدّ من بحر عظيم من علوم المكاشفات ، لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله تعالى حتّى ينكشف بعد اتّضاح اُمور كثيرة غامضة صدق قوله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى » .

ولعلّ العمر لو أنفق في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدّماته و لواحقه لا نقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه ، وما من كلمة من القرآن إلّا وتحقيقها يحوج إلى

(١) الدخان : ٣ . (٢) القدر : ٢ .
(٣) الانفال : ١٧ . (٤) التوبة : ١٤ .

مثل ذلك ، وإنّما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفّر دواعيهم على التدبّر والتجرّد للطلب ويكون لكلّ واحد حدٌّ في الترقّي إلى درجة منه ، فأمّا الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً فإنّ أسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير ، وظاهر التفسير لا يغني عنه .

ومثال فهم أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وآله في سجوده : « أعوذ برضاك من سخطك و أعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك ، لا أُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (١) أنّه قيل له : « و اسجد واقترب » (٢) فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض ، فإنّ الرّضا والسخط وصفان ، ثمّ زاد قربه فاندرج القربان الأوّل فيه فرقي إلى الذّات و قال : « أعوذ بك منك » ثمّ زاد قربه بما استحيى به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله : « لا أُحصي ثناء عليك » ثمّ علم أنّ ذلك قصور ، فقال : أنت كما أثنيت على نفسك ، فهذه خواطر تنفتح لأرباب القلوب ثمّ لها أغوار وراء هذا و هو فهم معنى القرب و اختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة و منه به ، و أسرار ذلك كثيرة ولا يدلّ تفسير ظاهر اللّفظ عليه و ليس هو مناقضاً لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره ، فهذا ما نريده بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم » .

﴿ فصل ﴾

أقول : المستفاد من كثير من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أنّ القرآن الّذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ومنه ما هو مغيّر محرّف و قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم عليّ عليه السلام في كثير من المواضع

(١) أخرجه أبوداود فى كتاب الصلاة باب الدعاء فى الركوع والسجود ج١ ص٢٠٣ ، وأخرجه مسلم ج ٢ ص ٥١ ، والترمذى ج ١٣ ص ٢٨.

(٢) العلق : ١٩ .

و منها غير ذلك، و أنّه ليس أيضاً على الترتيب المرضيّ عند الله و عند رسوله، قال عليّ ابن إبراهيم بن هاشم ـ رحمه الله ـ في تفسيره : وأمّا ما كان خلاف ما أنزل الله فهو قوله تعالى : «كنتم خير اُمّة اُخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (١) فقال أبوعبدالله عليه السلام لقارىء هذه الآية : «خير اُمّة يقتلون أمير المؤمنين والحسين ابن عليّ؟ فقيل له : فكيف نزلت يا ابن رسول الله؟ فقال : إنّما نزلت خير أئمّة اُخرجت للناس، ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية «تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله» (٢)، ومثله أنّه قرىء على أبي عبد الله عليه السلام «الّذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا و ذرّيّاتنا قرّة أعين و اجعلنا للمتّقين إماماً» فقال أبو عبدالله عليه السلام : «لقد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتّقين إماماً، فقيل له : يا ابن رسول الله كيف نزلت؟ فقال : إنّما نزلت «واجعل لنا من المتّقين إماماً» (٣). وقوله : «له معقّبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله» (٤) فقال أبو عبد الله عليه السلام : «كيف يحفظ الشيء من

(١)و(٢) آل‌عمران : ١١٠.

(٣) الاية في سورة الفرقان : ٧٥ والخبر رواه القمي تارة في مقدمة تفسيره مرسلا و اخرى كذلك في ذيل الاية وسياق الايات يأباه لان الله تعالى وصف فيها عباداً كانت مرتبتهم فوق مرتبة المتقين بدرجات راجع السورة قوله : «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً ـ الى قوله تعالى ـ حسنت مستقراً ومقاماً» يذكر فيه أوصافاً جليلة لاتجتمع جلها في أحد الا المعصومين عليهم السلام كما نص عليه الباقر عليه السلام وقال : «هذه الايات للاوصياء» راجع تفسير البرهان ج٣ ص١٧٣ فهذا السؤال ليس منهم بعظيم بل هو مقتضى مقامهم الشامخ على أن هذه الرواية تناقض الخبر الذى رواه هو مسنداً عن أبان بن تغلب عن ابى عبدالله عليه السلام قال أبان : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى : «الذين يقولون ربناهب لنامن أزواجنا ـ الاية ـ فقال : هم نحن أهل البيت» وأيضاً الخبر الذى رواه عن غيره أن المراد بازواجنا خديجة و بذرياتنا فاطمة وقرة أعين الحسن والحسين واجعلنا للمتقين اماماً على بن ابى طالب عليهم السلام. فتأمل.

(٤) الاية في سورة الرعد : ١١ والخبر أيضاً في تفسير القمي وقوله : «له معقبات» ظاهر معناه له ملائكة يتعاقبون عليه حافظين له، وقوله : «من أمر الله» يعنى بأمر الله كما نص عليه في الرواية التى رواها القمي أيضا عن أبى الجارود عن الباقر عليه السلام في ذيل الاية أيضاً فلا اشكال والعلم عندالله.

أمر الله ؟ وكيف يكون المعقّب من بين يديه ؟ فقيل له : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ فقال : إنّما اُنزلت « له معقّبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله » ومثله كثير .

وأمّا ما هو محرّف منه فهو قوله : « لكن الله يشهد بما اُنزل إليك (في عليّ) كذا نزلت « أنزله بعلمه والملائكة يشهدون » [1] وقوله : « يا أيّها الرسول بلّغ ما اُنزل إليك من ربّك (في عليّ) وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته » [2] وقوله : « إنّ الّذين كفروا وظلموا (آل محمّد حقّهم) لم يكن الله ليغفر لهم » [3] وقوله : « وسيعلم الّذين ظلموا (آل محمّد حقّهم) أيّ منقلب ينقلبون » [4] وقوله : « ترى الّذين ظلموا (آل محمّد حقّهم) في غمرات الموت » [5] ومثله كثير نذكره في مواضعه ـ انتهى كلام عليّ بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ . [6]

وعن عليّ عليه السلام أنّه قرأ عنده رجل « وطلح منضود » [7] فقال : وطلع . وماشأن الطلح وقرأ قوله تعالى : « لها طلعٌ نضيد » [8] فقيل له أو نحوّلها فقال : إنّ القرآن لا يهاج اليوم ولا يحوّل » .

وعن ابن عبّاس أنّه قيل له : « وطلح منضود » قال : لا « وطلع منضود » ومثله عن الصادق عليه السلام .

وروى في الكافي بإسناده عن ابن أبي نصر قال : « دفع إليّ أبو الحسن عليه السلام مصحفاً وقال : لا تنظر فيه ففتحته وقرأت فيه : « لم يكن الّذين كفروا » فوجدت فيها اسم

---

(١) النساء : ١٦٦ . (٢) المائدة : ٦٧ .
(٣) النساء : ١٦٨ . (٤) الشعراء : ٢٢٧ .
(٥) ليست هذه الاية بهذا اللفظ في المصحف والتي فيه هكذا في سورة الانعام :٩٣: « ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت » .
(٦) راجع مقدمة تفسيره ولايخفى عليك أن هذا الكلام هو قوله ومن حذا حذوه وعلى خلافه جم غفير من أعاظم علمائنا ، والاخبار التي رواها اكثرها ضعاف أومراسيل أو مخدوش لايحتج بها كما عرفت راجع مقدمة تفسير آلاء الرحمن للعلامة الشيخ جواد البلاغي ـ رحمه الله ـ والبيان في تفسير القرآن لسماحة آية الله السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي ص١٣٦ .
(٧) الواقعة : ٢٩ والخبر في الكشاف ذيلها . (٨) سورة (ق) : ١٠ .

سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم ، قال : فبعث إليّ ابعث إليّ بالمصحف » (١) .

و بإسناده عن سالم بن سلمة قال : قرأ رجلٌ على أبي عبد الله عليه السلام و أنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤه الناس ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : مه كفّ عن هذه القراءة اقرء كما يقرء الناس حتّى يقوم القائم فإذا قام القائم قرأ كتاب الله على حدّه وأخرج المصحف الّذي كتبه عليٌّ عليه السلام ، وقال : أخرجه عليٌّ عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه و كتبه فقال لهم : هذا كتاب الله تعالى كما أنزله الله على محمّد صلى الله عليه وآله وقد جمعته بين اللّوحين فقالوا : هوذا عندنا مصحف جامعٌ فيه القرآن لاحاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً إنّما كان عليٌّ أن اُخبركم حين جمعته لتقرؤوه» (٢) .

ويرد على هذا كلّه إشكال و هو أنّه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتمادٌ على شيء من القرآن إذ على هذا يحتمل كلُّ آية منه أن يكون محرّفاً ومغيّراً ويكون على خلاف ما أنزل الله فلم يبق لنا في القرآن حجّة أصلاً فينتفي فائدته و فائدة الأمر باتّباعه والوصيّة بالتمسّك به(٣) إلى غير ذلك ، وأيضاً قال الله عزّ وجلّ : « وإنّه لكتاب عزيزٌ لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »(٤) و قال : « إنّا نحن نزّلنا الذّكر و إنّا له لحافظون » (٥) فكيف يتطرّق إليه التحريف والتغيير .

ويخطر بالبال في دفع هذا الإشكال ـ والعلم عند الله ـ أنّ مرادهم عليهم السلام بالتحريف والتغيير والحذف إنّما هو من حيث المعنى دون اللّفظ فمعنى قولهم عليهم السلام : « كذا نزلت » أنّ المراد به ذلك ، لا ما يفهمه الناس من ظاهره ، و ليس مرادهم أنّها نزلت كذلك في اللّفظ فحذف ذلك إخفاء للحقّ و إطفاء لنور الله ، و ممّا يدلّ على هذا ما رواه في الكافي

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٣١ والمراد أنه وجد تلك الاسماء مكتوبة في ذلك المصحف تفسيراً لقوله تعالى « لم يكن الذين كفروا » لا أنها كانت من القرآن والمتأمل في تلك السورة يعلم جداً أن ذكر سبعين رجلا من قريش مثل زيد ، عمرو ، بكر، خالد وأمثالها بين قوله « مشركين » وخبره « منفكين » يخرج الاية عن نظام القرآن ويخالف فصاحته وبلاغته يقيناً كما لايخفى .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٣٢ تحت رقم ٢٢ . (٣) و عرض الاخبار عليه .

(٤) فصلت : ٤١ و٤٢ . (٥) الحجر : ٩.

بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنّه كتب في رسالته إلى سعد الخير [1] « و كان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه و حرّفوا حدوده ، فهم يروونه ولا يرعونه ، والجهّال يعجبهم حفظهم للرّواية و العلماء يحزنهم تركهم للرعاية ـ الحديث ـ » .

واما مصحف أبي الحسن عليه السلام المدفوع إلى ابن أبي نصر ونهيه عليه السلام عن النظر فيه ، ونهي أبي عبدالله عليه السلام الرّجل عن القراءة على غير ما يقرؤه الناس فيحتمل أن يكون ذلك تفسيراً منهم عليهم السلام للقرآن على طبق مراد الله عزّ و جلّ و وفق ما أنزل الله جلّ جلاله ، لا أن تكون تلك الزيادات بعينها أجزاء لألفاظه المنزلة .

و روى عليّ بن إبراهيم في تفسيره بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام : يا عليّ القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس فخذوه و اجمعوه و لا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة ، فانطلق عليّ فجمعه في ثوب أصفر ثمّ ختم عليه في بيته وقال : لا أرتدي حتّى أجمعه ، قال : كان الرّجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتّى جمعه ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو أنّ الناس قرؤوا القرآن كما اُنزل ما اختلف اثنان » .

قال الشيخ الصدوق أبوجعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي ـ رحمهم الله ـ : اعتقادنا أنّ القرآن الّذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدّفّتين وما في أيدي الناس ، ليس بأكثر من ذلك ، ومبلغ سوره عند الناس مائة و أربعة عشر سورة وعندنا و الضحى و ألم نشرح سورة واحدة ولإيلاف و ألم تركيف سورة واحدة ، ومن نسب إلينا أنّا نقول : إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب ، وما روي من ثواب قراءة كلّ سورة من القرآن و ثواب من ختم القرآن كلّه و جواز قراءة سورتين في كلّ ركعة نافلة و النهي عن القران بين سورتين في ركعة فريضة تصديق لما قلنا في أمر القرآن وأنّ مبلغه ما في أيدي الناس ، و كذلك ما روي من النهي عن قراءة القرآن كلّه في ليلة واحدة و أنّه لا يجوز أن يختم في أقلّ من ثلاثة أيّام تصديق لما قلناه أيضاً . انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ .

هذا آخر كتاب آداب تلاوة القرآن من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب الأذكار والدعوات والحمد لله أوّلاً وآخراً .

---

(١) الكافي ج ٨ ص ٥٣ .

﴿كتاب الأذكار و الدعوات﴾

و هو الكتاب التاسع من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الشّامل رأفته ، العامّ رحمته ، الّذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره ، فقال تعالى : «فاذكروني أذكركم»[1] ورغّبهم في السؤال والدّعاء بأمره ، فقال : «ادعوني أستجب لكم»[2] و أطمع المطيع والعاصي والدّاني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله تعالى : «فإنّي قريب اُجيب دعوة الدّاع إذا دعان»[3] و الصلاة على محمّد سيّد أنبيائه و على آله و أصحابه خيرة أصفيائه و سلّم تسليماً كثيراً .

أمّا بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله تعالى عبادة تؤدّي باللّسان أفضل من ذكر الله و رفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى فلابدّ من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثمّ على التفصيل في أعيان الأذكار و شرح فضيلة الدّعاء و شروطه وآدابه و نقل المأثور من الدّعوات الجامعة لمقاصد الدّين والدّنيا والدّعوات الخاصّة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ، ويتحرّر المقصود من ذلك بذكر أبواب أربعة :

الباب الأوّل في فضيلة الذكر و فائدته جملة و تفصيلاً .

الباب الثاني في فضيلة الدّعاء و آدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله .

الباب الثالث في أدعية منتخبة محذوفة الإسناد من الأدعية المأثورة .

الباب الرابع في الأذكار المأثورة عند حدوث الحوادث .

---

(١) البقرة : ١٥٢ . (٢) المؤمن : ٦٠ .

(٣) البقرة : ١٨٦ .

﴿الباب الاول﴾

✿(في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الايات والاخبار)✿

و يدلّ على فضيلة الذّكر على الجملة من الآيات قوله تعالى : « فاذكروني أذكركم » قال ثابت البناني : إنّي أعلم متى يذكرني ربّي ففزعوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك ؟ فقال : إذا ذكرته ذكرني، و قال تعالى : « ياأيّها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً » [1] ، وقال : « فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله » [2] و قال : « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً » [3] ، وقال تعالى : « الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » [4]، وقال تعالى : « فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً و قعوداً و على جنوبكم » [5] قال ابن عبّاس : أي باللّيل و النهار ، في البرّ والبحر، و السفر و الحضر ، و الغنى و الفقر ، و المرض و الصحّة ، والسرّ والعلانية ، و قال تعالى في ذمّ المنافقين : « ولا يذكرون الله إلّا قليلاً » [6] ، و قال : « و اذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولاتكن من الغافلين » [7] وقال عزّ وجلّ : « ولذكر الله أكبر » [8]، قال ابن عبّاس : له وجهان أحدهما أنّ ذكر الله لكم أكبر من ذكركم إيّاه ، والآخر أنّ ذكر الله أكبر من كلّ عبادة سواه . إلى غير ذلك من الآيات .

واما الاخبار فقد قال ﷺ : « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم » [9] .

---

(١) الاحزاب : ٤١ . (٢) البقرة : ١٩٨ .
(٣) البقرة : ٢٠٠ . (٤) آل عمران : ١٩١ .
(٥) النساء : ١٠٣ . (٦) النساء : ١٤٢ .
(٧) الاعراف : ٢٠٤ . (٨) العنكبوت : ٤٥ .
(٩) أخرجه ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر بسند ضعيف كما في الجامع الصغير .

وقال ﷺ : « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارّين » (١) .

وقال ﷺ أيضاً : « ذاكر الله في الغافلين كالحيّ بين الأموات » (٢) .

وقال ﷺ : « يقول الله تعالى : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرّكت بي شفتاه » (٣) .

وقال ﷺ أيضاً : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى ، قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلّا أن تضرب بسيفك حتّى ينقطع ، ثمّ تضرب به حتّى ينقطع ، ثمّ تضرب به حتّى ينقطع » (٤) .

وقال ﷺ : «من أحبّ أن يرتع في رياض الجنّة فليكثر ذكر الله » (٥) .

وسئل ﷺ أيّ الأعمال أفضل ؟ فقال : « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله » (٦) .

وقال ﷺ : « قال الله عزّ وجلّ : إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي ، و إذا ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير من ملإه ، و إذا تقرّب منّي شبراً تقرّبت منه ذراعاً ، و إذا تقرّب منّي ذراعاً تقرّبت منه باعاً ، وإذا مشى إليّ هرولت إليه » (٧) يعني بالهرولة سرعة الإجابة .

---

(١) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود و فيه « بمنزلة الصابر في الفارين» و رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٥٠٢ بأدنى اختلاف أيضاً .

(٢) لم أجده الا ان في المصابيح للبغوى ج ١ص ١٤٨ قال : «مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكر مثل الحى والميت» وأخرجه مسلم وغيره هكذا .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٧٩٢ . و قال صاحب المشكاة : أخرجه البخارى أيضاً وأخرجه البيهقى وابن حبان من حديث ابى هريرة والحاكم من حديث ابى الدرداء .

(٤) أخرجه البيهقى فى الدعوات الكبير كما فى مشكاة المصابيح ص ١٩٩ .

(٥) أخرجه ابن ابى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ باسناد ضعيف كما فى المغنى . و قد مر فى المجلد الاول ص ٨٦ عن معانى الاخبار و جامع الترمذى و مصابيح السنة للبغوى ج ١ ص ١٤٩ هكذا « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر» .

(٦) أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٣ عن معاذ بن جبل .

(٧) أخرجه مسلم ج٨ ص٦٧ ، والبغوى ج١ص ١٤٨، وصدره الطيالسى ص٢٦٥ .

أقول : و من طريق الخاصّة مارواه في الكافي بإسناده الحسن عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ الله تعالى يقول : من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي من سألني »(١).

وبإسناده عنه عليه السلام قال : « قال الله تعالى : من ذكرني سرّاً ذكرته علانية »(٢).

وبإسناده عن ابن فضّال رفعه قال : « قال الله تعالى لعيسى : ياعيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي ، واذكرني في ملائك أذكرك في ملإ خير من ملإ الآدميّين ، ياعيسى ألن لي قلبك ، وأكثر ذكري في الخلوات ، و اعلم أنّ سروري أن تبصبص إليّ و كن في ذلك حيّاً ولا تكن ميتاً »(٣).

وعنه عليه السلام قال : « من أكثر ذكر الله أظلّه الله في جنّته »(٤).

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أكثر ذكر الله أحبّه الله ، ومن ذكر الله كثيراً كتبت له براءتان : براءة من النّار ، و براءة من النفاق »(٥).

وعنه عليه السلام قال : « شيعتنا الّذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً »(٦).

وعنه عليه السلام قال : « ما من شيء إلّا وله حدٌّ ينتهي إليه إلّا الذكر فليس له حدٌّ ينتهي إليه ، فرض الله تعالى الفرائض فمن أدّاهنّ فهو حدّهنّ ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه ، والحجّ فمن حجّ فهو حدّه إلّا الذّكر فإنّ الله تعالى لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه ثمّ تلا « يا أيّها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرة وأصيلاً »(٧) وقال : لم يجعل له حدّاً ينتهي إليه ، قال : وكان أبي كثير الذّكر لقد كنت أمشي معه وإنّه ليذكر الله ، وآكل معه الطعام وإنّه ليذكر الله ، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إله إلّا الله ، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتّى تطلع الشمس ويأمر بالقراءة من كان يقرء منّا ، ومن كان لا يقرء منّا أمره بالذّكر ، والبيت الّذي يقرء فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته و تحضره

(١) و(٢) و(٣) المصدر ج ٢ ص ٥٠١ و٥٠٢ والتبصبص : التملق .
(٤) المصدر ص ٥٠٠ تحت رقم ٥ .
(٥) و(٦) المصدر ص ٤٩٩ رقم ٣ و٢ .
(٧) الاحزاب : ٤١ و ٤٢ والاصيل الوقت بعد العصر والمغرب .

الملائكة و تهجره الشياطين و يضيىء لأهل السماء كما يضيىء الكوكب الدرّي لأهل الأرض ، والبيت الّذي لايقرء فيه القرآن ولا يذكر الله فيه تقلّ بركته ، وتهجره الملائكة و تحضره الشياطين ، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا اُخبركم بخير أعمالكم ، أرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم ، خيرٌ لكم من الدّينار والدّرهم ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتقتلوهم ويقتلوكم ؟ قالوا : بلى ، قال : ذكر الله تعالى كثيراً، ثمّ قال : جاء رجلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : من خير أهل المسجد ؟ فقال : أكثرهم لله ذكراً ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من اُعطي لساناً ذاكراً فقد اُعطي خير الدّنيا والآخرة ، وقال في قوله : « ولاتمنن تستكثر»(١) قال : لاتستكثر ماعملت من خير لله »(٢) .

وعنه عليه السلام قال : « أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لا تفرح بكثرة المال ، ولا تدع ذكري على كلّ حال ، فإنّ كثرة المال تنسي الذّنوب ، و إنّ ترك ذكري يقسي القلوب » (٣) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : مكتوب في التوراة الّتي لم تغيّر أنّ موسى عليه السلام سأل ربّه فقال : إلهي إنّه يأتي عليّ مجالس أعزّك وأجلّك أن أذكرك فيها ، فقال : ياموسى إنّ ذكري حسنٌ على كلّ حال » (٤) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام « لابأس بذكر الله وأنت تبول ، فإنّ ذكر الله حسن على كلّ حال ، فلاتسأم من ذكر الله » (٥) .

وعنه عليه السلام « أنّ الصواعق لاتصيب ذاكراً (٦) » .

✡ (فضيلة مجالس الذكر) ✡

« قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عزّ وجلّ إلّا حفّت بهم الملائكة و غشيتهم الرّحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » (٧) .

(١) المدثر. ٦ . (٢) المصدر ج ٢ ص٤٩٨ تحت رقم ١ .
(٣) و(٤) و(٥) المصدر ج ٢ ص ٤٩٧ رقم ٧و٨و٦ .
(٦) المصدر ج ٢ ص ٥٠٠ رقم ٢ .
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٨ ص٧٢. واحمد في المسند ج٣ ص ٣٣ والترمذي ج ١٢ ص ٢٧١ كلهم من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري .

وقال ﷺ : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عزّوجلّ لا يريدون بذلك إلّا وجهه إلّا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدّلت سيّئاتكم حسنات » (١) .

و قال ﷺ أيضاً : « ما قعد قومٌ مقعداً لم يذكروا الله فيه ولم يصلّوا على النبيّ إلّاكان عليهم حسرة يوم القيامة » (٢).

وقال داود عليه السلام : « إلهي إذا رأيتني اُجاوزمجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسررجلي دونهم فإنّها نعمة تنعم بها عليّ » .

و قال ﷺ : « المجلس الصالح يكفّرعن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » (٣) .

وعن أبي سعيد الخدريّ عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « إنّ لله عزّوجلّ ملائكة سيّاحين في الأرض فضلاً عن كتّاب النّاس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله سبحانه تنادوا هلمّوا إلى بغيتكم ، فيجيئون فيحفّون بهم إلى السماء الدّنيا فيقول الله تبارك و تعالى : على أيّ شيء تركتم عبادي يصنعونه ؟ فيقولون : تركناهم يحمدونك ويمجّدونك و يسبّحونك ، فيقول : وهل رأوني؟ فيقولون : لا، فيقول: كيف ولورأوني ؟ فيقولون : لورأوك لكانوا أشدّ تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً ، فيقول لهم : من أيّ شيء يتعوّذون ؟ فيقولون : من النّار ، فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لورأوها لكانوا أشدّ هرباً منها وأشدّ نفوراً ، فيقول : وأيّ شيء يطلبون ؟ فيقولون : الجنّة، فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : كيف لورأوها ؟ فيقولون : لورأوها لكانوا أشدّ حرصاً عليها فيقول : فإنّي اُشهدكم أنّي قد غفرت لهم ، فيقولون : كان فيهم فلانٌ لم يردهم إنّما جاء لحاجة ، فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » (٤) .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٤٢ .

(٢) رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٤٩٧ وأخرج الترمذي ج١٢ ص٢٧٢ نحوه و حسنه من حديث ابي هريرة وفي المصابيح ج١ ص ١٤٩ بأدنى اختلاف في اللفظ .

(٣) قال العراقي : ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة و هو مرسل ولم يخرجه ولده ولذلك لم أجد له اسناداً .

(٤) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٠٨ ورواه مسلم مختصراً ج ٨ ص ٦٨ وأخرجه الحاكم ج ١ ص ٤٩٥ والترمذي ج ١٣ ص ٨٩ ، والبغوي في المصابيح ج١ ص١٤٨ .

أقول : و من طريق الخاصّة مارواه في الكافي باسناده الصحيح عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : « ما من مجلس يجتمع فيه أبرارٌ وفجّار فيقومون على غير ذكرالله إلّا كان حسرة عليهم يوم القيامة » (١) .

وعنه عليه‌السلام قال : « قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله تعالى و لم يصلّوا على نبيّهم إلّا كان ذلك المجلس حسرة و وبالاً عليهم » (٢) .

وعنه عليه‌السلام قال : « ما اجتمع في مجلس قومٌ لم يذكروا الله تعالى ولم يذكرونا إلّا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة ، ثمّ قال : قال أبوجعفر عليه‌السلام : إنّ ذكرنا من ذكرالله وذكرعدوّنا من ذكرالشيطان » (٣) .

وباسناده الصحيح عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : « مكتوب في التوراة الّتي لم تغيّر أنّ موسى عليه‌السلام سأل ربّه فقال : يارِبّ أقريب أنت منّي فاُناجيك ، أم بعيدٌ فاُناديك ؟ فأوحى الله إليه يا موسى أنا جليس من ذكرني ، فقال موسى : فمن في سترك يوم لاستر إلّاسترك ؟ قال : الّذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابّون فيّ فاُحبّهم ، فأولئك الّذين إذا أردت أن اُصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم » (٤) .

(فضيلة التهليل)

« قال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله : « أفضل ما قلته أناوالنبيّون من قبلي : لاإله إلّا الله وحده لا شريك له (٥) » .

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله : « ليس على أهل لا إله إلّا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كأنّي أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب و يقولون : الحمد لله الّذي أذهب

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٤٩٦ تحت رقم ١ .

(٢) مر آنفاً .

(٣) و(٤) المصدر ج ٢ ص ٤٩٦ تحت رقم ٢ و ٤.

(٥) أخرجه الترمذي ج١٣ص ٨٣ في حديث وقال : هذاحديث غريب ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ج ٥ ص ١١٧ .

عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفورٌ شكور (١) ».

و قال ﷺ : « ليدخلنّ الجنّة كلّكم إلّا من تأبّى وشرد على الله شرد البعير على أهله ، فقيل : يا رسول الله من الّذي تأبّى ؟ قال : من لم يقل : لا إله إلّا الله ، فأكثروا من قول لا إله إلّا الله قبل أن يحال بينكم وبينها ، فإنّها كلمة التوحيد ، وهي كلمة الإخلاص ، وهي كلمة التقوى ، و هي الكلمة الطيّبة ، و هي دعوة الحقّ ، وهي العروة الوثقى ، وهي ثمن الجنّة » (٢) .

وقال تعالى : « هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان (٣) » فقيل : الإحسان في الدّنيا قول لا إله إلّا الله وفي الآخرة الجنّة . و كذا قوله تعالى : « للّذين أحسنوا الحسنى وزيادة » (٤) .

اقول : ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة لا إله إلّا الله ، إنّ الله عزّ وجلّ لا يعدله شيءٌ ولا يشركه في الأُمور أحد » (٥) .

و عن الوصافي رفعه قال : « قال رسول الله ﷺ : من قال : «لا إله إلّا الله» غرست له شجرة في الجنّة من يا قوتة حمراء منبتها في مسك أبيض أحلى من العسل و أشدّ بياضاً من الثلج ، وأطيب ريحاً من المسك ، فيها أمثال ثدي الأبكار تعلو عن سبعين حلّة» (٦) .

وقال رسول الله ﷺ : « خير العبادة قول « لا إله إلّا الله » (٧) .

---

(١) أخرجه الطبراني في المسند الكبير عن ابن عمر بسند ضعيف كما في الجامع الصغير باب اللام .

(٢) قال العراقي : أخرجه البخاري «كل امتي يدخلون الجنة الا من أبي» وزاد الحاكم وصححه «وشرد على الله شرود البعير الى أهله» قال البخاري «قالوا يارسول الله ومن يأبى ؟ قال : من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» ولا بن عدى وابى يعلى والطبراني في الدعاء «اكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها» وفيه ابن وردان ايضاً ولابي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالي مرسلا «اذا قلت : لا اله الا الله وهي كلمة التوحيد» .

(٣) الرحمن : ٦٠ . (٤) يونس : ٢٦.

(٥) الى (٧) المصدر ج ٢ ص ٥١٦ و٥١٧ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « خير العبادة قول « لاإله إلّا الله » و قال: « خير العبادة الاستغفار » وذلك قول الله تعالى في كتابه: « فاعلم أنّه لاإله إلّاالله واستغفر لذنبك »(١).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: « ثمن الجنّة قول « لا إله إلّا الله والله أكبر » (٢).

وعنه عليه السلام قال: « قال جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « طوبى لمن قال من اُمّتك: « لا إله إلّا الله وحده وحده وحده » (٣).

وباسناده الصحيح عنه عليه السلام قال: «من قال عشرمرّات قبل أن تطلع الشمس وقبل غروبها: « لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حيّ لايموت، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير »كانت كفّارة لذنوبه ذلك اليوم » (٤).

وعنه عليه السلام قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من صلّى الغداة فقال قبل أن ينفض ركبتيه عشرمرّات: « لاإله إلّا الله وحده لاشريك له، لهالملك وله الحمد، يحيي ويميت ويميت ويحيي، وهو حيّ لايموت، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير» و في المغرب مثلها، لم يلق الله عزّ وجلّ عبدٌ بعمل أفضل من عمله إلّا من جاء بمثل عمله » (٥).

و عنه عليه السلام « من قالعشر مرّات في كلّ يوم: « أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتّخذ صاحبة و لا ولداً » كتب الله له خمسة و أربعين ألف حسنة، ومحا عنه خمسة، و أربعين ألف سيّئة، و رفع له خمسة وأربعين ألف درجة » (٦).

و في رواية اُخرى « و كنّ له حرزاً في يومه من الشيطان و السلطان، و لم تحط به كبيرة من الذنوب » (٧).

وعنه عليه السلام «من قال في كلّ يوم: «لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً، لا إلهإلّا الله عبوديّة ورقّاً، لا إله إلّا الله إيماناً و تصديقاً » أقبل الله تعالى عليه بوجهه ولم يصرف وجهه عنه حتّى يدخل الجنّة » (٨).

(١) الى (٣) المصدر ج ٢ ص ٥١٧ .
(٤) و(٥) المصدر ج ٢ ص ٥١٨ .
(٦) الى (٨) المصدر ج ٢ ص ٥١٩ .

وعن أبان بن تغلب عنه عليه السلام قال : « يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث « من شهد أن لا إله إلّاالله مخلصاً وجبت له الجنّة » قال : قلت له : يأتيني من كلّ صنف من الأصناف أفأروي لهم هذا الحديث ؟ قال : نعم يا أبان إنّه إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأوّلين و الآخرين فتسلب لا إله إلّا الله منهم إلّا من كان على هذا الأمر » (١).

و في بعض الأخبار « و إخلاصه بها أن يحجزه عمّا حرّم الله عزّ وجلّ » (٢).

و روى الصدوق عن إسحاق بن راهويه قال : لمّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور و أراد أن يرحل منها إلى المأمون فاجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له : يا ابن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيد منك ، و قد كان قعد في العمارية فأطلع رأسه و قال : « سمعت أبي موسى بن جعفر يقول : سمعت أبي جعفر بن محمّد يقول : سمعت أبي محمّد بن عليّ يقول : سمعت أبي عليّ بن الحسين يقول : سمعت أبي الحسين بن عليّ يقول : سمعت أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم السلام يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سمعت جبرئيل عليه السلام يقول : سمعت الله جلّ و عزّ يقول : « لا إله إلّا الله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي » فلمّا مرّت الراحلة نادانا بشروطها وأنا من شروطها» (٣).

✡(فضيلة سائر الاذكار)✡

في الكافي بإسناده الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « جاء الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالوا : يا رسول الله إنّ الأغنياء لهم ما يعتقون و ليس لنا ، ولهم ما يحجّون وليس لنا ، ولهم ما يتصدّقون وليس لنا ، و لهم ما يجاهدون و ليس لنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من كبّر الله تعالى مائة مرّة كان أفضل من عتق مائة رقبة ، ومن سبّح الله مائة مرّة كان أفضل من سياق مائة بدنة ، ومن حمد الله مائة مرّة كان أفضل من حملان مائة فرس (٤)

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٢٠ . (٢) مر الخبر في المجلد الاول .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ص ٢٧٥ .

(٤) قال في النهاية : قال أبو موسى : « أرسلني أصحابي الى النبي صلى الله عليه وآله أساله الحملان» الحملان - بضم الحاء - مصدر حمل يحمل حملاناً ، وذلك أنهم أرسلوه يطلب منه شيئاً يركبون عليه .

في سبيل الله بسرجها ولجمها وركبها، و من قال: «لا إله إلّا الله» مائة مرّة كان أفضل الناس عملاً ذلك اليوم إلّا من زاد؛ قال: فبلغ ذلك الأغنياء فصنعوه، قال: فعادالفقراء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله قد بلغ الأغنياء ماقلت فصنعوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»(١).

و عن أحدهما عليهما السلام قال: «أكثروا من التهليل و التكبير فإنّه ليس شيء أحبّ إلى الله من التهليل و التكبير»(٢).

وعنه عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام - وفي بعض النسخ رسول الله صلى الله عليه وآله -: التسبيح نصف الميزان، و الحمد لله يملأ الميزان، و الله أكبر يملأ ما بين السماء و الأرض»(٣).

و بإسناده الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله برجل يغرس غرساً في حائط له، فوقف عليه و قال: ألا أدلّك على غرس أثبت أصلاً و أسرع إيناعاً و أطيب ثمراً و أبقى؟ قال: بلى فدلّني يا رسول الله، فقال: إذا أصبحت و أمسيت فقل: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر» فإنّ لك إن قلته بكلّ تسبيحة عشر شجرات في الجنّة من أنواع الفاكهة وهنّ من الباقيات الصالحات، قال: فقال الرّجل: فإنّي أُشهدك يا رسول الله أنّ حائطي هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين أهل الصدقة فأنزل الله تعالى آيات من القرآن «فأمّا من أعطى واتّقى* وصدّق بالحسنى* فسنيسّره لليسرى»(٤).

وبإسناده عن المفضّل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك، علّمني دعاء جامعاً فقال لي: «أحمد الله فإنّه لا يبقى أحدٌ يصلّي إلّا دعا لك يقول: «سمع الله لمن حمده»(٥).

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٠٥.

(٢) و(٣) المصدر ج٢ ص ٥٠٦.

(٤) سورة الليل: ٦ الى ٨ والخبرفي الكافي ج ٢ ص ٥٠٦.

(٥) المصدر ج٢ ص ٥٠٣.

وعن محمّد بن مروان قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أيّ الأعمال أحبّ إلى الله عزّ وجلّ ؟ فقال : « أن تحمده[١] ـ وفي بعض النسخ أن تمجّده ـ » .

و عنه عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحمد الله في كلّ يوم ثلاثمائة مرّة وستّين مرّة عدد عروق الجسد يقول : الحمد لله ربّ العالمين كثيراً على كلّ حال »[٢] .

وعنه عليه السلام : « من قال أربع مرّات إذا أصبح : « الحمد لله ربّ العالمين » فقد أدّى شكر يومه ، و من قالها إذا أمسى فقد أدّى شكر ليلته »[٣] .

وعنه عليه السلام قال : « تسبيح فاطمة الزّهراء عليها السلام من الذكر الكثير الّذي قال الله تعالى : « أذكروا الله ذكراً كثيراً » »[٤] .

و عنه عليه السلام « من قال عشر مرّات : « يا ربّ ، يا ربّ » قيل له : لبّيك ما حاجتك »[٥] .

و عنه عليه السلام « من قال : « يالله يالله » عشر مرّات قيل له : لبّيك ماحاجتك »[٦] .

وعنه عليه السلام « من قال : « يا ربّ يا الله ، يا ربّ يا الله ، يا ربّ يا الله » حتّى ينقطع نفسه قيل له : لبّيك ما حاجتك »[٧] .

و عنه عليه السلام قال : « إذا دعا الرّجل فقال بعد مادعا : « ما شاء الله لاحول ولاقوّة إلّا بالله » قال الله تعالى : استبسل عبدي واستسلم لأمري ، اقضوا حاجته »[٨] .

وعنه عليه السلام « من قال : « ماشاءالله ، لاحول ولا قوّة إلّا بالله » سبعين مرّة صرف الله عنه سبعين نوعاً من أنواع البلاء أيسر ذلك الخنق ، قيل : و ما الخنق ؟ قال : لايعتلّ بالجنون فيخنق »[٩] .

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام مرفوعاً « مامن عبد يقول حين يمسي ويصبح : « رضيتُ بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمّد صلى الله عليه وآله نبيّاً ، وبالقرآن بلاغاً ، وبعليّ إماماً » ثلاثاً

(١) الى (٣) الكافى ج٢ ص ٥٠٣ .
(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٠٠ . (٥) المصدر ج ٢ ص ٥٢٠ .
(٦) المصدر ج ٢ ص ٥١٩ . (٧) المصدر ج ٢ ص ٥٢٠ .
(٨) و(٩) المصدر ج ٢ ص ٥٢١ والمستبسل : الذى يوطن نفسه على الموت .

إلّا كان حقّاً على الله العزيز الجبّار أن يرضيه يوم القيامة»(١) .

وبإسناده الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال : « مامن عبد يقول إذا أصبح قبل طلوع الشمس : « الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، و سبحان الله بكرة و أصيلاً ، و الحمد لله ربّ العالمين كثيراً ، لاشريك له ، وصلّى الله على محمّد وآله » إلّا ابتدرهنّ ملك وجعلهنّ في جوف جناحه وصعد بهنّ إلى السماء الدّنيا ،فيقول له الملائكة : مامعك؟ فيقول : معي كلمات قالهنّ رجل من المؤمنين وهي كذا و كذا ، فيقولون : رحم الله من قال هؤلاء الكلمات و غفر له ، قال : و كلّما مرّ بسماء قال لأهلها مثل ذلك ، فيقولون : رحم الله من قال هؤلاء الكلمات وغفرله ، حتّى ينتهي بهنّ إلى حملة العرش فيقول لهم : إنّ معي كلمات تكلّم بهنّ رجل من المؤمنين وهي كذا و كذا ، فيقولون : رحم الله هذا العبد و غفر له ، انطلق بهنّ إلى حفظة كنوز مقالة المؤمنين فإنّ هؤلاء كلمات الكنوز حتّى تكتبهنّ في ديوان الكنوز»(٢) .

﴿فصل﴾

قال أبوحامد : « فإن قلت : فما بال ذكر الله مع خفّته على اللّسان و قلّة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقّات فيها ؟ .

فاعلم أنّ تحقيق هذا لايليق إلّا بعلم المكاشفة ؛ والقدر الّذي يسمح بذكره في علم المعاملة أنّ المؤثّر النافع هو الذكر على الدّوام مع حضور القلب ، فأمّا الذكر والقلب لاه فهو قليل الجدوى ، وفي الأخبار ما يدلّ عليه أيضاً ، و حضور القلب في لحظة بالذكر والذّهول عن الله سبحانه مع الاشتغال بالدّنيا أيضاً قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدّوام أو في أكثر الأوقات هو المقدّم على العبادات بل به يشرّف سائر العبادات وذلك غاية ثمرة العبادات العمليّة ، وللذكر أوّل وآخر فأوّله يوجب الاُنس والحبّ وآخره يوجبه الاُنس والحبّ ويصدر عنه و المطلوب ذلك الاُنس ، فإنّ المريد في بداية الأمر قد يكون متكلّفاً يصرف قلبه ولسانه عن الوساوس إلى ذكر الله تعالى فإن وفّق للمداومة

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٢٥ .
(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٢٦ .

أنس به وانغرس في قلبه حبّ المذكور ، ولا ينبغي أن يتعجّب من هذا فإنّ من المشاهد في العادات أن يذكرغائب غيرمشاهد بين يدي شخص ويكرّر ذكر خصاله عنده فيحبّه وقد يعشق بالوصف وكثرةالذكر، ثمّ إذاعشق بكثرة الذكر المتكلّف أوّلاً صار مضطرّاً إلى كثرة الذكرآخراًبحيث لايصبرعنه فإنّ من أحبّ شيئاً أكثر ذكره ومن أكثرذكر شيء و إن كان تكلّفاًأحبّه ، فكذلك أوّل الذكر متكلّف إلى أن يثمرالاُنس بالمذكور والحبّ له ، ثمّ يمتنع الصبرعنه آخراً فيصير الموجب موجباً والثمرة مثمراً و هذا معنى قول بعضهم : كابدت القرآن عشرين سنة ثمّ تنعّمت به عشرين سنة ، ولا يصدر التنعّم إلّا من الاُنس والحبّ ، ولا يصدر الاُنس والحبّ إلّا من المداومة على المكابدة و التكلّف مدّة طويلة حتّى يصيرالتكلّف طبعاً ، وكيف يستبعد هذا وقد يتكلّف الانسان تناول طعام يستبشعه (١) أوّلاً ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقاً لطبعه حتّى لايصبرعنه فالنفس معتادة متحمّلة لما تكلّف « هي النفس ما عوّدتها تتعوّد » أي ما كلّفتها أوّلاً يصيرلها طبعاً آخراً ، ثمّإذا حصل الاُنس بذكرالله انقطع عن غير الله ، وما سوى الله هو الّذي يفارقه عند الموت ولا يبقى معه في القبرأهلٌ ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلّا ذكرالله فإن كان قد أنس به تمتّع به و تلذّذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة تصدّ عن ذكرالله ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنّه خُلّي بينه و بين محبوبه فعظمت غبطته وتخلّص من السجن الّذي كان ممنوعاً فيه عمّا به اُنسه ، ولذلكقال صلى الله عليه وآله : « إنّ روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فإنّك مفارقه (٢) » أراد به كلّ ما يتعلّق بالدّنيا فإنّ ذلك يفنى في حقّه بالموت « فكلٌّ منعليها فان ويبقى وجه ربّك ذوالجلال والإكرام » وإنّما تفنى الدّنيا بالموت في حقّه إلى أن تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله ، وهذاالاُنس يتلذّذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوارالله تعالى ويترقّى من الذكر إلى اللّقاء ، وذلك بعد أن يبعثرما في القبور ، و يحصّل ما في

(١) البشع ـ ككتف ـ منالطعام : الكريه فيه حفوف ومرارة و الكريه ريحالفم الذى لايتخلل ولا يستاك والمصدرالبشاعة والبشع ـ محركة ـ .

(٢) مرالخبرفي ج ١ ص ١٨٣ .

الصدور ، ولا تنكرنّ لقاء الله وبقاء ذكر الله تعالى معه بعد الموت فتقول : إنّه اُعدم فكيف يبقى معه ذكر الله تعالى ؟ فإنّه لم يُعدَم عدماً يمنع الذكر بل يُعدم عدماً من الدّنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت ، وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ : « القبر إمّا حفرة من حفر النيران أو روضة من رياض الجنّة »[١] و بقوله ﷺ : « أرواح الشهداء في حواصل طير خضر »[٢] . وبقوله لقتلى بدر من المشركين : « يا فلان ويا فلان ويا فلان ـ و قد سمّاهم ـ إنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ فسمع عمر قوله فقال : يا رسول الله كيف يسمعون وأنّى يجيبون وقد قتلوا ؟ فقال : والّذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنّهم لا يقدرون أن يجيبوا »[٣] و الحديث في الصحيح ، هذا قوله في المشركين ، وأمّا المؤمنون والشهداء فقال ﷺ : « أرواحهم في حواصل طير خضر معلّقة تحت العرش »[٤] .

أقول : روى في التهذيب[٥] عن يونس بن ظبيان قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فقال لي : « ما يقول النّاس في أرواح المؤمنين ؟ قلت : يقولون : إنّها في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش ، فقال : سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر ، يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صيّر روحه في قالب كقالبه في الدّنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليه القادم عرفه بتلك الصورة الّتي كانت في الدّنيا » .

قال أبو حامد : « وهذه الحالة وما اُشير بهذه الألفاظ إليه لا تنافي ذكر الله تعالى و قال الله تعالى : « ولا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم

(١) رواه الكليني في الكافي ج ٣ ص ٢٤٢ وللترمذي مثله بتقديم و تأخير .
(٢) أخرجه مسلم ج ٦ ص ٣٨ من حديث ابن مسعود في حديث .
(٣) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٦٣ من حديث أنس ، ونحوه البخاري ج ٢ ص ١١٧ عن ابن عمر .
(٤) أخرجه ابن جرير عن السدي و ابن ابي حاتم عن ابي سعيد كما في الدر المنثور ج ٢ ص ٩٦ .
(٥) المصدر ج ١ ص ١٣١ ، ورواه الكليني ج ٣ ص ٢٤٥ بلفظه .

يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالّذين لم يلحقوا بهم [١]»، ولأجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة ، لأنّ المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدّنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره ، وإن قدر عبد على أن يجعل همّه مستغرقاً بالله فلايقدر على أن يموت على تلك الحالة إلّا في صفّ القتال فإنّه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدّنيا كلّها فإنّه يريدها لحياته وقدهوّن على قلبه حياته في حبّ الله وطلب مرضاته ، فلاتجرّد لله أعظم من ذلك في الشرع، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل مالايحصى ، من ذلك أنّه لمّا استشهد عبدالله الأنصاريّ يوم اُحد قال رسول الله ﷺ لجابر : « ألا اُبشّرك يا جابر ؟ قال : بلى يا رسول الله بشّرك الله بالخير، قال : إنّ الله سبحانه أحيى أباك فأقعده بين يديه وليس بينه وبينه سترٌ فقال تعالى : تمنّ عليّ يا عبدي ماشئت اُعطكه ، فقال : يا ربّ تردّني إلى الدّنيا حتّى اُقتل فيك وفي نبيّك مرّة اُخرى قال الله تعالى : سبق القضاء منّي بأنّهم إليها لايرجعون » [٢] .

ثمّ القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنّه لولم يقتل وبقي مدّة ربما عادت شهوات الدّنيا وغلبت مااستولى على قلبه من ذكر الله تعالى ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فإنّ القلب وإن اُلزم ذكر الله فهو متقلّبٌ لايخلو عن الالتفات إلى شهوات الدّنيا ولاينفكّ عن فترة تعتريه فإذا تمثّل في آخر الحال في قلبه أمر من الدّنيا واستولى عليه وارتحل عن الدّنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فتحنّ بعد الموت إليه ويتمنّى الرجوع إلى الدّنيا وذلك لقلّة حظّه في الآخرة إذ يموت المرء على ماعاش عليه ويحشر على مامات عليه ، وأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أوأن يقال شجاع أو غيرذلك كما ورد به الخبر ، بل حبّ الله تعالى وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي الّتي عبّر عنها بقوله تعالى : « إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة »[٣] ومثل هذا الشخص هوالبايع للدّنيا بالآخرة وحال

(١) آل عمران : ١٦٩ و ١٧٠ .
(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٩٠ .
(٣) التوبة : ١١٢ .

الشهيد يوافق معنى قولك: «لا إله إلّا الله» فإنّه لامقصود له سوى الله وكلّ مقصود معبود وكلّ معبود إله، فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلّا الله إذ لا مقصد له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيّة الله ولا يؤمن في حقّه الخطر ولذلك فضّل قول «لا إله إلّا الله» على سائر الأذكار، وذكر ذلك مطلقاً في مواضع للترغيب، ثمّ ذكر في بعض المواضع الصدق والإخلاص فقال صلى الله عليه وآله: «من قال: لا إله إلّا الله مخلصاً دخل الجنّة»[1] ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمقال، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلّا الله حالاً ومقالاً وظاهراً وباطناً حتّى نودّع الدّنيا غير ملتفتين إليها بل متبرّمين بها ومحبّين للقاء الله فإنّ من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فهذه مرامز إلى معاني الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة».

أقول: وعن الصادق عليه السلام[2] قال: «من كان ذاكراً لله على الحقيقة فهو مطيع ومن كان غافلاً عنه فهو عاص، والطاعة علامة الهداية، والمعصية علامة الضلالة، وأصلهما من الذكر والغفلة، فاجعل قلبك قبلة للسانك لا تحرّكه إلّا بإشارة القلب وموافقة العقل ورضا الإيمان، فإنّ الله عالم بسرّك وجهرك وكن كالنازع روحه أو كالواقف في العرض الأكبر، غير شاغل نفسك عمّا عناك ممّا كلّفك به ربّك في أمره ونهيه ووعده ووعيده ولا تشغلها بدون ما كلّفك، واغسل قلبك بماء الحزن واجعل ذكر الله من أجل ذكره إيّاك فإنّه ذكرك وهو غنيّ عنك فذكره لك أجلّ وأشهى وأتمّ من ذكرك له وأسبق ومعرفتك بذكره لك تورثك الخضوع والاستحياء والانكسار ويتولّد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق وتصغر عند ذلك طاعتك وإن كثرت في جنب مننه وتخلص لوجهه؛ ورؤيتك ذكرك له تورثك الرّياء والعجب والسفه والغلظة في خلقه واستكثار الطاعة ونسيان فضله وكرمه ولا تزداد بذلك من الله إلّا بعداً، ولا يستجلب به على مضيّ الأيّام إلّا وحشة، والذكر ذكران: ذكرٌ خالص بموافقة القلب، وذكر صارف ينفي ذكر غيره كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا أُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» فرسول الله صلى الله عليه وآله لم يجعل

(١) أخرجه البزاز عن أبي سعيد بسند صحيح كما في الجامع الصغير.

(٢) مصباح الشريعة الباب الخامس.

لذكره لله مقداراً عند علمه بحقيقة سابقة ذكراللهله من قبل ذكره له فمن دونه أولى ، فمن أراد أن يذكرالله تعالى فليعلم أنّـه مالم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره لا يقدر العبد على ذكره » .

﴿الباب الثانى﴾

(في آداب الدّعاء و فضله وفضل بعض الأدعية المأثورة)

(فضيلة الدعاء)

قال الله سبحانه : « و إذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب اُجيب دعوة الدّاع إذا دعان فليستجيبوا لي »(١) .

و قال تعالى : « ادعوا ربّكم تضرّعاً و خفية إنّه لا يحبّ المعتدين »(٢) وقال عزّوجلّ : « قل ادعوا الله أوادعواالرّحمن أيّاًمّا تدعوا فله الأسماء الحسنى »(٣) .

وقال تعالى : « وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين » (٤) .

وروى النعمان بن بشير عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « إنّ الدّعاء هو العبادة ثمّ قرأ « ادعوني أستجب لكم » (٥) .

وقال ﷺ : « الدّعاء مخّ العبادة »(٦) .

وقال ﷺ : « إنّ العبد لا يخطئه من الدّعاء إحدى ثلاثة إمّا ذنب يغفر له ،

---

(١) البقرة : ١٨٣ . (٢) الاعراف : ٥٥ .

(٣) الاسراء: ١١٠ .

(٤) المؤمن : ٦٣ . وقوله تعالى : «داخرين» أى صاغرين .

(٥) رواه احمد و الترمذى والنسائى و أبو داود و ابن ماجه كلهم عن النعمان بن بشير كمافى مشكاة المصابيح ص ١٩٤ .

(٦) أخرجه الترمذى ج ١٢ ص ٢٦٦ من حديث أنس والمخ خالص كل شيء وانما كان الدعاء كذلك لان حقيقة العبادة هو الخضوع والتذلل وهو حاصل فى الدعاء أشد الحصول .

وإمّا خير يعجّل له ، وإمّا خير يدّخر له »(١) .

وقال صلّى الله عليه وآله : « سلوا الله من فضله فإنّه يحبّ أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج »(٢) .

أقول : ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي بإسناده الحسن عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنّ الله تعالى يقول : « إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين » قال : هو الدّعاء وأفضل العبادة الدّعاء ، قلت : « إنّ إبراهيم لأوّاه حليم » قال . الأوّاه هو الدّعّاء »(٣) .

وبإسناد الموثّق عنه عليه السلام أيضاً أنّه سئل أيّ العبادة أفضل ؟ فقال : « ما من شيء أفضل عند الله من أن يسأل ويطلب ممّا عنده وما أحد أبغض إلى الله ممّن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده »(٤) .

وبإسناده الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « عليكم بالدّعاء فإنّكم لا تقرّبون بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها إنّ صاحب الصغار هو صاحب الكبار »(٥) .

وبإسناده الصحيح عن ميسّر بن عبد العزيز عنه عليه السلام قال : قال لي : « يا ميسّر ادع ولا تقل : إنّ الأمر قد فرغ منه ، إنّ عند الله منزلة لا تنال إلّا بمسألة ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً فسل تعط ، يا ميسّر إنّه ليس من باب يقرع إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه »(٦) .

وعنه عليه السلام « من لم يسأل الله من فضله افتقر »(٧) .

وعنه عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : أحبّ الأعمال إلى الله تعالى في الأرض الدّعاء ، وأفضل العبادة العفاف ؛ قال : وكان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعّاء »(٨) .

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس من حديث أنس كما في المغني .
(٢) أخرجه الترمذي ج١٣ ص ٧٧ من حديث ابن مسعود بسند صحيح .
(٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص٤٦٦ تحت رقم ١ و ٢ .
(٥) المصدر ج ٢ ص ٤٦٧ تحت رقم ٦ .
(٦) المصدر ج ٢ ص ٤٦٦ تحت رقم ٣ .
(٧) و (٨) المصدر ج ٢ ص ٤٦٧ تحت رقم ٤ و ٨ .

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدّعاء سلاح المؤمن وعمود الدّين، ونور السماوات والأرض» (١).

وبهذا الإسناد قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدّعاء مفاتيح النجاح، ومقاليد الفلاح، وخير الدّعاء ما صدر عن صدر نقيّ وقلب تقيّ، وفي المناجاة سبب النجاة، وبالإخلاص يكون الخلاص، فإذا اشتدّ الفزع فإلى الله المفزع» (٢).

وعنه عليه السلام «الدّعاء يردّ القضاء بعد ما اُبرم إبراماً فأكثر من الدعاء فإنّه مفتاح كلّ رحمة، ونجاح كلّ حاجة، ولا ينال ما عند الله تعالى إلّا بالدّعاء، وإنّه ليس باب يكثر قرعه إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه» (٣).

وعنه عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدّعاء ترس المؤمن، ومتى تُكثر قرع الباب يفتح لك» (٤).

وعنه عليه السلام قال: «الدّعاء أنفذ من السنان الحديد» (٥).

وفي الحسن عن عمر بن يزيد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «إنّ الدّعاء يردّ ما قد قدّر وما لم يقدّر، قلت: ما قد قدّر قد عرفته فما لم يقدّر؟ قال: حتّى لا يكون» (٦).

وفي الصحيح عن أبي ولّاد عنه عليه السلام قال: «عليكم بالدّعاء فإنّ الدّعاء لله والطلب إلى الله يردّ البلاء وقد قدّر وقضي فلم يبق إلّا إمضاؤه فإذا دعي الله تعالى وسئل صرف البلاء صرفة» (٧).

وفيه عن أبي ولّاد عنه عليه السلام «ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدّعاء إلّا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدّعاء

---

(١) و (٢) الكافي ج ٢ ص ٤٦٨ تحت رقم ١ و ٢.
(٣) المصدر ج ٢ ص ٤٧٠ تحت رقم ٧.
(٤) المصدر ج ٢ ص ٤٦٨ تحت رقم ٤.
(٥) و (٦) المصدر ج ٢ ص ٤٦٩ تحت رقم ٧ و ٢.
(٧) المصدر ج ٢ ص ٤٧٠ تحت رقم ٨.

إلا كان ذلك البلاء طويلاً ، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدّعاء والتضرّع إلى الله »[1] .

وفي الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام « هل تعرفون طول البلاء من قصره ؟ قلنا : لا ، قال : إذا اُلهم أحدكم الدّعاء عند البلاء فاعلموا أنّ البلاء قصير »[2] .

وعنه عليه السلام « عليك بالدّعاء فإنّ فيه شفاءً من كلّ داء »[3] .

والأخبار في فضل الدّعاء أكثر من أن تحصى .

(آداب الدعاء وهي عشرة) (*)

أقول : بل هي أكثر وسنذكر البواقي بعد العشرة .

« **الاول** : أن يترصّد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، وشهر رمضان من الشهور ، ويوم الجمعة من الاسبوع ، ووقت السحر من ساعات اللّيل ، قال الله تعالى : « وبالأسحارهم يستغفرون »[4] ولقوله صلى الله عليه وآله : « ينزل الله كلّ ليلة إلى السماء الدّنيا حين يبقى ثلث اللّيل الأخير فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فاُعطيه ، من يستغفرني فأغفر له »[5] .

أقول : و قد مرّ هذا الحديث في آداب صلاة الجمعة و أنّه هكذا « إنّ الله ينزّل ملكاً إلى السماء الدّنيا كلّ ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أوّل اللّيلة فيأمره فينادي هل من سائل فاُعطيه سؤله ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ـ الحديث ـ »[6] .

وفي عدّة الدّاعي[7] عن الباقر عليه السلام « أنّ الله لينادي كلّ ليلة جمعة من فوق عرشه

---

(١) و(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٧١ تحت رقم ٢ و ١ . والوشيك : السريع .

(٣) المصدر ج٢ ص ٤٧٠ تحت رقم ١ .

(*) من كلام أبي حامد .

(٤) الذاريات : ١٨ .

(٥) رواه البخاري ج٢ ص ٦٣ ، و مسلم ج٢ ص١٧٥ ، وأبوعوانة ج ٢ص ٢٨٩.

(٦) مر الخبر ص ١٦ عن الفقيه ص ١١٤ رقم ٢٥ .

(٧) المصدر ص ٢٧ رواه عن الفقيه ص ١١٣ رقم ٢٤ . وبقية الروايات في العدة ص ٢٨ و ٢٩ .

من أوّل اللّيل إلى آخره ألا عبد مؤمن يدعوني لدينه ودنياه قبل طلوع الفجر فاُجيبه، ألا عبد مؤمن يتوب إليّ من ذنوبه قبل طلوع الفجر فأتوب عليه، ألا عبد مؤمن قدقترت عليه رزقه فيسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيده واُوسّع عليه، ألا عبد مؤمن سقيمٌ يسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فاُعافيه، ألا عبدٌ مؤمن محبوس مغمومٌ يسألني أن اُطلقه من سجنه واُخلّي سربه، ألا عبدٌ مؤمن مظلوم يسألني أن آخذله بظلامته قبل طلوع الفجر فأنتصر له وآخذ بظلامته، قال: فلا يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر».

وعن أحدهما عليهما السلام «أنّ العبد المؤمن يسأل الله الحاجة فيؤخّر الله تعالى قضاءَ حاجته الّتي سأل إلى يوم الجمعة».

وعن الصادق عليه السلام في قول يعقوب لبنيه: «سوف أستغفر لكم ربّي» قال: «أخّرهم إلى السحر من ليلة الجمعة».

قال: «وعن النبيّ صلى الله عليه وآله من كان له حاجة فليطلبها في العشاء فإنّها لم يعطها أحدٌ من الاُمم قبلكم ـ يعني العشاء الآخرة ـ».

وفي رواية «وفي السدس الأوّل من النصف الثاني من اللّيل» ويعضدها ماورد من الترغيب والفضل لمن صلّى باللّيل والناس نيام، و في الذكر في الغافلين، ولا شكّ في استيلاء النوم على غالب الناس في ذلك الوقت بخلاف النصف الأوّل فإنّه ربما يستصحب الحال فيه النهار، وآخر اللّيل ربما انتشروا فيه لمعاشهم وأسفارهم وإنّما مخّ اللّيل هو وقت الغفلة وفراغ القلب للعبادة ولاشتماله على مجاهدة النفس بمهاجرة الرقاد و مباعدة وثير المهاد(١) والخلوة بمالك العباد و سلطان الدّنيا والمعاد و هو المقصود من جوف اللّيل وهي ما رواه عمر بن اُذينة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ في اللّيل ساعة ما يوافق فيها عبدٌ مؤمن يصلّي و يدعو الله فيها إلّا استجاب له، قلت له: أصلحك الله وأيّ ساعات اللّيل هي؟ قال: إذا مضى نصف اللّيل وبقي السدس الأوّل من أوّل النصف الثاني»(٢).

(١) الرقاد: النوم كالرقد ولعل الرقاد خاص بالليل. والوثير ـ بتقديم المثلثة ـ: الفراش اللين.

(٢) الى هنا انتهى ما في العدة.

أقول : وفي معناها أخبار أُخر .

و في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام « أنّ من السحر إلى طلوع الشمس يفتح أبواب السماء و يقسم فيها الأرزاق وتقضى فيها الحوائج العظام » (١) .

وفي الفقيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله : « إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء و أبواب الجنان واستجيب الدّعاء ، فطوبى لمن رفع له عند ذلك عمل صالح » (٢).

وقد مضى في آداب الجمعة « أنّ في يوم الجمعة ساعة مبهمة يستجاب فيها الدعاء » مع الكلام في مظانّها فلتتذكّر .

« الثاني أن يغتنم الأحوال الشريفة كزحف الصفوف في سبيل الله ، و عند نزول الغيث ، و عند إقامة الصلوات المكتوبة وخلفها ، وما بين الأذان والإقامة ، ومع الصوم » .

أقول: روى زيد الشحّام عن الصادق عليه السلام قال : « اطلبوا الدّعاء في أربع ساعات عند هبوب الرّياح ، و زوال الأفياء ، و نزول المطر ، وأوّل قطرة من دم القتيل المؤمن فإنّ أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء » (٣) .

وعن الصادق عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : اغتنموا الدّعاء عند أربع عند قراءة القرآن ، وعند الأذان ، وعند نزول الغيث ، وعند التقاء الصفّين للشهادة » (٤) .

وعنه عليه السلام « يستجاب الدّعاء في أربعة مواطن في الوتر ، وبعد الفجر ، وبعد الظهر ، و بعد المغرب » (٥) .

قال أبوحامد : « وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه و فراغه من المشوّشات و يوم عرفة و يوم الجمعة وقت اجتماع الهمم و تعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من الأسرار الّتي لا يطّلع عليها البشر ، وحالة السجود أيضاً جديرة بالإجابة لقوله صلى الله عليه وآله : « أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجدٌ فأكثروا فيه من الدّعاء » (٦).

(١) المصدر ج ٢ ص ٤٧٨ في حديث .
(٢) المصدر ص ٥٦ تحت رقم ١٢ .
(٣) الى (٥) الكافي ج ٢ ص ٤٧٦ و ٤٧٧ .
(٦) مر سابقاً .

وروى ابن عبّاس عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : « إنّما نهيت أن أقرأ راكعاً أوساجداً فأمّا الركوع فعظّموا فيه الربّ تعالى ، وأمّا السجود فاجتهدوا فيه من الدّعاء فإنّه قمنٌ أن يستجاب لكم » (١).

أقول: وقد مرّ من طريق الخاصّة أيضاً ما يدلّ على هذا في أوائل كتاب أسرار الصلاة .

« الثالث أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى باطن إبطيه ، روى جابر ابن عبدالله « أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتّى غربت الشمس » (٢).

و قال سلمان ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ ربّكم حييٌّ كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صفراً » (٣).

و روى أنس أنّه صلى الله عليه وآله وسلم « كان يرفع يديه حتّى يرى بياض إبطيه في الدّعاء ولا يشير بإصبعيه » (٤).

وقال أبو الدرداء : ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغلّ بالأغلال .

ثمّ ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدّعاء :

قال ابن عبّاس كان صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا دعا ضمّ كفّيه وجعل بطونهما ممايلي وجهه » (٥).

قال عمر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا مدّ يده في الدّعاء لم يردّهما حتّى يمسح بهما وجهه . (٦) فهذه هيئات اليد .

---

(١) أخرجه مسلم ج ٢ ص ٤٨ عن سعيد بن منصور ونقله البيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ٨٨ و قال : ذكره غيره عن ابن عيينة .

(٢) أخرجه مسلم ج ٤ ص ٤٢ بأدنى تغيير في اللفظ .

(٣) أخرجه الترمذي ج ١٣ ص ٦٨ ، و ابوداود ج ١ ص ٣٤٢ .

(٤) أخرجه البخاري ج ٢ ص ٣٨ ، و مسلم ج ٣ ص ٢٤ بدون قوله « و لا يشير باصبعيه» وقيدوه بالاستسقاء راجع السنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٥٨.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كما في المغني .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٥٣٦ .

ولا يرفع بصره إلى السماء قال صلى الله عليه وآله: « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم »(١).

أقول: ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « ما أبرز عبد يده إلى الله العزيز الجبار إلا استحيى الله تعالى أن يردها صفراً حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء، فإذا دعا أحدكم فلا يرد يده حتى يمسح على وجهه ورأسه »(٢).

وفي عدة الداعي « كان رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يديه إذا ابتهل و دعا كما يستطعم المسكين »(٣).

وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام ألق كفيك ذلا بين يدي كفعل العبد المستصرخ إلى سيده فإنك إذا فعلت ذلك رحمت، وأنا أكرم القادرين، ياموسى سلني من فضلي ورحمتي فإنهما بيدي لا يملكهما غيري، وانظر حين تسألني كيف رغبتك فيما عندي، لكل عامل جزاء وقد يجزى الكفور بما سعى »(٤).

وسأل أبو بصير الصادق عليه السلام عن الدعاء و رفع اليدين فقال: « على خمسة أوجه: أما التعوذ فتستقبل القبلة بباطن كفيك، وأما الدعاء في الرزق فتبسط كفيك وتفضي بباطنهما إلى السماء، و أما التبتل فإيماؤك بأصبعك السبابة، وأما الابتهال فترفع يديك تجاوز بهما رأسك، وأما التضرع أن تحرك أصبعك السبابة مما يلي وجهك وهو دعاء الخيفة ».

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: « مر بي رجل وأنا أدعو في صلاتي بيساري فقال: يا عبدالله بيمينك فقلت: يا عبدالله إن لله تبارك و تعالى حقاً على هذه كحقه على هذه، و قال: الرغبة تبسط يديك و تظهر باطنهما، والرهبة تبسط

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٠٤٤. و أبو داود ج ١ ص ٢٠٦ و مسلم ج٢ ص٢٩ واللفظ له وفيه زيادة.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٧١.

(٣) المصدر ص ١٣٨ وذكره البيهقى فى الكبرى ج ٥ ص ١١٧ بادنى اختلاف فى اللفظ.

(٤) فى العدة ص ١٣٨ وأصلها فى الكافى رواها فى الروضة ٤٦.

يديك وتظهر ظهرهما ، والتضرّع تحرّك السبّابة اليمنى يميناً وشمالاً ، والتبتّل تحرّك السبّابة اليسرى ترفعها في السماء رسلاً وتضعها رسلاً ، والابتهال تبسط يديك و ذراعيك إلى السماء ، والابتهال حين ترى أسباب البكاء »(١).

وعن سعيد بن يسار قال : قال الصادق عليه السلام : « هكذا الرّغبة وأبرز باطن راحتيه إلى السماء ، و هكذا الرّهبة و جعل ظهر كفّيه إلى السماء ، و هكذا التضرّع و حرّك أصابعه يميناً وشمالاً ، وهكذا التبتّل يرفع إصبعه مرّة و يضعها اُخرى ، وهكذا الابتهال ومدّ يده تلقاء وجهه و قال : لاتبتهل حتّى تجري الدّمعة ، وفي حديث آخر الاستكانة في الدّعاء أن يضع يديه على منكبيه »(٢).

وقال صاحب العدّة : هذه الهيئات المذكورة إمّا تعبّد لعلّة لانعلمها أو لعلّ المراد ببسط كفّيه في الرّغبة كونه أقرب إلى حال الراغب في بسط آماله وحسن ظنّه بإفضاله ورجائه لنواله فالرّاغب يسأل بالآمال فيبسط كفّيه لما يقع فيهما من الإحسان ، والمراد في الرّهبة بجعل ظهر الكفّين إلى السماء كون العبد يقول بلسان الذلّة والاحتقار لعالم الخفيّات والأسرار أنا ما اُقدم على بسط كفّي إليك و قد جعلت وجههما إلى الأرض ذلّاً وخجلاً بين يديك ، والمراد في التضرّع بتحريك الأصابع يميناً و شمالاً أنّه تأسّى بالثاكل عند المصائب الهائلة فإنّها تقلّب يديها و تنوح بهما إدباراً و إقبالاً و يميناً وشمالاً ، والمراد في التبتّل برفع الأصابع مرّة ووضعها اُخرى بأنّ معنى التبتّل الانقطاع فكأنّه يقول بلسان حاله لتحقّق رجائه وآماله : انقطعتُ إليك وحدك لما أنت أهله من الإلهيّة فيشير بأصبعه وحدها من دون الأصابع على سبيل الوحدانيّة ، والمراد في الابتهال بمدّ يديه تلقاء وجهه إلى القبلة أو مدّ يديه و ذراعيه إلى السماء أو رفع يديه و تجاوزهما رأسه بحسب الرّوايات أنّه نوع من أنواع العبوديّة والاحتقار والذلّة والصغار كالغريق الرافع يديه ، الحاسر عن ذراعيه ، المتشبّث بأذيال رحمته ، والمتعلّق بذوائب رأفته الّتي أنجت الهالكين وأغاثت المكروبين و وسعت العالمين ، وهذا مقام جليل فلايدّعيه العبد إلّا عند العبرة و تزاحم الأنين و الزفرة ، ووقوفه موقف العبد الذّليل ، و اشتغاله بخالقه

(١) و (٢) فى العدة ص ١٣٩ نقلها عن الكافى رواه ج ٢ ص ٤٨٠.

الجليل عن طلب الآمال ، والتعرّض للسؤّال ، والمراد في الاستكانة برفع يديه على منكبيه أنّه كالعبد الجاني إذا حمل إلى مولاه وقد أوثقه قيد هواه ، وقد تصفّد بالأثقال وناجى بلسان الحال : هذه يداي قد غللتهما بين يديك بظلمي وجرأتي عليك (١) .

الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي أنّ الناس لمّا قدموا مع رسول الله صلى الله عليه وآله و دنوا من المدينة كبّروا و رفعوا أصواتهم فقال صلى الله عليه وآله : « يا أيّها النّاس إنّ الّذي تدعون ليس بأصمّ ولا غائب ، إنّ الّذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم »(٢) .

وقيل في قوله تعالى : « ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها » (٣) أي بدعائك و قد أثنى الله عزّ وجلّ على نبيّه زكريّا حيث قال : « إذ نادى ربّه نداءً خفيّاً (٤) » و قال تعالى : « ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية »(٥) .

أقول : وقد عدّ في العدّة من الآداب الإسرار بالدّعاء لبعده عن الرّياء و لقوله تعالى : « ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية » ولرواية إسماعيل بن همّام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : « دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية (٦)» .

وفي رواية اُخرى « دعوة تخفيها أفضل من سبعين دعوة تظهرها (٧)» .

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله « إنّ ربّك يباهي الملائكة بثلاثة نفر: رجل يصبح في أرض قفر فيؤذّن ويقيم ثمّ يصلّي فيقول ربّك عزّوجلّ للملائكة : انظروا إلى عبدي يصلّي ولا يراه أحدٌ غيري ، فينزل سبعون ألف ملك يصلّون وراءه ويستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم، ورجلٌ قام في اللّيل يصلّي وحده فسجد ونام وهو ساجد فيقول : انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده ساجد لي و رجلٌ في زحف فيفرّ أصحابه وثبت هو يقاتل حتّى قتل »(٨) .

---

(١) في بعض النسخ [جرمي عليك] .

(٢) أخرجه أبوداود ج١ ص٣٥٠، والترمذى ج ١٣ ص ١٤ ومسلم ج٨ ص ٧٣ .

(٣) الاسراء : ١١٠ . (٤) مريم : ٣ .

(٥) الاعراف : ٥٥ .

(٦) و (٧) الكافى ج ٢ ص ٤٧٦ و الفرق بين الروايتين أن الاولى تفيد المساواة بين الواحدة الخفية و السبعين والثانية تفيد الزيادة عليها ثم الحكم بالمساواة والزيادة انما اذا كانت الظاهرة عرية عن الرياء والسمعة والا فلا نسبة بينهما كما فى الوافى .

(٨) رواه الشيخ فى اماليه فى حديث أبى ذر ـ رحمه الله ـ كما فى المستدرك ج١ ص ١٣ .

« الخامس أن لا يتكلّف السجع في الدّعاء فإنّ حال الدّاعي ينبغي أن يكون حال متضرّع والتكلّف لا يناسبه ، قيل في قوله تعالى : « ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية إنّه لايحبّ المعتدين » إنّ معناه التكلّف في الأسجاع » .

أقول : وفي العدّة أنّ من الشروط أن لايسأل محرّماً ، ولاقطيعة رحم ، ولامايتضمّن قلّة الحياء وإساءة الأدب ، قال : وقال المفسّرون في قوله تعالى : « ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية » أي تخشّعاً وتذلّلاً وسرّاً « إنّه لايحبّ المعتدين » أي لايتجاوز الحدّ في دعائه كأن يطلب منازل الأنبياء ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ياصاحب الدّعاء لاتسأل مالايكون ولايحلّ » وقال عليه السلام : « من سأل فوق قدره استحقّ الحرمان »(١).

قال أبوحامد : « والأولى أن لايجاوز الدّعوات المأثورة فإنّه قد يعتدي في دعائه فيسأل مالا يقتضيه مصلحته فما كلّ أحد يحسن الدّعاء ولذلك ورد في الخبر أوالأثر أنّ العلماء يحتاج إليهم في الجنّة إذ يقال لأهل الجنّة : تمنّوا فلا يدرون كيف يتمنّون حتّى يتعلّموا من العلماء .

وقد قال صلّى الله عليه وآله : « إيّاكم والسجع في الدّعاء ، حسب أحدكم أن يقول : « اللّهمّ إنّي أسألك الجنّة وما قرّب إليها من قول وعمل وأعوذبك من النّار وما قرّب إليها من قول وعمل » (٢).

وفي الخبر « سيأتي قومٌ يعتدون في الدّعاء والطهور »(٣) وقال بعضهم : ادع بلسان الذلّة والافتقار لابلسان الفصاحة والانطلاق ، ويقال : إنّ العلماء والأبدال لايزيد أحدهم في الدّعاء على سبع كلمات فما دونها و يشهد له آخر سورة البقرة فإنّ الله لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك .

---

(١) الى هنا انتهى ما في العدة ص ١١٠ .

(٢) ما عثرت عليه بهذا السياق وللبخاري ج٨ ص٩٢ عن ابن عباس «وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام لايفعلون الاذلك » قال : يعني لا يفعلون الا ذلك الاجتناب انتهى . والدعاء في سنن ابن ماجه تحت رقم ٣٨٤٦ و مستدرك الحاكم ج ١ ص ٥٢٢ واللفظ له قال صحيح الاسناد من حديث عائشة أوله « عليك بالكوامل » و فيه « وأسألك الجنة ـ الى آخره ـ » .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨٦٤ ، وأبو داود ج ١ ص ٢٢ .

واعلم أنّ المراد من السجع هوالمتكلّف من الكلام فإنّ ذلك لايلائم الضراعة والذلّة وإلّا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ كلمات متوازنة لكنّها غيرمتكلّفة كقوله ﷺ : « أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنّة يوم الخلود ، مع المقرّبين الشهود والركّع السجود ، والموفين بالعهود ، إنّك رحيم ودود ، وأنت تفعل ماتريد »(١) وأمثال ذلك ، فليقتصرعلى المأثورمن الدعوات أوليلتمس بلسان التضرّع من غيرسجع ولا تكلّف فالتضرّع هو المحبوب عندالله .

السادس التضرّع والخشوع والرّهبة قال الله تعالى : « إنّهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً »(٢) .

وقال تعالى : « ادعوا ربّكم تضرّعاً و خفية » .

وقال ﷺ : « إذا أحبّ الله تعالى عبداً ابتلاه حتّى يسمع تضرّعه » (٣) .

أقول: وقد مرّت الإشارات في ذلك وفي دعوات أهل البيت عليهم السلام : « ولاينجيني منك إلّا التضرّع إليك » (٤) .

و فيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام « يا موسى كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً ، و عفّر وجهك في التراب ، واسجد لي بمكارم بدنك ، واقنت بين يديّ في القيام وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل »(٥) وإلى عيسى عليه السلام « يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين الّذي ليس له مغيث ، يا عيسى أذلّ لي قلبك و أكثر ذكري في الخلوات واعلم أنّ سروري أن تبصبص إليّ و كن في ذلك حيّاً ولاتكن ميّتاً وأسمعني منك صوتاً حزيناً » (٦) .

(١) أخرجه الترمذى فى صحيحه ج١٢ ص ٣٠٣ فى حديث طويل .

(٢) الانبياء : ٩١ .

(٣) أخرجه البيهقى فى الشعب والديلمى فى الفردوس عن ابى هريرة كما فى الجامع الصغير باب الهمزة .

(٤) راجع الصحيفة السجادية الدعاء الثامن والاربعين دعاء فى يوم الاضحى والجمعة .

(٥) الكافى ج ٨ ص ٤٤ .

(٦) الكافى ج ٨ ص ١٣٨ و ١٤١ . وفيه « ياعيسى أطب لى قلبك » .

« السابع أن يجزم بالدّعاء و يوقن بالإجابة و يصدّق رجاءه فيه ، قال ﷺ : «لايقل أحدكم إذا دعا اللّهمّ اغفرلي إن شئت اللّهمّ ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنّه لا مكره له » (١).

وقال : « إذا دعا أحدكم فليعظّم الرّغبة فإنّ الله تعالى لايتعاظمه شيء » (٢).

وقال ﷺ : « ادعوا الله تعالى وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أنّ الله سبحانه لايستجيب دعاء من قلب غافل » (٣).

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « إذا دعوت فظنّ أنّ حاجتك بالباب » (٤).

وعنه عليه السلام قال : « إنّ الله لايستجيب دعاءً بظهر قلب ساه ، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثمّ استيقن بالإجابة » (٥).

وعنه عليه السلام قال : « إذا دعوت الله فأقبل بقلبك وظنّ حاجتك بالباب » (٦).

وعنه عليه السلام قال : « لمّا استسقى رسول الله ﷺ وسقي الناس حتّى قالوا : إنّه الغرق وقال رسول الله ﷺ بيده (٧) وردّها اللّهمّ حوالينا ولا علينا ـ قال : فتفرّق السحاب ـ فقالوا : يا رسول الله استسقيت لنا فلم نسق ثمّ استسقيت لنا فسقينا قال : « إنّي دعوت وليس لي في ذلك نيّة ثمّ دعوت ولي في ذلك نيّة » (٨).

« الثامن أن يلحّ في الدّعاء ويكرّره ثلاثاً ، قال ابن مسعود : كان ﷺ إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً » (٩) وينبغي أن لايستبطيء الإجابة لقوله ﷺ : « يستجاب

---

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨٥٤ ، و البخاري ج٨ ص٩٢ عن ابى هريرة أيضاً و « ليعزم المسألة » اى ليطلبها جازماً من غير تردد . (٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٦٤ .

(٣) أخرجه الترمذي ج ١٣ ص ٢٢ . وقال : حديث غريب .

(٤) الى (٦) المصدر ج ٢ ص ٤٧٣ تحت رقم ١ الى ٣ .

(٧) أى أشار وفى معنى القول توسع .

(٨) المصدر ج ٢ ص ٤٧٤ تحت رقم ٥ .

(٩) الخبر متفق عليه فى الصحيحين من حديث ابن مسعود و أخرجه أيضاً ابو داود ج ١ ص ٣٤٩ وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٩٩ هكذا «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعجبه أن يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً» .

لأحدكم مالم يعجّل فيقول : دعوتُ فلم يستجب لي فإذادعوت الله فسل الله كثيراً فإنّك تدعو كريماً »[1] .

و قال بعضهم : إنّي أسأل الله تعالى منذعشرين سنة حاجة وماأجابني و أناأرجوه الإجابة سألت‌الله أن يوفّقني لترك مالا يعنيني .

وقال صلى الله عليه وآله : « إذاسأل‌أحدكم ربّه مسألةفتعرّف‌الإجابة فليقل : «الحمدلله‌الّذي بنعمته تتمّ الصالحات » ومن أبطأ عنه من ذلك فليقل : « الحمد لله على كلّ حال »[2] .

أقول : ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن الباقر عليه السلام قال : « والله لايلحّ عبد مؤمنٌ على الله في حاجته إلّا قضاها له » و في رواية « إلّا استجاب‌له » و حذف لفظ المؤمن [3] .

وعن الصادق عليه السلام « أنّ العبد إذادعا لم يزل الله في حاجته ما لم يستعجل »[4].

وعنه عليه السلام « أنّ‌العبد إذاعجّل فقام لحاجته يقول‌الله : أمايعلم عبدي أنّي أناالله الّذي أقضي الحوائج ؟ »[5].

وعنه عليه السلام قال : « إنّ‌الله كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في‌المسألة وأحبّ ذلك لنفسه ، إنّ الله يحبّ أن‌يُسأل ويطلب ماعنده »[6].

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رحم الله عبداًطلب من الله تعالى حاجة فألحّ في‌الدّعاء استجيب له أولم يستجب وتلا هذه الآية « وأدعو ربّي عسى أن لاأكون بدعاء ربّي شقيّاً »[7].

و في العدّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله : « إنّ الله يحبّ السائل اللّحوح » ، و في الوحي

---

(١) أخرجه البخارى ج ٨ص ٩٢ و مسلم ج ٨ ص ٨٧ والترمذى ج١٢ ص ٢٧٦.

(٢) أخرجه الحاكم فى‌المستدرك ج١ص٤٩٩ ، وأخرجه البيهقى فى الدعوات عن ابى‌هريرة بسند ضعيف كما فى‌الجامع‌الصغير.

(٣) المصدر ج ٢ ص ٤٧٥ تحت رقم ٥ .

(٤ و٥) المصدر ج ٢ ص ٤٧٤ تحت رقم ١و٢ .

(٦ و٧) المصدر ج٢ ص ٤٧٥ تحت رقم ٤ و٦ والاية فى سورة مريم ٤٨ .

القديم « لاتمل من الدعاء فإني لا أمل من الإجابة »[١].

و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « إن العبد ليدعو فيقول الله تعالى للملكين : قد استجبت له ولكن احبسوه بحاجته فإني أحب أن أسمع صوته ، و إن العبد ليدعو فيقول تبارك وتعالى : عجلوا له حاجته فإني أبغض صوته »[٢].

و عنه عليه السلام قال : « لايزال المؤمن بخير و رجاء رحمة من الله ما لم يستعجل فيقنط ويترك الدعاء قلت له : كيف يستعجل ؟ قال : يقول : قد دعوت منذ كذا و كذا وما أرى الإجابة »[٣].

وعنه عليه السلام « أن المؤمن ليدعو الله في حاجة يقول الله عز وجل : أخروا إجابته شوقاً إلى صوته ودعائه فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى : عبدي دعوتني فأخرت إجابتك وثوابك كذا و كذا »[٤].

« التاسع أن يفتتح الدعاء بذكر الله فلايبدأ بالسؤال ، قال سلمة بن الأكوع : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يستفتح الدعاء إلا استفتحه فقال : « سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب »[٥].

وفي الخبر عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : « إذا سألتم الله حاجة فابدؤوا بالصلاة علي فإن الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى.[٦] رواه أبوطالب المكي ».

أقول: و من طريق الخاصة ما رواه في العدة عن الحارث بن المغيرة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « إياكم إذا أراد أن يسأل أحدكم ربه شيئاً من حوائج الدنيا حتى يبدأ بالثناء[٧] على الله عز وجل والمدحة له والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ثم

(١) المصدر ص١٤٣.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٨٩ تحت رقم ٣ .

(٣) و(٤) المصدر ج ٢ ص ٤٩٠ تحت رقم ٨ و٩.

(٥) أخرجه الحاكم ج١ص٤٩٨ وقال صحيح الاسناد . لكن فيه عمر بن راشد اليمانى وقد ضعفه الجمهور .

(٦) الظاهر أنه منقول من كتاب قوت القلوب و ماكانت نسخته عندى .

(٧) أى فلا يسأل الا أن يبدأ بالثناء على الله عزوجل .

يسأل الله حاجته »[١] ؛ وقال : « إنّ رجلاً دخل المسجد و صلّى ركعتين ثمّ سأل الله عزّوجلّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أعجل العبد ربّه ، وجاء آخر فصلّى ركعتين ثمّ أثنى على الله عزّوجلّ وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سل تعطه »[٢].

وروى محمّد بن مسلم قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : « إنّ في كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ المسألة بعد المدحة فإذا دعوت الله فمجّده ، قال : قلت : كيف نمجّده ؟ قال : تقول : « يا من هو أقرب إليّ من حبل الوريد ، يا من يحول بين المرء وقلبه ، يا من هو بالمنظر الأعلى ، يا من ليس كمثله شيء »[٣] .

وروى معاوية بن عمّار عن الصّادق عليه السلام قال : « إنّما هي المدحة والثناء ، ثمّ الإقرار بالذنب ، ثمّ المسألة ، إنّه والله ماخرج عبد من ذنب إلّا بالإقرار »[٤] .

وروى عيص بن القاسم قال : قال أبوعبد الله عليه السلام : « إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربّه وليمدحه فإنّ الرجل منكم إذا طلب الحاجة من السلطان هيّأ له من الكلام أحسن مايقدر عليه ، وإذا طلبتم الحاجة فمجّدوا الله العزيز الجبّار وامدحوه وأثنوا عليه تقول : « يا أجود من أعطى ، ويا خير من سئل ، وياأرحم من استرحم ، ياواحد ياأحد ياصمد يامن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، يامن لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً يامن يفعل مايشاء و يحكم مايريد ويقضي ماأحبّ ، يامن يحول بين المرء و قلبه ، يامن هو بالمنظر الأعلى ، يامن ليس كمثله شيء ، ياسميع يابصير» وأكثر من أسماء الله عزّوجلّ فإنّ أسماء الله كثيرة وصلّ على محمّد وآل محمّد وقل : « اللّهمّ أوسع عليّ من رزقك الحلال ماأكفّ به وجهي وأؤدّي به عن أمانتي وأصل به رحمي و يكون لي عوناً على الحجّ والعمرة » [٥] .

وروى هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « لايزال الدّعاء محجوباً حتّى

---

(١) المصدر ص١١٤ . رواه عن الكافي ج ٢ ص ٤٨٤ .

(٢) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٨٥ .

(٣) و(٤) المصدر عن الكافي ج ص ٤٨٤ .

(٥) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٨٥ .

يصلّي على محمّد وآل محمّد » (١) .

وعنه عليه السلام « من دعا ولم يذكر النبيّ صلى الله عليه وآله رفرف الدّعاء على رأسه فإذا ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله رفع الدّعاء » (٢) .

وعنه عليه السلام « من كانت له إلى الله عزّ وجلّ حاجة فليبدء بالصّلاة على محمّد وآل محمّد ثمّ يسأل حاجته ثمّ يختم بالصّلاة على محمّد وآل محمّد فإنّ الله عزّ وجلّ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذ كانت الصلاة على محمّد وآل محمّد لاتحجب عنه » (٣) .

« العاشر وهوأدب الباطن وهوالأصل في الإجابة : التوبة ، وردّ المظالم ، والإقبال على الله بكنه الهمّة فذلك هو السبب القريب في الإجابة ، ويروى عن كعب الأحبار أنّه قال : أصاب الناس قحطٌ شديد على عهد موسى صلوات الله عليه فخرج موسى ببني إسرائيل ليستسقي لهم فلم يسقوا ثمّ خرج ثلاث مرّات ولم يسقوا فأوحى الله تعالى إلى موسى : أنّي لاأستجيب لك ولمن معك وفيكم نمّام ، فقال موسى عليه السلام : ياربّ ومن هو حتّى نخرجه من بيننا فأوحى الله سبحانه إليه ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نمّاماً ؛ فقال موسى لبني إسرائيل : توبوا بأجمعكم من النميمة فتابوا فأرسل الله عليهم الغيث .

وقال سفيان : بلغني أنّ بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتّى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال ، وكذلك كانوا يخرجون إلى الجبال ويتضرّعون فأوحى الله تعالى إلى أنبيائهم لو مشيتم إليّ بأقدامكم حتّى يحفى ركبكم وتبلغ أيديكم أعنان السّماء وتكلّ ألسنتكم عن الدّعاء فإنّي لاأُجيب لكم داعياً ولا أرحم منكم باكياً حتّى تردّوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم » .

وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قحطٌ فخرجوا مراراً فأوحى الله تعالى إلى نبيّهم أن أخبرهم أنّكم تخرجون إليّ بأبدان نجسة ، وترفعون إليّ أكفّاً قد سفكتم بها الدماء ، وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتدّ غضبي عليكم ولن تزدادوا منّي إلّا بعداً .

(١) و(٢) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٩١ .
(٣) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٩٤ .

وقال أبوالصديق الناجي : خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمرّ بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول : اللّهمّ إنّا خلق من خلقك ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا ، فقال سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم .

وقال الأوزاعيّ : خرج النّاس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعيد فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثمّ قال : يامعشر من حضر ألستم مقرّين بالإساءة ؟ قالوا : اللّهمّ نعم ، فقال : اللّهمّ إنّا سمعناك تقول : ماعلى المحسنين من سبيل فقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلّا لمثلنا اللّهمّ اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يده ورفعوا أيديهم فسقوا .

و قيل لمالك بن دينار : ادع لنا ربّك ، فقال : أنتم تستبطئون المطر و أنا أستبطيء الحجارة .

وروي أنّ عيسى ابن مريم عليه السلام خرج يستسقي فلمّا أصحروا قال لهم عيسى : من أصاب منكم ذنباً فليرجع فرجعوا كلّهم ولم يبق معه إلّا رجل واحد فقال له عيسى أمالك من ذنب فقال : والله ما أعلم من شيء غير أنّي كنتُ ذات يوم اصلّي فمرّت بي امرأة فنظرت إليها بعيني هذه فلمّا جاوزت أدخلت إصبعي في عيني فانتزعتها وأتبعت المرأة بها ، فقال له عيسى عليه السلام فادع حتّى اُؤمّن على دعائك فدعا فتجلّلت السماء سحاباً ، ثمّ صبّ فسقوا .

وقال يحيى بن الغسّاني : أصاب الناس قحطٌ على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتّى يستسقوا بهم فقال أحدهم : اللّهمّ إنّك أنزلت في توراتك أن نعفو عمّن ظلمنا ، اللّهمّ إنّا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنّا . وقال الثاني : اللّهمّ إنّك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقّاءنا ، اللّهمّ إنّا أرقّاؤك فأعتقنا . و قال الثالث : اللّهمّ إنّك أنزلت في توراتك أن لا تردّوا المساكين إذا وقفوا ببابكم ، اللّهمّ إنّا مساكينك وقفنا ببابك فلا تردّ دعاءنا . فسقوا .

وقال عطاء السلميّ : مُنِعنا الغيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر إليّ فقال : ياعطاء هذا يومُ النشور أو بعثر مافي القبور ؟ فقلت : لا ولكنّا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال : ياعطاء بقلوب أرضيّة أوبقلوب سماويّة ؟ فقلت : بل

بقلوب سماويّة فقال : هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لاتتبهرجوا فإنّ الناقد بصير ثمّ رمق السماء بطرفه وقال : إلهي و سيّدي لاتهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من أسمائك وماوارت الحجب من آلائك إلّاسقيتنا ماء غدقاً تحيي به العباد وتروي به البلاد ، يا من هو على كلّ شيء قدير ، قال عطاء : فما استتمّ الكلام حتّى رعدت السماء وبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب ، فولّى و هو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدونا * إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العليلة حبّاً * فانقضى ليلهم وهم ساهرونا

شغلتهم عبادة الله حتّى * قيل في الناس إنّ فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط ، فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش(١) قد اتّزر بإحداهما وألقى الأُخرى على عاتقه فجلس إلى جنبي فسمعته يقول : إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذّنوب ومساوي الأعمال وقد احبست عنّا غيث السماء لتؤدّب عبادك بذلك فأسألك ياحليماً ذاأناة ، يامن لايعرف عباده منه إلّا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة ، فلم يزل يقول : الساعة الساعة حتّى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كلّ مكان ، و قال ابن المبارك : فجئت إلى الفضيل فقال : مالي أراك كئيباً ؟ فقلت : سبقنا إليه غيرنا فتولّاه دوننا ، وقصصت عليه القصّة فصاح الفضيل وخرّ مغشيّاً عليه ».

أقول: ومن طريق الخاصّة عن أهل البيت عليهم السلام « أنّ فيما وعظ الله به عيسى عليه السلام : ياعيسى قل لظلمة بني إسرائيل غسلتم وجوهكم ودنّستم قلوبكم ، أبي تغترّون أم عليّ تجترئون ؟ تطيّبون بالطيب لأهل الدّنيا وأجوافكم عندي بمنزلة الجيف المنتنة كأنّكم أقوام ميّتون ، ياعيسى قل لهم : قلّموا أظفاركم من كسب الحرام وأصمّوا أسماعكم من ذكر الخنى وأقبلوا عليّ بقلوبكم فإنّي لست أُريد صوركم ، يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل : لاتدعوني والسحت تحت أحضانكم والأصنام في بيوتكم فإنّي آليت أن أُجيب

---

(١) الخيش : نسيج خشن من الكتان .

من دعائي وأن أجعل إجابتي إيّاهم لعناً لهم حتّى يتفرّقوا »(١).

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله « أوحى الله إليّ أن ياأخا المرسلين وياأخا المنذرين أنذر قومك : لايدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة فإنّي ألعنه مادام قائماً يصلّي بين يديّ حتّى يردّ تلك المظلمة ، فأكون سمعه الّذي يسمع به ، و أكون بصره الّذي يبصر به ، ويكون من أوليائي وأصفيائي ، و يكون جاري مع النبيّين و الصدّيقين والشهداء في الجنّة »(٢).

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام « أوحى الله إلى عيسى عليه السلام قل لبني إسرائيل : لاتدخلوا بيتاً من بيوتي إلّا بأبصار خاشعة و قلوب طاهرة وأيد نقيّة ، وأخبرهم أنّي لا أستجيب لأحد منهم دعوة ولأحد من خلقي لديهم مظلمة »(٣).

وفي الحديث القدسيّ « فمنك الدّعاء وعليّ الإجابة ، فلا تحجب عنّي دعوة إلّا دعوة آكل الحرام ».

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله : « من أحبّ أن يستجاب دعاؤه فليطب مطعمه و كسبه » ، وقال لمن قال له : أحبّ أن يستجاب دعائي : « طهّر مأكلك ولا يدخل بطنك الحرام »(٤).

وعن الصادق عليه السلام « من سرّه أن يستجاب دعاؤه فليطب مطعمه و كسبه »(٥).

وعنه عليه السلام « ترك لقمة حرام أحبّ إلى الله من ألفي ركعة تطوّعاً ، وردّ دانق حرام يعدل عندالله سبعين حجّة مبرورة »(٦).

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله « لوصلّيتم حتّى تكونوا كالأوتاد ، وصمتم حتّى تكونوا كالحنايا لم يقبل الله منكم إلّا بورع حاجز »(٧).

وعنه صلى الله عليه وآله « العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرّمل ، وقيل : على الماء »(٨).

وعنه صلى الله عليه وآله « يكفي من الدّعاء مع البرّ مايكفي الطعام من الملح »(٩).

رواها كلّها في العدّة واستفيد منها ومن غيرها من آداب الدّعاء عشرة أُخرى .

الأوّل تسمية الحاجة روى أبوعبدالله الفرّاء عن الصادق عليه السلام قال : « إنّ الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعا ولكنّه يحبّ أن تبثّ إليه الحوائج »(١٠).

---

(١) الى (٩) عدة الداعي منتهى الباب الثالث ص ١٠٢ .

(١٠) الكافي ج ٢، ص ٤٧٦ .

وعن كعب الأحبار : مكتوب في التوراة « يا موسى إنّي لست بغافل عن خلقي ولكن أُحبُّ أن يسمع ملائكتي ضجيج الدّعاء من عبادي وترى حفظتي تقرُّب بني آدم إليّ بما أنا مقوّيهم عليه ومسبّبه لهم .

الثاني التعميم في الدّعاء ، روى ابن القدّاح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا دعا أحدكم فليعمّم فإنّه أوجب للدّعاء »(١) .

الثالث الاجتماع في الدّعاء قال تعالى : «واصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم »(٢) وأمر سبحانه بالاجتماع للمباهلة .

وروى أبوخالد قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : « ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله في أمر إلّا استجاب لهم ، فإن لم يكونوا أربعين فأربعة يدعون الله عشر مرّات إلّا استجاب الله عزّ وجلّ لهم ، فإن لم يكونوا أربعة فواحد يدعو الله أربعين مرّة يستجيب الله العزيز الجبّار له » (٣) .

وروى عبد الأعلى عنه عليه السلام قال : « ما اجتمع أربعة رهط قطُّ على أمر واحد فدعوا إلّا تفرّقوا عن إجابة »(٤) .

وروى عليُّ بن عقبة عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « كان أبي إذا حزنه أمرٌ جمع النساء والصبيان ثمّ دعا وأمّنوا » (٥) .

وروى السكونيُّ عنه عليه السلام قال : « الدّاعي والمؤمّن شريكان في الأجر »(٦) .

الرابع البكاء حالة الدّعاء قال في العدّة (٧) : وهو سيّد الآداب وذروة سنامها أمّا أوّلاً فلدلالته على رقّة القلب الّذي هو دليل الإخلاص الّذي عنده تحصل الإجابة .

قال الصادق عليه السلام : « إذا اقشعرَّ جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك فدونك دونك فقد قصد قصدك »(٨) ولأنّ جمود العين من قساوة القلب على ما ورد به الخبر ، و هو يؤذن

---

(١) المصدر ص ٤٨٧ .　　(٢) الكهف : ٢٨ .

(٣) الى (٦) الكافي ج ٢ ص ٤٨٧ .　　(٧) المصدر ص ١١٩ .

(٨) الكافي ج ٢ ص ٤٧٨ وقوله : «فدونك دونك» اى خذه فهو دونك وقريب منك ويقال : هذا دونه اى قريب منه ، فهو اغراء والتكرير للمبالغة ، والقصد اتيان الشيء تقول : قصدته وقصدت له وقصدت اليه بمعنى ، وقصدت قصده اى نحوت نحوه والظاهر ←

بالبعد من الله سبحانه ، وفيما أوحى الله تعالى إلى موسى « يا موسى لاتطوّل في الدّنيا أملك فيقسو قلبك وقاسي القلب منّي بعيد »(١) .

وقاسي القلب مردود الدّعاء لقوله عليه السلام: « لايقبل الله دعاء بظهرقلب قاس »(٢).

وأمّا ثانياً فلما فيه من الانقطاع إلى الله وزيادة الخشوع ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا أحبّ الله عبداً نصب في قلبه نائحة من الحزن ، فإنّ الله تعالى يحبّ كلّ قلب حزين ، وإنّه لا يدخل النّار من بكى من خشيةالله حتّى يعود اللّبن إلى الضرع ، وإنّه لايجتمع غبار في سبيل‌الله ودخان جهنّم في منخري مؤمن أبداً ، وإذاأبغض الله عبداًجعل في قلبه مزماراً من الضحك وإنّ الضحك يميت القلب ، والله لا يحبّ الفرحين »(٣).

وأمّا ثالثاً فلموافقته أمرالحقّ سبحانه في وصاياه لأنبيائه عليهم السلام حيث يقول لعيسى عليه السلام : « ياعيسى هب لي من عينيك الدّموع ومن قلبك الخشية ـ الحديث ـ »(٤) .

و لموسى عليه السلام : « وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل ـ إلى أن قال ـ : وصح إليّ من كثرة الذّنوب صياح الهارب من عدوّه »(٥).

وأمّا رابعاً فلما فيه من الخصوصيّات والفضائل الّتي لا توجد في غيره من أصناف الطاعات ، ثمّ ذكرأخباراً كثيرة في فضل البكاء ، لعلّنانذكرها في محلّ آخر .

ثمّ قال : وإن لم يكن بكاء فليتباك لقول الصادق عليه السلام : « و إن لم يكن بك بكاء فتباك »(٦) .

← أنه على بناء المفعول . وقوله : «قصدك» مفعول مطلق نائب مناب الفاعل والاضافة الى المفعول أى اذا ظهرت تلك العلامات فعليك بطلب الحاجات والاهتمام فى الدعاء للمهمات فقد اقبل الله عليك بالرحمة وتوجه نحوك الاجابة . ورواه الصدوق فى الخصال ج ١ ص ٤١ .

(١) الكافى ج ٢ ص ٣٢٩ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٧٥ وفيه «لايستجيب دعاء بظهرقلب قاس» .

(٣) روى صدره الديلمى فى الارشاد باب الحزن وتمامه فى باب البكاء من خشية الله.

(٤) رواه ابن الشيخ فى اماليه بهذا اللفظ كما فى المستدرك ج ٢ ص ٢٩٤ . وأورده ابن شعبة فى التحف مرسلا ص ٥٠١ . ورواه الكلينى فى الكافى ج ٨ ص ١٤١ مسنداً و فيهما «صب» مكان «هب» .

(٥) الكافى ج ٨ ص ٤٢ . (٦) الكافى ج ٢ ص ٤٨٣ .

وعن سعيد بن يسار « قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أتباكى على الدّعاء وليس بي بكاء؟ قال : نعم ولو مثل رأس الذّباب » [(١)].

وعن أبي حمزة قال : قال أبوعبدالله عليه السلام لأبي بصير : « إن خفت أمراً يكون أو حاجة تريدها فابدء بالله فمجّده وأثن عليه كما هو أهله ، وصلّ على النبيّ ، وتباك ولو مثل رأس الذّباب ، إنّ أبي كان يقول : أقرب مايكون العبد من الربّ وهو ساجد يبكي » [(٢)].

وعنه عليه السلام « إن لم يجئك البكاء فتباك فإن خرج منك مثل رأس الذّباب فبخ بخ » [(٣)].

الخامس الاعتراف بالذّنب قبل السؤال لما فيه من الانقطاع إلى الله سبحانه ووضع النفس « ومن تواضع لله رفعه الله » « وهو عند المنكسرة قلوبهم » روي أنّ عابداً عبدالله سبعين عاماً صائماً نهاره قائماً ليله فطلب إلى الله حاجة فلم تقض فأقبل على نفسه وقال : من قبلك اُتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك ، فأنزل الله إليه ملكاً فقال : يا ابن آدم ساعتك الّتي أزريت [(٤)] فيها على نفسك خير من عبادتك الّتي مضت » .

وعن الصادق عليه السلام «إذا رقّ أحدكم فليدع فإنّ القلب لا يرقّ إلّا حين يخلص » [(٥)].

وربّما كان سبباً للبكاء وإرسال الدّموع وهو من الآداب وناهيك بأدب يكون سبباً لأدب آخر، ولقول الصادق عليه السلام : « إنّما هي المدحة ثمّ الثناء ، ثمّ الإقرار بالذنب ، ثمّ المسألة ، إنّه والله ماخرج عبد من ذنب إلّا بالإقرار» [(٦)].

وقد مرّ ما يدلّ على هذا الأدب في الأدب العاشر وهو قريب منه .

السادس الإقبال بالقلب لأنّ من لا يقبل عليك لا يستحقّ إقبالك عليه كما لو حادثك من تعلم غفلته عن محادثتك و إعراضه عن محاورتك فإنّه يستحقّ إعراضك عن خطابه واشتغالك عن جوابه ، وقال الصادق عليه السلام : « من أراد أن ينظر منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده فإنّ الله ينزّل العبد مثل ماينزّل العبدالله من نفسه » [(٧)].

---

(١) و(٢) و(٣) الكافى ج ٢ ص ٤٨٣ . و قوله : « فبخ بخ» هى كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء .

(٤) الازراء : التهاون بالشيء . (٥) الكافى ج ٢ ص ٤٧٧ .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٤٨٤ .

(٧) العدة ص ١٢٧ وأخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٤٩٥ عن النبيّ (ص).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يقبل الله دعاء قلب لاه»(١).

وروى سيف بن عميرة عن الصادق عليه السلام قال: «إذا دعوت الله فأقبل بقلبك»(٢).

وفيما أوحى الله إلى عيسى عليه السلام «لا تدعني إلّا متضرّعاً إليّ وهمّك همّاً واحداً فانّك متى تدعني كذلك أجبك»(٣).

وهذا الأدب قد جمعه أبو حامد مع الأدب العاشر والأولى جعله أدباً آخر.

السابع التقدّم في الدّعاء قبل الحاجة إليه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ - رضي الله عنه -: «ألا اُعلّمك كلمات ينفعك الله عزّوجلّ بهنّ؟ قال: بلى يا رسول الله قال: «احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة - الحديث -(٤)».

و روى هارون بن خارجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الدّعاء في الرّخاء ليستخرج الحوائج في البلاء»(٥).

و في الصحيح عنه عليه السلام قال: «من تقدّم في الدّعاء استجيب له إذا نزل به البلاء، وقيل: صوت معروفٌ ولم تحجب عن السماء، و من لم يتقدّم في الدّعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة إنّ ذا الصوت لا نعرفه»(٦).

وعنه عليه السلام قال: «كان جدّي يقول: تقدّموا في الدّعاء فإنّ العبد إذا كان دعّاءً فنزل به البلاء فدعا قيل: صوت معروف، وإذا لم يكن دعّاء فنزل به بلاء فدعا قيل: أين كنت قبل اليوم»(٧).

وعنه عليه السلام قال: «كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: الدّعاء بعد ما ينزل البلاء لا ينتفع به»(٨).

وعنه عليه السلام قال: «من تخوّف بلاء يصيبه فيقدّم فيه بالدّعاء لم يره الله عزّوجلّ

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٧٣. وفي بعض النسخ [دعاء عبد لاه].

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤١.

(٣) عدة الداعي ص ١٢٧.

(٤) رواه الطبرسي في المكارم ص ٥٣٩ مسنداً معنعناً عن أبي الاسود الدئلي قال: قدمت الربذة فدخلت على أبي ذر الغفاري ثم ذكر الحديث بطوله ومنه هذا الكلام.

(٥) و(٦) و(٧) و(٨) الكافي ج ٢ ص ٤٧٢.

ذلك البلاء أبداً [(١)].

الثامن الدّعاء للإخوان والتماسه منهم، روى ابن أبي عميرعن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من قدّم أربعين من المؤمنين ثمّ دعا استجيب له» [(٢)] و يتأكّد بعد الفراغ من صلاة اللّيل.

وروي أنّ الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام «ياموسى ادعني على لسان لم تعصني به، فقال: أنّى لي بذلك؟ فقال: ادعني على لسان غيرك» [(٣)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس شيء أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب» [(٤)].

و روى الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أوشك دعوة و أسرع إجابة دعوة المؤمن [(٥)] لأخيه بظهر الغيب» [(٦)].

وعنه عليه السلام «أسرع الدّعاء نجاحاً للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب، يبدء بالدّعاء لأخيه فيقول له ملك مؤكّل به: آمين ولك مثلاه» [(٧)].

وروى عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «دعاء الرّجل لأخيه بظهر الغيب يدرّ الرزق ويدفع المكروه» [(٨)].

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلّا ردّ الله عليه مثل الّذي دعالهم به من كلّ مؤمن و مؤمنة مضى من أوّل الدّهر أو هو آت إلى يوم القيامة، و إنّ العبد ليؤمر به إلى النّار يوم القيامة فيسحب فيقول المؤمنون و المؤمنات: يا ربّ هذا الّذي كان يدعولنا فشفّعنا فيه فيشفّعهم الله فيه فينجو» [(٩)].

وروى عليّ عن أبيه قال: رأيت عبدالله بن جندب بالموقف فلم أرموقفاً أحسن من موقفه فما زال مادّاً يديه إلى السماء و دموعه تسيل على خدّيه حتّى تبلغ الأرض، فلّما صدر الناس قلت: يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قطّ أحسن من موقفك، فقال: والله ما دعوت

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٧٢.
(٢) الكافي ج ٢ص ٥٠٩.
(٣) عدة الداعي ص ١٢٨.
(٤) الكافي ج ٢ص ٥١٠ وأخرجه أبوداود ج ١ ص ٣٥٢.
(٥) في الكافي «دعوة المرء».
(٦) الى (٩) الكافي ج ٢ ص٥٠٧ باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب تحت رقم ١ و٤ و٢ و٥ على الترتيب، وسحبه -كمنعه-: جره على وجه الارض.

إلّا لإخواني ، وذلك أنّ أبا الحسن عليه السلام أخبرني « أنّ من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش ولك مائة ألف ضعف » فكرهت أن أدع مائة ألف مضمونة لواحدة لا أدري تستجاب أم لا » (١) .

التاسع أن لا يعتمد في حوائجه على غير الله سبحانه وهو من المكمّلات ، قال الله تعالى « ومن يتوكّل على الله فهو حسبه » (٢) .

وروى حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلّا أعطاه فلييأس من الناس كلّهم ولا يكون له رجاء إلّا [من] عندالله ، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلّا أعطاه » (٣) .

وفيما وعظ الله به عيسى عليه السلام « يا عيسى ادعني دعاء الحزين الغريق الّذي ليس له مغيث ، يا عيسى سلني ولا تسأل غيري فيحسن منك الدّعاء ومنّي الإجابة ولا تدعني إلّا متضرّعاً إليّ وهمّك همّاً واحداً فإنّك متى تدعني كذلك اُجبك » (٤) .

وأوحى الله إلى بعض أنبيائه في بعض وحيه وعزّتي و جلالي لأقطّعنّ أمل كلّ آمل أمّل غيري بالإياس ، ولأكسونّه ثوب المذلّة في الناس ، ولأبعدنّه من فرجي وفضلي (٥) أيأمل عبدي في الشدائد غيري والشدائد بيدي ويرجو سواي وأنا الغنيّ الجواد ، بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة ، وبابي مفتوح لمن دعاني ، ألم تعلموا أنّ من دهمه نائبة فلم يملك كشفها عنه غيري فما لي أراه يأمله معرضاً عنّي و قد أعطيته بجودي و كرمي مالم يسألني فأعرض عنّي و لم يسألني وسأل في نائبته غيري و أنا الله أبتدي بالعطيّة قبل المسألة ، أفاُسال فلا أجود كلّا ، أليس الجود والكرم لي ، أليس الدّنيا والآخرة بيدي فلو أنّ أهل سبع سماوات و أرضين سألوني جميعاً و أعطيت كلّ واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح البعوضة و كيف ينقص ملك أنا قيّمه

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٠٨ باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب .

(٢) الطلاق : ٤ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٤٨ تحت رقم ٢ .

(٤) مر آنفاً عن العدة و غيره .

(٥) في فقه الرضا عليه السلام [ولا بعدنه من قربي] .

فيابؤساً لمن عصاني ولم يراقبني »[1] رواه الصادق عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليه السلام .

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : قال الله عزّ وجلّ : «مامن مخلوق يعتصم بي دون خلقي إلّا ضمنت السماوات والأرض رزقه فإن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن استغفرني غفرت له [مامن مخلوق يعتصم بمخلوق دوني إلّا قطعت أسباب السماوات وأسباب الأرض من دونه فإن سألني لم اُعطه وإن دعاني لم اُجبه] »[2].

العاشر ما روي عن الصادق عليه السلام قال : « احفظ أدب الدّعاء وانظر من تدعو ، وكيف تدعو ، ولما ذاتدعو، وحقّق عظمة الله وكبرياءه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطّلاعه على سرّك وما كمن فيه من الحقّ والباطل ، واعرف طرق نجاتك وهلاكك كيلا تدعوالله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظنّ أنّ فيه نجاتك ، قال الله عزّ وجلّ : « ويدعو الإنسان بالشرّ دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً »[3] و تفكّر ما ذاتسأل ، ولما ذاتسأل والدعاء استجابة الكلّ منك للحقّ و تذويب المهجة في مشاهدة الرّبّ و ترك الاختيار جميعاً و تسليم الاُمور كلّها ظاهرها وباطنها إلى الله ، فإن لم تأت بشرط الدّعاء فلا تنتظر الإجابة ، فإنّه يعلم السرّ وأخفى ، فلعلّك تدعوه بشيء قد علم من نيّتك بخلاف ذلك ، قال بعض الصحابة لبعضهم أنتم تنتظرون المطر بالدّعاء وأنا أنتظر الحجر .

و اعلم أنّه لولم يكن أمرنا الله بالدّعاء لكنّا إذا أخلصنا الدّعاء تفضّل علينا بالإجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدّعاء ، سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن اسم الله الأعظم ، قال : « كلّ اسم من أسماء الله أعظم » و فرّغ قلبك عن كلّ من سواه وادعه بأيّ اسم شئت ، و ليس في الحقيقة لله اسم دون اسم ، بل هوالله الواحد القهّار ، و قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « إنّ الله لا تستجيب الدّعاء من قلب لاه » فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدّعاء و أخلصت سرّك لوجهه فأبشر بإحدى ثلاثة : إمّا بأن يتعجّل لك بما سألت ، أو يدّخرلك ما هوأعظم منه وإمّا أن يصرف عنك من البلاء ما أن لوأرسله عليك

(١) رواه الكليني - رحمه الله - بزيادات في الكافي ج ٢ ص ٦٦ ، و في فقه الرضا عليه السلام مثله كما في مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) مروي في صحيفة الرضا عليه السلام ص ٢.

(٣) الاسراء : ١٣ .

لهلكت ، قال النبي ﷺ : قال الله تعالى : « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين »(١) .

قال الصادق عليه السلام : «لقد دعوت الله مرّة فاستجاب لي ونسيت الحاجة لأنّ استجابته بإقباله على عبده عند دعوته أعظم و أجلّ ممّا يريد منه العبد ولو كانت الجنّة و نعيمها الأبد ، ولكن لا يعقل ذلك إلّا العاملون المحبّون العارفون صفوة الله وخواصّه »(٢) .

﴿فصل﴾

أقول : ومن المحسّنات والمتمّمات أن لا يلحن في الدّعاء فعن أبي جعفر الجواد عليه السلام أنّه قال : « ما استوى رجلان في حسب ودين قطّ إلّا كان أفضلهما عند الله عزّ وجلّ آدبهما قال : قلت : جعلت فداك قد علمت فضله عند الناس في النّادي والمجالس فما فضله عند الله عزّ وجلّ ؟ قال : يقرء القرآن كما اُنزل ، ودعا الله عزّ وجلّ من حيث لا يلحن ، و ذلك أنّ الدّعاء الملحون لا يصعد إلى الله عزّ وجلّ »(٣) .

قال في عدّة الدّاعي ما حاصله : إنّ إعراب الألفاظ في الدّعاء ليس شرطاً في إجابته والإثابة عليه بل هو شرط في تماميّة فضيلته ، و كمال منزلته ، وعلوّ رتبته ، وخرج قوله عليه السلام « ودعا الله من حيث لا يلحن » مخرج المدح وذلك أنّ الدّعاء إذا لم يكن ملحوناً كان ظاهر الدّلالة في معناه والألفاظ الظاهرة الدلالة في معانيها أفضل من الألفاظ المتأوّلة وأيضاً فإنّه أفصح والفصاحة مرادة في الدّعاء خصوصاً إذا كان منقولاً عن الأئمة عليهم السلام ليدلّ على فصاحة المنقول عنه ، وفيه إظهارٌ لفضيلة المعصوم ، وأيضاً فإنّ اللّفظ إذا كان معرباً لم ينفر عنه طبع السامع إذا كان نحويّاً وإذا سمعه ملحوناً نفر طبعه عنه وربما تألّم منه .

قيل : سمع الأعمش رجلاً يتكلّم ويلحن في كلامه فقال : من هذا الّذي يتكلّم وقلبي منه يتألّم .

---

(١) و(٢) مصباح الشريعة الباب التاسع عشر .

(٣) عدة الداعي ص ١٠ .

وروي أنّ رجلاً قال لرجل : أتبيع هذا الثوب ؟ قال : لاعافاك الله ، فقال : لقد علّمتم لو تعلمون ، قل : لا وعافاك الله .

وروي أنّ رجلاً قال لبعض الأكابر وقد سأله عن شيء فقال : لاوأطال الله بقاءك فقال : ما رأيت واواً أحسن موقعاً من هذه ، وقوله عليه السلام : « إنّ الدّعاء الملحون لايصعد إلى الله » أي لايصعد إليه ملحوناً يشهد عليه الحفظة بما يوجب اللّحن ، إذا كان مغيّراً للمعنى ويجازى عليه كذلك بل يجازيه على قدر قصده ومراده من دعائه .

ويؤيّد ذلك مارواه محمّد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلّي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : إنّ الرّجل الأعجميّ من اُمّتي ليقرء القرآن بعجمته فترفعه الملائكة على عربيّته »[1].

مع أنّا نجد في أدعية أهل البيت عليهم السلام ألفاظاً لانعرف معانيها وذلك كثيرٌ فمنه أسماء وأقسامات ومنه أغراض وحاجات وفوائد وطلبات ، فنسأل من الله بالأسماء ونطلب منه تلك الأشياء ونحن غير عارفين بالجميع ، ولم يقل أحدٌ : إنّ مثل هذا الدّعاء إذا كان معرباً يكون مردوداً مع أنّ فهم العامي لمعاني الألفاظ الملحونة أكثر من فهم النحويّ لمعاني دعوات غير بيّنة لم يقف على تفسيرها ولغاتها بل عرف مجرّد إعرابها بل الله سبحانه يجازيه على قدر قصده ويثيبه على نيّته لقوله صلى الله عليه وآله : « إنّما الأعمال بالنيّات » وقوله: « نيّة المرء خيرٌ من عمله » وهذا نصٌّ في الباب لأنّ الجزاء وقع على النيّة فانتفع به الدّاعي ولو وقع على العمل الظاهر لهلك ولقوله صلى الله عليه وآله : « إنّ سين بلال عندالله شين». وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : « يا أميرالمؤمنين إنّ بلالاً كان يناظر اليوم فلاناً فجعل يلحن في كلامه و فلانٌ يعرب ويضحك من بلال ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا عبدالله إنّما يراد إعراب الكلام ليقوّم الأعمال ويهذّبها ، ماذا ينفع فلاناً إعرابه وتقويمه لكلامه إذا كانت أفعاله ملحونة أقبح لحن وما ذا يضرّ بلالاً لحنه في كلامه إذا كانت أفعاله مقوّمة أحسن تقويم ومهذّبة أحسن تهذيب » .

فقد ثبت بهذا الحديث أنّ اللّحن قد يدخل في العمل كما يدخل في اللّفظ وأنّ

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٦١٩ تحت رقم ١ .

الضرر فيه عائدٌ إلى وقوعه في العمل دون اللّفظ »(١).

☆(فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)☆

« قال الله تعالى إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً »(٢)

و روي أنّه صلى الله عليه وآله وسلم : « جاء ذات يوم والبشرى يرى في وجهه فقال : إنّه جاءني جبرئيل فقال : يقول الله تعالى : أما ترضى يا محمّد أن لايصلّي عليك أحدٌ من اُمّتك إلّا صلّيت عليه عشراً ، ولايسلّم عليك أحدٌ من أمّتك إلّا سلّمت عليه عشراً »(٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من صلّى عليّ صلّت عليه الملائكة ما صلّى عليّ، فليقلل عبدٌ عن ذلك أو ليكثر » (٤).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً : « إنّ أولى الناس بي أكثرهم عليّ صلاة »(٥).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « بحسب المؤمن من البخل أن اُذكر عنده فلا يصلّي عليّ » (٦).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أكثروا عليّ الصلاة يوم الجمعة » (٧).

وقال : « من صلّى عليّ من اُمّتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيّئات »(٨).

---

(١) الى هنافى العدة ص ١٠ .

(٢) الاحزاب :٥٦ .

(٣) أخرجه الدارمى فى سننه ج ٢ ص ٣١٧ . والبغوى فى المصابيح ج ١ ص ٦٤ .

(٤) أخرجه ابن ماجه عن عامر بن ربيعة عن أبيه تحت رقم ٩٠٧ .

(٥) أخرجه الترمذى ج ٢ ص ٢٦٩ وحسنه ، وأخرجه ابن حبان عن ابن مسعود كما فى الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٨ .

(٦) أخرجه أحمد ج١ ص٢٠١ عن الحسين بن على عليهما السلام ، والترمذى ج١٣ ص٦٣ عن على عليه السلام بلفظ آخر.

(٧) أخرجه أبوداود ج ١ ص٢٤١ فى حديث ، وأخرجه ابن ابى شيبة وابن مردوية وزاد « فانها معروضة على » كما فى الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٩ .

(٨) أخرجه أبو يعلى بنحو آخر كمافى مجمع الزوائد ج١٠ ص١٦١، وأخرجه النسائى فى اليوم و الليلة بزيادة كمافى المغنى .

وقال ﷺ : « من قال حين يسمع الأذان و الإقامة : « اللّهمّ ربّ هذه الدّعوة التامّة والصلاة القائمة صلّ على محمّد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة . حلّت له شفاعتي » (١).

وقال ﷺ : « من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب (٢).

وقال ﷺ : « إنّ في الأرض ملائكةً سيّاحين يبلّغوني عن أُمّتي السلام» (٣).

وقال ﷺ : « ليس أحدٌ يسلّم عليّ إلّا ردّ الله عليّ روحي حتّى أردّ عليه السلام » (٤).

وقال بعضهم : كنت أكتب الحديث وأُصلّي على النبيّ ﷺ فيه ولا أُسلّم فرأيت النبيّ ﷺ في المنام فقال : أما تتمّ الصلاة عليّ في كتابك ؟ فما كتبت بعد ذلك إلّا صلّيت عليه وسلّمت » .

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن أبي بصير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « إذا ذكر النبيّ ﷺ فأكثروا الصلاة عليه فإنّه من صلّى على النبيّ ﷺ صلاة واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة في ألف صفّ من الملائكة ولم يبق شيء ممّا خلقه الله إلّا صلّى على ذلك العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته فمن لم يرغب في هذا فهو جاهلٌ مغرورٌ قد بريء الله منه و رسوله و أهل بيته » (٥) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : من صلّى عليّ صلّى الله عليه وملائكته فمن شاء فليقلّ ومن شاء فليكثر » (٦).

---

(١) اخرجه البخارى ج ١ ص ١٥٠ بأدنى تغيير فى اللفظ ، و رواه الطبرانى فى الاوسط بلفظه كما فى مجمع الزوائد ج ١ ص٣٣٣ .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الاوسط وأبو الشيخ فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة بسند ضعيف كما فى المغنى .

(٣) أخرجه الدارمى فى سننه ج ٢ ص ٣١٧ ، والبغوى فى المصابيح ج ١ ص٦٤ .

(٤) أخرجه أبو داود ج ١ ص ٤٧٠ والبيهقى فى الدعوات الكبير كما فى مشكاة المصابيح ص٨٦ . والطبرانى فى الاوسط كما فى مجمع الزوائد ج١٠ ص١٦٢ .

(٥) و (٦) المصدر ج ٢ ص٤٩٢ تحت رقم ٦ و ٧ .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الصلاة عليّ و على أهل بيتي تذهب بالنفاق » (١) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنّها تذهب بالنفاق » (٢) .

وعنه عليه السلام : « من صلّى على محمّد وآل محمّد عشراً صلّى الله عليه وملائكته مائة مرّة ومن صلّى على محمّد وآل محمّد مائة مرّة صلّى الله عليه وملائكته ألفاً ، أما تسمع قول الله عزّ وجلّ : «هو الّذي يصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً » (٣).

وعن أحدهما عليهما السلام قال : « مافي الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمّد وآل محمّد، وإنّ الرّجل ليوضع أعماله في الميزان فتميل به ، فيخرج صلى الله عليه وآله الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به » (٤) .

وعن عبد السلام بن نعيم « قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّي دخلت البيت ولم يحضرني شيء من الدّعاء إلّا الصلاة على محمّد صلى الله عليه وآله ؟ فقال : أما إنّه لم يخرج أحدٌ بأفضل ممّا خرجت به »(٥).

وعن عبيد الله بن عبدالله الدّهقان قال : « دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي : ما معنى قوله تعالى : « وذكر اسم ربّه فصلّى » ؟ (٦) . قلت : كلّما ذكر اسم ربّه قام فصلّى ، فقال لي : لقد كلّف الله هذا شططاً ، فقلت : جعلت فداك فكيف هو ؟ فقال : كلّما ذكر اسم ربّه صلّى على محمّد و آله »(٧) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا صلّى أحدكم ولم يذكر النبيّ في صلاته يسلك

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٩٢ تحت رقم ٨ .

(٢) و (٣) المصدر ج ٢ ص٤٩٣ تحت رقم ١٣ .

(٤) و (٥) المصدر ج ٢ ص٤٩٤ تحت رقم ١٥ و ١٧.

(٦) الاعلى : ١٥ .

(٧) المصدر ج ٢ص ٤٩٤ تحت رقم ١٨ . والشطط : مجاوزة القدر في كل شيء ، يعني لو كان كذلك لكان التكليف فوق الطاقة .

بصلاته غيرسبيل الجنّة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من ذُكرتُ عنده فلم يصلّ عليّ فدخل النّار فأبعده الله ؛ وقال صلى الله عليه وآله : « من ذكرت عنده فنسي الصلاة عليّ خطّىء به طريق الجنّة » (١).

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من ذكرت عنده فنسي أن يصلّي عليّ خطّأ الله بهطريق الجنّة » (٢) .

وعنه عليه السلام قال : « سمع أبي رجلاً متعلّقاً بالبيت وهو يقول : اللّهمّ صلّ على محمّد ، فقال له أبي عليه السلام لا تبترها ، لا تظلمنا حقّنا ، قل : اللّهمّ صلّ على محمّد وأهل بيته »(٣).

٭(فضيلة الاستغفار)٭

قال الله تعالى : « والّذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذّنوب إلّا الله »(٤)

قال علقمة بن الأسود : قال عبدالله بن مسعود : في كتاب الله جلّ وعزّ آيتان ما أذنب عبدٌ ذنباً فقرأهما فاستغفرالله إلّا غفرالله له ، قوله : « والّذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » وقوله تعالى : « و من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثمّ يستغفرالله يجدالله غفوراً رحيماً » (٥).

وقال تعالى : « والمستغفرين بالأسحار» (٦) و قال سبحانه : « فسبّح بحمد ربّك

---

(١) المصدر ج ٢ص٤٩٥ وقوله : « قال رسول‌الله » في الموضعين الظاهرأنه من تتمة رواية الصادق عليه‌السلام ويحتمل أن‌يكونا حديثين مرسلين و « يسلك » على بناء المجهول والباء في« بصلاته» للتعدية والظرف نائب‌للفاعل . و« غير» منصوب بالظرفية كناية عن عدم رفعها . واثباتها في‌عليين اشارة الى‌قوله‌تعالى :« كلا ان كتاب‌الابرار لفي عليين كمافي مرآة العقول ذيل الحديث .

(٢) المصدر ج ٢ص٤٩٥ تحت رقم ٢٠ ويدل‌على ان‌النسيان من‌الله عقوبة له‌على بعض‌اعماله‌الرذيلة‌فحرم بذلك‌تلك‌الفضيلة‌وان‌لم‌يكن معاقباً بذلك لقوله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله : « رفع‌عن امتي الخطأ والنسيان الخ » .

(٣) المصدر ج ٢ص٤٩٥ تحت رقم ٢١ والبتر القطع .

(٤) آل عمران : ١٣٥ . (٥) النساء : ١١٠ .

(٦) آل عمران : ١٧ .

واستغفره إنّه كان توّاباً »[١].

وكان ﷺ يكثر أن يقول: « سبحانك اللّهمّ وبحمدك اللّهمّ اغفرلي إنّك أنت التوّاب الرّحيم »[٢].

وقال ﷺ: « من أكثر الاستغفار جعل الله له من كلّ همّ فرجاً، ومن كلّ ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لايحتسب »[٣].

وقال ﷺ: « إنّي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرّة »[٤]. هذا مع أنّه قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.

وقال ﷺ: « إنّه ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله كلّ يوم مائة مرّة »[٥].

وقال ﷺ: « من قال حين يأوي إلى فراشه: « أستغفر الله الّذي لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم ثلاث مرّات غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أوعدد رمل عالج، أوعدد ورق الشجر، أوعدد أيّام الدنيا »[٦].

وفي حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فارّاً من الزّحف »[٧].

وقال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ « كنت ذرب اللّسان على أهلي، فقلت: يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النّار، فقال ﷺ: فأين أنت من الاستغفار في اليوم مائة مرّة »[٨].

---

(١) النصر: ٤.

(٢) أخرج نحوه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٥٠٢، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٩٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨١٩.

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨١٦، ورواه الطبرانى فى الاوسط كما فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٠٨.

(٥) أخرجه أبوداود ج١ص٣٤٨، ومسلم ج ٨ ص٧٢ وقوله: « ليغان» أى يطبق و يغشى أويستر و يغطى.

(٦) أخرجه الترمذى ج١٢ص٢٨٤ عن أبى سعيد، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٧) أخرجه الترمذى ج ١٣ص٨٠، والحاكم فى المستدرك ج ١ص٥١١.

(٨) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ص٥١١، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص٩٧.

و قالت عائشة قال رسول الله ﷺ : « إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله فإنّ التوبة من الذّنب الندم والاستغفار » (١).

و روت أنّه ﷺ قال : « اللّهمّ اجعلني من الّذين إذا أحسنوا استبشروا و إذا أساؤوا استغفروا » (٢).

وقال ﷺ : « إذا أذنب العبد ذنباً فقال : اللّهمّ اغفرلي ، فيقول الله تعالى : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربّاً يأخذ بالذّنب ويغفر الذّنب ، عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك » (٣).

وقال ﷺ : « ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة » (٤).

وقال ﷺ : « إنّ رجلاً ممّن كان قبلكم لم يعمل قطّ خيراً نظر إلى السماء فقال : إنّ لي ربّاً يارب اغفرلي ، فقال الله سبحانه : قد غفرت لك » (٥).

وقال ﷺ : « من أذنب ذنباً فعلم أنّ الله قداطّلع عليه غفرله وإن لم يستغفره » (٦).

وقال ﷺ : « يقول الله تعالى : يا عبادي كلّكم مذنب إلّا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم ، ومن علم أنّي ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا اُبالي » (٧).

(١) أخرجه احمد وفيه محمد بن يزيد الواسطي راجع مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٩٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨٢٠ ، والبيهقى فى الدعوات الكبير كما فى مشكاة المصابيح ص ٢٠٦ .

(٣) أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٩٧ .

(٤) اخرجه الترمذى ج ١٣ ص ٦٩ ، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٩٧ .

(٥) ما عثرت على أصل له .

(٦) رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه ابراهيم بن هراسة وهو متروك كما فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢١١ . ورواه الكلينى فى الكافى ج٢ ص ٤٢٧ عن الصادق عليه السلام وقال العلامة المجلسى فى المرآة : لعل المراد به العلم الذى يؤثر فى النفس ويثمر العمل والافكل مسلم يقرّ بهذه الامور ومن انكر شيئاً من ذلك فهو كافر ومن داوم على مراقبة هذه الامور وتفكر فيها تفكراً صحيحاً لايصدر منه ذنب الانادراً ولوصدر منه يكون بعده نادماً خائفاً فهو تائب حقيقية وان لم يستغفر باللسان ولوعاد الى الذنب مكرراً لغلبة الشهوة عليه ثم يصير خائفاً مشفقاً لائماً نفسه فهو مفتن تواب .

(٧) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢٥٧ عن أبى ذر ، والبغوى فى شرح السنة عن ابن عباس.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من قال : « سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفرلي ، إنّه لا يغفر الذّنوب إلّا أنت » غفرت ذنوبه ولوكان كمدبّ النمل » (١) .

أقول : ومن طريق الخاصّة ما رواه السّكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير الدّعاء الاستغفار » (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ للقلوب صداءً كصداء النحاس فاجلوها بالاستغفار » (٣).

وروى عبيد بن زرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهي تتلألأ » (٤) .

وروى ياسر عن الرّضا عليه السلام قال : « مثل الاستغفار مثل ورق على شجرة تحرّك فيتناثر ، والمستغفر من ذنب فيفعله كالمستهزىء بربّه » (٥) .

و قال عليه السلام : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقوم من مجلس وإن خفّ حتّى يستغفر الله خمساً وعشرين مرّة » (٦) .

وعنه عليه السلام قال : « كان صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر غداة كلّ يوم سبعين مرّة و يتوب إلى الله سبعين مرّة قال : قلت : و كيف كان يقول ؟ قال :كان يقول : أستغفرالله ، أستغفرالله ـ سبعين مرّة ـ ، و يقول : أتوب إلى الله ، أتوب إلى الله ـ سبعين مرّة ـ » (٧) .

وعنه عليه السلام « الاستغفار و قول « لا إله إلّاالله » خيرالعبادة ، قال الله العزيزالجبّار : « فاعلم أنّه لا إله إلّا الله واستغفر لذنبك » (٨) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قال بعد العصر في كلّ يوم مرّة واحدة : « أستغفرالله الّذي لا إله إلّا هو الحيّ القيوم ، ذاالجلال والإكرام ، وأسأله أن يتوب عليّ توبة عبد ذليل خاضع فقير بائس مسكين مستجير لا يملك لنفسه نفعاً ولاضرّاً

(١) أخرجه البيهقى فى الدعوات من كلام على عليه السلام بزيادة واختلاف كمافى المغنى .

(٢) الكافى ج٢ص٥٠٤ .

(٣) ماعثرت على أصل له من طريق الخاصة الافى العدة ص ١٩٤ ورواه الطبرانى فى الاوسط والصغيرمع زيادة كما فى مجمع الزوائد ج ١٠ص ٢٠٧ .

(٤) الى (٨) الكافى ج٢ باب الاستغفار ص٥٠٤ .

ولا حياةً ولا موتاً ولا نشوراً » أمر الله الملكين بتخريق صحيفة السيّئات كائناً ماكانت »(١).

و عنهم عليهم السلام : « ألا صلوات الله على المتسحّرين والمستغفرين بالأسحار » .

رواها كلّها في عدّة الدّاعي (٢) وأكثرها مرويٌّ في الكافي .

و عن أمير المؤمنين عليه السلام : « العجب ممّن يهلك و معه النجاة ، قيل : و ما هو ؟ قال : الاستغفار »(٣). وكان يقول : « ماألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذّبه » . رواه أبو حامد في الآثار .

« **الآثار** : قال خالد بن معدان قال الله تعالى : « إنّ أحبّ عبادي إليّ المتحابّون بحبّي والمعلّقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أُولئك الّذين إذا أردتُ أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم » .

و قال قتادة : القرآن يدلّكم على دائكم و دوائكم ، فأمّا داؤكم فالذّنوب وأمّا دواؤكم فالاستغفار .

وقال الفضيل : قول العبد : « أستغفر الله » تفسيرها أقلني .

وقال بعض العلماء : العبد بين ذنب ونعمة لايصلحهما إلّا الحمد والاستغفار .

وقال الربيع بن خثيم : لايقولنّ أحدكم : أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنباً و كذبة إن لم يفعل ولكن ليقل : اللّهمّ اغفرلي وتب عليّ .

وقال الفضيل : استغفار بلا إقلاع توبة الكذّابين .

وقالت رابعة العدويّة : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير .

وقال بعض الحكماء : من قدّم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً على الله وهو لايعلم .

وسمع أعرابيٌّ وهو متعلّق بأستار الكعبة يقول : « اللّهمّ إنّ استغفاري مع إصراري للوم ، وإنّ تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز ، فكم تتحبّب إليّ بالنعم مع غناك عنّي وأتبغّض إليك بالمعاصي مع فقري إليك ، يامن إذا وعد وفا ، وإذا توعّد عفا ، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك ياأرحم الراحمين » .

---

(١) عدة الداعي ص١٩٥ عن هارون بن مسلم .

(٢) المصدر ص ١٩٥ . (٣) امالي الشيخ ص٥٤ وفي النهج في الحكم نحوه .

وقال أبوعبدالله الورّاق : لوكان عليك مثل عدد القطر وزبدالبحر ذنوب لمحيت عنك إذا دعوت ربّك بهذا الدّعاء مخلصاً إن شاءالله تعالى : « اللّهمّ إنّي أستغفرك من كلّ ذنب تبت إليك منه ثمّ عدت فيه ، وأستغفرك من كلّ ما وعدتك به من نفسي ثمّ لم أف لك به ، وأستغفرك من كلّ عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك ، وأستغفرك من كلّ نعمة أنعمت بها عليّ فاستعنت بها على معصيتك ، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كلّ ذنب أتيته في ضياء النهار و سواد اللّيل في ملاء و خلاء و سرّ وعلانية يا حليم » و يقال : إنّه استغفار آدم عليه السلام ، و قيل : استغفار الخضر عليه السلام .

﴿ الباب الثالث ﴾

(في أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثورة)

أقول : وأنا أقتصر في هذاالباب على اثني عشر دعاءً وجيزة مرويّة في الكافي باسناده عن أهل البيت عليهم السلام وثلاثة من عدّة الداعي ثمّ أذكر أنواع الاستعاذة كماذكره أبوحامد ومن أراد الزّيادة عليها فليرجع إلى الكتب المصنّفة في ذلك من علمائنا رحمهم الله بعدالصحيفة الكاملة السجّاديّة كالمصابيح الثلاثة [1] ومهج الدّعوات والاقبال وغيرها فإنّ فيها من كلمات أهل البيت عليهم السلام في الأدعية والأذكار ما يعجز عن الإتيان بمثله سائر أفراد البشر ، إنّ فيها لبلاغاً لقوم عابدين .

الاول ما رواه [2] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرّات : « اللّهمّ ما أصبحت بي من نعمة أوعافية في دين أودنيا فمنك وحدك لاشريك لك ، لك الحمد و لك الشكر بها عليّ ياربّ حتّى ترضى وبعد الرّضا » فإنّك إذا قلت ذلك كنت قدأدّيت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك اللّيلة » و في رواية اُخرى قال : كان نوح عليه السلام يقول ذلك إذا أصبح وأمسى فسمّي بذلك عبداً شكوراً ، قال : وقال

(١) أراد المصباحين للشيخ للطوسي ـ ومصباح الكفعمي ـ رحمهماالله تعالى ـ ويمكن أن يكون المرادمصباح المتهجد ومصباح الكفعمي ومصباح ابن الباقي كمافي هامش بعض النسخ.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٩٩ باب الشكر تحت رقم ٢٨ و٢٩ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من صدق الله نجا » .

الثاني ماروواه عنه [١] عليه السلام « اللّهمّ لك الحمد أحمدك وأستعينك وأنت ربّي وأنا عبدك ، أصبحت على عهدك و وعدك ، وأُومن بوعدك وأُوفي بعهدك ما استطعت ، ولاحول ولا قوّة إلّا بالله وحده لا شريك له ، و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله ، أصبحت على فطرة الإسلام و كلمة الإخلاص وملّة إبراهيم ودين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك أحيى وأموت إن شاءالله ، أحيني ما أحييتني و أمتني إذا أمتّني على ذلك ، وابعثني إذا بعثتني على ذلك ، أبتغي بذلك رضوانك واتّباع سبيلك ، إليك ألجأت ظهري وإليك فوّضت أمري ، آل محمّد أئمّتي ليس لي أئمّة غيرهم ، بهم أئتمّ ، وإيّاهم أتولّى ، وبهم أقتدي ، اللّهمّ اجعلهم أوليائي في الدّنيا والآخرة ، واجعلني اُوالي أولياءهم و اُعادي أعداءهم في الدّنيا و الآخرة ، وألحقني بالصّالحين وآبائي معهم » .

الثالث ما رواه عنه [٢] عليه السلام قال : « ثلاث تناسخها الأنبياء من آدم عليه السلام حتّى وصلن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أصبح يقول : « اللّهمّ إنّي أسألك إيماناً تباشر به قلبي [٣] ويقيناً حتّى أعلم أنّه لا يصيبني إلّا ما كتبت لي ورضّني بما قسمت لي » قال : ورواه بعض أصحابنا و زاد فيه « حتّى لا اُحبّ تعجيل ما أخّرت ولا تأخير ما عجّلت ، ياحيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كلّه ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً و صلّى الله على محمّد وآله » .

الرابع ما رواه [٤] عنه عليه السلام قال : « كان أبي عليه السلام يقول إذا أصبح : « بسم الله ، وبالله ، وإلى الله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، اللّهمّ إليك أسلمتُ نفسي

---

(١) الكافى ج ٢ ص ٥٢٩ تحت رقم ٢١ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٢٤ تحت رقم ١٠ وقوله : « تناسخها الانبياء اى ورثوها من التناسخ فى الميراث وهوموت ورثة بعد ورثة ، واصل الميراث قائم لم يقسم كما ذكره المؤلف فى الوافى .

(٣) اى تجده فى قلبى ولا يكون ايماناً ظاهرياً بمحض اللسان اوتلى باثباته فى قلبى بنفسك ، يقال : باشر الامر اذاوليه بنفسه .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٢٥ تحت رقم ١٣ .

وإليك فوّضت أمري ، وعليك توكّلت يا ربّ العالمين ، اللّهمّ احفظني بحفظ الإيمان (١) من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي ، لا إله إلّا أنت ، لا حول ولاقوّة إلّا بالله نسأل الله العفو والعافية من كلّ سوء وشرّ مافي الدنيا والآخرة ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر و من ضغطة القبر و من ضيق القبر ، وأعوذ بك من سخطك ومن سطواتك في اللّيل والنهار ، اللّهمّ ربّ المشعر الحرام و ربّ البلد الحرام ، و ربّ الحلّ والإحرام (٢) أبلغ محمّداً وآل محمّد عنّي السلام ، اللّهمّ إنّي أعوذ بدرعك الحصينة و أعوذ بجمعك أن تميتني غرقاً أو حرقاً أو شرقاً أوقوداً أو صبراً أو مستمّاً (٣) أو تردّياً في بئر أوأكيلَ سَبُع أو موتَ الفُجأة أو بشيء من ميتات السوء و لكن أمتني على فراشي في طاعتك و طاعة رسولك صلّى الله عليه وآله مصيباً للحقّ غير مخطىء أوفي صفّ الّذين نعتّهم في كتابك « كأنّهم بنيان مرصوص » (٤) ، اُعيذ نفسي وولدي وما رزقني ربّي بقل أعوذ بربّ الفلق ـ حتّى يختم السورة ـ اُعيذ نفسي وولدي وما رزقني ربّي بقل أعوذ بربّ الناس ـ حتّى يختم السورة ـ ، و يقول : الحمد لله عدد ما خلق ، و الحمد لله مثل ما خلق ، و الحمد لله ملء ما خلق ، و الحمد لله مداد كلماته ، و الحمد لله زنة عرشه ، والحمد لله رضى نفسه ، ولا إله إلّا الله الحليم الكريم ، و لا إله إلّا الله العليّ العظيم ، سبحان الله ربّ السماوات [السبع] والأرضين وما بينهما و ربّ العرش العظيم ، اللّهمّ إنّي أعوذبك من درك الشقاء ، ومن شماتة الأعداء ، و أعوذبك من الفقر و الوقر ،

---

(١) أى بأن تحفظ ايمانى ، أو مع حفظه ، اوبما تحفظ به أهل الايمان ، او بحفظ تؤمننى به من مخاوف الدنيا والاخرة فان المؤمن من أسمائه تعالى . وقيل : ان الحفظ الذى يقتضيه الايمان يشمل الحفظ عما يضر بالدين كما يشمل الحفظ عما يضر بالدنيا .

(٢) الحل ـ بالكسر ـ وقت الاحلال ، وما جاوز الحرم . والمراد هنا الاول بقرينة المقابلة .

(٣) الشرق ـ بالفتح ـ : الغصة . والقود : القصاص . والصبر أن يمسكه رجل أويشد يداه ورجلاه حتى يضرب عنقه . وفى المصدر «مسماً» بفتح الميم مصدر ميمى او بضمها من أسمه ـ بتشديد الميم ـ اذا سقاه السم وان لم يذكر فى اللغة ولعل الصواب «مسماً».

(٤) الصف : ٤ . و الرص اتصال الشيء بالشيء وبعض البناء بالبعض .

و أعوذ بك من سوء المنظر في الأهل و المال و الولد » و يصلّي على محمّد و آل محمّد عشر مرّات .

الخامس مارواه عنه عليه السلام (١) قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من قال هذا القول كان مع محمّد وآل محمّد صلوات الله و سلامه عليهم إذا قام من قبل أن يستفتح الصلاة : « اللّهمّ إنّي أتوجّه إليك بمحمّد وآل محمّد وأُقدّمهم بين يدي صلاتي وأتقرّب بهم إليك (٢) فاجعلني بهم وجيهاً في الدّنيا و الآخرة و من المقرّبين ، أنت مننت عليّ بمعرفتهم فاختم لي بطاعتهم و معرفتهم و ولايتهم فإنّها السعادة اختم لي بها إنّك على كلّ شيء قدير » ثمّ تصلّي فإذا انصرفت قلت : اللّهمّ اجعلني مع محمّد و آل محمّد في كلّ عافية و بلاء واجعلني مع محمّد وآل محمّد في كلّ مثوى ومنقلب ، اللّهمّ اجعل محياي محياهم و مماتي مماتهم ، و اجعلني معهم في المواطن كلّها ولا تفرّق بيني وبينهم إنّك على كلّ شيء قدير» .

السادس مارواه عنه عليه السلام (٣) قال : قل : « اللّهمّ اجعلني أخشاك كأنّي أراك ، و أسعدني بتقواك ، ولا تشقني بمعاصيك ، وخرلي في قضائك ، و بارك لي في قدرك حتّى لا أُحبّ تأخير ما عجّلت ولا تعجيل ما أخّرت ، واجعل غناي في نفسي ومتّعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارثين منّي و انصرني على من ظلمني وأرني فيه قدرتك يارب وأقرّ بذلك عيني » .

السابع ما رواه عنه عليه السلام (٤) و هو جامع للدّنيا والآخرة تقول بعد حمدالله والثناء عليه : « اللّهمأنتالله لاإله إلّا أنتالحليمالكريم ، وأنتالله لا إله إلّا أنت العزيزالحكيم ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الواحد القهّار ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الملك الجبّار ، وأنت

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٤٤ تحت رقم ١ .

(٢) يعني أتوجه اليكمتلبساً بعرفانهم والاقتداء بهم ، مقتفياً آثارهم ، مقدماً حبهم سالكاً مسلكهم ، عاملا على شريعتهم ، عاكفاًعلىطاعتهم ، آتياًاوامرهم ، تاركاًنواهيهم متقرباً بذلك كله اليك زلفى .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٥٧٧ تحت رقم ١ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٨٣ تحت رقم١٨ .

الله لا إله إلّا أنت الرحيم الغفّار ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الشديد المحال ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الكبير المتعال ، و أنت الله لا إله إلّا أنت السميع البصير ، و أنت الله لا إله إلّا أنت المنيع القدير ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الغفور الشكور ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الحميد المجيد ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الغنيّ الحميد ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الغفور الودود ، وأنت الله لا إله إلّا أنت الحنّان المنّان ، وأنت الله لا إله إلّا أنت الحكيم الدّيّان ، وأنت الله لا إله إلّا أنت الجواد الماجد ، وأنت الله لا إله إلّا أنت الواحد الأحد ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الغائب الشاهد ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الظاهر الباطن ، وأنت الله لا إله إلّا أنت بكلّ شيء عليم ، تمّ نورك فهديت و بسطت يدك فأعطيت ربّنا وجهك أكرم الوجوه ، و جهتك خير الجهات ، وعطيّتك أفضل العطايا و أهنؤها ، تطاع ربّنا فتشكر ، وتعصى ربّنا فتغفر لمن شئت ، تجيب المضطرّ وتكشف السوء ، و تقبل التوبة و تعفو عن الذّنوب ، لاتجازى أياديك ، ولاتحصى نعمك ، ولا يبلغ مدحتك قول قائل ، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد و عجّل فرجهم و روحهم ، وراحتهم وسرورهم وأذقني طعم فرجهم ، وأهلك أعداءهم من الجنّ والإنس ، وآتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة و قنا عذاب النار ، و اجعلنا من الّذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، و اجعلني من الّذين صبروا و على ربّهم يتوكّلون ، و ثبّتني بالقول الثابت في الحياة الدّنيا و في الآخرة ، و بارك لي في المحيا و الممات و الموقف و النشور و الحساب والميزان و أهوال يوم القيامة ، و سلّمني على الصراط ، و أجزني عليه ، و ارزقني علماً نافعاً و يقيناً صادقاً وتقىً وبرّاً و ورعاً وخوفاً منك وفرقاً (١) يبلغني منك زلفى ولايبا عدني عنك ، وأحببني ولا تبغضني و تولّني ولا تخذلني وأعطني من جميع خير الدّنيا و الآخرة ما علمت منه و مالم أعلم وأجرني من السوء كلّه بحذافيره (٢) ما علمت منه ومالم أعلم ».

الثامن ما رواه عنه ﷺ (٣) « يا نور يا قدّوس ، يا أوّل الأوّلين و يا آخر الآخرين ، ويا رحمن يا رحيم اغفرلي الذّنوب الّتي تغيّرالنعم ، واغفرلي الذّنوب الّتي

(١) الفرق ـ بالتحريك ـ : الخوف والفزع .

(٢) يعنى من جميع نواحيه . (٣) المصدر ج ٢ ص ٥٨٩ .

تحلّ النقم [١]، واغفرلي الذّنوب الّتي تهتك العصم ، و اغفرلي الذّنوب الّتي تنزل البلاء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تديل الأعداء [٢]، واغفرلي الذّنوب الّتي تعجّل الفناء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تقطع الرّجاء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تظلم الهواء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تكشف الغطاء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تردّ الدّعاء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تحبس غيث السماء ».

و قد ورد عن زين العابدين عليه السلام [٣] في تفسير هذه الذّنوب : أنّ الذّنوب الّتي تغيّر النعم البغي على الناس ، و الزّوال عن العادة في الخير ، و اصطناع المعروف ، و كفران النعم ، و ترك الشكر قال الله تعالى : « إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم » [٤] .

و الذّنوب الّتي تورث الندم قتل النفس الّتي حرّم الله ، قال الله تعالى في قصّة قابيل حين قتل أخاه هابيل فعجز عن دفنه « فأصبح من النادمين » [٥] و ترك صلة الرّحم حين يقدر ، وترك الصلاة حتّى يخرج وقتها ، وترك الوصيّة ، وردّ المظالم ، ومنع الزكاة حتّى يحضر الموت و ينغلق اللّسان .

والذّنوب الّتي تزيل النعم [٦] عصيان العارف ، والتطاول على الناس والاستهزاء بهم والسخريّة منهم .

والذّنوب الّتي تدفع القسم إظهار الافتقار ، والنوم عن صلاة العتمة وصلاة الغداة ، واستحقار النعم ، وشكوى المعبود ، والزّنى [٧] .

---

(١) أى تنزل العقوبات .

(٢) أدال الشيء ادالة جعله متداولا . وأدال الله بنى فلان من عدوهم : جعل الكرة لهم عليه . وأدال الله زيداً من عمرو : نزع الدولة من عمرو وحولها الى زيد .

(٣) معانى الاخبار ص ٢٧١ .

(٤) الرعد : ١١ .

(٥) المائدة : ٣١ .

(٦) فى معانى الاخبار هنا « الذنوب التى تنزل النقم » .

(٧) ليست لفظة «والزنى» فى المعانى .

والذّنوب الّتي تهتك العصم شرب الخمر ، ولعب القمار ، وتعاطي ما يضحك الناس ، واللّغو ، والمزاح ، وذكر عيوب الناس ، ومجالسة أهل الرّيب .

والذّنوب الّتي تنزل البلاء ترك إغاثة الملهوف ، وترك معاونة المظلوم ، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والذّنوب الّتي تديل الأعداء المجاهرة بالظلم ، وإعلان الفجور ، وإباحة المحظور وعصيان الأخيار ، والانقياد إلى الأشرار .

والذّنوب الّتي تعجّل الفناء قطيعة الرّحم ، واليمين الفاجرة ، والأقوال الكاذبة ، والزّنى ، وسدّ طرق المسلمين . وادّعاء الإمامة بغير حقّ .

والذّنوب الّتي تقطع الرجاء اليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، و الثقة بغير الله ، والتكذيب بوعد الله .

والذّنوب الّتي تظلم الهواء السحر و الكهانة ، و الايمان بالنجوم ، و التكذيب بالقدر ، وعقوق الوالدين .

والذّنوب الّتي تكشف الغطاء الاستدانة بغير نيّة الأداء ، و الإسراف في النفقة ، والبخل عن الأهل والأولاد ، و ذوي الأرحام ، وسوء الخلق ، وقلّة الصبر ، و استعمال الضجر والكسل ، والاستهانة بأهل الدّين .

والذّنوب الّتي تردّ الدّعاء سوء النيّة ، وخبث السريرة ، والنفاق مع الإخوان ، وترك التصديق بالإجابة ، وتأخير الصلوات المفروضات حتّى تذهب أوقاتها » (١).

التاسع ما رواه عنه عليه السلام (٢) « أنّ رجلاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين كان لي مالٌ ورثته ولم اُنفق منه درهماً في طاعة الله ، ثم اكتسبت مالاً فلم اُنفق منه درهماً في طاعة الله فعلّمني دعاء يخلف عليّ ما مضى و يغفر لي ما عملت أو عملاً

---

(١) زاد في المعاني « والذنوب التي تحبس غيث السماء جور الحكام في القضاء وشهادة الزور وكتمان الشهادة ومنع الزكاة والقرض والماعون وقساوة القلوب على اهل الفقر و الفاقة وظلم اليتيم والارملة وانتهار السائل ورده بالليل .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٩٥ تحت رقم ٣٥ .

أعمله قال : قل ، قال : وأيّ شيء أقول ياأمير المؤمنين ؟ قال : قل كما أقول : « يانوري في كلّ ظلمة ، ويا أُنسي في كلّ وحشة ، ويارجائي في كلّ كربة ، ويا ثقتي في كلّ شدّة ويا دليلي في الضلالة ، أنت دليلي إذا انقطعت دلالة الأدلّاء فإنّ دلالتك لاتنقطع ولا يضلّ من هديت ، أنعمت عليّ فأسبغت ، ورزقتني فوفّرت ، وغذيتني فأحسنت غذائي ، وأعطيتني فأجزلت بلا استحقاق لذلك بفعل منّي و لكن ابتداءً منك لكرمك وجودك ، فتقوّيت بكرمك على معاصيك ، وتقوّيت برزقك على سخطك وأفنيت عمري فيما لاتحبّ ، فلم يمنعك جرأتي عليك وركوبي لما نهيتني عنه ودخولي فيما حرّمت عليّ أن عدت عليّ بفضلك ولم يمنعني حلمك عنّي وعودك عليّ بفضلك أن عدتُ في معاصيك ، فأنت العوّاد بالفضل وأنا العوّاد بالمعاصي ، فيا أكرم من أقرّ له بذنب وأعزّ من خضع له بالذلّ ، لكرمك أقررت بذنبي ولعزّك خضعت بذلّي فما أنت صانع بي في كرمك و إقراري بذنبي وعزّك وخضوعي بذلّي افعل بي ما أنت أهله ولاتفعل بي ما أنا أهله » .

العاشر ما رواه مرفوعاً (١) قال : « أتى جبرئيل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله يوماً فقال له : إنّ ربّك يقول لك : إذا أردت أن تعبدني يوماً وليلة حقّ عبادتي فارفع يديك إليّ وقل: « اللّهمّ لك الحمد حمداً خالداً مع خلودك ، ولك الحمد حمداً لامنتهى له دون علمك ، ولك الحمد حمداً لا أمدله دون مشيّتك ، ولك الحمد حمداً لاجزاء لقائله إلّا رضاك ، اللّهمّ لك الحمد كلّه ، ولك المنّ كلّه ، ولك الفخر كلّه ، ولك البهاء كلّه ، ولك النور كلّه ، و لك العزّة كلّها ، و لك الجبروت كلّها ، و لك العظمة كلّها ، و لك الدّنيا كلّها ، ولك الآخرة كلّها ، و لك اللّيل والنّهار كلّه ، و لك الخلق كلّه ، بيدك الخير كلّه ، وإليك يرجع الأمر كلّه علانيته وسرّه ، اللّهمّ لك الحمد حمداً أبداً ، أنت حسن البلاء ، جليل الثناء ، سابغ النعماء ، عدل القضاء ، جزيل العطاء ، حسن الآلاء ، إله من في الأرض وإله من في السماء ، اللّهمّ لك الحمد في السبع الشداد ، ولك الحمد في الأرض المهاد ، ولك الحمد طاقة العباد ، ولك الحمد سعة البلاد ، ولك الحمد في الجبال الأوتاد، ولك الحمد في اللّيل إذا يغشى ، ولك الحمد في النّهار إذا تجلّى ، ولك الحمد في الآخرة

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٨١ تحت رقم ١٦ .

والاولى، ولك الحمد في المثاني والقرآن العظيم ، وسبحان الله وبحمده ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون ، سبحان الله وبحمده كلّ شيء هالك إلّا وجهه ، سبحانك ربّنا وتعاليت و تباركت وتقدّست ، خلقت كلّ شيء بقدرتك ، وقهرت كلّ شيء بعزّتك ، وعلوت فوق كلّ شيء بارتفاعك ، وغلبت كلّ شيء بقوّتك ، وابتدعت كلّ شيء بحكمتك وعلمك ، وبعثت الرّسل بكتبك ، و هديت الصّالحين بإذنك ، وأيّدت المؤمنين بنصرك ، وقهرت الخلق بسلطانك ، لاإله إلّا أنت ، وحدك لا شريك لك لانعبد غيرك ، ولا نسأل إلّا إيّاك ، ولا نرغب إلّا إليك ، أنت موضع شكوانا ، ومنتهى رغبتنا ، وإلهنا ومليكنا » .

الحادي عشر مارواه عن أبي جعفر عليه السلام (١) قال الرّاوي : وكان عليه السلام يسمّيه الجامع « بسم الله الرّحمن الرّحيم أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله آمنت بالله و بجميع رسله و بجميع ماأنزل به على جميع الرسل ، وأنّ وعدالله حقّ ولقاءه حقّ وصدق الله وبلّغ المرسلون ، والحمدلله ربّ العالمين ، وسبحان الله كلّما سبّح الله شيء و كما يحبّ الله أن يسبّح ، و الحمد لله كلّما حمد الله شيء و كما يحبّ الله أن يحمد ، ولاإله إلّاالله كلّما هلّل الله شيء و كما يحبّ الله أن يهلّل، والله أكبر كلّما كبّر الله شيء و كما يحبّ الله أن يكبّر ، اللّهمّ إنّي أسألك مفاتيح الخير وخواتيمه وسوابغه وفوائده وبركاته مابلغ علمه علمي ، وما قصر عن إحصائه حفظي، اللّهمّ أنهج لي أسباب معرفته وافتح لي أبوابه وغشّني بركات رحمتك ومُنّ عليّ بعصمة عن الازالة عن دينك وطهّر قلبي من الشكّ ، ولاتشغل قلبي بدنياي وعاجل معاشي عن آجل ثواب آخرتي واشغل قلبي بحفظ مالاتقبل منّي جهله ، وذلّل لكلّ خير لساني ، وطهّر قلبي من الرّياء ولا تجره في مفاصلي ، واجعل عملي خالصاً لك ، اللّهمّ إنّي أعوذبك من الشرّ وأنواع الفواحش كلّها ظاهرها وباطنها وغفلاتها وجميع مايريدني به الشيطان الرجيم ومايريدني به السلطان العنيد ممّا أحطتَ بعلمه وأنت القادر على صرفه عنّي ، اللّهمّ إنّي أعوذبك من طوارق الجنّ

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٨٧ تحت رقم ٢٦ .

والإنس وزوابعهم[١] وبوائقهم ومكائدهم ومشاهد الفسقة من الجنّ والإنس وأن أستزلّ عن ديني فتفسد عليّ آخرتي وأن يكون ذلك ضرراً عليّ في معاشي أو يعرض بلاء يصيبني منهم لاقوّة لي به ولاصبر لي على احتماله فلا تبتلني ياإلهي بمقاساته فيمنعني ذلك من ذكرك ، ويشغلني عن عبادتك ، أنت العاصم المانع الدّافع الواقي من ذلك كلّه ، أسألك اللّهمّ الرّفاهية في معيشتي ما أبقيتني معيشة أقوى بها على طاعتك وأبلغ بها رضوانك وأصير بها إلى دار الحيوان غداً ، ولا ترزقني رزقاً يطغيني ، و لا تبتلني بفقر أشقى به مضيقاً عليّ أعطني حظّاً وافراً في آخرتي ومعاشاً واسعاً هنيئاً مريئاً في دنياي ، ولا تجعل الدّنيا عليّ سجناً ، ولا تجعل فراقها عليّ حزناً ، أجرني من فتنتها ، واجعل عملي فيها مقبولاً ، وسعيي فيها مشكوراً ، اللّهمّ ومن أرادني بسوء فأرده بمثله ، ومن كادني فيها فكده ، واصرف عنّي همّ من أدخل عليّ همّه ، وامكر بمن مكرني فانّك خير الماكرين ، وافقأ عنّي عيون الكفرة الظلمة والطغاة الحسدة ، اللّهمّ وأنزل عليّ منك سكينة ، وألبسني درعك الحصينة واحفظني بسترك الواقي ، و جلّلني عافيتك النافعة ، وصدّق قولي و فعالي ، و بارك لي في ولدي وأهلي ومالي ، اللّهمّ ماقدّمت وماأخّرت ، وما أغفلت وماتعمّدت ، وما توانيت وما أعلنت وما أسررت فاغفره لي ياأرحم الراحمين ».

الثاني عشر ما رواه عنه عليه السلام[٢] « اللّهمّ إنّي أسألك من كلّ خير أحاط به علمك ، و أعوذ بك من كلّ سوء أحاط به علمك ، اللّهمّ إنّي أسألك عافيتك في اُموري كلّها ، و أعوذ بك من خزي الدّنيا و عذاب الآخرة ».

الثالث عشر ما رواه في العدّة عنه عليه السلام[٣] قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا احمرّت الشمس على رأس قلّة الجبل هملت عيناه دموعاً ثمّ قال : « أمسى ظلمي مستجيراً بعفوك ، وأمست ذنوبي مستجيرة بمغفرتك ، وأمسى خوفي مستجيراً بأمانك ، و أمسى ذلّي مستجيراً بعزّك ، وأمسى فقري مستجيراً بغناك ، وأمسى وجهي البالي الفاني مستجيراً بوجهك

(١) الزوبعة اسم شيطان او رئيس الجن وهى بالزاى والباء الموحدة والعين المهملة جمعها زوابع (القاموس).

(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٧٨ تحت رقم ٣.

(٣) المصدر ص ١٩٧ الدعاء السابع.

الدّائم الباقي ، اللّهمّ ألبسني عافيتك ، وغشّني رحمتك ، وجلّلني كرامتك ، وقني شرّ خلقك من الجنّ والإنس يا الله يا رحمن يا رحيم ».

الرابع عشر ما رواه فيه عن الرّضا عليه السلام [1] قال : « من قال في دبر صلاة الغداة لم يلتمس حاجة إلّا تيسّرت له وكفاه الله ما أهمّه : « بسم الله وصلّى الله على محمّد وآله ، و أُفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد فوقاه الله سيّئات مامكروا لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين ، حسبنا الله و نعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله و فضل لم يمسسهم سوء ، ما شاء الله لاحول ولا قوّة إلّا بالله ، ما شاء الله لا ما شاء الناس ، ما شاء الله وإن كره الناس ، حسبي الرّبّ من المربوبين ، حسبي الخالق من المخلوقين ، حسبي الرازق من المرزوقين ، حسبي الله ربّ العالمين ، حسبي من هو حسبي ، حسبي من لم يزل حسبي ، حسبي من كان منذ كنت لم يزل حسبي ، حسبي الله لا إله إلّا هو ، عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم » .

الخامس عشر ما رواه فيه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله [2] « أنّ جبرئيل عليه السلام نزل عليه بهذا الدّعاء من السماء ، ونزل عليه ضاحكاً مستبشراً فقال : السلام عليك يا محمّد ، قال : و عليك السلام يا جبرئيل ، فقال : إنّ الله عزّوجلّ بعث إليك بهديّة ، قال : و ما تلك الهديّة يا جبرئيل ؟ قال : كلمات من كنوز العرش أكرمك الله بها ، قال : وماهنّ يا جبرئيل ؟ قال : قل : « يا من أظهر الجميل وستر القبيح ، يا من لم يؤاخذ بالجريرة و لم يهتك الستر ، يا عظيم العفو ، ياحسن التجاوز ، ياواسع المغفرة ، ياباسط اليدين بالرّحمة ، ياصاحب كلّ نجوى و منتهى كلّ شكوى ، يا كريم الصفح ، يا عظيم المنّ ، يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها ، يا ربّنا ويا سيّدنا ويا مولانا و يا غاية رغبتنا أسألك يا الله ألّا تشوّه خلقي بالنار » فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لجبرئيل : ما ثواب هذه الكلمات ؟ قال : هيهات هيهات انقطع العمل ، لو اجتمع ملائكة سبع سماوات وسبع أرضين على أن يصفوا ثواب ذلك إلى يوم القيامة ما وصفوا من كلّ جزء جزءاً واحداً ، فإذا قال العبد : « يامن

---

(١) المصدر ص ١٩٧ الدعاء الخامس .

(٢) المصدر الفصل الاخر من فصول الكتاب .

أظهر الجميل وستر القبيح » ستره الله ورحمه في الدّنيا و جمّله في الآخرة ، وستر الله عليه ألف ستر في الدّنيا والآخرة ، و إذا قال : « يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر » لم يحاسبه الله يوم القيامة ، ولم يهتك ستره يوم تهتك الستور ، وإذا قال : « يا عظيم العفو » غفر الله ذنوبه ولو كانت خطيئته مثل زبد البحر ، و إذا قال : « يا حسن التجاوز » تجاوز الله عنه حتّى السرقة و شرب الخمر و أهاويل الدّنيا وغير ذلك من الكبائر[١] ، و إذا قال : « يا واسع المغفرة » فتح الله له عزّ وجلّ سبعين باباً من الرّحمة ، فهو يخوض في رحمة الله عزّ وجلّ حتّى يخرج من الدّنيا ، و إذا قال : « يا باسط اليدين بالرحمة » بسط الله يده عليه بالرّحمة ، و إذا قال : « يا صاحب كلّ نجوى و منتهى كلّ شكوى » أعطاه الله من الأجر ثواب كلّ مصاب و كلّ سالم ، و كلّ مريض ، و كلّ ضرير ، و كلّ مسكين ، و كلّ فقير ، و كلّ صاحب مصيبة إلى يوم القيامة ، وإذا قال : « يا كريم الصفح » أكرمه الله كرامة الأنبياء ، وإذا قال : « يا عظيم المنّ » أعطاه الله يوم القيامة مُنيته ومنية الخلائق ، و إذا قال : « يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها » أعطاه الله من الأجر بعدد من شكر نعماءه ، و إذا قال : « يا ربّنا ويا سيّدنا » قال الله تبارك وتعالى : اشهدوا ملائكتي أنّي قد غفرت له و أعطيته من الأجر بعدد من خلقته في الجنّة والنار والسماوات السّبع والأرضين السبع والشمس والقمر والنجوم و قطر الأمطار و أنواع الخلق والجبال والحصى والثرى و غير ذلك والعرش والكرسيّ ، وإذا قال : « يا مولانا » ملأ الله قلبه من الإيمان ، و إذا قال : « يا غاية رغبتنا » أعطاه الله يوم القيامة رغبة الخلائق ، و إذا قال : « أسألك يا الله ، ألّا تشوّه خلقي بالنار » قال الجبّار جلّ جلاله : استعتقني عبدي من النّار اشهدوا ملائكتي أنّي قد أعتقته من النّار و أبويه و إخوته و أهله وولده وجيرانه و شفّعته في ألف رجل ممّن وجبت له النّار وأجرته من النّار ، فعلّمهنّ يا محمّد المتّقين ، ولا تعلّمهنّ المنافقين فإنّها دعوة مستجابة لقائلهنّ إن شاء الله و هو دعاء أهل البيت المعمور حوله إذا كانوا يطوفون به » .

---

(١) لعل المراد أن الله سبحانه تجاوز عن حقه فيما ارتكب العبد من نواهيه لا التجاوز عما هو حق الناس وصدور هذا الكلام عنه مع النية والتوجه بمنزلة التوبة اليه والانابة التي تقتضي الغفران والصفح . واما حقوق العباد فيجب أن يؤديها اليهم اويرضيهم كما لا يخفى .

﴿أنواع الاستعاذة﴾

(المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله)

« اللّهمّ إنّي أعوذبك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن أُردّ إلى أرذل العمر ، و أعوذ بك من فتنة الدنيا ، و أعوذ بك من عذاب القبر ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع ، و طمَع في غير مطمع ، ومن طمع حين لا طمع ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من علم لاينفع ، و قلب لا يخشع ، ودعاء لا يُسمع ، ونفس لاتشبع ومن الجوع فإنّه بئس الضجيع ، و من الخيانة فإنّها بئست البطانة ، و من الكسل و البخل و الجبن ، ومن الهرم و من أن أُردّ إلى أرذل العمر ، ومن فتنة الدجّال وعذاب القبر و من فتنة المحيا و الممات ، اللّهمّ إنّا نسألك قلوباً أوّاهة مخبتة مُنيبة [1] في سبيلك ، اللّهمّ إنّا نسألك عزائم مغفرتك ، وموجبات رحمتك والسلامة من كلّ إثم ، و الغنيمة من كلّ برّ ، والفوز بالجنّة ، والنجاة من النّار ، اللّهمّ إنّي أعوذبك من التردّي و أعوذ بك من الغمّ والهمّ وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً و أعوذ بك أن أموت في طلب الدنيا، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ ما علمتُ ، و من شرّ مالم أعلم ، اللّهمّ جنّبني منكرات الأخلاق و الأعمال و الأدواء و الأهواء ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء ، و سوء القضاء ، و شماتة الأعداء ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من جار السّوء في دار المقامة فإنّ جار البادي يتحوّل ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ سمعي وبصري ، وشرّ لساني وقلبي ، وشرّ نفسي ومنيّي [2] ، اللّهمّ إنّي أعوذبك من القسوة والغفلة و العَيلة [3] . والذلّة و المسكنة ، وأعوذبك من الفقر و الكفر والفسوق و الشقاق و النفاق و السمعة و الرياء ، و أعوذبك من الصمم والبكم و الجنون والجذام والبرص وسيىء الأسقام ، اللّهمّ إنّي أعوذبك من زوال نعمتك و من تحوّل عافيتك و من فجأة نقمتك وجميع سخطك ،

(١) الاواه : المتأوه المتضرع ، والمخبت : الخاشع المتذلل ، والمنيب : الراجع الى الله بالتوبة .

(٢) المنى هو الماء المعروف أو الذكر كما اشار اليه النسائى ج٨ ص٢٥٦ من السنن.

(٣) العيلة مصدر عال يعيل أى افتقر فهو عائل والاسم العيلة .

اللّهمّ إنّي أعوذ بك من عذاب النّار ومن فتنة النّار ، و عذاب القبر وفتنة القبر ، وشرّ فتنة الغنى ، و شرّ فتنة الفقر ، و شرّ فتنة المسيح الدّجّال[١] و أعوذ بك من المغرم و المأثم ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من نفس لا تشبع ، و قلب لا يخشع ، و صلاة لا تنفع ، و دعوة لا تستجاب ، وأعوذبك من سوء العُمُر وفتنةالصدر ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من غلبة الدّين و غلبة العدوّ ، و شماتة الأعداء » [٢].

﴿الباب الرابع﴾

(في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث)

أقول : وهي كثيرة ، و قد جمعتُها في كتابي المسمّى بخلاصة الأذكار ، وأقتصر ههنا على نحو ممّا ذكره أبو حامد مع زيادة مهمّات و نقصان مستدركات سبق ذكرها و نذكر ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في ذلك من طريق الخاصّة لا ما ذكره إلّا قليلاً منه .

فنقول : إذا أصبحت وسمعت الأذان يستحبّ لك جواب المؤذّن [٣] وقدذكرناه ، و ذكرنا أدعية دخول الخلاء [٤] والخروج منه ، وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة .

فإذا لبست نعلك فقل : « اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، و وطّىء قدميّ في الدّنيا و الآخرة ، وثبّتهما على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام .

فإذا توجّهت إلى المسجد فقل: « بسم الله الّذي خلقني فهو يهدين ـ الآيات إلى

---

(١) قال في مجمع البحرين : المسيح لقب عيسى عليه السلام وهو من الالقاب الشريفة وفي معناه اقاويل ـ الى ان قال ـ : وسمي الدجال مسيحاً لان احدى عينيه ممسوحة انتهى . وزاد ابن الاثير قال : «ويقال : رجل ممسوح الوجه ومسيح وهو ان لايبقى على احد شقي وجهه عين ولاحاجب الا استوى و قيل لانه يمسح الارض : اى يقطعها » .

(٢) الى هنا راجع السنن الكبرى للنسائي كتاب الاستعاذة ج ٨ ص ٢٥٠ ، وسنن أبي داود ج ١ ص ٣٥٣ ، وصحيح مسلم ج ٨ ص٧٥ ، ومستدرك الحاكم ج ١ص ٥٣٠ .

(٣) راجع عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٢٥ .

(٤) راجع المجلدالاول من الكتاب ص٢٩٤.

قوله عزّ وجلّ : ـ و اغفرلأبي» فعن النبي ﷺ «من توضّأ ثمّ خرج إلى المسجد فقال حين يخرج من بيته : «بسم الله الّذي خلقني فهو يهدين» هداه الله إلى الصواب والإيمان ، و إذا قال : «و الّذي هو يطعمني و يسقين» أطعمه الله من طعام الجنّة و سقاه من شرابها ، و إذا قال : «و إذا مرضت فهو يشفين» جعل الله ذلك كفّارة لذنوبه ، و إذاقال : «والّذي يميتني ثمّ يحيين» أماته الله ميتة الشهداء ، وأحياه حياة السّعداء ، و إذا قال : «والّذي أطمع أن يغفرلي خطيئتي يوم الدين» غفرالله له خطاياه كلّها وإن كان أكثر من زبد البحر ، و إذا قال : «ربّ هب لي حكماً و ألحقني بالصالحين» و هب الله له حكماً وعلماً و ألحقه بصالح من مضى و صالح من بقي ، وإذا قال : «واجعل لي لسانَ صدق في الآخرين» كتب الله له في ورقة بيضاء أنّ فلان بن فلان من الصادقين ، و إذا قال : «واجعلني من ورثة جنّة النعيم» أعطاه الله منازل في جنّة النعيم ، و إذا قال : «واغفرلأبي» غفرالله لأبويه»(١) .

وإذا أردت الدّخول إلى المسجد فتعاهد نعليك أوّلاً و قدّم رجلك اليمنى و قل : «بسم الله ، وبالله ، و من الله ، وإلى الله ، وخير الأسماء كلّها لله ، توكّلت على الله ، لاحول ولا قوّة إلّا بالله ، اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد ، و افتح لي أبواب رحمتك و توبتك و أغلق عنّي أبواب معصيتك ، واجعلني من زوّارك و عمّار مساجدك ، و ممّن يناجيك في اللّيل و النهار ، ومن الّذين هم في صلاتهم خاشعون ، و ادحر عنّي الشيطان الرجيم(٢) وجنود إبليس أجمعين» .

---

(١) راجع سورة الشعراء آية ٧٨ الى ٨٦ والخبر أخرجه ابن أبى الدنيا فى الذكر وابن مردويه كما فى الدر المنثور ج ٥ ص ٨٩ وراجع بقية الاوراد عمل اليوم والليلة لابن السنى ، و اليوم والليلة للنسائى ، والمجلد الاول من مستدرك الحاكم كتاب الدعوات ص ٤٩٠ ، والدعوات الكبير للبيهقى ، وثواب الاعمال ، وعقاب الاعمال ، والفقيه للصدوق ، وكتاب الدعاء من الكافى ج ٢ ص ٤٦٦ ولقلة جدواها طوينا عن الاشارة الى كل واحد منها ومن اراد الاطلاع على جملتها فى كتب العامة فليراجع المغنى للعراقى المطبوع ذيل الاحياء .

(٢) اى اطرد ، دحره اى طرده .

فإذا خلعت نعليك فاخلع اليسرى قبل اليمنى بعكس لبسها وقل : « بسم الله الحمد لله الّذي رزقني ما اُوقي به قدمي من الأذى ، اللّهمّ ، ثبّتهما على صراطك ولا تزلّهما عن صراطك السويّ » و إن كانا عربيّين طاهرين و أمكنك أن لا تنزعهما فلا تنزعهما فإنّ الصلاة فيهما مستحبّة .

فإذا رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل : «لا أربح الله تجارتك» .

و إذا رأيت من ينشد ضالّة في المسجد فقل : « لاردّ الله عليك » .

و إذا رأيت من ينشد شعراً فقل : «فضّ الله فاك » كذا ورد في الحديث النبويّ »(١).

وقد ذكرنا أدعية الصلاة في كتابها .

فإذا نهضت من المصلّى فانصرف عن يمينك وقل : « سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمدلله ربّ العالمين » .

و إذا خرجت من المسجد فقدّم رجلك اليسرى و صلّ على النبيّ صلى الله عليه وآله و قل : « اللّهمّ دعوتني فأجبتُ دعوتك وصلّيتُ مكتوبك وانتشرت في أرضك كما أمرتني فأسألك من فضلك العمل بطاعتك واجتناب معصيتك و الكفاف من رزقك برحمتك » .

فاذا طلعت الشمس فقل : «أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين ، و أعوذ بالله أن يحضرون ، إنّ الله هو السميع العليم » .

«و إذا تصدّقت بشيء فقل : « ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم ».

و إذا دخلت منزلك فقل : « بسم الله و بالله أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله » وسلّم على أهلك إن كان في البيت أهل وإلّا فقل بعد الشهادتين : « السلام على محمّد بن عبدالله خاتم النبيّين ، السلام على الأئمّة الهادين المهديّين ، السلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين » .

و إذا جلست فقل : « بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله على محمّد وآله » .

و إذا نظرت في المرآة فقل : « الحمدلله الّذي خلقني فأحسن خلقي وصوّرني فأحسن

(١) راجع التهذيب ج ١ ص ٣٢٧ والكافي ج ٣ ص ٣٦٩ رقم ٥ . و أيضاً عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٤٢ و ٤٣ .

صورتي ، الحمد لله الّذي زان منّي ماشان من غيري ، وأكرمني بالإسلام ».

و إذا سرّحت لحيتك فقل : « اللّهمّ سرّح عنّي الغموم والهموم و وحشة الصدر ووسوسة الشيطان ».

وإذا حضرت المائدة فقل : « اللّهمّ اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعم الجنّة ».

فإذا مددت يدك إليها فقل : « بسم الله والحمد لله ربّ العالمين ، اللّهمّ إنّي أسألك في أكلي و شربي السلامة من وعكه والقوّة على طاعتك ، و ذكرك و شكرك فيما بقّيته في بدني وأن تشجّعني بقوّتها على عبادتك وأن تلهمني حسن التحرّز من معصيتك ».

ويأتي آداب الأكل في محلّه.

وإذا فرغت منه فقل : « الحمد لله الّذي أطعمنا في جائعين ، وسقانا في ظمآنين ، و كسانا في عارين وهدانا في ضالّين ، وحمّلنا في راجلين ، وآوانا في ضاحين ، وأخدمنا في عانين ، و فضّلنا على كثير من العالمين ».

و إذا أردت شرب الماء فقل : « الحمد لله منزل الماء من السماء ، ومصرّف الأمر كيف يشاء ، بسم الله خير الأسماء ».

وإذا فرغت فقل : « الحمد لله الّذي سقاني ماء عذباً ولم يجعله ملحاً اُجاجاً بذنوبي وصلّ وسلّم على الحسين عليه السلام والعن قاتليه ».

و إذا قمت من المجلس فقل ما قلته للجلوس و ما قلته للنهوض من المصلّى فقد روي أنّه كفّارة للغو المجلس وفيه امتثال لقوله عزّ وجلّ : « فسبّح بحمد ربّك حين تقوم ».

و إذا تعمّمت أو تختّمت فقل : « اللّهمّ سوّمني بسيماء الإيمان ، وتوّجني بتاج الكرامة ، وقلّدني حبل الإسلام ، ولا تخلع ربقة الإيمان من عنقي ».

و إذا لبست ثوبك فقل : « الحمد لله الّذي كساني ما يواري عورتي و أتجمّل به في الناس » و إذا كان جديداً فزد على ذلك مقدّماً عليه « اللّهمّ اجعله ثوب يمن و تقوى وبركة ، اللّهمّ ارزقني فيه حسن عبادتك و عملاً بطاعتك و أداء شكر نعمتك ».

و إذا خرجت من منزلك فقل : « بسم الله آمنت بالله و توكّلت على الله » قال سيّد العابدين عليه السلام : « إنّ العبد إذا خرج من منزله عرض له الشيطان فإذا قال : « بسم الله »

قال الملكان : كفيت ، فإذا قال : « آمنت بالله » قالا له : هديت ، فإذا قال : « توكّلت على الله » قالا له : وقيت ، فيتنحّى الشياطين فيقول بعضهم لبعض : كيف لنا بمن كفي وهدي ووقي »(١).

فإذا دخلت السوق فقل : « لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو حيٌّ لايموت ، بيده الخير و هو على كلّ شيء قدير ، بسم الله اللّهمَّ إنّي أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، اللّهمَّ إنّي أعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها اللّهمَّ إنّي أعوذ بك أن اُصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة » .

فإن كان عليك دين فقل : « اللّهمَّ اكفني بحلالك عن حرامك و أغنني بفضلك عمّن سواك » .

وإذا أصابك خسران فقل : « عسى ربّنا أن يبدلنا خيراً منها إنّا إلى ربّنا راغبون».

وإذا رأيت شيئاً من الطيرة تكرهه فقل : « اللّهمَّ لايأتي بالحسنات إلّا أنت لاحول ولا قوّة إلّا بالله » .

و إذا اشتريت متاعاً فكبّر ثلاثاً فقل : « اللّهمَّ إنّي اشتريته ألتمس فيه خيرك فاجعل فيه خيراً ، اللّهمَّ إنّي اشتريته ألتمس فيه رزقك فاجعل لي فيه رزقاً » .

وإذا اشتريت دابّة أو مملوكاً فخذ بناصيته أو ذروة سنام البعير وقل : « اللّهمَّ إنّي أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرّها و شرّ ما جبلتها عليه » وتزيد في المملوك « اللّهمَّ بارك فيه واجعله طويل العمر كثير الرّزق » .

و إذا قضيت الدّين فقل للمقضيِّ له : « بارك الله في أهلك و مالك » .

وإذا هنّئت بالنكاح فقل : « بارك الله فيك و بارك الله عليك و جمع بينكما في خير» .

و يأتي سائر أدعية النكاح وآدابها في كتابه .

وإذا بنيت بيتاً فقل : « اللّهمَّ ادحر عنّي وعن أهلي وولدي مردة الجنّ والشياطين و بارك فيه بنزولي » .

و إذا زرعت زرعاً فخذ قبضة من البذر بيدك واستقبل القبلة و قل : « أفرأيتم ما

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٤١ تحت رقم ٢ .

تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزّارعون » ـ ثلاث مرّات ـ ثمّ قل : « لابل الله الزارع لا فلان ، وسمّ باسمك ثمّ قل : « اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد واجعله حرثاً مباركاً وارزقنا فيه السّلامة والعافية والسرور والغبطة والتمام واجعله حبّاً متراكباً ولا تحرمني خير ما أبتغي ولا تفتنّي بمامنعتني بحقّ محمّد و آله الطيّبين » ثمّ ابذر القبضة .

و إذا نظرت إلى السماء فقل : « ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ، تبارك الّذي جعل في السماء بروجاً و جعل فيها سراجاً و قمراً منيراً » .

و إذا رأيت الهلال فكبّر الله ثلاثاً و قل : « اللّهمّ أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية المجلّلة والرزق الواسع و دفع الأسقام » .

و إذا هبّت الريح فقل : « اللّهمّ إنّي أسألك خير ما هاجت الرّياح وخير مافيها و أعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها ، اللّهمّ اجعلها علينا رحمة وعلى الكافرين عذاباً وصلّى الله على محمّد وآله » وأكثر من التكبير .

و إذا سمعت صوت الرّعد فقل : « سبحان من يسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » .

و إذا رأيت الصواعق فقل : « اللّهمّ لاتقتلنا بغضبك ، ولاتهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك » .

فإذا أمطرت السماء فقل : « اللّهمّ سيباً هنيئاً وصيّباً نافعاً [1] ، اللّهمّ اجعله سبب رحمتك ولا تجعله سبب عذابك » .

و إذا أصابتك مصيبة فقل : « إنّا لله و إنّا إليه راجعون ، اللّهمّ أجرني على مصيبتي و اخلف لي خيراً منها » .

و إذا بلغك وفات أحد فقل : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون و إنّا إلى ربّنا لمنقلبون ، اللّهمّ اكتبه في المحسنين و اجعل كتابه في علّيّين واخلفه على عقبه في الغابرين ، اللّهمّ لا تحرمنا أجره ولا تفتنّا بعده » .

وإذا سمعت صوت الدّيك فقل : « سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح سبقت رحمتك غضبك لا إله إلّا أنت سبحانك و بحمدك عملت سوءاً و ظلمت نفسي فاغفرلي إنّه لايغفر

(١) السيب ـ بالفتح ـ : المطر الجارى ، والصيب : السحاب ذو المطر .

الذّنوب إلّا أنت » و روي لصوت الديك السؤال من فضل الله و لنباح الكلب و نهيق الحمار التعوّذ من الشيطان(١) .

و إذا لقيت سبعاً فقل : « أعوذ بربّ دانيال و الجبّ من شرّ كلّ أسد مستأسد » .

و إذا غضبت فتعوّذ بالله من الشيطان وصلّ على محمّد وآله و قل : « و يذهب غيظ قلوبهم ، اللّهمّ اغفرلي ذنبي و أذهب غيظ قلبي و أجرني من الشيطان الرّجيم ولاحول ، ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم » .

و إذا قهقهت فقل : « اللّهمّ لاتمقتني » .

و إذا عطست فقل : « الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآل محمّد » .

و إذا نسيت شيئاً فضع يدك على جبهتك وصلّ على محمّد و آله وقل : « اللّهمّ إنّي أسألك يا مذكّر الخير والآمر به ذكّرني ما أنسانيه الشيطان » .

و إذا ضلّ عنك شيء فقل : « يا من لايخفى عليه مكتوم ، ولايشذّ عنه معلوم ، ولا يغالبه منيع ، ولا يطاوله رفيع اردد بقدرتك عليّ ما في قبضتك إنّك أهل الخيرات » .

و إذا أصابك مرض فقل : « اللّهمّ اشفني بشفائك ، و داوني بدوائك ، وعافني من بلائك فإنّي عبدك وابن عبدك » وقل : « وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين» وامسح على العلّة .

و إذا أصابك كربٌ فقل : « و أفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصيرٌ بالعباد » .

و إن أصابك غمٌّ أو حزن فقل : « لاإله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين» وقل : « يا من يكفي من كلّ شيء ولا يكفي منه شيء اكفني ما أهمّني . « وشكا رجل إلى الصادق عليه السلام الغمّ فقال : أكثرمن أن تقول « الله الله ربّي لا أشرك به شيئاً » (٢) .

قال : « فإذا خفت و سوسةً أو حديث نفس فقل : « اللّهمّ إنّي عبدك وابن عبدك و ابن أمتك ناصيتي بيدك ، عدلٌ فيّ حكمك ماض فيّ قضاؤك ، اللّهمّ إنّي أسألك بكلّ اسم هولك أنزلته في كتابك أو أعطيته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب

---

(١) راجع صحيح مسلم ج٨ ص٨٥، ومجمع الزوائد ج١٠ ص ١٤٣ رواه عن الطبراني .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٥٦١ تحت رقم ١٦ .

عندك أن تصلّي على محمّد و آل محمّد و أن تجعل القرآن نور بصري و ربيع قلبي و جلاء حزني و ذهاب همّي ، الله الله ربّي لا أشرك به شيئاً » .

قال أبوحامد بعد ذكر هذا الدّعاء للهمّ بأدنى تفاوت في اللّفظ : « قال ﷺ : « ماأصاب أحداً حزنٌ فقال ذلك إلّا أذهب الله همّه وأبدل مكانه فرجاً فقيل : يا رسول الله أفلا نتعلّمها ؟ فقال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلّمها » [١] .

قال : « و إذا وجدت وجعاً في جسدك أو جسد غيرك فارق برقية رسول الله ﷺ روي أنّه إذا اشتكى الإنسان قرحاً أو جرحاً وضع سبّابته على الأرض ثمّ رفعها و بلّها بريقه و قال : « بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفي بهاسقيمنا بإذن ربّنا » [٢] .

وإذاوجدت وجعاً في جسدك فضع يدك على الّذي تألّم من جسدك وقل : « بسم الله » ـ ثلاثاً ـ و قل سبع مرّات : « أعوذ بالله وقدرته من شرّ ما أجد واُحاذر » .

وإذا ابتدأت أمراً فقل : « ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيّىء لنا من أمرنا رشداً ، ربّ اشرح لي صدري ويسّرلي أمري » .

وإذا رأيت استجابة دعائك فقل : « الحمد لله الّذي بعزّته وجلاله تتمّ الصالحات» و إن أبطأت فقل : « الحمد لله على كلّ حال » .

وإذا سمعت أذان المغرب فقل : « اللّهمّ هذا إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وأصوات دعائك ، وحضور صلواتك أسألك أن تغفرلي » .

أقول : وإذا أردت النوم فقل : « بسم الله اللّهمّ إنّي أسلمت نفسي إليك ، ووجّهت وجهي إليك ، وفوّضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك توكّلت عليك رهبة منك ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلّا إليك ، آمنت بكتابك الّذي أنزلت و رسولك الّذي أرسلت » ثمّ سبّح تسبيح الزّهراء عليها السلام كذا عن الباقر عليه السلام [٣] .

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم واحمد من حديث عبدالله بن مسعود كمافي المغنى ، ورواه أيضاً رزين كمافي مشكاة المصابيح ص ٢١٦ .

(٢) أخرجه البخارى ج ٧ ص ١٧٢ ومسلم ج ٧ ص ١٧ .

(٣) الفقيه ص ١٢٣ باب مايقول الرجل اذا أوى الى فراشه .

و عن الصادق عليه السلام « من قال حين يأخذ مضجعه ثلاث مرّات : « الحمد لله الّذي علا فقهر ، و الحمد لله الّذي بطن فخبر ، والحمد لله الّذي ملك فقدر ، و الحمد لله الّذي يحيي الموتى ، و يميت الأحياء وهو على كلّ شيء قدير» خرج من الذّنوب كهيئته يوم ولدته أُمّه »(١) .

و إذا فزعت في النوم فقل : « أعوذ بكلمات الله(٢) من غضبه ومن عقابه ومن شرّ عباده و من همزات الشياطين و أن يحضرون » عشر مرّات .

و إذا استيقظت من نومك فقل : « الحمد لله الّذي أحياني بعد ما أماتني و إليه النشور » و قل : « الحمدلله الّذي ردّ عليّ روحي لأحمده وأعبده » وقل : « الحمد لله الّذي بعثني من مرقدي هذا ولوشاء لجعله إلى يوم القيامة ، الحمدلله الّذي جعل اللّيل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّرأو أراد شكوراً ، الحمدلله الّذيجعل اللّيل لباساً ، والنوم سباتاً، وجعل النهار نشوراً ، لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، الحمد لله الّذي لا يخبو منه النجوم ولا يكنّ منه النشور ، ولا يخفى عليه ما في الصدور » .

فإذا جلست بعد، فقل : « حسبي الرّبّ من العباد ، حسبي الّذي هو حسبي منذ كنت ، حسبي الله ونعم الوكيل » .

فإذا قمت فقل : « اللّهمّ أعنّي على هول المطّلع ، و وسّع عليّ المضجع وارزقني خير ماقبلالموت وارزقني خيرمابعد الموت » كانالصادق عليه السلام يرفع صوته بها حتّىيسمع أهل الدّار » (٣).

قال أبوحامد: « فهذه أدعية لايستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السّفروالوضوء والصلاة ذكرناه في كتاب الحجّ والطهارة والصلاة » .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٣٥ تحت رقم ١ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٥٤٨ عن عمروبن شعيب وفيه «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبهالخ» .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٥٣٨ تحت رقم ١٣ .

﴿فصل﴾

قال : « فإن قلت : فما فائدة الدّعاء والقضاء لامردّ له ؟ فاعلم أنّ من القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، والدّعاء سبب لردّ البلاء و استجلاب الرّحمة كما أنّ التّرس سبب لردّ السّهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، و كما أنّ التّرس يدفع السّهم فيتدافعان فكذلك الدّعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله أن لايحمل السلاح وقد قال الله تعالى : « خذوا حذركم » (١) وأن لايسقى الأرض بعد بثّ البذر فيقال : إن سبق القضاء بالنبات نبت ، بل ربط الأسباب بالمسبّبات هو القضاء الأوّل الّذي هو كلمح البصر، وترتّب تفصيل المسبّبات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر ، الّذي قدّر الخير قدّره بسبب والّذي قدّر الشّرّ قدّر لدفعه سبباً فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ، ثمّ في الدّعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فإنّه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ، ولذلك قال النبيّ ﷺ : «الدّعاء مخّ العبادة » (٢) والغالب على الخلق أنّه لاينصرف قلوبهم إلى ذكر الله إلّا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمّة ، فالإنسان إذا مسّه الشرّ فذو دعاء عريض ، فالحاجة تحوج إلى الدّعاء والدّعاء يردّ القلب إلى الله بالتضرّع والاستكانة فيحصل به الذّكر الّذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكّلاً بالأنبياء ، ثمّ الأولياء ، ثمّ الأمثل فالأمثل لأنّه يردّ القلب بالافتقار والتضرّع إلى الله ويمنع من نسيانه وأمّا الغناء فسبب البطر في غالب الأمر فإنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى .

فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدّعوات والله الموفّق للخير وأمّا بقيّة الدّعوات في الأكل والشرب والسفر وعيادة المرضى فستأتي في مواضعها إن شاء الله تعالى» .

هذا آخر كتاب الأذكار والدّعوات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب ترتيب الأوراد و تفصيل إحياء اللّيل ، و الحمد لله أوّلاً و آخراً وظاهراً وباطناً .

---

(١) النساء : ٧٠ .

(٢) مر عن الترمذي رواه في الجامع الصحيح ج ١٢ ص ٢٦٦.

كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل

وهو الكتاب العاشر من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمداً كثيراً ، ونذكره ذكراً لايغادر في القلب استكباراً ولا نفوراً ، ونشكره إذ جعل اللّيل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر أوأراد شكوراً ، ونصلّي على نبيّه الّذي بعثه بالحقّ بشيراً ونذيراً ، وعلى آله المعصومين الّذين اجتهدوا في عبادة الله تعالى غدوة وعشيّاً وبكرة وأصيلاً حتّى أصبح كلٌّ واحد منهم نجماً في الدّين هادياً وسراجاً منيراً .

أمّا بعد فإنّ الله تعالى جعل الأرض ذلولاً لعباده لاليستقرّوا في مناكبها بل ليتّخذوها منزلاً فيتزوّدون منها ، محترزين من مصائدها ومعاطبها ، و يتحقّقون أنّ العمر يسير بهم سير السفينة براكبها ، والناس في هذا العالم سفر وأوّل منازلهم المهد وآخرها اللّحد ، والوطن هو الجنّة أوالنّار ، والعمر مسافة السفر ، فسنوه مراحله ، و شهوره فراسخه ، و أيّامه أمياله ، و أنفاسه خطواته ، و طاعته بضاعته ، و أوقاته رؤوس أمواله ، وشهواته و أغراضه قطّاع طريقه ، وربحه الفوز بلقاء الله في دارالسّلام مع الملك الكريم والنعيم المقيم ، وخسرانه البعد من الله مع الأنكال والأغلال و العذاب الأليم في دركات الجحيم ، فالغافل عن نفس من أنفاسه حتّى ينقضي في غير طاعة تقرّبه إلى الله زلفى متعرّض في يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ، ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل تشمّر الموفّقون عن ساق الجدّ ، وودّعوا بالكلّيّة ملاذّ النفس ، واغتنموا بقايا العمر ، ورتّبوا بحسب تكرّر الأوقات وظائف الأوراد حرصاً على إحياء اللّيل والنهار في طلب القرب من الملك الجبّار و السعي إلى دار القرار فصار من مهمّات علم طريق الآخرة تفصيل

ا قسمة الأوراد وتوزيع العبادات الّتي سبق شرحها علىمقادير الأوقات ، ولهم بذكر بابين : الباب الأوّل فيفضيلة الأوراد و ترتيبها فيالّليل والنهار الب كيفيّة إحياء الّليل و فضيلته و مايتعلّق به .

﴿الباب الاول﴾

☆(فى فضيلة الاوراد و ترتيبها و أحكامها)☆

ة الأوراد وبيان أنّ المواظبة عليها هو الطريق إلى الله تعالى)

الناظرين بنور البصيرة علموا أن لا نجاة إلّابلقاء الله تعالى وأنّه لاسبيل إلى ل يموت العبد محبّاً لله و عارفاً بالله و أنّ المحبّة و الأُنس لا يحصل إلّا من دمحبوب و المواظبة عليه و أنّ المعرفة لا تحصل إلّا بدوام الفكر فيه و في صفاته و ليس في الوجود سوى الله و أفعاله ولن يتيسّر دوام الذكر والفكر إلّابود شهواتها و الاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة ، وكلّ ذلك لايتمّ إلّا باستغراالّليل و النّهار في وظائف الأذكار و الأفكار ، و النفس لما جُبلت عليه من الس لا تصبرعلى فنّ واحد من الأسباب المعيّنة على الذكر و الفكر بل إذا ردّ ل واحد أظهرت الملال و الاستثقال ، و إنّ الله لايملّ حتّى تملّوا فمن ضرورة أن تروّح بالتنقّل من فنّ إلى فنّ ، ونوع إلىنوع بحسب كلّ وقت لتغزر ب‍تها ، و تعظم باللّذة رغبتها ، وتدوم بدوام الرّغبة مواظبتها ، فلذلك تقسم الأ مختلفة ، والذكر والفكرينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أوأكثرها فإنّ النا مائلة إلى ملاذّ الدّنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدّنيا والمباحة مثلاً والشطر الآخرإلى العبادات رجّح جانب الميل إلى الدّنيا لموافقتها يكون الوقت متساوياً فأنّى يتقاومان ؟ والطبع لأحدهما مرجّح إذ الظاهر يساعد على أُمور الدّنيا و يصفو في طلبها القلب و يتجرّد ، و أمّا الردّ إلى فمتكلّف ولا يسلم إخلاص القلب ، و حضوره إلّا في بعض الأوقات

فمن أراد أن يدخل الجنّة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ، ترجح كفّة حسناته و يثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته . و من خلط عملاً صالحاً و آخر سيئاً فأمره مخطر و لكن الرّجاء غير منقطع و العفو من كرم الله منتظر فعسى الله أن يغفر له بجوده و كرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله سبحانه لرسوله ﷺ و اقتبسه بنور الإيمان فقد قال تعالى لأقرب عباده إليه و أرفعهم درجة لديه : « إنّ لك في النهار سبحاً طويلاً و اذكر اسم ربّك و تبتّل إليه تبتيلاً » (١) .

و قال تعالى : « واذكر اسم ربّك بكرة و أصيلاً * ومن اللّيل فاسجد له وسبّحه ليلاً طويلاً » (٢).

و قال عزّ وجلّ : « وسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس و قبل الغروب * ومن اللّيل فسبّحه و أدبار السجود » (٣) ، « و سبّح بحمد ربّك حين تقوم * و من اللّيل فسبّحه و إدبار النجوم » (٤) .

و قال تعالى : « إنّ ناشئة اللّيل هي أشدّ وطأً وأقوم قيلاً » (٥).

و قال تعالى : « و من آناء اللّيل فسبّح و أطراف النهار لعلّك ترضى » (٦).

و قال تعالى : « وأقم الصلوة طرفي النهار و زلفاً من اللّيل إنّ الحسنات يذهبن السيّئات » (٧) .

ثمّ انظر كيف وصف الفائزين من عباده و بماذا وصفهم ؟ .

فقال تعالى : « أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه * قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون » (٨) .

و قال تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً » (٩).

---

(١) المزمل : ٧ و ٨ . (٢) الانسان : ٢٥ و ٢٦

(٣) ق : ٣٩ و ٤٠ . (٤) الطور : ٤٨ و ٤٩

(٥) المزمل : ٦. (٦) طه : ١٣٠ .

(٧) هود : ١١٤ . (٨) الزمر : ٩ .

(٩) السجدة : ١٦ .

و قال تعالى : « و الّذين يبيتون لربّهم سجّداً و قياماً » (١).

وقال تعالى : «كانوا قليلاً من اللّيل مايهجعون * وبالأسحارهم يستغفرون »(٢).

وقال تعالى : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً و حين تظهرون »(٣) أي فسبّحوا الله حين تمسون وحين تصبحون .

وقال تعالى : « ولاتطرد الّذين يدعون ربّهم بالغدوة والعشيّ يريدون وجهه »(٤).

فهذا كلّه يبيّن لك أنّ الطريق إلى الله مراقبة الأوقات و عمارتها بالأوراد على سبيل الدّوام و لذلك قال ﷺ : « أحبّ عباد الله إلى الله الّذين يراعون الشمس والقمر والأظلّة لذكر الله » (٥) و قد قال تعالى : « والشمس والقمر بحسبان » (٦).

و قال تعالى : « ألم تر إلى ربّك كيف مدّ الظل ولوشاء لجعله ساكناً ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلاً * ثمّ قبضناه إلينا قبضاً يسيراً » (٧).

و قال تعالى : « و القمر قدّرناه منازل » (٨).

وقال تعالى : « وهو الّذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها » (٩) .

فلا تظننّ أنّ المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتّب ومن خلق الظّل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدّنيا بل لتعرّف الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدّار الآخرة يدلّك عليه قوله تعالى : « وهو الّذي جعل اللّيل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر أوأراد شكوراً »(١٠) أي يخلف أحدهما الآخر لتتدارك في أحدهما مافات في الآخر ، وبيّن أنّ ذلك للذكر والشكر لا لغيره .

و قال تعالى : « وجعلنا اللّيل والنهار آيتين فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النهار

(١) الفرقان : ٦٤ . (٢) الذاريات : ١٧ و ١٨ .
(٣) الروم : ١٧ و ١٨ . (٤) الانعام : ٥٢ .
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٥١ من حديث ابن أبي أوفى بلفظ «ان خيار عبادالله الى الله عزوجل الذين . . » .
(٦) الرحمن : ٥ . (٧) الفرقان : ٤٥ و ٤٦ .
(٨) يس : ٣٩ . (٩) الانعام : ٩٧ .
(١٠) الفرقان : ٦٢ .

مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربّكم » (١) وإنّما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة .

(بيان أعداد الأوراد وترتيبها)

اعلم أنّ أوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس وردٌ ، و ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان ، و ما بين الزوال إلى وقت العصر وردان ، وما بين العصر إلى الغروب وردان ، و اللّيل يقسم بأوراد أربعة : و ردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ، و وردان في النصف الأخير من اللّيل إلى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كلّ ورد وفضيلته و مايتعلّق به .

فالوردالأوّل مابين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس وهو وقت شريف ، و يدلّ على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال : « والصبح إذا تنفّس »(٢) و تمدحه به إذ قال : « فالق الإصباح » (٣) و قال : « قل أعوذ بربّ الفلق » (٤) وإظهاره القدرة بقبض الظلّ فيه إذ قال : « ثمّ قبضناه إلينا قبضاً يسيراً » و هو وقت قبض ظلّ اللّيل ببسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » وبقوله : « فسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس » و قوله : « و من آناء اللّيل فسبّح و أطراف النهار » و قوله : « واذكر اسم ربّك بكرة و أصيلاً » .

(وأما ترتيبه)

فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فإذا انتبه فينبغي أن يبتدىء بذكر الله فيقول : « الحمد لله الّذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » إلى آخر ما ذكر في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدّعوات و يلبس ثوبه و هو في الدّعاء وينوي به ستر عورته امتثالاً لأمر الله و استعانة على عبادة الله من غير قصد رياء ولا رعونة ، ثمّ يتوجّه إلى بيت الماء إن كان به حاجة و يُدخل أوّلاً رجله اليسرى ويدعو بالأدعية الّتي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدّخول والخروج ، ثمّ يستاك على السنّة كما سبق و يتوضّأ مراعياً لجميع السنّة

(١) الاسراء : ١٢ . (٢) التكوير : ١٠ .
(٣) الانعام : ٩٦ . (٤) الفلق : ٢ .

و الأدعية الّتي ذكرناها في الطهارة فإنّا إنّما قدّمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فإذافرغ من الوضوء صلّى ركعتي الصبح أعني السنّة في منزله ، كذلك كان يفعل رسول الله صلّى الله عليه وآله ثمّ يتوجّه إلى المسجد داعياً بدعاء الخروج إليه وعليه السكينة و الوقار ، فيدخل المسجد مقدّماً لرجله اليمنى داعياً بدعاء الدّخول فيه ، ثمّ يطلب الصفّ الأوّل إن وجد متّسعاً ولايتخطّى رقاب الناس ولايزاحم كما سبق في باب الجمعة ، ثمّ إن لم يكن صلّى ركعتي الفجر في منزله صلاّهما وإلّاصلّى ركعتين للتحيّة ، و جلس مشتغلاً بالذكر إلى أن يقام الصلاة ، و الأحبّ التغليس بالجماعة فقدكان صلّى الله عليه وآله يغلّس بالصبح (١) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامّة و في الصبح و العشاء خاصّة فإنّ لها فيهما زيادة فضل وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر ، ثمّ يصلّي الفريضة مراعياًجميع ماذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة ثمّ يقعد في المسجدإلى طلوع الشمس في ذكرالله كما سنرتّبه فقدقال صلّى الله عليه وآله : « لأن أقعد في مجلس أذكرالله فيه من صلاة الغداة إلىطلوع الشمسأحبّ إليّ من أن أعتق أربع رقاب »(٢) و « كان صلّى الله عليه وآله إذا صلّى الغداة قعد في مصلاّه حتّى تطلع الشمس » (٣) و روي أنّه صلّى الله عليه وآله كان فيما يذكر من رحمة ربّه يقول : « إنّه قال : يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجرساعة و من بعد صلاة العصر ساعةأكفك ما بينهما » (٤) فإذا ظهرفضل ذلك فليقعد ولا يتكلّم إلى طلوع الشمس ، بل ينبغي أن يكون وظيفته أربعة أنواع أدعية و أذكار يكرّرها في سبحة و قراءة قرآن وتفكّر » .

أقول: و لنذكر الثلاثة الاُول من طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول : فإذا فرغ من الصلاة فليبدء بثلاث تكبيرات رافعاً بها كفّيه حيال وجهه ، مستقبلاً بظهرهما وجهه و ببطنهما القبلة وهذه التكبيرات أوّل التعقيب ، ثمّ يقول : « لا إله إلّا الله إلهاً واحداً و نحن له مسلمون ، لا إله إلّا الله لانعبد إلّا إيّاه مخلصين له الدين ولو كره المشركون ،

(١) تغليسه صلى الله عليه وآله متفق عليه ، راجع صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٩ والغلس : ظلمة آخر الليل . (٢) أخرجه أبوداود ج ٢ ص ٢٩٠ فى حديث .

(٣) أخرجه مسلم ج ٢ ص ١٣٢ .

(٤) أخرجه ابن المبارك فى الزهد كما فى المغنى .

لا إله إلّا الله ربّنا و ربّ آبائنا الأوّلين ، لاإله إلّا الله وحده وحده وحده ، أنجز وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده ، فله الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير ، أستغفرالله الّذي لا إله إلّاهوالحيّ القيّوم وأتوب إليه ، اللّهمّ اهدني من عندك وأفض عليّ من فضلك وانشر عليّ من رحمتك ، وأنزل عليّ من بركاتك ، سبحانك لا إله إلّا أنت ، اغفرلي ذنوبي كلّها فإنّه لا يغفر الذنوب كلّها جميعاً إلّا أنت ، اللّهمّ إنّي أسألك من كلّ خير أحاط به علمك و أعوذ بك من كلّ شرّ أحاط به علمك ، اللّهمّ إنّي أسألك عافيتك في اُموري كلّها وأعوذ بك من خزي الدّنيا وعذاب الآخرة ومن أهوال يوم القيامة ، و أعوذ بوجهك الكريم ، و سلطانك القديم ، و عزّتك الّتي لاترام ، وقدرتك الّتي لا يمتنع منها شيء من شرّ الدّنيا والآخرة ومن شرّ الأوجاع كلّها ، ولاحول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم توكّلت على الحيّ الّذي لايموت و الحمدلله الّذي لم يتّخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذّلّ و كبّره تكبيراً » .

ثمّ يسبّح تسبيح الزهراء عليها السلام و هوأفضل أذكارالتعقيب ففي التهذيب عن الصادق عليه السلام « من سبّح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام قبل أن يثني رجليه من صلاة الفريضة غفرله ويبدء بالتكبير» (١).

وفيه عنه عليه السلام «أنّا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة الزّهراء عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة فالزمه فإنّه ما يلزمه عبدٌ فشقي »(٢) .

و عنه عليه السلام « تسبيح فاطمة الزّهراء في دبر كلّ صلاة أحبّ إليّ من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم »(٣) .

و عن الباقر عليه السلام « ما من عبد عبدالله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة الزّهراء عليها السلام و لوكان شيء أفضل منه لنحله رسول‌الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام »(٤) .

(١) المصدر ج ١ ص ١٦٤ ، و رواه الكليني في الكافي ج ٣ ص ٣٤٢ .

(٢) المصدر ج١ ص ١٦٤ ، و في الكافي ج ٣ ص ٣٤٣ ، و مجالس الصدوق ص ٣٤٥ وثواب الاعمال باب ثواب التسبيح .

(٣) الكافي ج ٣ ص٣٤٣ ، والتهذيب ج ١ ص ١٦٤ ، وثواب الإعمال باب ثواب التسبيح .

(٤) الكافي ج ٣ ص ٣٤٣ ، والتهذيب ج ١ص ١٦٤ .

ثمّ يقول عشر مرّات - وهو ممّا يختص بتعقيب الصبح - : « لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، ويميت ويحيي ، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير » .

و عشر مرّات - و هو ممّا يختصّ به - « سبحان الله العظيم وبحمده ، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم » .

و مائة مرّة « ماشاء الله كان ، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم » .

و مائة مرّة « أستغفر الله ربّي و أتوب إليه » .

و مائة مرّة « أستجير بالله من النّار و أسأله الجنّة » .

و مائة مرّة « اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وعجّل فرجهم » .

و عشر مرّات « أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً ، لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً » .

و ثلاثين مرّة « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر » و ينبغي أن يعدّ الأذكار و التسبيحات بسبحة من التّربة الحسينيّة على صاحبها السلام ، ففي التهذيب بسند صحيح عن صاحب الأمر عليه السلام « أنّها أفضل شيء يسبّح به و أنّ المسبّح بها ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له ذلك التسبيح »(١) .

ثمّ يقول - وهو أيضاً ممّا يختصّ بتعقيب الصبح - : « يا مقلّب القلوب و الأبصار صلّ على محمّد وآله وثبّت قلبي على دينك ودين نبيّك صلى الله عليه وآله ولاتزغ قلبي بعد إذهديتني وهب لي من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحويل عافيتك ، و من فجأة نقمتك ، ومن درك الشقاء ، و من شرّ ما سبق في الكتاب ، اللّهمّ إنّي أسألك بعزّة ملكك و عظيم سلطانك ، و بشدّة قوّتك على جميع خلقك أن تصلّي على محمّد و آل محمّد وأن تفعل بي كذا و كذا » .

ثمّ يقول : « أعيذ نفسي و أهلي ومالي وولدي وإخواني وما رزقني ربّي و جميع من يعنيني أمره بالله الواحد الأحد الصمد الّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً

(١) المصدر ج ٢ ص٢٧ في حديث كتاب المزار.

أحد، و بربّ الفلق من شرّ ما خلق - إلى آخرها - و بربّ الناس ملك الناس - إلى آخرها - ».

ثمّ يقرء الفاتحة و آية الكرسي إلى « هم فيها خالدون » و آية شهدالله، و آية الملك، وآية السخرة وآخر الكهف من « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي» وأوّل الصافّات إلى « شهاب ثاقب » و الثلاث آيات من آخرها، و ثلاث آيات من الرحمن يا معشر الجنّ و الانس - إلى - فلا تنتصران » وأربع آيات من آخر الحشر « لوأنزلنا هذا القرآن » ثمّ يقرء سورة التوحيد اثنتي عشرة مرّة.

ثمّ يقول وهو باسط يديه : « اللّهمّ إنّي أسألك باسمك المكنون المخزون الطهر الطاهر المبارك وأسألك باسمك العظيم و سلطانك القديم يا واهب العطايا يامطلق الأسارى يا فكّاك الرقاب من النّار أسألك أن تصلّي على محمّد و آل محمّد، وأن تعتق رقبتي من النّار وأن تخرجني من الدّنيا آمناً وتدخلني الجنّة سالماً، وأن تجعل دعائي أوّله فلاحاً و أوسطه نجاحاً وآخره صلاحاً إنّك أنت علاّم الغيوب »، ثمّ يقول : « اللّهمّ إنّي اُشهدك واُشهد ملائكتك و حملة عرشك و سكّان سماواتك و أرضك و أنبياءك و رسلك والصالحين من عبادك و جميع خلقك فاشهد لي و كفى بك شهيداً أنّي أشهد أنّك أنت الله وحدك لا شريك لك و أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبدك و رسولك، و أنّ كلّ معبود ممّا دون عرشك إلى قرار أرضك السابعة السفلى باطل مضمحلّ ما عدا وجهك الكريم فإنّه أعزّ وأكرم وأجلّ وأعظم من أن يصف الواصفون كنه جلاله، أو تهتدي القلوب إلى كنه عظمته، يامن فاق مدح المادحين فخر مدحه، وعدا وصف الواصفين مآثر حمده، و جلّ عن مقالة الناطقين تعظيم شأنه صلّ على محمّد وآل محمّد وافعل بنا ما أنت أهله ياأهل التقوى وأهل المغفرة ».

ثمّ يقول :

« سبحان الله كلّما سبّح الله شيء و كما يحبّ الله أن يسبّح و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه و عزّ جلاله، والحمدلله كلّما حمدالله شيء و كما يحبّ الله أن يحمد و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه و عزّ جلاله.

ولا إله إلّا الله كلّما هلّل الله شيء و كما يحبّ الله أن يهلّل و كما هو أهله

و كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله ، والله أكبر كلّما كبّر الله شيءٌ و كما يحبّ الله أن يكبّر و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله ، سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلّا الله والله أكبر على كلّ نعمة أنعم بها عليّ و على كلّ أحد من خلقه ممّن كان أو يكون إلى يوم القيامة ، اللّهمّ إنّي أسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد و أسألك خيرما أرجو وخير ما لا أرجو و أعوذبك من شرّ ما أحذر و من شرّ ما لا أحذر ».

ثمّ يقول ـ و هو ممّا يدعا به في المساء أيضاً ـ : « بسم الله خير الأسماء ، بسم الله ربّ الأرض والسماء ، بسم الله الّذي لا يضرّ مع اسمه سمّ ولاداء ، بسم‌الله أصبحت و على الله توكّلت ، بسم الله على قلبي و نفسي ، بسم الله على ديني وعقلي ، بسم الله على أهلي و مالي ، بسم الله على عطاء ربّي ، بسم‌الله الّذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض و لا في السماء وهو السميع العليم ، الله الله ربّي حقّاً لا اُشرك به شيئاً ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أعزّ وأجلّ ممّا أخاف و أحذر ، عزّ جارك و جل ثناؤك و تقدّست أسماؤك ، لا إله غيرك ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ نفسي ومن شرّ كلّ سلطان شديد ، و من شرّ كلّ شيطان مريد و من شرّ كلّ جبّار عنيد ، ومن شرّ قضاء السوء و من شرّ كلّ دابّة أنت آخذٌ بناصيتها إنّك على صراط مستقيم ، وأنت على كلّ شيء حفيظ ، إنّ وليّي الله الّذي نزّل الكتاب و هو يتولّى الصالحين ، فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلّا هو عليه توكّلت و هو ربّ العرش العظيم ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، ولاحول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين ».

ثمّ يقول ـ وهو ممّا يدعا به في المساء أيضاً ـ : « أصبحت اللّهمّ معتصماً بذمامك المنيع الّذي لا يحاول ولا يطاول من شرّ كلّ غاشم وطارق من سائر ما خلقت من خلقك الصامت و الناطق في جُنّة من كلّ مخوف بلباس سابغة ، ولاء أهل بيت نبيّك محمّد صلواتك عليه و عليهم محتجباً من كلّ قاصد لي بأذيّة بجدار حصين الإخلاص في الاعتراف بحقّهم والتمسّك بحبلهم موقناً بأنّ الحقّ معهم و فيهم وبهم ، اُوالي من والوا واُجانب من جانبوا فصلّ على محمّد وآل محمّد وأعذني اللّهمّ بهم من شرّ ما أتّقيه ، يا عظيم حجزت الأعادي عنّي ببديع السماوات والأرض وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم

سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

ثمّ يأتي بأدعية الصباح الّتي أوردناها في الباب الثالث من كتاب الأذكار والدّعوات وغير ذلك من الأدعية المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام ماقدر عليه و يراه أوفق لحاله و أرقّ لقلبه وأخفّ على لسانه فإنّها كثيرة جدّاً » [(١)] .

و ما ذكرناه‌ههنا من التعقيب أخذناه من روايات عديدة وليس مجتمعاً في رواية فله أن يقتصر على البعض إذا لم يتّسع وقته للكلّ ، وإذا وجد من نفسه كلالاً فليقطعه ولا يكلّفها إكماله من دون ميلها إليه وإقبالها عليه فإنّ التوجّه والإقبال روحُ العبادة و الدّعاء .

و يستحبّ أن يجلس في مصلّاه بعد الفراغ من صلاة الصبح و إن لم يكن مشتغلاً بالتعقيب فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : « من صلّى فجلس في مصلاه إلى طلوع الشمس كان له ستراً من النّار » [(٢)] .

﴿فصل﴾

قال أبوحامد بعد ذكرالأدعية على طريقته : « وأمّا الأذكار المكرّرة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطوّل بإيرادها وأقلّ ماينبغي أن يكرّر كلّ واحد منها ثلاثاً أو سبعاً و أكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشرة فليكرّره بقدر فراغه وسعة و قته و فضل الأكثر أكثر ، والأوسط الأقصد أن يكرّرها عشر مرّات فهو أجدر بأن يدومَ عليه و خير الأُمور أدومها وإن قلّ ، و كلّ وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشدّ تأثيراً في القلب من كثيرها و مثال القليل الدائم مثال قطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فيحدث فيه حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرّق »

(١) راجع اوائل مصباح المتهجد الى ابواب التعقيبات ، واقبال الاعمال ، و بلدالامين أيضاً و كتاب وسائل الشيعة أبواب التعقيب ، والكافى ج ٢ ص ٣٤١ ، والتهذيب ج ١ ص ١٦٣ الى ١٦٧ ، ومستدرك الوسائل ج١ ص ٣٣٦ الى ص ٤٠٢ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ١٦٤ و٢٧٧ .

يصبّ دفعة أو دفعات متفرّقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر» ثمّ ذكر عشر كلمات أكثرها قريب ممّا ذكرناه بعد تسبيح الزهراء عليها السلام من الأذكار ثمّ قال: «فهذه العشر كلمات إذا كرّر كلّ واحدة عشر مرّات حصل له مائة مرّة فهو أفضل من أن يكرّر ذكراً واحداً مائة مرّة لأنّ لكلّ واحدة من هذه الكلمات فضلاً على حياله وللقلب بكلّ واحد نوع تنبّه و تلذّذ، وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملال» ثمّ ذكر القراءة على طريقته قريباً ممّا ذكرناه من الآيات.

ثمّ قال: «وأمّا الافكار فليكن ذلك أحد وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكّر فيه و كيفيّته في كتاب التفكّر من ربع المنجيات و لكن مجامعه ترجع إلى فنّين أحدهما أن يتفكّر فيما ينفعه في المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتّب وظائف يومه الّذي بين يديه ويدبّر في دفع الصوارف و العوائق الشاغلة له عن الخير و يتذكّر تقصيره و ما يتفرّق بسببه همّه من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيّات الصّالحة في أعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين.

والفنّ الثاني ما ينفعه في علم المكاشفة و ذلك بأن يتفكّر مرّة في نعم الله سبحانه و تواتر آلائه الظاهرة و الباطنة ليزيد معرفته بها و يكثر شكره عليها أو في عقوباته و نقماته لتزيد معرفته بقدرة الله تعالى و استغنائه و يزيد خوفه منها، ولكلّ واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتّسع التفكّر فيها على بعض الخلق دون بعض، و إنّما يستقصى ذلك في كتاب التفكّر و مهما تيسّر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى و زيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف و الثاني زيادة المحبّة إذ لا يحبّ القلب إلّا من اعتقد تعظيمه و لا ينكشف عظمة الله تعالى و جلاله إلّا بمعرفة صفاته و معرفة قدرته و عجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة و من المعرفة التعظيم و من التعظيم المحبّة، و الذكر أيضاً يورث الأنس و هو نوع من المحبّة و لكنّ المحبّة الّتي سببها المعرفة أقوى و أثبت و أعظم، و نسبة محبّة العارف إلى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين و اطّلع على حسن أخلاقه و أفعاله و فضائله و خصاله الحميدة بالتجربة إلى

أنس من كرّر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخَلق و الخُلق مطلقاً من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبّته كمحبّة المشاهد و ليس الخبر كالمعاينة ، والعبّاد المواظبون على ذكرالله تعالى بالقلب واللّسان الّذين صدقوا بما جاءت به الرّسل عليهم الصلاة والسلام بالإيمان التقليديّ ليس معهم من صفات الله تعالى إلّا اُمور جمليّة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم ، و العارفون هم الّذين شاهدوا ذلك الجمال و الجلال بعين البصيرة الباطنة الّتي هي أقوى من البصر الظاهر لأنّ أحداً أحاط بكنه جلاله و جماله فإنّ ذلك غير مقدور لأحد من الخلق و لكن كلّ واحد شاهد بمقدار ما رفع له من الحجاب ، و لا نهاية لجمال الحضرة الرّبوبيّة و لا لحجبها و إنّما عدد حجبها الّتي استحقّ أن تسمّى نوراً و كاد أن يظنّ الواصل إليه أنّه قدتمّ وصوله إلى الأصل سبعون حجاباً قال ﷺ : « إنّ لله تعالى سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كلّ من أدرك بصره » (١) و تلك الحجب أيضاً مترتّبة و تلك الأنوار متفاوتة في الرّتب تفاوت الشمس والقمر والكوكب ، و يبدو في الأوّل أصغرها ثمّ مايليه و عليه أوّل بعض الصوفيّة درجات ماكان يظهر لإبراهيم عليه السلام في ترقّيه وقال: « فلمّا جنّ عليه اللّيل » أي أظلم عليه الأمر « رأى كوكباً » أي وصل إلى حجاب من حجب النور فعبّر عنه بالكوكب وما اُريد به هذه الأجسام المضيئة فإنّ آحاد العوام لا يخفى عليهم أنّ الرّبوبيّة لاتليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام والحجب المسمّاة أنواراً ما اُريد به الضوء المحسوس بالبصر بل اُريد به ما اُريد بقوله تعالى « الله نور السموات والأرض - الآية - » ولنتجاوز هذه المعاني فإنّه خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلّا الكشف التابع للفكر الصافي ، و قلّ من يفتح له بابه و المتيسّر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة و ذلك أيضاً ممّا يغزر فائدته و يعظم نفعه .

فهذه الوظائف الأربعة أعني الدّعاء ، و الذكر ، و القراءة ، والفكر ، ينبغي أن يكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل في كلّ ورد و بعد الفراغ من وظيفة الصلوات ،

(١) مر الخبر في المجلد الاول ص ٢٧١ .

فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع و يقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه و جنّته والصوم هو الجنّة الّتي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الله وطريق الرشاد و ليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر ، وفرض الصبح إلى الطلوع ؛ كان رسول الله صلّى الله عليه وآله و أصحابه يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار ، فهو الأولى إلّا أنّ يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلّا بالصلاة فلو صلّى لذلك فلا بأس به » .

أقول : وسنذكر أنّ تقديم ركعتي الفجر على طلوع الصبح أولى .

« **الورد الثاني** ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وذلك بمضيّ ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة و هو الربع و في هذا الرّبع من النهار و ظيفتان زائدتان إحداهما صلاة الضّحى » .

أقول : صلاة الضحى بدعة عند أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم و كلّ بدعة ضلالة و كلّ ضلالة سبيلها إلى النار ، روى في الكافي بسند حسن عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام « أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : صلاة الضحى بدعة »(١) .

و عن سيف بن عميرة رفعه قال : « مرّ أمير المؤمنين عليه السلام برجل يصلّي الضحى في مسجد الكوفة فغمز جنبه بالدرّة وقال : نحرت صلاة الأوّابين نحرك الله ، قال : فأتركها ؟ قال : فقال : « أرأيت الّذي ينهى * عبداً إذا صلّى » (٢) فقال أبو عبدالله عليه السلام : وكفى بإنكار عليّ عليه السلام نهياً » (٣).

---

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٥٣ .

(٢) العلق : ٩ و ١٠ .

(٣) الدرة ـ بالكسر : السوط الذى يضرب به . وقوله : « نحرت صلاة الاوابين الخ » أى ضيعتها والمراد نافلة الزوال وتضييعها تقديمها عن وقتها كانه قتلها . وقوله : « فاتركها » بصيغة المتكلم والجملة استفهامية . و قوله : « فقال ـ الخ ـ » أى فقال أمير المؤمنين عليه السلام : صلاتك ليست بصلاة حتى لايجوز المنع عنها كما يفهم من الاية بل هى بدعة ، ويؤيده قول الصادق عليه السلام ونقله المخالفون بصورة محرفة وفسروه بماهو أشنع من تحريفهم راجع النهاية الاثيرية مادة « نحر » .

و في الفقيه عن عبد الواحد بن المختار الأنصاريّ عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : « سألته عن صلاة الضحى فقال : أوّل من صلّاها قومك ، إنّهم كانوا من الغافلين فيصلّونها و لم يصلّها رسول الله صلّى الله عليه وآله ، و قال : إنّ عليّاً عليه‌السلام مرّ على رجل و هو يصلّيها فقال عليّ عليه‌السلام : ما هذه الصلاة ؟ فقال : أدعها يا أميرالمؤمنين ؟ فقال عليّ عليه‌السلام : أكون أنهى عبداً إذا صلّى » (١).

و روى زرارة عن أبي جعفر عليه‌السلام أنّه قال : « ما صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله الضحى قطّ ، قال : فقلت له : ألم تخبرني أنّه كان يصلّي في صدر النهار أربع ركعات ؟ قال : بلى إنّه كان يجعلها من الثمان الّتي بعدالظهر» (٢) .

قال أبوحامد : « الوظيفة الثانية في هذا الوقت الخيرات المتعلّقة بالناس الّتي جرى بها العادات بكرة من عيادة مريض ، وتشييع جنازة ، و معاونة على برّ وتقوى ، و حضور مجلس علم ، وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها ، فإن لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع الّتي قدّمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر أو الصلوات المتطوّع بها إن شاء فإنّها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست بمكروهة الآن فتصير الصلاة قسماً خامساً من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده » .

أقول : و ممّا ينبغي أن يعمل في صدر النهار التصدّق بمهما تيسّر وإن كان حقيراً ففي الكافي عن الصادق عليه‌السلام قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : بكّروا بالصدقة فإنّ البلاء لا يتخطّاها » (٣).

و التمسّح بماء الورد ، فعنهم عليهم‌السلام « من مسح وجهه بماء الورد لم يصبه في ذلك اليوم بؤس ولا فقر» (٤).

ثمّ يتغدّى و يأتي بأدعيته و آدابه كما ذكرناه في محلّه .

« **الورد الثالث** من ضحوة النهار إلى الزّوال ، والوظيفة في هذا الوقت الأقسام

---

(١) و(٢) المصدر ص ١٤٩ باب نوادر الصلاة تحت رقم ٣و٤ .

(٣) المصدر ج ٤ ص ٦ تحت رقم ٥ .

(٤) رواه الطبرسي في المكارم ص ٤٧ مرسلا عن الفردوس .

الأربعة و يزيد أمران :

أحدهما الاشتغال بالكسب و تدبير المعاش و حضور السوق ، فإن كان تاجراً فينبغي أن يتّجر بصدق و أمانة ، و إن كان صاحب صناعة فبنصح و شفقة ، ولا ينسى ذكرالله تعالى في جميع أشغاله ، و يقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكسب في كلّ يوم لوقته ، فإذا حصلت كفايته ليومه فليرجع إلى بيت ربّه وليتزوّد لآخرته ، فإنّ الحاجة إلى زاد الآخرة أشدّ والتمتّع به أدوم ، فالاشتغال بكسبه أهمّ من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل : لا يوجد المؤمن إلّا في ثلاث مواطن : مسجد يعمره ، أو بيت يستره ، أو حاجة لابدّ له منها ، وقلّ من يعرف القدر فيما لا بدّ منه بل أكثر الناس يقدّرون فيما عنه بدٌّ أنّه لابدّ لهم منه و ذلك لأنّ الشيطان يعدهم الفقر و يأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه و يجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه و فضلاً فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه .

و الأمر الثاني القيلولة و هي سنّة ليستعين بها على قيام اللّيل كما أنّ التسحّر سُنّة ليستعين به على صيام النهار فإن كان لايقوم باللّيل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير ، و ربما خالط أهل الغفلة ويتحدّث معهم فالنوم أحبُّ له إذا كان لاينبعث نشاطه للرُّجوع إلى الأذكار و الوظائف المذكورة إذ في النوم الصمت و السلامة ، وقد قال بعضهم : يأتي على النّاس زمان الصمت و النوم فيه أفضل أعمالهم ، وكم من عابد أحسن أعماله النوم و ذلك إذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق ، قيل : كان يعجبهم إذا تفرّغوا أن يناموا طلباً للسلامة ، فإذاً نومه على قصد طلب السلامة و نيّة قيام اللّيل قربة » .

أقول : و يأتي في هذا كلام عن الصادق عليه السلام عن قريب .

قال : « ولكن ينبغي أن ينتبه قبل الزّوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل وقت الصلاة فإنّ ذلك من فضائل الأعمال ، وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب و اشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنّه وقت غفلة الناس عن الله تعالى و اشتغالهم بهموم الدّنيا فالقلب المتفرّغ بخدمة ربّه عند إعراض العبيد عن بابه جديرٌ

بأن يزكّيه الله تعالى و يصطفيه لقربه و معرفته ، و فضل ذلك كفضل إحياء اللّيل فإنّ اللّيل وقت الغفلة بالنوم و هذا وقت الغفلة باتّباع الهوى والاشتغال بهموم الدّنيا وأحد معني قوله تعالى : « و هو الّذي جعل اللّيل والنهار خلفة »(١) أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل ، و الثاني أنّه يخلفه فيتدارك فيه مافات في الآخر.

الورد الرابع ما بين الزّوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبتها وهو أقصر أوراد النهار و أفضلها ، فإذا كان قد توضّأ قبل الزّوال و حضر المسجد فمهما زالت الشمس و ابتدأ المؤذّن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جوابه ، ثمّ ليقم إلى إحياء ما بين الأذان و الإقامة فهو وقت الإظهار الّذي أراد الله تعالى بقوله : « وحين تظهرون »(٢).

أقول : أوّل ما يفعله عند تحقّق الزوال أن يقول ما رواه في الفقيه « أنّ الباقر عليه السلام علّمه لمحمّد بن مسلم وقال له : حافظ عليه كما تحافظ على عينيك وهو « سبحان الله ولا إله إلّا الله والحمد لله الّذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذّلّ و كبّره تكبيراً » ثمّ يشرع في نافلة الزّوال ويأتي في أُوليها بالتكبيرات السبع الافتتاحيّة مع أدعيتها ويقرء فيهما التوحيد والجحد و يسبّح بعد كلّ ركعتين منها بتسبيح الزّهراء عليها السلام ثمّ يقول : « اللّهمّ إنّي ضعيف فقوّ في رضاك ضعفي ، وخذ إلى الخير بناصيتي ، واجعل الإيمان منتهى رضاي ، و بارك لي فيما قسمت لي وبلّغني برحمتك كلّ الّذي أرجو منك واجعل لي ودّاً وسروراً للمؤمنين وعهداً عندك » ويؤذّن للظّهر بعد الستّ ويفصل بين الأذان والإقامة بالسابعة والثّامنة ، ثمّ يقيم ويقول بعد الإقامة : « اللّهمّ ربّ هذه الدّعوة التامّة والصلاة القائمة بلّغ محمّداً صلى الله عليه وآله الدّرجة والوسيلة والفضل والفضيلة ، بالله أستفتح وبالله أستنجح ، وبمحمّد صلى الله عليه وآله أتوجّه ، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، واجعلني بهم وجيهاً في الدّنيا والآخرة ومن المقرّبين » ثمّ يشتغل بالفريضة جماعة مراعياً لجميع الآداب الظاهرة والباطنة كما قدّمناه ، فإذا فرغ منها أتى بالتعقيب كما مرّ في الصبح سوى الأذكار المختصّة به ويزيد على ذلك ماشاء و ينقص ماشاء بقدر إقباله وملاله .

---

(١) الفرقان : ٦٢ . (٢) الروم : ١٨ .

« **الورد الخامس** مابعد ذلك إلى العصر أعني إلى أن يبقى ربع النّهار فإنّ منزلة العصر بين الزّوال والغروب كمنزلة الضحى بين الطلوع والزّوال » .

أقول : ويصلّي فيه من نوافل العصر أربعاً أو اثنتين .

قال : « ويستحبّ فيه العكوف في المسجد مشغولاً بالذّكر والصّلاة أوفنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفاً فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سيرة السلف رحمهم الله ، كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلّين دويّاً كدويّ النحل من التلاوة ، فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمّه فالبيت أفضل في حقّه وإحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل ، وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزّوال إذ يكره نومتان بالنّهار ، قال بعض العلماء : ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب ، والأكل من غير جوع ، ونوم النهار من غير سهر باللّيل ، والحدّ في النوم أنّ اللّيل والنّهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمانية ساعات في اللّيل و النهار جميعاً ، فإن نام هذا القدر باللّيل فلا معنى للنوم بالنّهار ، وإن نقص منه مقداراً استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستّين سنة أن ينقص من عمره عشرين سنة ومهمانام ثمانية ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ، ولكن لمّا كان النوم غذاء الروح كما أنّ الطعام غذاء البدن وكما أنّ العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه منه وقدر الاعتدال هذا ، والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن إلّا من يتعوّد السهر تدريجاً فقد تمرّن نفسه عليه من غير اضطراب » .

أقول : و ممّا روي في هذا الباب عن أهل البيت عليهم السلام ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « نم نوم المتعبّدين ولاتنم نوم الغافلين فإنّ المتعبّدين [1] من الأكياس ينامون استرواحاً وأمّا الغافلون فينامون استبطاراً ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله : تنام عيني ولاينام قلبي ، وانو بنومك تخفيف مؤونتك على الملائكة واعزل النفس عن شهواتها ، واختبر بها نفسك معرفة بأنّك عاجز ضعيف لا تقدر على شيء من حركاتك وسكونك إلّا بحكم الله و تقديره ، فإنّ النوم أخو الموت فاستدلل بها على الموت الّذي لا تجد السبيل إلى

(١) في بعض نسخ المصدر « فان المتعبرين من الاكياس ينامون استراحة » .

الانتباه فيه والرّجوع إلى إصلاح مافات عنك ، و من نام عن فريضة أوسنّـة أو نافلة فاتاه بسببها فذاك نوم الغافلين و سيرة الخاسرين وصاحبه مغبون ، ومن نام بعد فراغه من أداء الفرائض و السنن و الواجبات من الحقوق فذلك نوم محمود ، إنّي لا أعلم لأهل زماننا هذا شيئاً إذا أتوا بهذه الخصال أسلم من النوم ، لانّ الخلق تركوا مراعاة دينهم ومراقبة أحوالهم و أخذوا شمال الطريق والعبد إن اجتهد أن لا يتكلّم كيف يمكنه أن لايسمع إلّا ماهومانع له من ذلك ، وإنّ النوم من إحدى تلك الآيات ، قال الله عزّوجلّ : «إنّ السمع و البصر و الفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً» ، و إنّ في كثرته آفات و إن كان على سبيل ما ذكرناه ، و كثرة النوم تتولّد من كثرة الشرب ، و كثرة الشرب تتولّد من كثرة الشبع وهما يثقلان النفس عن الطاعة ويقسيان القلب عن التفكّر و الخشوع ، واجعل كلّ نومك آخر عهدك من الدّنيا ، و اذكر الله بقلبك و لسانك ، وخف اطّلاعه على سرّك ، واعتقد بقلبك مستعيناً به في القيام إلى الصلاة إذا انتبهت فإنّ الشيطان يقول لك : نم فإنّ لك بعد ليلاً طويلاً ، يريد تفويت وقت مناجاتك ، و أعرض حالك على ربّك ، ولا تغفل عن الاستغفار بالأسحار فإنّ للقانتين فيه أشواقاً » انتهى كلامه عليه السلام (١).

قال أبوحامد : « وهذا الورد هو أطول الأوراد و أمتعها للعبّاد ، وهو أحد الآصال الّتي ذكرها الله تعالى إذ قال : « ولله يسجد من في السموات و الأرض طوعاً و كرهاً و ظلالهم بالغدوّ و الآصال ـ الآية ـ » (٢) فإذا سجد لله الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات .

الورد السادس إذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الّذي أقسم الله تعالى به إذ قال : «والعصر» (٣) هذا أحد معني الآية و هو المراد بالآصال في أحد التفسيرين و هو العشيّ المذكور في قوله : « وعشيّاً » (٤) وقوله تعالى : « بالعشيّ والإشراق » (٥) و ليس في هذا الورد صلاة غير أربع ركعات من نافلة العصر أو اثنتين يصلّيها بين الأذان

(١) مصباح الشريعة الباب الرابع والاربعون .

(٢) الرعد : ١٥ . (٣) العصر : ٢ .

(٤) مريم : ١١ . (٥) سورة ص : ١٨ .

والإقامة، ثمّ يصلّي الفرض و يشتغل بالأقسام الأربعة المذكورة في الورد الأوّل إلى أن يرتفع الشمس إلى رؤوس الحيطان وتصفرّ، والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبّر و تفهّم، إذ يجمع ذلك معنى الذكر والدّعاء و الفكر فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة.

الورد السابع إذا اصفرّت الشمسُ بأن تقرب من الأرض بحيث يغطّي نورها الغبارات والبخارات الّتي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل هذا الورد، وهو مثل الورد الأوّل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنّه قبل الغروب كما أنّ ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى: «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - الآية -»(١) و هو طرف الثاني المراد بقوله تعالى: «وأطراف النهار»(٢) فيستحبّ في هذا الوقت التسبيح و الاستغفار خاصّة و سائر ما ذكرناه في الورد الأوّل، والاستغفار على الأسماء الّتي في القرآن أحبّ كقوله: «استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً»(٣)؛ «استغفره إنّه كان توّاباً»(٤)؛ «ربّ اغفر وارحم وأنت خير الرّاحمين»(٥)؛ «فاغفرلنا وارحمنا وأنت خير الغافرين»(٦).

فإذا سمع الأذان قال: «اللّهمّ هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك - كما سبق -» ثمّ يجيب المؤذّن و يشتغل بصلاة المغرب، و بغروب الشمس قد انتهى أوراد النّهار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله و يحاسب نفسه، فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه أمسه فيكون مغبوناً أوكان شرّاً منه فيكون ملعوناً، فقد قال صلّى الله عليه وآله: «لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيراً»(٧) فإن رأى نفسه متوفّراً على الخير جميع نهاره، مترفّهاً عن التجشّم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه و تسديده إيّاه لطريقه، و إن تكن الأخرى فالّليل خلفة للنهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فإنّ الحسنات يذهبن السيّئات

(١) الروم: ١٧.
(٢) طه: ١٣٠.
(٣) نوح: ١٠.
(٤) النصر: ٤.
(٥) المؤمنون: ١١٨
(٦) الاعراف: ١٥٥.
(٧) تقدم نحوه في المجلد الاول ص ١٥ عن الطبراني وابن عبدالبر.

فليشكرالله على صحّة جسمه و بقاء بقيّة من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره و ليحضر في قلبه أنّ نهارالعمر لهآخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعده طلوع و عند ذلك يغلق باب التدارك و الاعتذار فليس العمر إلّا أيّاماً معدودة تنقضي لامحالة جملتها بانقضاءآحادها .

✲(بيان أوراد الليالي و هي خمسة)✲

الأوّل إذا غربت الشمس صلّى المغرب و اشتغل بإحياء ما بين العشائين ، فآخر هذا الورد غيبوبة الشفق أعني الحمرة الّتي‌بغيبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم اللهتعالى به فقال : « فلا أُقسم بالشفق » [1]و الصلاة فيه هي ناشئة اللّيل لأنّه أوّل نشوء ساعاته و هو آنٌ من الآناء المذكورة في قوله تعالى : « و من آناء اللّيل فسبّح » [2] و هو صلاة الأوّابين وهي المراد بقوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » [3] فقد روي أنّه ﷺ سئل عن هذه الآية فقال : « الصلاة بين العشائين ؛ ثمّ قال : عليكم بالصلاة بين العشائين فإنّها مذهبة لملاغاة النهار و مهذّبة لآخره » [4] و الملاغات جمع ملغاة من اللّغو [5] .

و قال ﷺ فيما روته عائشة : « أنّ أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطّها عن مسافر و لا مقيم ، فتح بها صلاة اللّيل وختم بها صلاة النّهار ، فمن صلّى المغرب وصلّى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنّة (قال الراوي : لا أدري من ذهب أو من فضّة) و من صلّى بعد ها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين - أو قال : -

(١) الانشقاق : ١٦ . (٢) طه : ١٣٠ .

(٣) السجدة : ١٦ .

(٤) أخرجه أبو منصور الديلمي فى مسند الفردوس من رواية اسماعيل بن ابى زياد الشامي عن الاعمش كما فى المغني .

(٥) قال الجزرى : فى حديث سلمان « اياكم و ملغاة اول الليل » الملغاة مفعلة من اللغو والباطل ، يريد السهر فيه فانه يمنع من قيام الليل .

أربعين سنة »(١).

و روى سعيد بن جبير عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « من عكف نفسه ما بين المغرب و العشاء في مسجد جماعة لم يتكلّم إلّا بصلاة أو قرآن كان حقّاً على الله أن يبني له قصرين في الجنّة، مسيرة كلّ قصر منهما مائة عام، ويغرس له بينهما غراساً اوطافه أهل الدّنيا لوسعهم »(٢).

أقول: قد ذكر أبو حامد هذين الحديثين مع أخبار اُخر في فضيلة إحياء مابين العشائين في الباب الثاني من هذا الكتاب، ونحن نقتصر عن سائر ماذكره هناك بنقل عدّة أحاديث من طريق الخاصّة ههنا ففي الفقيه(٣) عن الباقر عليه السلام قال: « إنّ إبليس إنّما يبثّ جنوده اللّيل من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق، ويبثّ جنوده النّهار من حين يطلع الفجر إلى مطلع الشمس، وذكر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقول: « أكثروا ذكر الله في هاتين الساعتين، و تعوّذوا بالله من شرّ إبليس وجنوده، و عوّذوا صغاركم في هاتين الساعتين فإنّهما ساعتا غفلة ».

و عن الصّادق عليه السلام « من صلّى المغرب ثمّ عقّب ولم يتكلّم حتّى يصلّي ركعتين كتبتاله في علّيّين، فإن صلّى أربعاً كتبت له حجّة مبرورة »(٤).

و عنه عليه السلام قال للحارث بن المغيرة: « لاتدع أربع ركعات بعد المغرب في سفر ولا حضروإن طلبتك الخيل »(٥)

و عنه عليه السلام « تنفّلوا في ساعة الغفلة ولو بركعتين خفيفتين فانّهما تورثان دار الكرامة - و في خبر آخر دار السلام - و هي الجنّة، قال: و ساعة الغفلة بين المغرب

(١) رواه أبوالوليد يونس بن عبيدالله الصفار فى كتاب الصلاة، ورواه الطبرانى فى الاوسط مختصراً بسند ضعيف كما فى المغنى.

(٢) لم أجده.

(٣) المصدر ص ١٣٣ باب كراهية النوم بعد الغداة.

(٤) رواه الشيخ فى التهذيب ج ١ ص ١٦٧. والصدوق فى الفقيه ص ٥٩.

(٥) رواه الكلينى فى الكافى ج ٣ ص ٤٤٦ والشيخ فى التهذيب ج ١ ص ١٣٤ و١٣٥ بدون قوله: « وان طلبتك الخيل » ورواه فى التهذيب أيضاً ج ١ ص١٦٧ بتمامه.

و العشاء الآخرة »[١].

و يقرء في الأولين الجحد و التوحيد و في الثالثة أوّل سورة الحديد إلى قوله: « وهو عليمٌ بذات الصدور » وفي الرّابعة آخر الحشر من قوله: « لو أنزلنا» وهذه الأربع هي الرّاتبة فإن صلّى اثنتين اُخريين قرأ في اُوليهما « وذا النون إذ ذهب مغاضباً - إلى قوله: - المؤمنين » و في الثانية « وعنده مفاتح الغيب - إلى قوله: - في كتاب مبين » ثمّ يبسط يده للقنوت و يقول: « اللّهمّ إنّي أسألك بمفاتح الغيب الّتي لا يعلمها إلّا أنت أن تصلّي على محمّد و آل محمّد، وأن تقضي حاجتي، اللّهمّ أنت وليّ نعمتي و القادر على طلبتي، تعلم حاجتي و أسألك بحرمة محمّد وأهل بيته عليه وعليهم السلام لمّا قضيتها لي » ويسأل حاجته ثمّ يأتي بصلاة الوصيّة إن شاء وهي ركعتان يقرء في اُوليهما بعد الحمد الزلزال ثلاث عشرة مرّة وفي الثانية التوحيد خمس عشرة مرّة، فعن النبيّ صلّى الله عليه وآله « من فعل ذلك في كلّ ليلة زاحمني في الجنّة و لم يُحص ثوابه إلّا الله »[٢] ثمّ إن بقي عليه وقت إلى ذهاب الحمرة اشتغل بإكمال التعقيب و إلّا بادر إلى فريضة العشاء و إن ذهبت الحمرة قبل أن يصلّي النوافل المذكورة أو شيئاً منها قضاها بعد العشاء فانّ الفريضة بعد دخول وقت فضيلتها أولى بالتقديم.

« **الورد الثاني** يدخل بدخول وقت العشاء إلى حدّ نومة الناس وهو أوّل استحكام الظلام و قد أقسم الله تعالى به إذ قال: « و اللّيل و ما و سق » [٣] أي و ما جمع من ظلمته ».

أقول: و ترتيب هذا الورد أن يبادر أوّلاً إلى الفرض بجماعة بآدابها الظاهرة والباطنة ويطيل في قنوتها فإنّه في سعة من الوقت إلّا أن يشتدّ على المأمومين فإذا فرغ منها أتى بالتعقيبات المشتركة بين الخمس وبالمشتركة بين الصباح والمساء، ثمّ بما يختصّ بالعشاء كما هو مذكورٌ في مواضعه و منه « اللّهمّ بحقّ محمّد و آل محمّد لا تؤمنّا مكرك ولا تنسنا ذكرك، ولا تكشف عنّا سترك، ولا تحرمنا فضلك، ولا تحلّ علينا غضبك، ولا تباعدنا من

(١) الفقيه ص ١٤٨ باب التنفل فى ساعة الغفلة.
(٢) مصباح المتهجد ص ٧٦.
(٣) الانشقاق: ١٧.

جوارك ، ولا تنقصنا من رحمتك ، ولا تنزع عنّا بركاتك ، ولا تمنعنا عافيتك ، وأصلح لنا ما أعطيتنا ، وزدنا من فضلك المبارك الطيّب الحسن الجميل ، ولا تغيّر ما بنا من نعمتك ولا تؤيسنا من روحك ولا تهنّا بعد كرامتك . ولا تضلّنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب » .

ومنه ـ وهو من أدعية طلب الرّزق ـ « اللّهمّ إنّه ليس لي علم بموضع رزقي وأنا أطلبه بخطرات تخطر على قلبي ، فأجول في طلبه البلدان وأنا فيما أطلب كالحيران ، لا أدري في سهل هو أم في أرض حزن أم في سماء أم في برّ أم في بحر ، وعلى يدي من ، ومن قبل من ، و قد علمت أنّ علمه عندك وأسبابه بيدك ، و أنت الّذي تقسمه بلطفك وتسبّبه برحمتك ، اللّهمّ فصلّ على محمّد وآل محمّد ، واجعل ياربّ رزقك لي و اسعاً و مطلبه سهلاً و مأخذه قريباً و لا تعذّبني بطلب مالم تقدّر لي فيه رزقاً فإنّك غنيّ عن عذابي وأنا فقير إلى رحمتك فصلّ على محمّد و آل محمّد ، وجد على عبدك بفضلك إنّك ذو فضل عظيم » ويطيل في التعقيب بشرط الإقبال ، ثمّ يسجد سجدتي الشكر بتضرّع و خشوع وإطالة ، ثمّ يصلّي ركعتي الوتيرة جالساً يقرء في الأولى الواقعة أو الملك ، و في الثانية التوحيد و يدعو بعد الفراغ بماشاء و ينصرف .

ولا صلاة موظّفة في هذا الورد عند أهل البيت عليهم السلام سوى ما ذكرناه فما ذكره أبو حامد من الصلوات قبل العشاء و بعدها وتقديم صلاة اللّيل و الوتر في أوّل اللّيل من مخترعات العامّة وبدعهم .

روى في الفقيه (١) عن أبي جعفر عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يصلّي من النهار شيئاً حتّى يزول النّهار فإذا زال صلّى ثماني ركعات و هي صلاة الأوّابين تفتح في تلك الساعة أبواب السماء و تستجاب الدّعاء ، وتهبّ الرّياح ، و ينظر الله إلى خلقه فإذا فاء الفيء ذراعاً صلّى الظهر أربعاً و صلّى بعد الظهر ركعتين ، ثمّ يصلّي ركعتين أخراوين ، ثمّ يصلّي العصر أربعاً إذا فاء الفيء ذراعاً ، ثمّ لا يصلّي بعد العصر شيئاً حتّى تؤوب الشمس فإذا آبت ـ وهو أن تغيب ـ صلّى المغرب ثلاثاً و بعد المغرب أربعاً ثمّ لا يصلّي

(١) المصدر ص٦١ باب صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله التى قبضه الله عليها .

شيئاً حتّى يسقط الشفق ، فإذا سقط الشفق صلّى العشاء ثمّ أوى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فراشه و لم يصلّ شيئاً حتّى يزول نصف اللّيل ، فإذا زال نصف اللّيل صلّى ثماني ركعات وأوتر في الربع الأخير من اللّيل بثلاث ركعات فقرأفيهنّ فاتحة الكتاب وقلهو الله أحد ، ويفصل بين الثلاث بتسليمة ويتكلّم ويأمر بالحاجة ، ولا يخرج من مصلاّه حتّى يصلّي الثالثة الّتي يوتر بها ، ويقنت فيها قبل الركوع ، ثمّ يسلّم و يصلّي ركعتي الفجر قبيل الفجر وعنده وبعده ، ثمّ يصلّي ركعتي الصبح و هو الفجر إذا اعترض الفجر و أضاء حسناً ، فهذه صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله الّتي قبضه الله عزّ وجلّ عليها ».

و رويا في الكافي و التهذيب [(١)] بسند موثّق عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه إلّا أنّه ذكر بعد الظهر ثمان ركعات و في آخره « قلت : جعلت فداك ، و إن كنتُ أقوى على أكثر من هذا يعذّبني الله على كثرة الصلاة ؟ قال : لا ولكن يعذّب على ترك السنّة » يعني أنّ السنّة الاقتصارعلى ذلك فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يفعل أكثر منه فمن زاد عليه فإن كان إنّما يفعل ذلك لأجل أنّ الصلاة خير موضوع فقد أصاب و اُثيب و إن كان إنّما يسنّه سُنّة و يوظّفه توظيفاً كالّذين يصلّون الضحى و يقدّمون صلاة اللّيل في أوّله و يصلّونها مرّتين من غير أن تكون إحداهما قضاء فقد أبدع و استحقّ ببدعته العذاب .

وفي الكافي [(٢)] بسند حسن عن الصادق عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي من التطوّع مثلي الفريضة ، ويصوم من التطوّع مثلي الفريضة » .

وفيه عنه عليه السلام « أنّه سئل عن أفضل ما جرت به السنّة من الصلاة ، فقال : تمام الخمسين » [(٣)] .

وفيه بسند حسن عنه عليه السلام : « أنّه سئل هل قبل العشاء الآخرة وبعدها شيءٌ ؟ قال : لا غيراُنّي أصلّي بعدها ركعتين ولست أحسبهما من صلاة اللّيل » [(٤)] .

« **الورد الثالث** النوم فلا بأس أن يعدّ ذلك في الأوراد فإنّه إذا روعيت آدابه

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٤٣ تحت رقم ٥ . والتهذيب ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) و (٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص ٤٤٣ تحت رقم ٣ و٤ و٦ .

احتسب عبادة فقد نقل « أنّه إذا نام العبد على طهارة ذاكراً لله تعالى يكتب مصلّياً حتّى يستيقظ و يدخل في شعاره ملك ، فإن تحرّك في نومه فذكر الله سبحانه دعا له الملك واستغفر له » (١) .

و في الخبر « أنّه إذا نام على الطهارة رفع بروحه إلى العرش »(٢) هذا في العوامّ فكيف في العلماء و أرباب القلوب الصافية فإنّهم يكاشفون بالأسرار في النوم ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح »(٣) .

✿(و آداب النوم عشرة)✿

الاول الطهارة والسواك ، قال صلى الله عليه وآله : « إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش وكانت رؤياه صادقة و إن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق » (٢) و هذا اُريد به طهارة الظاهر والباطن جميعاً فطهارة الباطن هو المؤثّر في انكشاف حجب الغيب » .

أقول: وفي الفقيه (٤) قال الصادق عليه السلام : « من تطهّر ثمّ أوى إلى فراشه بات و فراشه كمسجده فإن ذكر أنّه على غير وضوء فليتيمّم من دثاره و كائناً ماكان لم يزل في صلاة ما ذكر الله تعالى » .

---

(١) أخرجه ابن حبان من كلام ابن عمر وهكذا « من بات طاهراً بات فى شعاره ملك فلما يستيقظ الا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهراً » كما فى المغنى وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « طهروا هذه الاجساد طهركم الله فانه ليس من عبد يبيت طاهراً الا بات معه فى شعاره ملك لا ينقلب ساعة من الليل الا قال : اللهم اغفر لعبدك فانه بات طاهراً » . رواه الطبرانى فى الاوسط واسناده حسن كما فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٢٨ .

(٢) أخرجه ابن المبارك فى كتاب الزهد موقوفاً على أبي الدرداء والبيهقى فى الشعب موقوفاً عن ابن عمرو بن العاص وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث على « مامن عبد ولا امة تنام فتثقل نوماً الا عرج بروحه الى العرش فالذى لا يستيقظ الا عند العرش فتلك رؤيا التى تصدق والذى يستيقظ دون العرش فهى الرؤيا التى تكذب » كمافى المغنى .

(٣) تقدم فى كتاب الصوم .

(٤) المصدر ص ١٢٣ باب ما يقول الرجل اذا أوى الى فراشه .

«الثاني أن يعدّ عند رأسه سواكه و طهوره و ينوي القيام للعبادة عند التيقّظ وكلّما ينتبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف، و روي عنه صلى الله عليه وآله «أنّه كان يستاك في كلّ ليلة مراراً عند كلّ نومة و عند التنبّه منها»[1].

أقول: روى في الكافي بسند حسن عن الحلبيّ، عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلّى العشاء الآخرة أمر بوضوئه وسواكه فوضع عند رأسه مخمّراً فيرقد ما شاء الله، ثمّ يقوم فيستاك و يتوضّأ و يصلّي أربع ركعات، ثمّ يرقد ثمّ يقوم فيستاك و يتوضّأ و يصلّي أربع ركعات، ثمّ يرقد حتّى إذا كان في وجه الصبح قام فأوتر فصلّى الركعتين. ثمّ قال: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» قلت: متى كان يقوم؟ قال: بعد ثلث اللّيل»[2].

و في صحيحة معاوية بن وهب عنه عليه السلام ما يقرب منه وزاد «فإذا استيقظ جلس ثمّ قلّب بصره في السماء، ثمّ تلا الآيات من آل عمران «إنّ في خلق السموات والأرض» ثمّ يستنّ و يتطهّر، ثمّ يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءته ركوعه، و سجوده على قدر ركوعه، ويركع حتّى يقال: متى يرفع رأسه؟ ويسجد حتّى يقال: متى يرفع رأسه؟ ثمّ يعود إلى فراشه فينام ماشاء الله، ثمّ يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات ويقلّب بصره ـ و هكذا ساق الحديث ـ قال: و معنى يستنّ يستاك»[3].

قال أبوحامد: «وقال صلى الله عليه وآله: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلّي من اللّيل فغلبته عيناه حتّى يصبح كتب له مانوى و كان نومه صدقة عليه من الله تعالى»[4].

الثالث أن لايبيت من له وصيّة إلّا ووصيّته مكتوبة عنده فإنّه لا يأمن القبض في النوم، يقال: إنّ من مات من غير وصيّة لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يتزاور الأموات و يتحدّثون وهو لا يتكلّم فيقول بعضهم لبعض: هذا المسكين مات من

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج١ ص ٣٨ و ٣٩.
(٢) المصدر ج٣ ص ٤٤٥ تحت رقم ١٣.
(٣) التهذيب ج ١ ص ٢٣١ في حديث.
(٤) أخرجه النسائي ج ٣ ص٢٥٧ وابن ماجه تحت رقم ١٣٤٤.

غير وصيّة، و ذلك مستحبّ خوفاً من موت الفجأة و موت الفجأة تخفيف إلّا لمن ليس مستعدّا للموت لكونه مثقل الظهر بالمظالم ».

أقول : و من طريق الخاصّة مارواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « الوصيّة حقّ على كلّ مسلم »(١).

و عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من لم يحسن وصيّته عند الموت كان نقصاً في مروّته وعقله » (٢).

« **الرابع** أن ينام تائباً من كلّ ذنب ، سليم القلب لجميع المسلمين لايحدّث نفسه ظلم أحد ، ولا يعزم على معصية إن استيقظ ، قال صلى الله عليه وآله : « من أوى إلى فراشه لاينوي ظلم أحد ولايحقد على أحد غفرله ما اجترم » (٣).

الخامس أن لايتنعّم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه فكان بعض السلف يكره التمهيد و يرى ذلك تكلّفاً للنوم ، وكان أهل الصفّة لايجعلون بينهم و بين التراب حاجزاً و يقولون : « منها خلقنا و إليها نردّ » و كانوا يرون ذلك أرقّ لقلوبهم و أجدر لتواضع نفوسهم فمن لاتسمح بذلك نفسه فليقتصد .

السادس أن لاينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلّف استجلابه إلّا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر اللّيل فقد كان نومهم غلبة ، و أكلهم فاقة ، و كلامهم ضرورة ولذلك وُصفوا بأنّهم كانوا قليلاً من اللّيل مايهجعون ، فإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتّى يعقل ما يقول ، كان ابن عبّاس يكره النوم قاعداً .

وفي الخبر «لا تكابدوا اللّيل »(٤) وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّ فلانة تصلّي باللّيل

---

(١) المصدر ج ٧ ص ٣ تحت رقم ٤ .

(٢) الفقيه باب ٧٩ ص ٥٢١ .

(٣) أخرجه ابن عساكر عن أنس هكذا « من أصبح و هولايهم بظلم أحد غفر له ما اجترم » و سنده ضعيف كما فى الجامع الصغير ، وأخرجه ابن أبى الدنيا هكذا فى كتاب النية .

(٤) أخرجه أبومنصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس كما فى المغنى وللطبرانى فى الكبير بلفظ « لاتغالبوا هذا الليل » .

فإذا غلبها النوم تعلّقت بحبل ، فنهى عن ذلك »(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ليصلّ أحدكم من الليل ما يتيسّر له فإذا غلبه النوم فليرقد »(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « تكلّفوا من العمل ما تطيقون فإنّ الله لا يملّ حتّى تملّوا »(٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « خير هذا الدّين أيسره »(٤) و قيل له : إنّ فلاناً يصلّي ولاينام ، ويصوم ولا يفطر ، فقال : لكنّي اُصلّي وأنام و أصوم وأفطر ، هذه سنّتي فمن رغب عنها فليس منّي »(٥).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لاتشادّوا هذا الدّين فإنّه متين ، فمن يشادّه يغلبه فلاتبغض إلى نفسك عبادة الله سبحانه »(٦).

السابع أن ينام مستقبل القبلة ، و الاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر و هو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة ، والثاني استقبال اللّحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على الشقّ الأيمن ».

أقول : روي في الكافي بسند صحيح عن أحمد بن إسحاق قال : « قلت لأبي محمّد يعني الحسن العسكريّ عليه السلام : جعلت فداك إنّي مغتمّ يصيبني في نفسي و قد أردت أن أسأل أباك عليه السلام فلم يقض لي ذلك ، فقال : و ما هو يا أحمد ؟ فقلت : روي لنا عن آبائك عليهم السلام

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص ١٨ ، و صحيح مسلم ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) أخرج مسلم نحوه ج ٢ ص ١٨٩ .

(٣) أخرجه البخاري ج ٢ ص ٦٥ . ومسلم ج ٢ ١٨٨ . وفي السنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٧ ومسند أبي عوانة ج ٢ ص ٢٩٨ ، ونقل عن الشيخ ابي بكر الاسماعيلي أنه قال : قال فيه بعضهم : لايمل من الثواب حتى تملوا من العمل ، والله عزوجل لايوصف بالملال لكن الكلام يخرج مخرج المحاذاة للفظ باللفظ وذلك شايع في كلام العرب .

(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده من حديث محجن بن ادرع ص ١٨٣ .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير وفيه بشر بن نمير وهوضعيف كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٥٩ . و ليس فيه قوله : « هذه سنتي الخ » .

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٣ ص١٩ بلفظ آخر . و في صحيح البخاري مثله ، وفي الكافي ج٢ ص ٨٧ أيضاً مثل ما في السنن .

أنّ نوم الأنبياء عليهم السلام على أقفيتهم، و نوم المؤمنين على أيمانهم، ونوم المنافقين على شمائلهم، ونوم الشياطين على وجوههم؟ فقال عليه السلام: كذلك هو، فقلت: يا سيّدي فإنّي أجهد أن أنام على يميني فلا يمكنني ولا يأخذني النوم عليها، فسكت ساعة ثمّ قال: يا أحمد اُدن منّي فدنوت، فقال: أدخل يدك تحت ثيابك فأدخلتها فأخرج يده من تحت ثيابه فمسح بيده اليمنى على جانبي الأيسر، وبيده اليسرى على جانبي الأيمن ثلاث مرّات، قال أحمد: فما أقدر أن أنام على يساري منذ فعل عليه السلام ذلك بي ولا يأخذني عليها نوم أصلاً»[1].

وينبغي أن يتوسّد بيمينه كما يستفاد من صحيحة محمّد بن مسلم[2] قال: قال لي أبوجعفر عليه السلام: «إذا توسّد الرّجل بيمينه فليقل: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، اللّهمّ إنّي أسلمت نفسي إليك ـ الدعاء ـ»[3] و قد مرّ في أواخر كتاب الدّعوات.

«الثامن الدّعاء عند النوم».

أقول: و قد مرّ ذكره، وفي الكافي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله «من قرأ هذه الآية: «قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً»[4] سطع له نور إلى المسجد الحرام حشو ذلك النّور ملائكة يستغفرون له»[5].

وفيه عن الصادق عليه السلام «ما من عبد قرأ آخر الكهف حين ينام إلّا استيقظ في الساعة الّتي يريد»[6]. و هذا من الأسرار العجيبة المجرّبة الّتي لاشكّ فيها و ليقرء آية

(١) الكافي ج ١ ص ٥١٣ في حديث تحت رقم ٢٧.

(٢) الفقيه ص١٢٣ باب مايقول الرجل اذا اوى الى فراشه، ورواه البخاري ومسلم وأحمد في ج ٤ ص ٢٨٥ عن البراء بن عازب.

(٣) بقية الدعاء «و وجهت وجهي اليك و فوضت أمري اليك و ألجأت ظهري اليك وتوكلت عليك رهبة منك ورغبة اليك لاملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت وبرسولك الذي ارسلت» ثم سبح تسبيح الزهراء عليها السلام.

(٤) الكهف: ١١٠.

(٥) الخبر رواه أيضاً الصدوق في الفقيه ص١٢٤، والشيخ في التهذيب ج١ ص ١٨٥.

(٦) الكافي ج ٢ ص٥٤٠.

الكرسيّ و خواتيم البقرة و التكاثر و الجحد و التوحيد كما ورد في الأخبارالمعتبرة .

« **التاسع** أن يتذكّر عندالنوم أنّ النوم نوع وفاة والتيقّظ نوع بعث قال الله تعالى : « الله يتوفّى الأنفس ـ الآية ـ » سمّاها توفّيا كما أن المتيقّظ تنكشف له مشاهدات لاتناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى مالم يخطر قطّ بباله ولا شاهده حسّه ومثل النوم بين الحياة و الموت مثل البرزخ بين الدّنيا والآخرة ، و قال لقمان لابنه : « يا بنيّ إن كنت تشكّ في الموت فلا تنم ، فكما أنّك تنام كذلك تموت و إن كنت تشكّ في البعث فلا تنتبه فكما أنّك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك » . و قال كعب الأحبار : إذا نمت فاضطجع على شقّك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنّها وفاة . و قالت عائشة : « كان رسول الله ﷺ آخرما يقول حين ينام وهو واضع خدّه على يده اليمنى وهو يرى أنّه ميّت في ليلته تلك : « اللّهمّ ربّ السماوات السبع ـ الدّعاء ـ »[1] فحقّ العبد أن يفتّش عن قلبه عند نومه أنّه على ما ذا ينام وما الغالب عليه حبّ الله تعالى وحبّ لقائه أو حبّ الدّنيا ؟ وليتحقّق أنّه يتوفّى على ما هو الغالب عليه ويحشر على مايتوفّى عليه فإنّ المرء مع من أحبّ ومع ما أحبّ .

العاشر الدّعاء عند التنبّه فليقل في تيقّظاته و تقلّباته مهماتنبّه ما كان يقوله رسول الله ﷺ : « لاإله إلّا الله الواحدالقهّار ربّ السماوات والأرض ومابينهما العزيز الغفّار »[2] وليجتهد أن يكون آخرما يجري على قلبه عندالنوم ذكر الله تعالى وأوّل ما يرد على قلبه عند التيقّظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحبّ ، ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين إلّا ما هو الغالب عليه فليجرّب قلبه به فإنّها علامة تكشف عن باطن القلب و إنّما استحبّت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى فإذا استيقظ ليقوم قال : « الحمد لله الّذي أحيانا بعدما أماتنا و إليه النشور » [3] إلي آخرما أوردناه من أدعية التيقّظ » .

---

(١) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٢١ بادنى اختلاف .

(٢) أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٢٠٤ .

(٣) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٦٠٧ ، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٤ .

أقول : و ينبغي أن يسجد أوّل ما ينتبه ثمّ يأتي بهذا الذكر لما روي « أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا انتبه من نومه سجد »(١).

و في التهذيب عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « كانوا قليلاً من اللّيل ما يهجعون » قال : كان القوم ينامون ولكن كلّما انقلب أحدهم قال : الحمد لله ولا إله إلّا الله و الله أكبر » (٢).

«**الورد الرابع** يدخل بمضيّ النصف الأوّل من اللّيل إلى أن يبقى من اللّيل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجّد فاسم التهجّد يختصّ بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط اللّيل ، ويشبه الورد الّذي بعد الزوال وهو وسط النهار ، وبه أقسم الله سبحانه فقال : « و اللّيل إذا سجى »(٣) أي إذا سكن وسكونه وهدوءه في هذا الوقت ، فلا تبقى عين إلّا نائمة(٤) سوى الحيّ القيوم الّذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل : « إذا سجى » إذا امتدّ وطال ، و قيل : إذا أظلم ، و سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيّ اللّيل أسمع ؟ فقال : جوف اللّيل »(٥) و قال داود عليه السلام : إلهي إنّي أحبّ أن أتعبّد لك فأيّ وقت أفضل ؟ فأوحى الله تعالى إليه يا داود لا تقم أوّل اللّيل ولا آخره فإنّه من قام أوّله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوّله ولكن قم وسط اللّيل حتّى تخلو بي و أخلو بك و ارفع إليّ حوائجك .

و سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أيّ اللّيل أفضل ؟ فقال : نصف اللّيل الغابر »(٦) يعني الباقي ، ومن آخر اللّيل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرّياح من جنّات عدن و نزول الجبّار إلى السماء الدّنيا (٧) وغيرها من الأخبار .

---

(١) مرفي المجلد الاول . (٢) المصدر ج ١ ص ٢٣١ ، والاية في سورة الذاريات : ١٧ . (٣) الضحى : ٣ .

(٤) يعنى لاتبقى عين في بلدنا وحوالينا الا وقد نامت والا أمر الليل والنهار لكل قوم نسبي لان الشمس لاتزال تغرب على قوم وتطلع على آخرين .

(٥) أخرجه البيهقي في السنن ج٣ ص ٤ من حديث عمرو بن عنبسة .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ١٧٨ من حديث أبى ذر و زاد بعد قوله : « الغابر » «أو نصف الليل وقليل فاعله» وهى في بعض طرق حديث عمرو بن عنبسة راجع مسند أحمد ج٤ ص١١١ . ويأتى نظيره عن الكافي .

(٧) مرسابقاً أنه محرف مع كلام المؤلف فيه .

و ترتيب هذا الورد بعد الفراغ من الأدعية الّتي للاستيقاظ يتوضّأ وضوءاً كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثمّ يتوجّه إلى مصلّاه ويستقبل القبلة ويقول ... » .

أقول : ولنذكر الأذكار والأدعية والوقت والصلوات على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول :

روى في الكافي بسند حسن عن الباقر عليه السلام قال : « إذا قمت باللّيل فانظر في آفاق السماء وقل : « اللّهمّ إنّه لا يواري عنك ليلٌ ساج ، ولاسماء ذات أبراج ، ولا أرض ذات مهاد ، ولاظلمات بعضها فوق بعض ، ولابحرٌ لجيّ تدلج بين يدي المدلج من خلقك ، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، غارت النجوم و نامت العيون و أنت الحيّ القيّوم لا تأخذك سنة ولا نوم ، سبحان الله ربّ العالمين و إله المسلمين ، و الحمد لله ربّ العالمين » ثمّ اقرء الآيات الخمس من آل عمران « إنّ في خلق السموات والأرض و اختلاف اللّيل والنهار ـ إلى ـ إنّك لاتخلف الميعاد »[1].

و ينبغي أن يتأسّى بالنبيّ صلى الله عليه وآله في الاستياك و الرقود و القيام و تقليب البصر إلى السماء وغيرها كما مرّ في روايتي الحلبي وابن وهب .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام : « إنّ في اللّيل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلّي ويدعو الله فيها إلّا استجاب له في كلّ ليلة ، قيل فأيّة ساعة من اللّيل هي ؟ قال : إذا مضى نصف اللّيل إلى الثلث الباقي ، و في رواية اُخرى صحيحة أيضاً « إذا مضى نصف اللّيل في السدس الأوّل من النصف الثاني » وفي ثالثة مابين نصف اللّيل إلى الثلث الباقي»[2].

و هذه الساعة و إن روتها العامّة إلّا أنّهم لم يعرفوها كما اعترفو به و نحن بحمدالله عرفناها بتعريف أهل البيت عليهم السلام وفّقنا الله لإدراكها .

فإذا توضّأ وتعطّر فليجلس مستقبل القبلة ويدعو بدعاء زين العابدين عليه السلام الّذي كان يدعو به في جوف اللّيل « إلهي غارت نجوم سمائك ، ونامت عيون أنامك ، و هدأت أصوات عبادك و أنعامك ، و غلّقت الملوك عليها أبوابها ، وطاف عليها حرّاسها ، واحتجبوا

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٤٥ فى حديث تحت رقم ١٢ وفى الفقيه ص ١٢٧ مثله .
(٢) راجع الكافى ج ٣ ص ٤٤٧ ، والتهذيب ج ١ ص ١٦٨ .

عمّن يسألهم حاجة ، أو ينتجع منهم فائدة ، وأنت يا إلهي حيٌّ قيّوم ، لا تأخذك سنةٌ ولا نوم ، ولا يشغلك شيء عن شيء ، أبواب سمائك لمن دعاك مفتّحات ، و خزائنك غير مغلّقات ، و أبواب رحمتك غير محجوبات ، و فوائدك لمن سألكها غير محظورات بل هي مبذولات ، إلهي أنت الكريم الّذي لا تردّ سائلاً من المؤمنين سألك ، ولا تحتجب عن أحد منهم أرادك ، لا وعزّتك و جلالك ، لا تختزل حوائجهم دونك ، ولا يقضيها أحدٌ غيرك ، اللّهمّ و قدترى وقوفي و ذلّ مقامي بين يديك وتعلم سريرتي وتطّلع على ما في قلبي ، وما تصلح بهأمر آخرتي و دنياي اللّهمّ إن ذكرت الموت و هول المطّلع والوقوف بين يديك نغّصني مطعمي ومشربي وأغصّني بريقي وأقلقني عن وسادي و منعني رقادي ، كيف ينام من يخاف ملك الموت في طوارق اللّيل وطوارق النّهار ، بل كيف ينام العاقل و ملك الموت لاينام باللّيل ولا بالنهار ، ويطلب روحه بالبيات وفي آناء الساعات » .

وكان عليه السلام يسجد بعد هذاالدّعاء يلصق خدّه بالتراب وهويقول : «أسألك الرّوح والرّاحة عندالموت والعفو عنّي حين ألقاك » (۱) .

ثمّ يفتتح صلاة اللّيل و يأتي في الركعة الأولى بالتكبيرات السبع مع أدعيتها ويقرء فيها بالتوحيد مرّة أوثلاثين مرّة ، و في الثانية الجحد ، وفي الستّ الباقية السور الطول على قدر الوقت فإن ضاق اقتصرعلى الحمد و إن ضاق عن جميع الصلوات اقتصر على ثلاث ركعات الوتروركعتي الفجر و يقضي الباقي ، و يقنت في كلّ ثانية بما شاءمن الأدعية المأثورة .

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « أطولكم قنوتاً في دار الدنيا أطولكم راحة يوم القيامة »(۲) ويفصّل كلّ ركعتين و أخيرة الوتربتسليمة ، والأولى أن يأتي بعد التسليم بذكرو دعاء ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة فيقول : « اللّهمّ إنّي أسألك ولم يُسأل مثلك أنت موضع مسألة السائلين و منتهى رغبة الراغبين أدعوك ولم يدع مثلك ، و أرغب إليك ولم يرغب إلى مثلك ، أنت مجيب دعوة المضطرّين وأرحم الراحمين أسألك بأفضل المسائل و أنجحها

(۱) مصباح المتهجد ص ۹۲ .

(۲) رواه الصدوق في الفقيه ص ۱۲۹ تحت رقم ۲ وزادفي آخره «في الموقف» .

و أعظمها يا الله يارحمن يا رحيم وبأسمائك الحسنى وأمثالك العليا ونعمك الّتي لاتحصى و بأكرم أسمائك و أحبّها إليك و أقربها منك وسيلة و أشرفها عندك منزلة و أجزلها لديك ثواباً و أسرعها في الأمور إجابة و باسمك المكنون الأكبرالأعزّالأجلّ الأعظم الأكرم الّذي تحبّه و تهواه وترضى به عمّن دعاك واستجبت له دعاءه و حقّ عليك أن لاتردّ سائلك ، وبكلّ اسم هو لك في التوراة والانجيل و الزّبور و الفرقان العظيم ، و بكلّ اسم دعاك به حملة عرشك و ملائكتك وأنبياؤك ورسلك و أهل طاعتك من خلقك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد ، وأن تعجّل فرج وليّك ، وتعجّل خزي أعدائه وأن تفعل بي كذاو كذا».

ثمّ يسبّح تسبيح الزهراء عليها السلام ، ويدعو بعده بماشاء ، و يسجد سجدتي الشكر ، ثمّ يقوم إلى الركعتين أخريين ويقرء في ثلاث الوتر بالتوحيد أوفي الأولين بالمعوّذتين و في الثالثة التوحيد والجمع بين الثلاث في الثالثة أفضل و يطيل القنوت فيها باكياً أو متباكياً ، و يستغفر فيها سبعين مرّة أو مائة ، و يدعو للمؤمنين والمؤمنات و يستغفرلهم ، و يدعو بعد الرفع من الركوع بالمأثور ، وبعد الفراغ منها بدعاء الحزين المنقول عن سيّد العابدين عليه السلام (١) .

قال أبوحامد : « وقد صحّ في صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله بالليل أنّه صلّى أوّلاً ركعتين خفيفتين ثمّ ركعتين طويلتين ، ثمّ صلّى ركعتين دون اللّتين قبلهما ثمّ ، لم يزل يقصّر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة »(٢) .

الورد الخامس السدس الأخير من آخر اللّيل وهو وقت السحر قال الله تعالى : « و بالأسحارهم يستغفرون »(٣) قيل : « يصلّون لما فيها من الاستغفار » .

أقول : وفي الصحيح عن معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السلام قال : سمعته يقول « في قول الله عزّوجلّ : « وبالأسحار هم يستغفرون » : في الوتر في آخر اللّيل سبعين مرّة»(٤) .

(١) راجع في جميع أدعية الليل وصلاته مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ـ رحمه الله ـ ص ٩١ الى ١٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٢ ص١٨٣ من حديث زيد بن خالد الجهني .

(٣) الذاريات : ١٨ .

(٤) علل الشرايع ج ٢ ص ٥٣ ، والتهذيب ج ١ص ١٧٢ .

و في الصحيح عنه عليه السلام قال: «من قال في وتره إذا أوتر: «أستغفرالله و أتوب إليه» سبعين مرّة و واظب على ذلك حتّى يمضي سنة كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار و وجبت له المغفرة من الله عزّوجلّ» (١).

و في الصحيح عنه عليه السلام قال: «استغفر الله في الوتر سبعين مرّة تنصب يدك اليسرى و تعدّ باليمنى الاستغفار، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفرالله في الوتر سبعين مرّة و يقول: «هذا مقام العائذ بك من النار» سبع مرّات» (٢).

و في الصحيح عنه عليه السلام قال: «القنوت في الوتر الاستغفار و في الفريضة الدّعاء» (٣).

وفي الصحيح عن الرّضا عليه السلام «أنّه سئل عن ساعات الوتر فقال: أحبّها إليّ الفجر الأوّل، وسئل عن أفضل ساعات اللّيل، فقال: الثلث الباقي» (٤).

وعن الباقر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «ومن اللّيل فسبّحه و إدبار النجوم» (٥) هو الوتر آخر اللّيل».

وسأل مرازم الصادق عليه السلام «متى اُصلّي صلاة اللّيل؟ فقال: صلّها آخر اللّيل» (٦).

ولنرجع إلى كلام أبي‌حامد قال: «وهو يقارب الفجر الّذي هو وقت انصراف ملائكة اللّيل وإقبال ملائكة النهار، وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أباالدّرداء ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره: فلمّا كان اللّيل ذهب أبوالدّرداء ليقوم، قال سلمان: نم فنام، ثمّ ذهب ليقوم فقال له: نم فنام، فلمّا كان عند الصبح قال له سلمان: قم الآن فقاما فصلّيا، فقال: إنّ لنفسك عليك حقّاً وإنّ لضيفك عليك حقّاً فأعط كلّ ذي حقّ حقّه

---

(١) الفقيه ص ١٢٩. والمحاسن ص ٥٣.

(٢) الفقيه ص ١٢٩ تحت رقم ٧.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٤٠ بتقديم وتأخير، وفي التهذيب ج ١ ص ١٧٢ والفقيه ص ١٣٠ كما في المتن.

(٤) التهذيب ج ١ ص ٢٣٢ في حديث.

(٥) الاية في سورة الطور: ٤٩. والخبر رواه الطبرسي ذيل الاية.

(٦) التهذيب ج ١ ص ٢٣١.

و ذلك أنّ امرأة أبي الدّرداء أخبرت سلمان أنّه لاينام اللّيل قال : فأتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرا ذلك له فقال صلى الله عليه وآله وسلم : صدق سلمان » (١).

و هذا هو الورد الخامس و فيه يستحبُّ السحور و ذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فإذا طلع الفجر انقضت أوراد اللّيل ودخل أوراد النّهار فيقوم فيصلّي ركعتي الفجر» .

أقول : أفضل أوقات هاتين الركعتين ما بين الفجرين ولذا تسمّيان بالدّسّاستين لدسّهما في صلاة اللّيل .

وفي الصحيح عن الرضا عليه السلام : « احش بهما صلاة اللّيل » (٢) .

وفي الحسن « سئل الصادق عليه السلام أين موضعهما ؟ قال : قبل طلوع الفجر فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداة » (٣) .

وفي رواية اُخرى صحيحة عنه عليه السلام « أنّهما قبل الفجر ، أنّهما من صلاة اللّيل ثلاث عشرة ركعة صلاة اللّيل أتريد أن تقايس ؟ لو كان عليك شهر رمضان أكنت تتطوّع ؟ إذا دخل عليك وقت الفريضة فابدء بالفريضة » (٤) .

وينبغي إذا فرغ منهما أن يضطجع على يمينه مستقبل القبلة كالملحود ويضع خدّه الأيمن على يده اليمنى ويقرء الخمس آيات من آخر آل عمران إلى « إنّك لاتخلف الميعاد » ويقول : استمسكت بعروة الله الوثقى الّتي لاانفصام لها ، واعتصمت بحبل الله المتين ، وأعوذ بالله من شرّ فسقة العرب والعجم ، آمنت بالله ، وتوكّلت على الله ، ألجأت ظهري إلى الله ، و فوّضت أمري إلى الله ، من يتوكّل على الله فهو حسبه ، إنّ الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكلّ شيء قدراً ، حسبي الله ونعم الوكيل ، اللّهمّ من أصبح وحاجته إلى مخلوق فإنّ حاجتي و رغبتي إليك ، الحمد لربّ الصباح ، الحمد لفالق الإصباح ـ ثلاثاً ـ

---

(١) أخرجه البخارى ج ٢ ص ٦٣ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ١٧٣ ، والاستبصار ج١ ص ٢٨٣ و«احش» بالحاء المهملة والشين المعجمة على صيغة الامرمن حشا القطن فى الشيء جعله فيه .

(٣) و(٤) التهذيب ج ١ ص ١٧٢ ، والاستبصار ج ١ ص ٢٨٣ .

« رواه » ، سليمان بن خالد في الصحيح عن الصادق عليه السلام »[١] .

و ينبغي أن يدعو بعد ذلك بدعاء الصحيفة السجّادية الّذي كان عليه السلام يدعو به بعد صلاة اللّيل .

وفي التهذيب عن الهادي عليه السلام قال : « إيّاك والنوم بين صلاة اللّيل والفجر ولكن ضجعة بلا نوم فإنّ صاحبه لا يُحمد على ما قدّم من صلاته »[٢] .

﴿فصل﴾

قال أبوحامد : « فهذا ترتيب الأوراد للعبّاد وقد كانوا يستحبّون ، أن يجمعوا مع ذلك في كلّ يوم بين أربعة اُمور : صوم ، و صدقة و إن قلّت ، و عيادة مريض ، وشهود جنازة ، وفي الخبر « من جمع بين هذه الأربعة في يوم غفر له » وفي رواية « دخل الجنّة »[٣] فإن اتّفق بعضها وعجز من الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيّته ، وكانوا يكرهون أن ينقضي اليوم ولم يتصدّقوا ولو بتمرة أو بصلة أو بكسرة خبز لقوله صلى الله عليه وآله : « الرّجل في ظلّ صدقته حتّى يقضى بين الناس »[٤] ولقوله : « اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة »[٥] وكانوا لا يستحبّون ردّ السّائل إذ كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ما سأله أحدٌ فقال : لا[٦] لكنّه إن لم يقدر عليه سكت ، وفي الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كلّ سُلامى من جسده صدقة ـ يعني المفصل ـ وفي جسده ثلاثمائة وستّون مفصلاً فأمرك بالمعروف صدقة ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وحملك عن الضيف صدقة ، و هدايتك إلى الطريق صدقة ، و إماطتك الأذى عن الطريق صدقة حتّى ذكر التسبيح والتهليل »[٧] .

(١) و(٢) التهذيب ج ١ ص ١٧٤ .
(٣) أخرجه البيهقى فى السنن ج ٤ ص ١٨٩ .
(٤) أخرجه أحمد فى المسند ج ٤ ص ١٤٧ والحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٤١٦ .
(٥) أخرجه البخارى ج ٢ ص ١٢٩و١٣٠ ، والبيهقى فى السنن ج ٤ ص ١٧٦ .
(٦) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٧٤ .
(٧) أخرجه أبوداود ج٢ ص٦٥٠ والبيهقى فى السنن ج٤ ص١٨٨ عن البخارى ومسلم .

✿(بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال)✿

اعلم أنّ المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لايخلو عن ستّة أحوال فإنّه إمّا عابد أوعالم أومتعلّم ، وإمّا وال أو محترف أوموحّد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره .

الاول العابد وهو المتجرّد للعبادة الّذي لاشغل له أصلاً ولو ترك العبادة لجلس بطّالاً ، فترتيب أوراده ماذكرناه ، نعم لايبعد أن يختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر الأوقات إمّا في الصلاة أوفي القراءة أوالتسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفاً وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستّمائة إلى ألف وأقلّ مانقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم و اللّيلة ، و كان بعضهم أكثر ورده القرآن ، وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرّة وروي مرّتين عن بعضهم ، وكان بعضهم يقضي اليوم أو اللّيلة في التفكّر في آية واحدة يردّدها ، وكان كرزبن وبرة مقيماً بمكّة فكان يطوف في كلّ يوم سبعين اُسبوعاً وفي كلّ ليلة سبعين اُسبوعاً وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم و اللّيلة مرّتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ و يكون مع كلّ اُسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ » .

أقول : قدعرفت فيما سبق أن كثرة تلاوة القرآن وعجلته على هذا النحو مذموم .

وفي الفقيه عن الحذّاء ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » قال : لعلك ترى أنّ القوم لم يكونوا ينامون ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : لابدّ لهذا البدن أن تريحه حتّى يخرج نفسه فإذا خرج النفس استراح البدن و رجعت الروح فيه وفيه قوّة على العمل فإنّما ذكرهم الله تعالى فقال : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً » انزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه من شيعتنا ينامون في أوّل اللّيل فإذا ذهب ثلثا اللّيل أو ماشاء الله فزعوا إلى ربّهم راغبين راهبين طامعين فيما عنده فذكرهم الله عزّ وجلّ في كتابه لنبيّه و أخبره بما أعطاهم وأنّه أسكنهم في جواره وأدخلهم جنّته وآمن خوفهم وآمن روعتهم ، قلت : جعلت فداك إن أنا قمت آخر اللّيل أيّ شيء أقول إذا قمت ؟ فقال : قل : « الحمد لله ربّ العالمين وإله المرسلين

الحمد لله الّذي يحيي الموتى و يبعث من في القبور ، فإنّك إذا قلتها ذهب عنك رجز الشيطان ووسواسه إن شاء الله تعالى »[(١)] .

وفي الفقيه أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّي لأمقت الرّجل يأتيني فيسألني عن عمل رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : أزيدكأنّه يرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قصّر في شيء »[(٢)] .

قال أبوحامد : « فإن قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد ؟ فاعلم أنّ قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبّر يجمع الجميع ولكن ربما يعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ، و مقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإيناسه به ، فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشدّ تأثيراً فيه فليواظب عليه فإذا أحسّ بملالة منه فلينتقل إلى غيره و لذلك ترى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كما سبق والانتقال من نوع منها إلى نوع لأنّ الملال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد أيضاً في ذلك يختلف ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرّها فليتبع المعنى فإن سمع تسبيحة مثلاً فأحسّ لها وقعاً في قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجدلها وقعاً .

الثاني العالم الّذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أوتصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد فإنّه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدّة لها لامحالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل مايشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدلّ على ذلك جميع ماذكرناه في فضيلة التعليم والعلم في كتاب العلم ، و كيف لا ؟ وفي العلم المواظبة على ذكر الله وتأمّل ماقال الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ، و ربّ مسألة واحدة يتعلّمها المتعلّم فينصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلّم لكان سعيه ضائعاً ، وإنّما نعني بالعلم المقدّم على العبادة العلم الّذي يرغّب الناس في الآخرة ويزهّدهم في الدّنيا أوالعلم الّذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذ تعلّموها على قصد الاستعانة به على السلوك ، دون العلوم الّتي

(١) المصدر ص ١٢٧ تحت رقم ٦ .

(٢) مرالخبر سابقاً .

تزيد بها الرّغبة في المال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسّم أوقاته أيضاً فإنّ استغراق الأوقات في ترتيب العلم لايحتمله الطبع فينبغي أن يخصّص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأوّل وبعد الطلوع إلى ضحوة النّهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علماً لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكّر فيما يشكل عليه من علوم الدّين فإنّ صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر و قبل الاشتغال بهموم الدّنيا يعين على التفطّن للمشكلات ، و من ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف و المطالعة لاتتركها إلّا في وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع مايقرء بين يديه من تفسير أوحديث أوعلم نافع ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأوّل قبل طلوع الشمس في عمل اللّسان ، وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة ، وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة ، وورده الرّابع بعد العصر في عمل السمع ليروّح فيه العين واليد فإنّ المطالعة والكتبة بعد العصر ربما أضرّتا بالعين وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللّسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأمّا باللّيل فأحسن قسمة فيه قسمة الشافعي إذ كان يقسم اللّيل ثلاثة أجزاء ثلثاً للمطالعة وترتيب العلم وهو الأوّل ، وثلثاً للصلاة وهو الوسط ، وثلثاً للنوم وهو الأخير » .

أقول: بل الأولى أن ينام النصف الأوّل من اللّيل و يستيقظ النصف الأخير أو بعد مضيّ الثلثين فإنّ أواخر اللّيل و سيّما السحر أصفى وأشدّ بركة و كذلك كان يفعله رسول الله صلّى الله عليه وآله في الأكثر وكان يرقد في أوّل اللّيل بعد العشاء الآخرة كما مرّ وأوّل النصف الآخر هو الساعة الّتي يستجاب فيها الدّعاء كما مضى وفي الثلث الأخير ينزل الملك إلى السماء الدّنيا كلّ ليلة كما مرّ ذكره .

قال أبوحامد : « وهذا يتيسّر في ليالي الشتاء وفي الصيف ربما لايحتمل ذلك إلّا إذا أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبّه من ترتيب أوراد العالم .

الثالث المتعلّم والاشتغال بالتعلّم أفضل من الإشتغال بالأذكار و النوافل فحكمه

حكم العالم في ترتيب الأوراد ، لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة ، وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ، وترتيب أوقاته كما ذكرناه ، وكلّ ماذكرناه في فضيلة التعلّم والعلم يدلّ على أنّ ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلّماً على معنى أنّه يعلّق و يحصّل ليصير عالماً بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ أفضل من اشتغاله بالأوراد الّتي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الاوقات ففي حديث أبي ذرّ أنّ حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة و عيادة ألف مريض وقال ﷺ : « إذا رأيتم رياض الجنّة فارتعوا فيها فقيل : يارسول الله وما رياض الجنّة ؟ فقال : حلق الذكر »(١).

أقول : وفي الفقيه قال النبيّ ﷺ : « با دروا إلى رياض الجنّة قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنّة ؟ قال : حلق الذكر »(٢) .

و في الكافي مرفوعاً قال : قال لقمان لابنه : يا بنيّ اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فإن تكن عالماً نفعك علمك و إن تكن جاهلاً علّموك ولعل الله أن يظلّهم برحمته فتعمّك معهم ، وإذا رأيت قوماً لايذكرون الله فلا تجلس معهم ، فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك ، وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً ، ولعلّ الله أن يظلّهم بعقوبته فتعمّك معهم » (٣).

و المراد بالذكر العلم النافع كما دلّ عليه الحديث الثاني ، و في القرآن « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون »(٤).

و في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام « لمجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة » (٥) .

قا ل أبوحامد : « وعلى الجملة فماينحل من القلب من عقدة من عقد حبّ الدّنيا

(١) مر الحديث آنفاً عن ابى داود وغيره .
(٢) المصدر ص ٥٨٨ ورواه الصدوق في معاني الاخبار ص ٣٢١ .
(٣) المصدر ج ١ ص ٣٩ .
(٤) النحل : ٤٣ .
(٥) المصدر ج ١ ص ٣٩ .

بقول واعظ حسن الكلام زكيّ السير أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حبّ الدّنيا.

الرابع المحترف الّذي يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيّع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب، ولكن ينبغي أن لاينسى الله تعالى في صناعته، بل يواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرآن فإنّ ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل، وإنّما لايمكن مع العمل الصلاة إلّا أن يكون ناطوراً[١] فإنّه لايعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه، ثمّ مهما فرغ عن كفايته فينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد، فإن داوم على الكسب وتصدّق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد الّتي ذكرناها لأنّ العبادة المتعدّية فائدتها أنفع من اللّازمة والصدّقة والكسب على هذه النيّة عبادة له في نفسه تقرّب به إلى الله تعالى ثمّ يحصل به فائدة للغير وتنجذب إليه بركة دعوات المسلمين فيتضاعف به الأجر.

أقول: ومن طريق الخاصّة مارواه في الكافي عن الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال» [٢].

وعن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ملعون من ألقى كلّه على الناس»[٣].

«**الخامس** الوالي مثل الإمام أو القاضي أو المتولّي للنظر في أمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقّه أن يشتغل بحقوق الناس نهاراً ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة باللّيل».

أقول: هذا إنّما يصحّ إذا كان أحد الثلاثة جديراً بمنصبه وبحقّ ارتكبه وأمّا إذا كان جائراً وكان من قبل أئمّة الجور فهو طاغوت، روى في الكافي عن الصادق عليه السلام

(١) الناطور والناظور - بالاعجام والاهمال - حافظ الكرم أو الزرع.

(٢) المصدر ج ٥ ص ٧٨ تحت رقم ٦.

(٣) المصدر ج ٥ ص ٧٢ تحت رقم ٧.

« أنّه سئل عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحلّ ذلك؟ فقال: من تحاكم إلى طاغوت فحكم له فإنّما يأخذ سحتاً و إن كان حقّه ثابتاً، لأنّه أخذ بحكم الطاغوت و قد أمر الله أن يكفر به، قيل: كيف يصنعان؟ قال: انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، و نظر في حلالنا وحرامنا، و عرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما بحكم الله استخفّ و علينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله وهو على حدّ الشرك بالله - الحديث - » (١).

قال أبو حامد: « وقد فهمت ممّا ذكرناه أنّه يقدّم على العبادات البدنيّة أمران: أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأنّ كلّ واحد من العلم و فعل المعروف عمل في نفسه وعبادة و يفضّل سائر العبادات بتعدّي فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدّمين عليه.

السادس الموحّد المستغرق بالواحد الصمد سبحانه الّذي أصبح وهمومه همّ واحد، فلا يحبّ إلّا الله ولا يخاف إلّا منه ولا يتوقّع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء إلّا يرى الله تعالى فيه، فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدّرجة لم يفتقر إلى توزيع الأوراد و اختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحداً و هو حضور القلب مع الله في كلّ حال فلا يخطر بقلبهم أمر، ولا يقرع سمعهم قارع، ولا يلوح لأبصارهم لائح، إلّا كان لهم فيها عبرة وفكرة ومزيد فلا محرّك لهم ولا مسكّن إلّا الله تعالى، فهؤلاء جميع أحوالهم يصلح لأن يكون سبباً لازديادهم، فلا يتميّز عندهم عبادة عن عبادة وهم الّذين فرّوا إلى الله تعالى كما قال تعالى: « لعلّكم تذكّرون * ففرّوا إلى الله »(٢) ومتحقّق فيهم قوله تعالى: « وإذا اعتزلتموهم ومايعبدون إلّا الله - الآية - »(٣) وإليه الإشارة بقوله تعالى: « إنّي ذاهب إلى ربّي سيهدين » (٤) و هذه منتهى درجات الصدّيقين ولا وصول إليها إلّا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهراً طويلاً فلاينبغي أن يغترّ المريد بمايسمعه من ذلك فيدّعيه

---

(١) الكافي ج ٧ ص ٤١٢ تحت رقم ٥.

(٢) الذاريات: ٤٩ و ٥٠. (٣) الكهف: ١٦.

(٤) الصافات: ٩٩.

لنفسه، و يفترعن وظائف عباداته فذلك علامته أن لايهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا تزعجه هواجم الأهوال ولا تستفزه عظائم الأشغال، و أنّى يرزق هذه الرتبة كلّ أحد فيتعيّن على الكافّة ترتيب الأوراد كما ذكرناه، وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى، قال الله تعالى: «قل كلّ يعمل على شاكلته فربّكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً» (١) فكلّهم مهتدون و بعضهم أهدى.

و في الخبر «الإيمان ثلاث وثلاثون و ثلاثمائة طريقة من لقى الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنّة» (٢).

وقال بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة و ثلاثة عشرخلقاً بعدد الأنبياء المرسلين كلّ مؤمن هو على خلق منها فهو سالك للطريق إلى الله تعالى فإذن الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلّهم على الصراط المستقيم «اُولئك الّذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب» (٣) فإنّما يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله و أقربهم إلى الله أعرفهم به و أعرفهم به لأبدّ أن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والأصل في الأوراد في حقّ كلّ صنف من الناس المداومة فإنّ المراد منه تغيير صفات الباطن و آحاد الأعمال تقلّ آثارها بل لا يحسّ بآثارها و إنّما يترتّب الأثرعلى المجموع و إذا لم يعقب العمل الواحد أثراً محسوساً ولم يردف بثان و ثالث على القرب انمحى أثر الأوّل و كان كالفقيه لا يصير فقيه النفس إلّا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهراً أو اُسبوعاً ثمّ عاد وبالغ ليلة اُخرى ثمّ ترك لم يؤثّر هذا فيه ولووزّع ذلك القدر على اللّيالي المتواصلة لأثّر فيه، و لهذا السرّ قال رسول الله ﷺ: «أحبّ الأعمال إلى الله أدومها و إن

(١) الاسراء: ٨٤.

(٢) لم أجده الا أن فى مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٦ من رواية أبى يعلى والطبرانى فى الكبير نحوه، وقال فى المغنى: أخرج ابن شاهين واللالكائى فى السنة والطبرانى والبيهقى فى الشعب من رواية المغيرة بن عبدالرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده «الايمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة، من وافى منهن شريعة دخل الجنة وقال الطبرانى والبيهقى «ثلاثمائة وثلاثون» وفى اسناده جهالة.

(٣) الاسراء: ٥٧.

قلّ » [1] وسئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : « كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملاً أثبته » [2] ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من عوّده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله تعالى » [3]

أقول : ومن طريق الخاصّة مارواه زرارة في الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : « أحبّ الأعمال إلى الله عزّوجلّ ماداوم عليه العبد وإن قلّ » [4] .

وفي صحيحه الآخر عنه عليه السلام قال بعد ذكر الرواتب اليومية : « وإنّما هذا كلّه تطوّع وليس بمفروض إنّ تارك الفريضة كافرٌ و إنّ تارك هذا ليس بكافر ولكنّها معصية لأنّه يستحبّ إذا عمل الرّجل عملاً من الخير أن يدوم عليه » [5] .

﴿الباب الثاني﴾

في فضيلة قيام اللّيل والأسباب الميسّرة له وكيفيّة إحيائه واللّيالي الّتي يستحبّ إحياؤها .

فضيلة قيام الليل أمّا من الآيات قوله تعالى : « إنّ ربّك يعلم أنّك تقوم أدنى من ثلثي اللّيل - الآية - » [6] و قوله تعالى : « إنّ ناشئة اللّيل - الآية - » [7] وقوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » [8] و قوله عزّوجلّ : « أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً وقائماً » [9] وقوله : « والّذين يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً » [10] وقوله : « استعينوا بالصبر والصلوة » [11] قيل : هي قيام اللّيل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١٨٩ .
(٢) أخرجه أبوداود ج ١ ص ٣١٥ . ومسلم ج ٢ ص ١٧١ .
(٣) رواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفاً على عائشة كما في المغني .
(٤) الكافي ج ٢ ص ٨٢ تحت رقم ٢ .
(٥) التهذيب ج ١ ص ١٣٥ .
(٦) المزمل : ٢٠ .
(٧) المزمل : ٦ .
(٨) السجدة : ١٦ .
(٩) الزمر : ٩ .
(١٠) الفرقان : ٦٤ .
(١١) البقرة : ٤٥ : ١٥٣ .

و من الأخبار قال ﷺ : « يعقد الشيطان على ناصية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كلّ عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ و ذكر الله سبحانه انحلّت عقدةٌ ، فإن توضّأ انحلّت عقدةٌ ، فإن صلّى انحلّت عقدةٌ ، فأصبح نشيطاً طيّب النفس و إلّا أصبح خبيث النفس كسلان » (١).

و في خبر أنّه ذكر عنده رجلٌ نام كلّ اللّيل حتّى يصبح ، فقال : « ذاك بال الشيطان في أُذنه » (٢).

في الخبر « أنّ للشيطان سعوطاً ولعوقاً و ذروراً فإذا أسعط العبد ساء خلقه و إذا لعقه ذرب لسانه بالشرّ و إذا ذرّه نام باللّيل كلّه حتّى يُصبح » (٣).

وقال ﷺ : « ركعتان يركعهما العبد في جوف اللّيل خيرله من الدّنيا ومافيها ، و لولا أن أشقّ على اُمّتي لفرضتهما عليهم» (٤) .

و في الصحيح عن جابر أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ من اللّيل ساعة لايوافيها عبدٌ مسلم يسأل الله بخير إلّا أعطاه إيّاه » (٥).

في رواية « يسأل الله خيراً من أمر الدّنيا والآخرة وذلك كلّ ليلة »(٦) .

أقول : قد مضى أنّها أيّة ساعة هي .

قال : « و روي أنّه ﷺ قام حتّى تفطّرت قدماه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما

---

(١) أخرجه البخارى ج ٢ ص ٦٣ من الصحيح وفيه « على قافية رأس أحدكم » . ولمسلم وابن ماجه تحت رقم ١٣٢٩ مثله و رواه أحمد وابويعلى بلفظ آخر كمافي مجمع الزوائدج ٢ ص ٢٦٢ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ج ٢ ص ١٨٧ والبخارى ج ٢ ص ٦٣ .

(٣) رواه الطبرانى باختلاف في اللفظ في الكبير وفيه الحكم بن عبدالملك القرشى وهوضعيف كمافى مجمع الزوائدج٢ص٢٦٢وذرالشيء نثره ورشه والذرور ما يذر في العين .

(٤) أخرجه أدم بن أبى اياس فى الثواب ومحمدبن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية والديلمى فى الفردوس عن ابن عمر كما في المغنى .

(٥) و(٦) أخرجهما مسلم فى صحيحه ج ٢ ص ١٧٥ .

تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً »[1] ويظهر من معناه أنّ ذلك كناية عن زيادة الرّتبة فإنّ الشكر سبب المزيد قال الله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنّكم »[2].

و قال ﷺ : « عليكم بقيام اللّيل فإنّه دأب الصالحين قبلكم و إنّ قيام اللّيل قربة إلى الله تعالى و تكفير للذّنوب و مطردة للدّاء عن الجسد و منهاة عن الإثم »[3].

و قال ﷺ : « ما من امرىء يكون له صلاة باللّيل فغلبه عليها نوم إلّا كتب له أجر صلاته و كان نومه صدقة عليه »[4].

و قال ﷺ لأبي ذرّ - رضي الله عنه - لو أردت سفراً أعددت له عُدّة فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبّئك يا أبا ذرّ ما ينفعك ذلك اليوم ؟ قال : بلى بأبي أنت وأمّي قال : صم يوماً شديد الحرّ ليوم النشور ، وصلّ ركعتين في ظلمة اللّيل لوحشة القبور ، و حجّ حجّة لعظائم الأمور ، و تصدّق بصدقة على مسكين أو كلمة حقّ تقولها أو كلمة شرّ تسكت عنها »[5].

و روي أنّه كان على عهد النبيّ ﷺ رجلٌ إذا أخذ الناس مضاجعهم و هدأت العيون قام يصلّي و يقرء القرآن و يقول : يا ربّ النّار أجرني منها ، فذكر ذلك للنبيّ ﷺ فقال : إذا كان ذلك فآذنوني ، فأتاه فاستمع فلمّا أصبح قال : يا فلان هلّا سألت الجنّة ؟ قال : يا رسول الله إنّي لست هناك و لا يبلغ عملي ذاك ، فلم يلبث يسيراً حتّى نزل جبرئيل عليه السلام و قال : أخبر فلاناً أنّ الله تعالى قد أجاره من النار و أدخله الجنّة »[6].

---

(١) أخرجه الترمذى ج ٣ ص ٢٠٥ وللبخارى ومسلم مختصره كمافى سنن البيهقى ج ٣ ص ١٦ وفى الكافى ج٢ ص ٩٥ . (٢) ابراهيم : ٧ .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج١ ص ٣٠٨ ورواه الترمذى ج١٣ ص٦٤ وابن ابى الدنيافى كتاب التهجد وابن خزيمة فى صحيحه كلهم من رواية عبدالله بن صالح كاتب الليث .

(٤) أخرجه أبوداود ج١ ص ٣٠٣ ، والنسائى ج ٣ ص ٢٥٧ .

(٥) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد من رواية السرى بن مخلد مرسلا والسرى ضعفه الازدى كمافى المغنى .

(٦) ماعثرت على أصل له .

و قال عليّ بن أبي الحسن : شبع يحيى بن زكريّا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتّى أصبح فأوحى الله إليه يا يحيى أوجدت داراً خيراً لك من داري ؟ أوجدت جواراً خيراً من جواري ؟ فوعزّتي يا يحيى لواطّلعت إلى الفردوس اطّلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقاً ، ولو اطّلعت إلى جهنّم اطّلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح » .

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ فلاناً يصلّي باللّيل فإذا أصبح سرق ، فقال : سينهاه مايعمل » (١) .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « رحم الله رجلاً قام من اللّيل فصلّى ثمّ أيقظ امرأته فصلّت فإن أبت نضح في وجهها الماء ، و رحم الله امرأة قامت من اللّيل فصلّت ثمّ أيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء » (٢).

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من استيقظ من اللّيل و أيقظ امرأته فصلّيا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » (٣) .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام اللّيل » (٤) .

﴿فصل﴾

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الفقيه « قال : نزل جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له : يا جبرئيل عظني فقال : يا محمّد عش ما شئت فإنّك ميّت وأحبب ما شئت فإنّك مفارقه ، واعمل ماشئت فإنّك ملاقيه ، شرف المؤمن صلاته باللّيل ،

---

(١) رواه أحمد في المسند والبيهقي في الشعب كما في مشكاة المصابيح ص ١١٠ ورواه البزار ورجاله ثقاة كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) أخرجه ابوداود ج ١ ص ٣٠١ والنسائي ج ٣ ص ٢٠٥ . ولابن ماجه تحت رقم ١٣٣٦ مثله .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٣٣٥ .

(٤) أخرجه الدارمي ج ١ ص ٣٦٤ وفيه و« الصلاة في جوف الليل » .

وعزّه كفّ الأذى عن الناس » (١).

و روى بحر السقّاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ من روح الله عزّ و جل ثلاثة : التهجّد بالليل ، و إفطار الصائم ، ولقاء الإخوان » (٢).

وقال أبو الحسن الأوّل عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: « ورهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله » (٣) قال : صلاة الليل ».

وقال الصادق عليه السلام : « عليكم بصلاة الليل فإنّها سنّة نبيّكم ، و دأب الصالحين قبلكم ، و مطردة الداء عن أجسادكم » (٤).

و روى هشام بن سالم عنه عليه السلام أنّه قال في قول الله تعالى : « إنّ ناشئة الليل هي أشدّ و طأ و أقوم قيلاً » (٥) قال : « قيام الرجل عن فراشه يريد به وجه الله لا يريد به غيره ».

و قال الصادق عليه السلام : « يقوم الناس من فرشهم على ثلاثة أصناف : صنف له ولا عليه ، وصنف عليه ولاله ، و صنف لا عليه و لاله ، فأمّا الصنف الّذي له و لا عليه فيقوم من منامه فيتوضّأ و يصلّي و يذكر الله عزّ وجلّ فذلك الّذي له ولا عليه ، و أمّا الصنف الثاني فلم يزل في معصية الله تعالى فذلك الّذي عليه ولاله ، وأمّا الصنف الثالث فلم يزل قائماً حتّى أصبح فذلك الّذي لاعليه ولاله » (٦).

و سأله عبد الله بن سنان ، عن قول الله عزّ و جلّ : « سيما هم في وجوههم من أثر

---

(١) المصدر ص ١٢٤ تحت رقم ١ ورواه الطبراني فى الاوسط كما فى الترغيب ج ١ ص٤٤١ .

(٢) المصدر ص ١٢٤ تحت رقم ٢ ، والروح ـ بالفتح ـ الفرج والتنفيس .

(٣) الحديد : ٢٧ ، والخبر فى الفقيه ص ١٢٤ والتهذيب ج ١ ص ١٦٩ .

(٤) المصدر ص ١٢٤ رقم ٤ .

(٥) المزمل : ٧ وناشئة الليل اى النفس الناشئة التى تنشأ من مضجعتها الى العبادة «أشد وطأ» أى كلفة ومشقة . و«أقوم قيلا» أى أشد وأحكم وأثبت مقالا . والخبر فى الفقيه ص ١٢٤ رقم ٥ ، وفى الكافى ج٣ ص ٤٤٦ .

(٦) الفقيه ص ١٢٤ تحت رقم ٦ .

السجود »[١] قال : « هو السهر في الصلاة » .

و روى عنه فُضيل بن يسار قال : « إنّ البيوت الّتي يصلّى فيها باللّيل بتلاوة القرآن تضيىء لأهل السماء كما تضيىء نجومُ السماء لأهل الأرض »[٢].

و قال عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « إنّ الحسنات يذهبن السيّئات » قال : « صلاة المؤمن باللّيل تذهب بما عمل من ذنب النهار »[٣].

و مدح الله تعالى أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام في كتابه بقيام صلاة اللّيل فقال عزّ من قائل : « أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً و قائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه » وآناء اللّيل ساعاته »[٤] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يصيب أهل الارض بعذاب قال : لولا الّذين يتحابّون بجلالي و يعمرون مساجدي و يستغفرون بالأسحار لولا هم لأنزلت عذابي »[٥] .

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من كثر صلاته باللّيل حسن وجهه بالنهار »[٦] .

و جاء رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام فشكا إليه الحاجة فأفرط في الشكاية حتّى كاد أن يشكو الجوع فقال له أبوعبدالله عليه السلام : « ياهذا أتصلّي باللّيل ؟ فقال الرجل : نعم ، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابه فقال : كذب من زعم أنّه يصلّي باللّيل و يجوع بالنهار ، إنّ الله تعالى ضمن بصلاة اللّيل قوت النهار »[٧].

و قال أبوجعفر عليه السلام : « إنّ الله تبارك و تعالى يحبّ المداعب في الجماعة بلارفث ، المتوحّد بالفكر ، المتخلّي بالعبر ، الساهر بالصلاة »[٨] .

و قال النبيّ صلى الله عليه وآله عند موته لأبي ذرّ - رضي الله عنه - : « يا أبا ذر احفظ وصيّة نبيّك تنفعك ، من ختم له بقيام اللّيل ثمّ مات فله الجنّة ، والحديث فيه طول أخذت منه موضع الحاجة »[٩].

---

(١) سورة الفتح : ٢٩ . والخبرفي الفقيه ص ١٢٥ تحت رقم ٧ .

(٢) الى (٥) الفقيه ص ١٢٥ تحت رقم ٨ الى ١٥ .

(٦) الى (٩) الفقيه ص ١٢٥ والتهذيب ج ١ ص ١٦٨ و١٦٩ .

و روى جابر بن إسماعيل عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام « أنّ رجلاً سأل عليّ ابن أبي طالب عليه السلام عن قيام اللّيل بالقرآن ، فقال له : أبشر من صلّى من اللّيل عُشر ليلة لله مخلصاً ابتغاء ثواب الله قال الله تبارك وتعالى لملائكته : اكتبوا لعبدي هذا من الحسنات عدد ما أنبت في اللّيل من حبّة و ورقة و شجرة ، وعدد كلّ قصبة وخوص و مرعى .

و من صلّى تُسع ليلة أعطاه الله عشر دعوات مستجابات ، وأعطاه كتابه بيمينه .

و من صلّى ثمن ليلة أعطاه الله أجر شهيد صابر صادق النيّة وشفّع في أهل بيته .

و من صلّى سُبع ليلة خرج من قبره يوم يبعث و وجهه كالقمر ليلة البدر حتّى يمرّ على الصراط مع الآمنين .

و من صلّى سدس ليلة كتب في الأوّابين و غفر له ما تقدّم من ذنبه .

و من صلّى خمس ليلة زاحم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام في قبّته .

و من صلّى ربع ليلة كان في أوّل الفائزين حتّى يمرّ على الصراط كالريح العاصف ، و يدخل الجنّة بغير حساب .

و من صلّى ثلث ليلة لم يلق ملكاً إلّا غبطه بمنزلته من الله عزّ وجلّ ، وقيل له : اُدخل من أيّ أبواب الجنّة الثمانية شئت .

و من صلّى نصف ليلة فلو أعطى ملؤالأرض ذهباً سبعين ألف مرّة لم يعدل جزاءه ، وكان له بذلك عند الله عزّ و جلّ أفضل من سبعين رقبة يعتقها من ولد إسماعيل .

ومن صلّى ثلثي ليلة كان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنة أثقل من جبل اُحد عشر مرّات .

و من صلّى ليلة تامّة تالياً لكتاب الله عزّ وجلّ راكعاً و ساجداً و ذاكراً اُعطي من الثواب ما أدناه يخرج من الذنوب كما ولدته اُمّه ، و يكتب له عدد ما خلق الله عزّ وجلّ من الحسنات و مثلها درجات ، و يثبت النور في قبره ، و ينزع الإثم والحسد من قلبه ، و يجار من عذاب القبر ، و يعطى براءة من النار ، و يبعث من الآمنين ، و يقول الربّ تعالى لملائكته : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أحيا ليلة ابتغاء مرضاتي أسكنوه الفردوس ، و له فيها مائة ألف مدينة في كلّ مدينة جميع ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين ولم يخطر

على بال سوى ما أعددت له من الكرامة و المزيد والقربة » [١].

قال و روى العلاء عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال : « ليس من عبد إلّا و هو يوقظ في ليلة مرّة أو مرّتين فإن قام كان ذلك و إلّا جاءه الشيطان فبال في أذنه ، أو لا يرى أحدكم أنّه إذا قام ولم يكن ذلك منه قام و هو متخثّر ثقيل كسلان » [٢].

و روى الحسن الصيقل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّي لأمقت الرجل قد قرأ القرآن ثمّ يستيقظ من اللّيل فلا يقوم حتّى إذا كان عند الصبح قام يبادر بصلاته » [٣].

وروى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : « ما نوى عبد أن يقوم أيّة ساعة نوى فعلم الله تعالى ذلك إلّا وكّل به ملكين يحرّكانه تلك الساعة » [٤].

وروى عيص بن القاسم عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « إذا غلب الرجل النوم وهو في الصلاة فليضع رأسه فلينم فانّي أتخوّف عليه إن أراد أن يقول : «اللّهمّ أدخلني الجنّة» أن يقول : « اللّهمّ أدخلني النار» [٥].

و روى زكريّا النقاش عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « لا تقربوا الصلاة و أنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون » قال : منه سكر النوم» [٦].

قال : و روى أبو عبيدة الحذّاء عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع» فقال : لعلّك ترى أنّ القوم لم يكونوا ينامون ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم فقال : لابدّ لهذا البدن أن تريحه حتّى يخرج نفسه فإذا خرج النفس استراح البدن و رجعت الروح فيه و فيه قوّة على العمل ـ الحديث ـ » وقد مضى تمامه [٧].

و روى في الكافي بسند حسن عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : « كانوا قليلاً من اللّيل ما يهجعون » قال : كانوا أقلّ اللّيالي يفوتهم لايقومون فيها » [٨].

---

(١) الفقيه ص ١٢٥ ، والتهذيب ج ١ ص ١٦٨ و ١٦٩ .

(٢) الى (٦) الفقيه ص ١٢٦ تحت رقم ٨ الى ١٢ و « المتخثر » استيقظ خاثر النفس اى ثقيلها غيرطيب ولا نشيط .

(٧) الفقيه ص ١٢٧ تحت رقم ٦ .

(٨) المصدر ج ٣ ص ٤٤٦ تحت رقم ١٨

و في الصحيح عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : إنّ رجلاً من مواليك من صلحائهم شكى إليّ ما يلقى من النوم ، فقال : إنّي اُريد القيام إلى الصلاة باللّيل فيغلبني النوم حتّى أصبح ، و ربّما قضيت صلاتي الشهر متتابعاً و الشهرين أصبر على ثقله ، فقال : قرّة عين له والله ، قال : ولم يرخّص له في الصلاة في أوّل اللّيل و قال : القضاء بالنهار أفضل ، قلت : فإنّ من نسائنا أبكاراً الجارية تحبّ الخير وأهله وتحرص على الصلاة فيغلبها النوم حتّى ربما قضت و ربّما ضعفت عن قضائه فهي تقوى عليه أوّل اللّيل فرخّص لهنّ في الصلاة أوّل اللّيل إذا ضعفن و ضيّعن القضاء » (١).

☼(بيان الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل)☼

اعلم أنّ قيام اللّيل عسير على الخلق إلّا على من وفّق للقيام بشروطه الميسّرة له ظاهراً و باطناً فأمّا الظاهر فأربعة .

الأوّل أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم و يثقل عليه القيام ، كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كلّ ليلة و يقول : معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسروا عند الموت كثيراً . و هذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام .

الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال الّتي تعيى بها الجوارح و تضعف بها الأعصاب فإنّ ذلك أيضاً مجلبة للنوم .

الثالث أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنّها سبب للاستعانة على القيام باللّيل .

---

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٤٧ تحت رقم ٢٠ و فيه رخصة ما و ان لم يرخص صريحاً ويومي آخر الخبر الى ان التقديم مجوز لمن علم أنه لايقضيها وهذاوجه جمع بين الاخبار قال في المدارك ص ١٢٣ عدم جوازتقديمها على انتصاف الليل الا في السفر أوالخوف من غلبة النوم مذهب اكثرالاصحاب ، ونقل عن زرارة بن اعين المنع من تقديمها على الانتصاف مطلقا واختاره ابن ادريس على مانقل عنه والعلامة في المختلف ، والمعتمدالاول وربماظهرمن بعض الاخبارجوازتقديمها على الانتصاف مطلقاً و قدنص الاصحاب على ان قضاء النافلة من الغد أفضل من التقديم كما في مرآة العقول .

الرابع أن لا يحتقب الأوزار بالنهار[١] فإنّ ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة قال رجل للحسن: يا أبا سعيد إنّي أبيت معافاً و اُحبّ قيام اللّيل و أعدّ طهوري فما بالي لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيّدتك».

أقول: هذا من ألفاظ أمير المؤمنين صلوات الله عليه روى في الكافي عن عليّ بن النعمان عن بعض رجاله قال: «جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّي قد حُرمت الصلاة باللّيل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنت رجل قد قيّدتك ذنوبك»[٢].

قال أبو حامد: «و هذا لأنّ الخير يدعو إلى الخير، و الشرّ يدعو إلى الشرّ، والقليل من كلّ واحد منهما ينجرّ إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الدارانيّ: لا يفوت أحداً صلاة جماعة إلّا بذنب، و كان يقول: الاحتلام باللّيل عقوبة والجنابة بعد.

وقال بعض العلماء: إذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أيّ شيء تفطر فإنّ العبد ليأكل اُكلة فينقلب قلبه عمّا كان عليه ولا يعود إلى حاله الأوّل، فالذنوب كلّها تورث قساوة القلب و تمنع من قيام اللّيل و أخصّها بالتأثير تناول الحرام و تؤثّر اللّقمة الحلال في تصفية القلب و تحريكه إلى الخير مالا يؤثّر غيره، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم: كم من اُكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة، و إنّ العبد ليأكل اُكلة أو يفعل فعلة فيحرم قيام سنة وكما أنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذا الفحشاء تنهى عن الصلاة و سائر الخيرات.

و قال بعض السجّانين بدينور: بقيت سجّاناً نيّفاً و ثلاثين سنة أسأل عن كلّ مأخوذ باللّيل أنّه هل صلّى العشاء في الجماعة فكانوا يقولون: لا. وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر.

وأما الميسرات الباطنة فأربعة:

الأوّل سلامة القلب عن حقد المسلمين و عن البدع و عن فضول هموم الدّنيا

---

(١) أي لا يجتمع الاوزار. (٢) المصدر ج٣ ص٤٥٠ ورواه الشيخ في التهذيب ج١ ص١٦٩.

فالمستغرق الهمّ بتدبير الدّنيا لايتيسّر له القيام وإن قام فلايتفكّر في صلاته إلّا في مهمّاته ، ولايجول إلّا في وساوسه ، و في مثل ذلك يقال : « وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائم » .

الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنّه إذا تفكّر في أهوال الآخرة ودركات جهنّم طار نومه وعظم حذره كما قال طاؤوس : إنّ ذكر جهنّم طيّر نوم العابدين و كما حكي أنّ غلاماً بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم اللّيل كلّه فقالت له سيّدته : إنّ قيامك باللّيل يضرّ بعملك بالنهار ، فقال : إنّ صهيباً إذا ذكر النار لايأتيه النوم ، وقيل لغلام آخر وهو يقوم كلّ اللّيل ، فقال : إذا ذكرت النار اشتدّ خوفي وإذا ذكرت الجنّة اشتدّ شوقي فما أقدر أن أنام ، ولذي النون المصريّ ـ رحمه الله ـ فيه شعر :

منع القرآن بوعده و وعيده * مقل العيون بليلها أن تهجعا

فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقابهم ذلل لكيما تخضعا

وأنشدوا :

يا طويل الرقاد و الغفلات * كثرة النوم تورث الحسرات

إنّ في القبر إن نزلت إليه * لرقاداً يطول بعد [الا]ممات

و مهاداً ممهّداً لك فيه * بذنوب عملت أو حسنات

أأمنت البيات من ملك المو * ت و كم نال آمناً ببيات

الثالث أن يعرف فضل قيام اللّيل بسماع هذه الآيات و الأخبار حتّى يستحكم به رجاؤه و شوقه إلى ثوابه فيهيّجه الشوق لطلب المزيد والرّغبة في درجات الجنان كما حكي أنّ بعض الصالحين رجع عن غزوته و امرأته كانت تنتظر فراشه تلك اللّيلة فدخل المسجد ولم يزل يصلّي حتّى أصبح فقالت زوجته : كنّا ننتظرك مدّة فلمّا قدمت فصلّيت إلى الصبح ؟ قال : والله كنت أتفكّر في حوراء من حور الجنّة طول اللّيل فنسيت الزوجة و المنزل فقمت طول ليلي شوقاً إليها .

الرابع وهو أشرف البواعث الحبّ لله تعالى و قوّة الإيمان بأنّه في قيامه لايتكلّم بحرف إلّا و هو مناج ربّه و هو مطّلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه و أنّ تلك الخطرات من الله سبحانه خطاب معه فإذا أحبّ الله تعالى أحبّ لامحالة الخلوة به وتلذّذ

بالمناجاة فتحمله لذّة المناجات بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن يستبعد هذه اللّذة إذ شهدله العقل و النقل فأمّاالعقل فليعتبر حال المحبّ لشخص بسبب جماله أوللملك بسبب إنعامه و أمواله أنّه كيف يتلذّذ بالخلوة به و مناجاته حتّى لايأتيه النوم طول ليله .

فإن قلت : إنّ الجميل يتلذّذ بالنظر إليه ، و إنّ الله تعالى لايُرى . فاعلم أنّه لوكان الجميل المحبوب و راءه ستر أو كان في بيت مظلم لكان المحبّ يتلذّذ بمجاورته المجرّدة دون النظر ودون الطمع في أمر آخر سواه وكان يتمتّع بإظهار حبّه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه و إن كان ذلك أيضاً معلوماً عنده .

فإن قلت : إنّه ينتظر جوابه فيتلذّذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى . فاعلم أنّه إن كان يعلم أنّه لا يجيبه و يسكت عنه لبقيت له أيضاً لذّة في عرض أحواله و رفع سريرته إليه كيف و الموقن يسمع من الله تعالى كلّ مايرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذّذ به و كذاالّذي يخلو بالملك و يعرض عليه حاجاته في جنح اللّيل يتلذّذ به في رجاء إنعامه والرجاء في حقّ الله تعالى أصدق ، وما عندالله أبقى و أنفع ممّا عند غيره فكيف لا يتلذّذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات .

و أمّا النقل فتشهدله أحوال قوّام اللّيل في تلذّذهم بقيام اللّيل و استقصارهم لها كما يستقصر المحبّ ليلة وصال الحبيب حتّى قيل لبعضهم : كيف أنت واللّيل ؟ قال : ما رأيته قطّ يريني وجهه ثمّ ينصرف وما تأمّلته بعد ، وقال آخر: أناواللّيل فرسا رهان مرّة يسبقني إلى الفجر ومرّة يقطعني عن الفكر .

و قيل لبعضهم : كيف اللّيل عليك ؟ فقال : ساعة أنا فيها بين حالين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتمّ بفجره إذا طلع ماتمّ فرحي به قطّ .

و قال عليّ بن بكّار : منذ أربعين سنة ماأحزنني شيء سوى طلوع الفجر .

و قال فضيل بن عياض : إذاغربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربّي وإذاطلعت حزنت لدخول الناس عليّ .

و قال أبو سليمان : أهل اللّيل في ليلهم ألذّ من أهل اللّهو في لهوهم ، و لولا اللّيل ما أحببت البقاء في الدّنيا .

و قال أيضاً : لوعوّض الله تعالى أهل اللّيل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللّذّة لكان ذلك أكثر من أعمالهم .

و قال بعض العلماء : ليس في الدّنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنّة إلّا مايجده أهل التملّق في قلوبهم باللّيل من حلاوة المناجاة .

و قال بعض العلماء : لذّة المناجاة ليس من الدّنيا ، إنّما هو من الجنّة أظهرها الله لأوليائه لا يجدها سواهم .

وقال ابن المنكدر : ما بقي من لذّات الدّنيا إلّا ثلاث : قيام اللّيل ، ولقاء الإخوان و الصلاة في جماعة .

و قال بعض العارفين : إنّ الله ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقّظين فيملؤها نوراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ، ثمّ ينتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين .

و قال بعض العلماء من القدماء : إنّ الله سبحانه أوحى إلى بعض الصدّيقين أنّ لي عباداً من عبادي يحبّوني و أُحبّهم ، و يشتاقون إليّ و أشتاق إليهم ، و يذكروني و أذكرهم ، و ينظرون إليّ و أنظر إليهم ، فإن حذوت طريقهم أحببتك ، و إن عدلت عنهم مقتّك ، قال : يا ربّ وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه و يحنّون إلى غروب الشمس كما يحنّ الطير إلى أوكارها ، فإذا جنّهم اللّيل و اختلط الظلام و خلا كلّ حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم ، و افترشوا لي وجوههم ، وناجوني بكلامي و تملّقوني بإنعامي ، فبين صارخ وباكي ، وبين متأوّه وشاكي ، بعيني ما يتحمّلون من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبّي ، أوّل ما أُعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عنّي كما أُخبر عنهم ، والثانية لو كانت السماوات السبع والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم ، و الثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحدما أُريد أن أُعطيه ؟ .

و قال مالك بن دينار : إذا قام العبد فتهجّد من اللّيل قرب منه الجبّار ، قال : وكانوا يرون مايجدون في قلوبهم من الرّقة والحلاوة والأنوار من قرب الرّبّ جلّ جلاله من القلب ، و هذا له سرّ وتحقيق ستأتي الإشارة إليه في كتاب المحبّة إن شاء الله .

و في الأخبار عن الله تعالى « أي عبدي أنا الله الّذي اقتربت لقلبك و بالغيب رأيت نوري » .

و شكا بعض المريدين إلى اُستاذه طول سهر اللّيل و طلب حيلة يجتلب بها النوم، فقال اُستاذه : يا بنيّ إنّ لله نفحات في اللّيل و النهار تصيب القلوب المتيقّظة وتخطىء القلوب النائمة فتعرّض لتلك النفحات ، فقال : يا اُستاذ تركتني لا أنام باللّيل ولا بالنهار.

و اعلم أنّ هذه النفحات باللّيل أرجى لما في قيام اللّيل من صفاء القلب و اندفاع الشواغل .

و في الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « إنّ من اللّيل ساعة لا يوافيها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلّا أعطاه إيّاه »(١).

و في رواية اُخرى « يسأل الله خيراً من أمر الدّنيا والآخرة إلّا أعطاه إيّاه وذلك كلّ ليلة »(٢).

و مطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة اللّيل كليلة القدر في شهر رمضان و كساعة يوم الجمعة و هي ساعة النفحات المذكورة » .

أقول : بل هي معلومة لنا بحمد الله تعالى بتعليم علماء أهل البيت ـ صلوات الله و تسليماته عليهم ـ إيّانا وهي السدس الرابع من اللّيل كما مرّ ذكره في أخبارهم عليهم السلام ولكنّ العامّة عن بركة أمثالها لمعزولون .

✡(بيان طرق القسمة لاجزاء الليل)✡

اعلم أنّ إحياء اللّيل من حيث المقدار له سبع مراتب :

المرتبة الاُولى إحياء كلّ اللّيل و هذا شأن الأقوياء الّذين تجرّدوا لعبادة الله تعالى و تلذّذوا بمناجاته وصار ذلك غذاءً لهم وحياة لقلوبهم ، فلم يتعبوا بطول القيام و ردّوا المنام إلى النّهار في وقت اشتغال الناس ، و قد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلّون الصبح بوضوء العشاء .

حكى أبوطالب المكّيّ أنّ ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن أربعين من التّابعين

(١) و(٢) رواهما مسلم فى صحيحه ج ٢ ص ١٧٥ وقدمرتا .

و كان منهم من واظب عليه أربعين سنة » .

أقول : الظاهر من طريقة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنّ هذا ليس بمستحسن و أنّه إفراط ودعوى فضل على هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في العبادة وظنّي أنّه محض فرض لا وقوع له ، وقد قال الله سبحانه : « وجعل اللّيل سكناً »(١) و قال عزّ وجلّ : « لتسكنوا فيه »(٢) إلى غير ذلك في موضع الامتنان ومع صحّة الحكاية ففعل التابعين ليس فيه حجّة سيّما مع اتفاق أكثرهم ، قال :

« المرتبة الثانية أن يقوم نصف اللّيل ، وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف، و أحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأوّل من اللّيل و السدس الأخير منه حتّى يقع قيامه في جوف اللّيل ووسطه فهو الأفضل »

أقول : قد عرفت كراهة النوم في آخر اللّيل عند أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في غير موضع ممّا أسلفناه كيف لا ؟ وقد مدح الله المستغفرين بالأسحار والسحر قبيل الفجر بالاتّفاق ولكنّ المخالفين لمحرومون عن أمثال هذه الخيرات ، قال :

« المرتبة الثالثة أن يقوم ثلث اللّيل فينبغي أن ينام النصف الأوّل والسدس الأخير و بالجملة نوم آخر اللّيل محبوب لأنّه يذهب النعاس بالغداة فكانوا يكرهون ذلك ويقلّل صفرة الوجه و الشهرة به فلو قام أكثر اللّيل و نام سحراً قلّت صفرة وجهه وقلّ نعاسه .

وقالت عائشة : « كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إذا أوتر من آخر اللّيل فإن كان له حاجة إلى أهله دنا منهنّ و إلّا اضطجع في مصلّاه حتّى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة »(٣).

و قالت : « ماألفيته السحر إلّا نائماً »(٤) حتّى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبيل الصبح سنّة ، و كان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب و ذلك لأرباب القلوب و فيه استراحة تعين على الورد الأوّل من أوراد النهار » .

---

(١) الانعام : ٩٦ . (٢) يونس :٦٧ .

(٣) أخرج مسلم ج ٢ ص ١٦٧ نحوه . والبخارى ج ٢ ص ٦٩ ، والنسائى ج٣ ص ٢٣٠ ، والبيهقى فى السنن ج ٣ ص ٧ وص ٤٦ باختلاف فى اللفظ .

(٤) أخرجه مسلم ج ٢ ص١٦٨ ، وأبوداود ج ١ ص ٣٠٣ .

أقول : الاستراحة تحصل بالضجعة و إن لم يكن معها نوم و قد عرفت استحبابها و تأكده من طريقة أهل البيت عليهم السلام و أنه لا نوم فيها بل يذكر فيها و يتفكر في خلق السماوات والأرض كما يدل عليه استحباب قراءة الآيات الخمس من آل عمران فيها مع قوله صلى الله عليه وآله : « و يل لمن لا كها بين لحييه ولم يتدبرها »[١] فعليها يحمل قول عائشة « و إلّا اضطجع في مصلاه » إن صح ، و كذا قولها « ما ألفيته السحر إلّا نائماً » نظيره ما ورد في الحديث من طريقهم « أنّ لصلاة النائم نصف أجر القاعد »[٢].

روى في التهذيب بإسناده عن الهادي عليه السلام قال : « إيّاك والنوم بين صلاة اللّيل والفجر ولكن ضجعة بلا نوم فإنّ صاحبه لا يحمد على ما قدم من صلاته »[٣].

و سئل الصادق عليه السلام « متى أُصلّي صلاة اللّيل ؟ فقال : صلّها آخر اللّيل »[٤].

و أمّا ذهاب النعاس و صفرة الوجه فالظاهر عدم اختصاصه بنوم وقت دون وقت فإنّ سبب العلّتين كثرة السهر ومزيلهما قلّته فالأولى و الأفضل لصاحب هذه المرتبة أن يقوم السدس الرّابع و السادس لينال بركتي الساعة المعهودة و السحر جميعاً فإن تعسّر عليه التفريق و ضبطه تعيّن عليه قيام الثلث الأخير ، قال :

« المرتبة الرابعة أن يقوم سدس اللّيل أوخمسه وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه » .

أقول : قد عرفت ما فيه فقس حكم هذه المرتبة على ماقبلها ، قال :

« الخامسة أن لا يراعي التقدير فإنّ ذلك إنّما يتيسّر لنبيّ يوحى إليه أولمن يعرف المنازل للقمر ويوكّل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ، ثمّ ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنّه يقوم من أوّل اللّيل إلى أن يغلبه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم

(١) أخرجه ابن مردويه في تفسير سورة الروم من رواية أبي جناب عن عطاء عن عائشة كما في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ذيل الايات في سورة آل عمران .

(٢) أخرجه النسائي ج ٣ ص ٢٢٣ من حديث عبدالله بن عمرو ، و ص ٢٢٤ من حديث عمران بن حصين ، وأبوداود ج ١ ص ٢١٨ .

(٣) المصدر ج ١ ص ١٧٤ .

(٤) المصدر ج ١ ص ٢٣١ في حديث .

فيكون له في اللّيل نومتان و قومتان وهو من مكابدة اللّيل وأشدّ الأعمال و أفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلّى الله عليه وآله و هو طريقة أولي العزم من الصحابة و جماعة من التابعين ، وكان بعض السلف يقول : هي أوّل نومة فإذا انتبهت ثمّ عدت إلى النوم فلا أنام الله عيني ، فأمّا قيام رسول الله صلّى الله عليه وآله فلم يكن على ترتيب واحد من حيث المقدار بل ربما كان يقوم نصف اللّيل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه يختلف ذلك في اللّيالي و دلّ عليه قوله تعالى في موضعين من سورة المزّمّل قوله عزّ وجلّ : «إنّ ربّك يعلم أنّك تقوم أدنى من ثلثي اللّيل و نصفه وثلثه »[1] فأدنى من ثلثي اللّيل كأنّه نصفه و نصف سدسه[2] فإن كسر قوله تعالى : « و نصفه و ثلثه » كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وإن نصب كان نصف اللّيل وثلثه ، وقد قالت عائشة : «كان صلّى الله عليه وآله يقوم إذا سمع الصارخ - تعني الدّيك - » [3] و هذا يكون السدس فما دونه و روى غير واحد أنّه قال : « راعيت صلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله في سفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثمّ استيقظ فنظر في الأفق فقال : « ربّنا ما خلقت هذا باطلاً - حتّى بلغ - إنّك لا تخلف الميعاد » ثمّ استلّ من فراشه سواكاً فاستاك و توضّأ وصلّى حتّى قلت : صلّى مثل ما نام ثمّ اضطجع حتّى قلت : نام مثل ما صلّى ثمّ استيقظ فقال ما قال أوّل مرّة و فعل ما فعل أوّل مرّة » [4] .

أقول: و قد نقلنا عن الصادق عليه السلام في الصحيح و الحسن تفصيل قومات رسول الله صلّى الله عليه وآله و صلواته و نوماته فلاحاجة إلى إعادتها ، قال :

«المرتبة السادسة وهي الأقلّ أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تتعذّر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدّعاء فيكتب في جملة قوّام اللّيل

(١) المزمل : ٢٠ . (٢) كذا وفي الاحياء « كأنه نصف سد سه» .

(٣) أخرجه مسلم فى الصحيح ج ٢ ص ١٦٧ وأبوداود نحوه ج ١ ص ٣٠٣ .

(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد فى زوائد المسند والطبرانى فى الكبير والحاكم فى الكنى والبغوى فى معجم الصحابة عن صفوان بن المعطل السلمى باختلاف فى اللفظ كما فى الدر المنثور ج ٢ ص ١١٠ . وأيضاً رواه البغوى فى معالم التنزيل ذيل الايات بلفظ آخر عن ابن عباس .

برحمة الله و فضله و قد جاء في الأثر « صلّ من اللّيل ولو قدر حلب شاة »(١) .

أقول : روى في التهذيب بإسناده الصحيح عن معاوية بن وهب عن الصادق عليه السلام أنّه سمعه يقول : « أما يرضى أحدكم أن يقوم قبل الصبح ويوتر ويصلّي ركعتي الفجر فيكتب له صلاة اللّيل »(٢) .

و المراد بالوتر الركعات الثلاث كما يستفاد من الأخبار الاُخر لا الركعة الواحدة الواقعة بعد الشفع كما يوجد في عبارات متأخّري أصحابنا .

قال أبوحامد : « فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما رآه يسيراً عليه و حيث يتعذّر عليه القيام في وسط اللّيل فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشائين والورد الّذي بعد العشاء » .

أقول : قد عرفت سقوط هذا الورد عندنا والمختار من الوسط .

قال : « ثمّ يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً و يقوم بطرفي اللّيل وهذه هي المرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره ، و أمّا في المرتبة الخامسة والسابعة فلم ينظر فيهما إلى المقدار فليس يجري أمرهما في التقدّم و التأخّر على الترتيب المذكور ، إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

٭(بيان الليالي والايام الفاضلة)٭

اعلم أنّ اللّيالي المخصوصة بمزيد الفضل الّتي يتأكّد فيها استحباب الإحياء في السنة خمسة عشر ليلة لا ينبغي أن يغفل المريد عنها فإنّها مواسم الخيرات و مظانّ التجارات و متى غفل التاجر عن المواسم لم يربح و متى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح » .

أقول : و تلك اللّيالي عندنا هي مظانّ ليلة القدر كليالي الإفراد الثلاث من شهر

(١) رواه الطبراني في الاوسط بالفاظ مختلفة كما في مجمع الزوائد ج٢ص٢٥٢ .

(٢) المصدر ج ١ ص ٢٣٣ .

رمضان أعني ليلة تسع عشرة و الإحدى وعشرين والثلاث وعشرين وخصوصاً ليلة الثلاث و عشرين و أربع ليال اُخر في السنة و هي مارواه أصحابنا عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليال من السنة وهي أوّل ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر، وليلة النحر» (١) .

و عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «من أحيا ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب »(٢).

و في هذه اللّيالي أعمال مخصوصة وصلوات مذكورة في مواضعها .

قال الشهيد ـ رحمه الله ـ : يحصل فضيلة الإحياء بمعظم اللّيل تنزيلاً لأكثر الشيء منزلته .

و عن ابن عبّاس أنّ الإحياء أن تصلّي العشاء في الجماعة ، و لعلّه ينزل على إحياء ما بين العشائين و أمّا الأيّام الفاضلة الّتي يستحبّ مواصلة الأوراد فيها فقد مرّ ذكرها في كتاب أسرار الصيام فلا حاجة إلى الإعادة .

هذا آخر الكلام في كتاب ترتيب الأوراد و تفصيل إحياء اللّيل ، وبتمامه تمّ ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله في ربع العادات كتاب الأكل والحمدلله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً والصلاة على محمّد وآله .

---

(١) رواه الشيخ فى مصباح المتهجد ص ٤٥٠ .

(٢) رواه الصدوق فى ثواب الاعمال ص٧٥ وأخرجه الطبرانى فى المسند الكبير بسند ضعيف عن عبادة كما فى الجامع الصغير باب الميم .

فهرست ما في هذا المجلد

رقم الصفحة	الموضوع

كتاب أسرار الزكاة

رقم الصفحة	الموضوع

رقم الصفحة	الموضوع

رقم الصفحة	الموضوع

كتاب اسرار الحج ومهماته

رقم الصفحة	الموضوع

كتاب آداب تلاوة القرآن .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٤٦	بيان أعداد الأوراد وترتيبها .
٣٤٦	الورد الأوّل بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس .
٣٥٢	فصل في الأذكار المكرّرة .
٣٥٥	الورد الثاني ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار .
٣٥٦	الورد الثالث من ضحوة النهار إلى الزوال .
٣٥٨	الورد الرابع ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر .
٣٥٩	الورد الخامس ما بعد ذلك إلى العصر .
٣٦٠	الورد السادس إذا دخل وقت العصر .
٣٦١	الورد السابع إذا اصفرّت الشمس .
٣٦٢	بيان أوراد اللّيالي وهي خمسة .
٣٦٢	الورد الأوّل إذا غربت الشمس .
٣٦٤	الورد الثاني يدخل بدخول وقت العشاء .
٣٦٦	الورد الثالث النوم إذا روعيت آدابه .
٣٦٧	آداب النوم و هي عشرة .
٣٧٣	الورد الرابع يدخل بمضيّ نصف الأوّل من اللّيل .
٣٧٦	الورد الخامس السدس الأخير من آخر اللّيل .
٣٨٠	بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال .
٣٨٧	الباب الثاني فضيلة قيام اللّيل .
٣٩٠	فضيلة قيام اللّيل من طريق الخاصّة .
٣٩٥	بيان الأسباب الّتي بها يتيسّر قيام اللّيل .
٤٠٠	بيان طريق القسمة لأجزاء اللّيل .
٤٠٤	بيان اللّيالي والأيّام الفاضلة .

﴿ تذكرة ﴾

قوبل هذا المجلد بنسختين ثمينتين .

١ ـ نسخة مصحّحة جدّاً موشحة بالحواشي والتعاليق القيّمة تفضّل بارسالها السيد الشريف المحقّق السيد محمّد عليّ الروضاتي المحترم .

٢ ـ نسخة الأُستاد المحترم مرتضى المدرّسي چهاردهي (المدرس في دارالمعلّمين العالية بجامعة طهران) وقد بشرّني ـ دام مجده العالي ـ أخيراً بأنّه وقف هذه النسخة على مكتبة الإمام أميرالمؤمنين العامّة في النجف الأشرف . فعلى الله أجره و علينا شكره .